

أبو علي مسكويه الرازي

تجارب الأمم

تحقيقه وتقديمه

الدكتور أبو القاسم

السنجر الثالث

دار نشر النهضة والنشر
بمصر ١٩٦٩م



تجارب الأمم



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

کتابخانه

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

شماره ثبت: ۰۰۳۵۷۱

تاریخ ثبت:

ابوعلی سکویه الرازی

(۳۲۰-۴۲۱)

تجارب الأمم



تقدیم به

الدکتور ابوالقاسم امامی

الجزء الثالث

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

دارسروش للطباعة والنشر

سروش

تهران ۱۳۷۹

مسکویه - احمد بن محمد . ۲۲۰ - ۲۲۱ هـ.
تجارب الامم / ابوعلی مسکویه الرازی؛ حقیقه و
قدم له ابوالقاسم امامی، - طهران: دارسروش
للطباعة و النشر، ۱۹۸۷ = ۱۴۰۷ ق. = ۱۳۶۶ -

ج.
بهای هر جلد متفاوت (دوره) ISBN 964-435-331-5
ISBN 964-435-327-7 - بها: ۱۸۰۰ ریال (ج. ۱)
(۷. ۴)

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیبا .
یشت جلد به انگلیسی: Hiskawayh. Tajarib
al-umam (experiences of nations).

عربی.

کتابنامه.

جلد چهارم (چاپ اول: ۱۳۷۶): ۱۶۰۰۰ ریال (جلد
نهم): ۱۹۵۰۰ ریال (جلد زرکوب).

ج. ۵ (چاپ اول: ۱۳۷۷) ISBN 964-435-328-5

ج. ۶ (چاپ دوم: ۱۳۷۸) ISBN 964-435-441-9

ج. ۳ (چاپ اول: ۱۳۷۹) ISBN 964-435-551-2

ج. ۷ (چاپ اول: ۱۳۷۹) ISBN 964-435-552-0

۱. اسلام -- تاریخ -- متون قدیمی تا قرن ۱۴.

۲. تاریخ جهان -- متون قدیمی تا قرن ۱۴. ۳. ایران

-- تاریخ -- متون قدیمی تا قرن ۱۴. الف. امامی.

ابوالقاسم. ۱۳۱۲ - . مصحح. ب. صدا و سیما

جمهوری اسلامی ایران. انتشارات سروش. ج. عنوان.

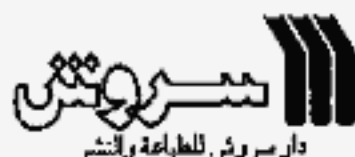
۹۰۹/۰۹۷۶۷۱

DS۳۵/۶۳/الف/۳۵۳۳

۱۳۶۶

*۹۳۴-۶۶۶م

کتابخانه ملی ایران



طهران، شارع الاستاذ مطهری، مفترق الدكتور مفتاح بنایة جام جم، رقم ۲۲۸
مرکز التوزيع: مجمع سروش الثقافي، المعاونة التجارية، رقم التليفون ۶۴۰۴۲۵۵

العنوان: تجارب الامم (المجلد الثالث)

المؤلف: ابوعلی مسکویه الرازی

تحقيق: الدكتور ابوالقاسم امامی

تنفيذ الحروف والاخراج: دار البعائر للخدمات الثقافية

الطبعة الأولى: ۱۳۷۹ ش / ۱۴۲۱ ق / ۲۰۰۱ م.

عدد النسخ: ۳۰۰۰ نسخة

طبع هذا الكتاب بجميع مراحل الطبع في مطابع دار سروش للنشر.

جميع حقوق الطبع محفوظة للناسر.

شابک: ۲ - ۵۵۱ - ۴۲۵ - ۹۶۴ (جلد سوم) ISBN: 964 - 435 - 551 - 2 (Vol. 3)

شابک: ۵ - ۳۳۱ - ۴۲۵ - ۹۶۴ (دوره ۷ جلدی) ISBN: 964 - 435 - 331 - 5 (7 Vol. SET)

[1, 2]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَ حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَ صَلَوَاتُهُ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَ آلِهِ الْأَخْيَارِ أَجْمَعِينَ

و دخلت سنة أربع و مائة
فغزا الحرشيّ و قطع النهر و عرض الناس، ثمّ سار فنزل قصر الرّيح على
فرسخين من الدّبوسية و لم يجتمع إليه جنده، و أمر الناس بالرّحيل.
فقال له هلال بن عليم الحنظلي:
- «يا هنا، إنّك وزيراً خير منك أميراً. إنّ الأرض حرب شاغرة برجلها^(١)، و
لم يجتمع لك جندك، و قد أمرت بالرّحيل.» قال:
- «فكيف لي؟» قال:
- «تأمر بالتّزول» فقبل و نزل.
و خرج ابن عيمّ لملك فرغانة يقال له السّلار^(٢) إلى الحرشيّ، فقال له:
- «إنّ أهل السّغد بخجندة.»
و أخبره خبرهم و قال:
- «عاجلهم قبل أن يصيروا إلى الشّعب، فليس علينا لهم جوار حتّى يمضي
الأجل.»

١. شاغرة: كذا في الأصل و الطبري (٩: ١٤٤٢). و ما في آ: شاعرة. في مط: ساغرة.
٢. السّلار: كذا في الأصل و مط. و ما في الطبري (٩: ١٤٤٢) و آ: النيلان.

فوجّه الحرشي مع السّلالر عبد الرحمن القشيري في جماعة، ثمّ ندم بعد ما فصلوا، و قال:

- «جاءني عِلْجٌ لا أدري صدقني أم كذبنِي، فغررت بجندٍ من [3] المسلمين.»

و ارتحل في أثرهم حتّى نزل بأشروسنة^(١)، فصالحهم على شيء يسير، و سار جاداً مغذاً حتّى لحق القشيريّ بعد ثلاثة، و سار حتّى انتهى إلى خجندة، فاستشار الفضل بن بسام و قال:

- «ما ترى؟» قال:

- «أرى المعاجلة.» قال:

- «لكنّي لا أرى ذلك، إن جرح رجل فإلى من يُرجع، أو قُتل قتيل إلى من يُحمل؟ و لكنّي أرى النزول و التّأني و الإستعداد للحرب.»
فنزل، و رفع الأبنية، و أخذ في التّأهّب، فلم يخرج أحد من الغد، فجئنا النّاس يومئذٍ الحرشيّ و قالوا:

- «كان هذا يذكر رأيه و بأسه بالعراق، فلمّا صار إلى خراسان ما.»

فحمل رجل من العرب، فضرب بعمودٍ باب خجندة حتّى فتح الباب، و قد كانوا حفروا في ربضهم وراء الباب الخارج خندقاً، و غطّوه بقصب و علّوه بالتراب مكيدة، و أرادوا، إذا التقوا، أن انهزموا، أن يكونوا قد عرفوا الطّريق، و يشكل على المسلمين، فسقطوا في الخندق. فلمّا خرجوا قاتلوهم و أخطأوا هم^(٢) الطّريق، فسقطوا في الخندق [4] دهشاً فأخرجوا من الخندق أربعين

١. أشروسنة (و يقال: أشروسنة): بلدة كبيرة بما وراء النهر من بلاد الهياطلة بين سيحون و سمرقند بينها و بين سمرقند ستة و عشرون فرسخاً (مرصد الاطلاع).

٢. وأخطأوا هم: كذا في الأصل. و في مط و الطبري (٩: ١٤٤٣): و أخطأوهم. و في آ: و أخطأوا.

رجلاً على الرجل درعانٍ درعانٍ. و حصرهم العرشى و وضع عليهم المجانيق.
فأرسلوا إلى ملك فرغانة:

- «غدرت بنا.» و سألوهُ النَّصْر. فقال:

- «أغدر و لا أنصركم، فانظروا لأنفسكم، فقد أتوكم قبل انقضاء الأجل، و

لستم فى جوارى.»

فلما ينسوا من نصره طلبوا الصلح و سألوا الأمان، و أن يردهم إلى السغد.
فاشترط عليهم أن يرّدوا ما فى أيديهم من نساء العرب و ذراريتهم، و أن يؤدّوا
ما كسروا من الخراج، و لا يغتالوا أحداً، و لا يتخلف منهم بخجندة أحد، فإن
أحدثوا حدثاً حلت دماؤهم.

فخرج إليه كارذنج^(١). فقال له:

- «إن لى إليك حاجة أحب أن تُشفعنى^(٢) فيها.» قال:

- «ما هى؟» قال:

- «أحب، إن جنى منهم رجل جناية بعد الصلح، ألا تأخذنى بما جنى.»

فقال العرشى:

- «ولى حاجة فاقضها.» قال:

- «و ما هى؟» قال:

- «لا تُلحقننى شرطى ما أكره.»

ثم أخرج التّجار و الملوك من الجانب الشرقى، و ترك أهل خجندة الذين هم

١. كارذنج : (هنا بالذال المعجمة و فى ما سبق بالزاء المعجمة): ما فى الأصل و مط و آ
مهمل. و الإعجام من الطبرى (٩: ١٤٤٤): و فى بعض المواطن منه: كازرنج، كارزنج
(بالزاء). (٩: ١٤٤٠، ١٤٤٦).

٢. أن تُشفعنى: كذا فى الأصل و مط و الطبرى. و ما فى آ: تسعفى. و لكليهما وجه من
الصحة.

أهلها على حالهم.

فقال كارذنج للحرشي:

- «ما تصنع؟» قال:

- «أخاف عليك معرة^(١) [5] الجند.»

فكان عظماءهم مع الحرشي في العسكر، و نزلوا على معارفهم في الجند، و نزل كارذنج على أيوب بن أبي حسان.

و بلغ الحرشي أنهم قتلوا امرأة من نساء كُن^(٢) في أيديهم. فقال لهم:

- «بلغني أن ثابتاً صاحب إشتيخنج^(٣) قتل امرأة و دفنها تحت حائط.»

فجحدوا. فأرسل الحرشي إلى قاضي خجندة، فنظروا، فإذا المرأة مقتولة.

فدعا الحرشي بثابت و أرسل كارذنج غلامه إلى باب السراق ليأتيه بالخبر، و

سأل الحرشي ثابتاً و غيره عن المرأة، و كان الحرشي يثق أنه قتلها من جهات،

فقتله. فرجع غلام كارذنج إليه بقتل ثابت، فجعل يعص على لحيتة و يقرضها

بأسنانه، و خاف كارذنج أن يستعرضهم الحرشي، فقال لأيوب بن أبي حسان:

- «إني ضيفك و صديقك، و لا يجمل بك أن تقتل ضيفك في سراويل خلق

ربما بدا منه عورته.» قال:

- «فخذ سراويلي.» قال:

- «و هذا أيضاً لا يجمل، أقتل في سراويلاتكم! و لكن سرح غلامي إلى ابن

أخي يجيئني بسراويل جديد.»

١. معرة: كذا في الأصل و الطبري و آ. و ما في مط: مغرة. و المعرة: المساءة و الإثم.

٢. من نساء كُن: كذا في الأصل و آ و الطبري. و ما في مط: من يساكن!

٣. اشتيخنج: ما في الأصل: اشتيخنج (بالإهمال إلا في التاء). و ما في آ و مط: مهمل

تماماً. و العبارة في الطبري (٩: ١٤٤٤): «بلغني أن ثابتاً الإشتيخنج.» في الجزء الثاني من

تجارب الأمم و في الطبري: اشتيخن.

و كان قال لابن أخيه:

«إذا أرسلت إليك أطلب سراويلاً، فاعلم أنه القتل.»

فلما بعث [٦] بالسراويل، أخرج قديدة^(١) خضراء، فقطعها عصائب، وعصبيها برؤوس شاكريته. ثم خرج هو و شاكريته، فاعترض الناس، فقتل خلقاً و تضعضع العسكر، و لقي الناس منه شراً، حتى انتهى إلى ثابت بن عثمان بن مسعود في طريق ضيق، فقتله ثابت. و كان في أيدي السغد أسرى من المسلمين، فقتلوا خمسين و مائة، و أفلت منهم غلام، فأخبر الحرشي، فأرسل من علم علمهم، فوجد الخبر حقاً، فأمر بقتل من عنده، و عزل التجار عنهم، و كان التجار أربعمائة، كان معهم مال عظيم قدموا به من الصين. فامتنع أهل السغد، ولم يكن لهم سلاح، فقاتلوا بالخشب، فقتلوا عن آخرهم. فكان عدد الحرثيين خاصة سبعة آلاف.

ثم أرسل من يحصى أموال التجار، و كانوا اعتزلوا و قالوا: لا نقاتل. فاصطفى أموال السغد و ذرائعهم، فأخذ منه كل ما أعجبه. ثم دعا مسلم بن بديل العدوي، فقال:

«قد وليتك المقسم.» فقال:

«بعد ما عمل فيه عمالك ليلة؟ ولله^(٢) غيري.»

فولاه عبيد الله بن زهير بن حبان العدوي، فأخرج الخمس [٧] و قسم الأموال، و كتب الحرشي إلى يزيد بن عبد الملك و لم يكتب إلى عمر بن هبيرة. و كان هذا ممّا وجد عليه فيه عمر بن هبيرة.

١. قديدة: في الأصل: فريدة. في مط و الطبري (٩: ١٤٤٥): فرندة. فأثبتنا ما في آ. و هو الصحيح. القديدة: الشقة من الثوب و نحوه. قدّه: شقه طولاً.

٢. ولّه: في الأصل و مط و آ: ولها. في حواشي آ و الطبري (٩: ١٤٤٦): ولّه. و هو الصحيح كما أثبتناه.

عجيب ما حُكى فى تلك الحال

فمن عجيب ما حُكى فى تلك الحال أَنَّ رجلاً اشترى جُونة^(١) بدرهمين من صاحب الأقباض، فانصرف بها، فلَمَّا حلَّها، وجد فيها سبائك ذهب، فرجع و هو واضع يده على وجهه و كأنه زَمِدَ. فردَّ الجونة و أخذ الدرهمين. ثمَّ طَلَب، فلم يوجد.

فتح قلعة

و سَرَّح الحرشئ سليمان بن أبى السرى، و هو مولى لبنى عُوافة، الى قلعة ليفتحها. و كان يمرُّ بوادى السَّغْد من وجه واحد، و أنفذ معه خوارزم شاه، و شوكر بن خُتَل^(٢)، و عَوْدَم^(٣) صاحب أجرون. فوجَّه سليمان بن أبى السرى على مقدَّمته المسيَّب بن بشر الرياحى. فتلقَّاه أصحاب القلعة على فرسخ، فقاتله، فهزمهم المسيَّب، حتى ردَّهم إلى القلعة، فحصرهم سليمان و دهقانها يقال له: ديوشتى^(٤). فكتب الحرشئ إلى سليمان يعرض عليه المدد. فأرسل إليه:

- «ملتقانا ضيق، فسرَّ أنت إلى كِسِّ، فأنا فى كفاية إن شاء الله». [8].

فلَمَّا طال الحصار على ديوشتى، طلب النَّزول فى أمان. فقال سليمان:

- «لا، إلَّا على حكم سعيد الحرشئ».

١. جونة: كذا فى الأصل و مط و الطبرى (٩: ١٤٤٦). فى آ: جوبة. الجونة: سُليلة مستديرة مغطاة بالجلد يحفظ العطار فيها الطيب.

٢. ختل: كذا فى الأصل و مط. فى آ: حنك. فى الطبرى: حميك، خنك.

٣. عَوْدَم: كذا فى الأصل. فى مط و آ: عوذم (بالذال المعجمة) و فى الطبرى: عَورم (بالراء المهملة).

٤. ديوشتى: كذا فى الأصل و مط. ما فى آ مهمل، و ما فى الطبرى (٩: ١٤٤٧): ديواشنى.

فرضى بذلك، و نزل على أن يوجهه مع المسيب بن بشير الحرشي. فوفى له سليمان، و وجهه إلى الحرشي، فألففه و أكرمه مكيدة، و طلب أهل القلعة الصلح بعد مسيره على ألا يعرض لمائة أهل بيت منهم و نسائهم و أبنائهم و يسلمون إليه القلعة. فكتب سليمان إلى الحرشي أن يبعث الأمناء لقبض ما في القلعة، فبعث ثقاته فباعوا ما في القلعة مزايده، فأخذ الخمس، و قسم الباقي بينهم.

خروج الحرشي إلى كِس و رِبْنَجَن

و خرج الحرشي إلى كِس، فصالحوه على عشرة آلاف رأس، و صالح دهقانها على أن يوفيه ذلك في اربعين يوماً على ألا يأتيه.

فلما فرغ من كِس خرج إلى رِبْنَجَن^(١) فقتل ديوشتي، و صلبه على ناؤوس، و كتب على أهل رِبْنَجَن كتاباً بمائة رأس إن فقد من موضعه، و ولّى نصر بن سيار قبض صلح كِس، ثم عزل سورة بن أبجر، و ولّى نصر بن سيار، و بعث برأس ديوشتي إلى العراق.

و كانت خزان^(٢) منيعة لا يطمع فيها [9] فأشير على سليمان أن يوجه المسربل بن الخزيت الناجي، و كان المسربل صديقاً لملكها و كان محبباً إليهم، فوجهه، فلما وصل إلى القوم خبر ملكها بما صنع الحرشي بأهل خجندة و خوفه. قال:

- «فما ترى لي؟» قال:

- «أن تنزل بأمان.» قال:

١. رِبْنَجَن: ما في الأصل و آ مهمل، و ما في مط غير واضح. و ما أثبتناه يوافق الطبري.
٢. خزان (و يمكن أن تقرأ «خزان» بإعجام الزاء أيضاً): كذا في الأصل. ما في مط: حزان. في الطبري و حواشيه: خراز، حران، حزان.

ـ فما أصنع بمن لحق بى من عوام الناس؟ قال:
ـ «تصيرهم معك فى أمانك».

فصالحهم، و آمنوه و بلادهم، و رجع الحرشي إلى مرو و معه هذا الملك و اسمه سُبُغْرِي^(١). فلما نزل أسباز^(٢)، قتل سُبُغْرِي و معه أمانه.
و يقال: إن دهقان بن ماهر^(٣) قدم على ابن هبيرة، فأخذ أماناً لأهل السغد، فحبسه الحرشي بمرو. فلما قدم دعا به فقتله و صلبه فى الميدان، فقال راجزهم:

إذا سعيد سار فى الأخماس فى رَهَجٍ يَأْخُذُ بِالْأَنْفَاسِ
دارت على الشُّركِ أَمْرُ الكاسِ و طارتِ التُّركُ عَلَى الْإِحْلَاسِ
وَلَوْ فِرَاراً عَطَلَ^(٤) الْقِيَّاسِ

و فى هذه السنة رحل أبو محمد الصادق و عدّة من أصحابه من خراسان إلى محمد بن على بن عبد الله بن العباس، و قد وُلِدَ له أبو العباس قبل ذلك بخمس عشرة ليلة، فأخرجه إليهم فى خرقة و قال لهم:
ـ «و الله، ليتمنّ هذا الأمر حتى تُدركوا تُاركم من عدوكم».

مركز تحقيق كاميون علوم اسلامی

١. سُبُغْرِي: كذا فى الأصل. فى مط و آ: سُبُغْرِي (بالعين المهملة). فى الطبري (٩: ١٤٤٨): سُبُغْرِي، سُبُغْرِي، سُبُغْرِي.
٢. أسباز: كذا فى الأصل. فى مط: أسباز. ما فى آ مهمل. و فى الطبري (٩: ١٤٤٩): أسنان. و فى هامشه: اسبان، اسناد.
٣. ماهر: كذا فى الأصل و آ. فى الطبري (٩: ١٤٤٩): ماجر. و فى هامشه: ماجد.
٤. عَطَل: كذا ضبط فى الأصل. و الضبط فى الطبري: عَطَل.

عزل سعيد بن عمرو الحرشي عن خراسان
و في هذه السنة، عزل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشي عن خراسان،
و ولأها مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي.

ذكر السبب في ذلك

كان عمر بن هبيرة وجد^(١) علي الحرشي في أشياء. أحدها أنه قد كان كتب
إليه بتخلية ديوشتي، فقتله، و كتب أماناً لدهقان بن ماخر، فصلبه، و كان
يستخف بأمر ابن هبيرة، و إذا ورد عليه له رسول قال له: كيف «أبوالمثنى»، و
يقول لكاتبه: «أكتب إلى أبي المثنى» و لا يقول: «الأمير».
فبلغ ذلك ابن هبيرة، فدعا جميل بن حمران، و قال له:
- «قد بلغني أشياء عن الحرشي، فاخرج إلى خراسان، و أظهر أنك قدمت
تنظر في الدواوين، و اعلم لي علمه».
فقدم جميل، فقال له الحرشي:
- «كيف تركت أبا المثنى؟»
و جعل جميل ينظر في الدواوين. فقبل للحرشي:
- «إن جميلاً [11] ما قدم للنظر في الدواوين، و ما قدم إلا ليعلم عِلَّتْكَ».
فدس إليه طعاماً مسموماً، فأكله و مرض، و تساقط شعره، و بادر بالخروج
إلى هبيرة، فعولج و استبل و صح، فقال لابن هبيرة:
- «الأمر أعظم مما بلغك، ما يرى سعيد إلا أنك بعض عماله».
فغضب و عزله و عذبه، حتى نفخ^(٢) في بطنه النمل.

١. وَجَدَ عَلَيْهِ: غَضِبَ. و في الطبري (٩: ١٤٥٣): إِنَّ سَبَبَ ذَلِكَ كَانَ مِنْ مَوْجِدَةٍ وَجَدَهَا
عمر علي الحرشي....».

٢. نفخ (بالخاء المعجمة): كذا في الأصل و مط و آ. و ما في الطبري (٩: ١٤٥٤): نفج

و كان سعيد يقول حين عزله عمر:
 «لو سألتني ابن هبيرة درهماً يضعه على عينه ما أعطيته.»
 فلما عذب أدّى شيئاً كثيراً، فقيل له:
 - «ألم تزعم أنك لا تعطيه درهماً؟» فقال:
 - «ما كنت ذقت العذاب»^(١).

ذكر السبب في ولاية مسلم بن سعيد خراسان

لما قُتل سعيد بن أسلم ضمّ الحجاج ابنه مسلماً مع ولده، و هو مسلم بن
 سعيد بن أسلم بن زُرعة بن عمرو بن الصَّعِق، و اسم الصَّعِق خويلد، فتأدّب و
 نبّل. فلما قدم عدى بن أرطاة، أراد أن يولّيه لما رأى من أدبه و نبّله. فشاوَر
 كاتبه فقال

- «ولّه ولايةٌ خفيفة، ثمّ ارفعه.»

فولّاه ولاية، فقام بها و ضبطها [12] وأحسن. فلما وقعت فتنة يزيد بن
 المهلب، حمل تلك الأموال إلى الشام. فلما قدم عمر بن هبيرة أجمع على أن
 يولّيه ولاية، فدعاه و لم يكن شابّ بعد، ثمّ نظر فرأى شبيبةً في لحيته، فكبّر.
 قال: ثمّ سمر ذات ليلة و مسلم في سمره، فتخلّف مسلم بعد السّمار و في يد
 ابن هبيرة سمرجلة، فألقاها إليه تحيةً، و قال:
 - «أيسرك أن أوليك خراسان؟» قال:
 - «نعم.» قال:

→ (بالجاء المهملة).

١. ذقت العذاب: كذا في الأصل و مط. و ما في آ: ذقت من العذاب. و في هامش آ:
 مسّ العذاب.

- «أَغْدُ^(١) إِلَيَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.»

فلَمَّا أَصْبَحَ جَلَسَ، وَ دَخَلَ النَّاسَ، فَدَعَا مُسْلِمًا، وَ عَقَدَ لَهُ عَلَى خِرَاسَانَ، وَ كَتَبَ عَهْدَهُ، وَ كَتَبَ إِلَى عُمَّالِ الْخِرَاجِ أَنْ يَكَاتِبُوا مُسْلِمَ بْنَ سَعِيدٍ.

فَسَارَ مُسْلِمٌ، فَقَدِمَ خِرَاسَانَ نِصْفَ النَّهَارِ، وَ وَافَى دَارَ الْإِمَارَةِ، فَوَجَدَ بَابَهَا مُغْلَقًا، فَأَتَى الْمَسْجِدَ، فَوَجَدَ بَابَ الْمَقْصُورَةِ مُغْلَقًا، فَصَلَّى. وَ خَرَجَ وَصِيفٌ مِنْ بَابِ الْمَقْصُورَةِ فَقِيلَ لَهُ: الْأَمِيرُ. فَمَشَى بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى أَدْخَلَهُ مَجْلِسَ الْوَالِي فِي دَارِ الْإِمَارَةِ، وَأَعْلَمَ الْحَرْشِيُّ بِمَكَانِهِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ:

- «أَقْدِمْتَ أَمِيرًا أَوْ وَزِيرًا أَوْ زَائِرًا؟»

فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ:

- «مِثْلِي لَا يَقْدَمُ خِرَاسَانَ زَائِرًا وَ لَا [13] وَزِيرًا.»

فَأَتَاهُ الْحَرْشِيُّ، فَشْتَمَهُ، وَ أَمَرَ بِحَبْسِهِ. فَقِيلَ لَهُ:

- «إِنْ أَخْرَجْتَهُ نَهَارًا قُتِلَ.»

فَحَبَسَهُ عِنْدَهُ حَتَّى أَمْسَى، ثُمَّ قَيَّدَهُ.

وَ بَعَثَ مُسْلِمٌ عَلَى كُورَةِ رَجُلًا مِنْ قِبَلِهِ عَلَى حَرْبِهَا، وَ كَانَ ابْنُ هُبَيْرَةَ أَخَذَ قَهْرْمَانًا لِيَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ، لَهُ عِلْمٌ بِأَهْلِ خِرَاسَانَ وَ بِأَشْرَافِهِمْ، وَ أَمَرَهُ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ كُلُّ مَنْ عِنْدَهُ مَالًا، وَ عَلَيْهِ طَرِيقٌ لِلسُّلْطَانِ. فَلَمْ يَدَّعِ شَرِيفًا إِلَّا قَرْفَةً^(٢).

فَكَتَبَ ابْنُ هُبَيْرَةَ إِلَى مُسْلِمٍ مَعَ أَبِي عُبَيْدَةَ الْعَنْبَرِيِّ يَأْمُرُهُ بِجَبَايَةِ تِلْكَ الْأَمْوَالِ. فَأَرَادَ مُسْلِمٌ أَخْذَ النَّاسِ بِتِلْكَ الْأَمْوَالِ الَّتِي فَرَّقَتْ^(٣) عَلَيْهِمْ. فَقَالَ لَهُ نَصْحَاؤُهُ:

١. أَغْدُ: كَذَا فِي الْأَصْلِ وَ آ. وَ مَا فِي مَط: اَعْدَ (مَهْمَلَةً).

٢. قَرْفَةُ: كَذَا فِي الْأَصْلِ وَ آ وَ الطَّبْرِيُّ (٩: ١٤٥٩). وَ مَا فِي مَطْ مَهْمَل. قَرْفَةُ: عَابَهُ وَ اتَّهَمَهُ.

٣. فَرَّقَتْ: مَا فِي الْأَصْلِ مَهْمَلٌ إِلَّا فِي الْحَرْفِ الْأَخِيرِ. فِي آ: قَرَفَتْ. فِي الطَّبْرِيِّ (٩: ١٤٦٠): قَرَفَتْ. وَ فِي هَامِشِهِ: فَرَّقَتْ، كَمَا فِي مَطْ وَ كَمَا رَجَّحْنَاهُ.

- «إن فعلت هذا بهؤلاء لم يكن لك بخراسان قرار، وإن لم تعمل في هذا حتى يُوضع عنهم فسدت عليك و عليهم خراسان، لأن هؤلاء أعيان الناس، قُرفوا بالباطل. إنما كان على مهزم بن جابر ثلاثمائة ألف، فزادوا مائة ألف، فصار أربعمائة ألف، و عامة من سُمي لك ممن كثر عليه، هو بسنزلته.»

فكتب مسلم بذلك إلى ابن هبيرة، و أوفد وفداً فيهم مهزم بن جابر. فلما وصلوا قال مهزم بن جابر: [14]

- «أيها الأمير، إن الذي رفع إليك رفع الباطل و الظلم. ما علينا من هذا كله إلا القليل الذي لو أخذنا به أدينا.»

فقال ابن هبيرة:

- «إن الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها.»^(١) قال:

- «فليقرأ الأمير ما بعده: و إذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ.»

فقال ابن هبيرة:

- «لابد من هذا المال.» قال:

- «أما و الله، إن أخذته لتأخذته من قوم شديدة شوكتهم و نكايتهم في عدوك و ليضرنّ ذلك بأهل خراسان في عدّتهم و كُراعهم و حلقتهم، و نحن في ثغر نكايد فيه الأعداء لا تنقضي حربهم، و إن أخذنا ليلبس الحديد حتى يلتبس^(٢) صدأه بجلده، و حتى إن الخادمة التي تخدمه لتصرف وجهها عن مولاهما، أو عمّن تخدمه لسهوكة^(٣) الحديد، و أنتم في بلادكم متفضلون في الرقاق و في المعصفرات، و الذين قُرفوا بهذه الأحوال وجوه أهل خراسان، و

١. س ٤ النساء: ٥٨.

٢. يلتبس: كذا في الأصل. و في الطبري (٩: ١٢٦١): و يخلص صدأه إلى جلده.

٣. سهوكة الحديد: كذا في الأصل و آ. في مط: سهولة الحديد. و السهوكة: ريح كريهة تجدها ممن عرق، أو من اللحم المنتن. و في الطبري: ريع الحديد.

أهل الولايات و الكلف العظام في المغازي، و قبلنا قوم قدموا علينا، فجاؤوا على الحمراء^(١)، فوُلُّوا الولايات، و اقتطعوا [١٥] الأموال، فهي عندهم موقرة جمّة.

فكتب ابن هبيرة إلى مسلم بأن يستخرج هذه الأموال ممن ذكر الوفد أنها عندهم، و كما ذكرُوا. فلما أتى مسلماً كتابُ ابن هبيرة أخذ أهل العهد بتلك الأموال فأمر حاجب بن عمرو الحارثي أن يعذبهم، ففعل حتى استوفى منهم ما قُرفوا به.

موت يزيد بن عبد الملك

و في هذه السنة مات يزيد بن عبد الملك، و كان باللقاء من أرض دمشق، و له ثمان و ثلاثون سنة، و كانت خلافته في قول هشام بن محمد و أبي معشر أربع سنين و شهراً، و يُكنى أبا خالد، و كان صاحب لهو و طرب، و كانت عنده حَبَابَةٌ^(٢)، و هي التي تسمى العالية، و سلامة، و هو الذي طرب يوماً فقال:

- «أطير و الله»

فقال له حَبَابَةٌ:

- «فعلى من تدعُ الأُمَّة!»

مركز تحقيقات كاپيتولر علوم اسلامی

١. الحمراء: كذا في الأصل و آ و الطبري. في مط: الجرات.

٢. حَبَابَةٌ: كذا في الأصل و آ و الطبري (٩: ١٤٦٤). و ما في مط: حنابه (حنانه؟).



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

خلافة هشام بن عبد الملك

و استُخلف هشام بن عبد الملك

أتم هشاماً الخلافة و هو بالزيتونة، في ديرة صغيرة كانت له. فجاءته الخلافة على البريد، و سُلم إليه العصا و الخاتم، و سُلم عليه [16] بالخلافة. فركب هشام من الرصافة حتى أتى دمشق.

قدوم بكير بن ماهان من السند

و في هذه السنة قدم بكير بن ماهان من السند، و كان بها مع الجنيد بن عبد الرحمن ترجماناً له. فلما عُزل الجنيد قدم الكوفة و معه أربع لبنات من فضة و لبنة من ذهب. فلقى أبا عكرمة الصادق، و ميسرة، و محمد بن خنيس^(١)، و سالماً الأعين، و أبا يحيى مولى بنى سلمة. فذكروا له أمر دعوة بنى هاشم، فقبل ذلك و رضيه، و أنفق عليهم ما معه، و دخل إلى محمد بن علي، و مات ميسرة، فوجه محمد بن علي بكير بن ماهان إلى العراق مكان ميسرة، فأقامه مقامه.

١. خنيس: كذا في الأصل و مط و الطبري (٩: ١٤٦٧). و ما في آ: حبش.

عزل عمر بن هبيرة

و في هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك عمر بن هبيرة عن العراق، و ما كان إليه من عمل المشرق، و ولى ذلك كله خالد بن عبد الله القسري.

و دخلت سنة ست و مائة

سبب الوقعة بين المضريّة و اليمانيّة و ربيعة بلخ

و فيها ولد عبد الصّمد بن عليّ، و فيها كانت الوقعة بين المضريّة و اليمانيّة و ربيعة^(١) بالبروقان من أرض بلخ. و كان سبب ذلك [17] أنّ مسلمة بن سعيد غزا، فقطع النّهر، و تباطأ عنه النّاس، و كان ممّن تباطأ عنه البخترى^(٢) بن درهم. فلمّا أتى النّهر ردّ نصر بن سيار و سليمان بن موسى بن عبد الله بن خازم و بلعاء^(٣) بن مجاهد بن عبد الله العنبري و جماعة أمثالهم إلى بلخ، و عليهم جميعاً نصر بن سيار، و أمرهم أن يُخرجوا النّاس إليه. فأحرق نصر باب البخترى و زياد بن طريف الباهلي، فمنعهم عمرو بن مسلم بن عمرو من دخول بلخ، و كان والياً عليها. فنزل نصر البروقان، و أتاه أهل صغانيان، و أتاه سلمة العفّاقى^(٤) من بنى تميم و حسان بن خالد الأسدى، و كلّ واحد فى خمسمائة، و أتاه سنان الأعرابى، و زُرعة بن علقمة، سلمة بن أوس، و الحجاج بن هارون النّميرى فى أهل بيته.

مرکز تحقیقات پوز علوم اسلامی

١. و ربيعة: كذا فى الأصل و مط و الطبرى (٩: ١٤٧٢). و فى آ: و الربيعية.
٢. البخترى: الحرف الاول مهمل فى الأصل. فى مط: البخترى (بالحاء المهملة) و فى آ: الخزى.
٣. بلعاء: كذا فى الأصل. فى مط: بلغا. فى آ: بلقا. و ما فى الطبرى (٩: ١٤٧٣): أيضا بلعاء و فى هامشه: بلعام.
٤. سلمة العفّاقى: كذا فى الأصل. فى آ: العفّاقى. فى مط: مسلمة العفّاقى. فى الطبرى (٩: ١٤٧٣): العفّاقى (بالضبط). و فى حواشى الطبرى: العفّاقى.

و تجمعت بكر و الأزد بالبروقان رأسهم البختري، و عسكر أيضا بالبروقان على نصف فرسخ منهم. فأرسل نصر إلى أهل بلخ: - «قد أخذتم أعطياتكم، فالحقوا بأميركم، فقد قطع النهر». فخرجت مضر إلى نصر، و خرجت ربيعة و الأزد إلى عمرو بن مسلم بن عمرو [18]

ثم تكلم الناس المكرهون، فقال قوم من ربيعة: - «إن مسلم بن سعد^(١) يريد أن يخلع، فهو يُكرهنا على الخروج». و اجتمع^(٢) قوم من تغلب إلى عمرو بن مسلم: - «إنك منا».

و قال بعضهم شعراً ينسب فيه باهلة إلى تغلب. فقال عمرو بن مسلم حين عزاه التغلبي إلى تغلب:

- «أما القرابة فما أعرفها، و أما المنع فسامنكم». فسفر^(٣) الضحّاك بن مزاحم و يزيد^(٤) بن المفضل الحُدّاني و كلّما نصراً في الإنصراف.

فناشدها بالله، فانصرف. فحمل أصحاب عمرو بن مسلم و البختري، و نادوا: - «يال بكر^(٥)».

فكرّ عليهم نصر، فكان أول قتيل رجل من باهلة من أصحاب عمرو بن

١. مسلم بن سعد: كذا في الأصل و مط. في آ و الطبري (٩: ١٤٧٣); مسلم بن سعيد.

٢. في الطبري (٩: ١٤٧٣): «فأرسلت تغلب..».

٣. فسفر: كذا في الأصل و الطبري و آ و مط. و في حواشي الطبري: فسافر، فنفر.

٤. كذا في الأصل و مط و آ و الطبري: يزيد. في هامش الطبري عن بعض الأصول: زيد.

٥. يال بكر فكرّ عليهم: و الضبط في الأصل يال بكر، و في مط: بالتكبير فكرّ، في آ: بالتكبير فكرّ. و ما اثبتناه يوافق الطبري (٩: ١٤٧٤).

مسلم، و قُتل بعده ثمانية عشر رجلاً سوى من قُتل في السُّكك، و انهزم عمرو بن مسلم إلى القصر، و أرسل إلى نصر:

- «ابعث إلى بلعاء بن مجاهد».

فأتاه بلعاء، فقال:

- «خُذ لي أماناً».

فأمنه نصر، و قال^(١):

- «لولا أن أشمت بك بكر بن وائل لقتلتك».

وقيل: بل أصابوا عمرو بن مسلم في طاحونة، و أخذ البختري في غيضة دخلها، و أخذ زياد بن طريف الباهلي، فضربهم [19] نصر مائة مائة، و حلق رؤوسهم و لحاهم، و ألبسهم المسوح.

ثم إن مسلماً غزا في هذه السنة، و كان خطب في ميدان يزيد، فقال:

- «ما أخلف بعدى شيئاً أهم عندى من قوم يتخلفون بعدى مخلقى^(٢)

الرقاب، يتواثبون الجدران على نساء المجاهدين، اللهم افعل بهم و افعل، و قد أمرت نصراً ألا يأخذ متخلفاً^(٣) إلا قتله، وما أرى لهم من عذاب يُنزله الله بهم».

يعنى عمرو بن مسلم و أصحابه.

فلما صار ببخارى أتاه الخبر بولاية خالد بن عبد الله القسرى على العراق.

ثم أتاه كتاب خالد:

- «أتمم غزاتك».

١. قال: كذا في آ و الطبرى (٩: ١٤٧٥). ما في الأصل و مط: قالوا و هو خطأ.

٢. مخلقى الرقاب: كذا في آ و الطبرى (٩: ١٤٧٧) بالخاء المعجمة. في الأصل: محلقى (بالحاء المهملة). و ما في مط: مهمل من النقط.

٣. متخلفاً: كذا في الأصل: متخلفاً. في آ و الطبرى (٩: ١٤٧٧): متخلفاً. في حواشى الطبرى: متخلفاً (كالأصل).

فسار إلى فرغانة، و أتاه الخبر أن خاقان قد أقبل، ثم أتاه أن خاقان معسكر في موضع كذا. فأمر بالإستعداد للمسير. فلما أصبح ارتحل بالعسكر، فسار ثلاث مراحل في يوم. ثم سار من غدٍ حتى قطع وادي السبوح، و أقبل إليهم خاقان، و توافت إليه الخيل، فأنزل عبد الله بن أبي عبد الله قوماً^(١) من العرفاء و الموالى، فأغار الترك على ذلك الموضع، و على^(٢) الذين [20] أنزلهم عبد الله، فقتلوهم، وأصابوا دواباً لمسلم، وقتل المسيب بن بشر الرياحي، و قُتل البراء، و كان من فرسان المهلب، و قتل أخو غورك، و ثار الناس في وجوههم، فأخرجوهم من العسكر، و دفع مسلم لواءه إلى عامر بن ماعز الحماني^(٣)، و رحل هو بالناس. فسار ثمانية أيام و هم مطيفون بهم. فلما كان الليلة التاسعة، أراد النزول. فشاور الناس، فأشاروا عليه بالنزول، و قال:

«إذا أصبحنا وردنا الماء والماء منّا غير بعيد، وإنك إن نزلت المرج تفرّق الناس في الثمار و انتهب عسكرك.»

فقال لسورة بن أبجر:

«ماترى يا بالعلاء؟» قال:

«أرى ما رأى الناس.»

ونزلوا ولم يُرفع بناء في العسكر، وأحرق الناس ما ثقل من الأبنية والامتعة، فحرقوا قيمة ألف ألف و أصبح الناس، فساروا و وردوا الماء، فإذا دون النهر

١. قوماً: سقطت من مط و هي موجودة في الأصل و آ.

٢. على: سقطت من مط و هي موجودة في الأصل و آ.

٣. الحماني: (بكسر الحاء المهملة): كذا في الأصل و مط و آ. و ما في الطبرى (٩):

(١٤٧٩): الخماني (بكسر الخاء المعجمة و تشديد الميم)، و في حواشى الطبرى: الجمانى

(بالجيم المعجمة).

أهل فرغانة و الشّاش.

- قال مسلم بن سعيد:

«أعزمُ على كلّ رجلٍ إلّا اخترط سيفه».

ف فعلوا، فسارت الدّنيا كلّها سيوفاً، فتركوا^(١) الماء، و عبروا، فأقام يوماً، ثم

[21] قطع من غدٍ، واتّبعهم ابنٌ لـخاقان.

قال: فأرسل حميد بن عبد الله و هو على السّاقة إلى مسلم:

- «قف لي ساعة، فإنّ خلفي مائتي رجل من التّرك، حتّى أقاتلهم».

و هو مُثقل جراحةً. فوقف النّاس، و عطف على التّرك، فأسر أهل السّغد و

قائدهم و قائد التّرك في سبعة، و انصرف البقيّة، و رُمى حميدٌ بنشابة في ركبته فمات.

و عطش النّاس بعد قطع النّهر، و كان عبد الرّحمن بن نعيم الغامدي^(٢) حمل

عشرين قربةً على إبله. فلمّا رأى جهد النّاس أخرجها، فشرّبوا جُرْعاً، و

استسقى يوم العطش مسلم بن سعيد، فأتوه بإناء، فأخذه جابرٌ، أو حارثة بن

كثير من فيه. فقال مسلم:

- «دعوه، فما نازعني شربتي إلّا من حرٍّ دخله».

فأتوا خُجندة، وقد أصابتهم شدّة و مجاعة. فانتشر النّاس، و ورد الخبر

بولاية أسد بن عبد الله خراسان، ولأه خالده القسريّ و عزل مسلم بن سعيد.

فبينما النّاس بخُجندة إذا فارسان يركضان و يسألان عن عبد الرّحمن بن

نعيم، فأتياه بعهد من أسد بن عبد الله [22] فأقرأه عبد الرّحمن مسلماً، فقال:

- «سمعاً و طاعة».

١. فتركوا؛ كذا في الأصل. في مط: و نزلوا. و في آ: فزلوا و كلاهما خطأ.

٢. الغامدي (بالعين المعجمة)؛ كذا في الأصل. و ما في مط و آ: العامدي (بالبين المهملة). و في الطبري (٩: ١٢٧٩). العامري.

فكان عبد الرحمن أول من اتخذ الحياض في مفازة آمل^(١).
 و قيل: إن أعظم الناس غناءً يوم العطش إسحاق بن محمد الغداني. و كان
 عمر بن هبيرة قال لمسلم بن سعيد حين ولّاه خراسان:
 - «ليكن حاجبك من صالح مواليك، فإنه لسانك و المعبر عنك، و حُثُّ
 صاحب شرطتك على الأمانة، و عليك بعمّال العذر.»
 قال: «و من عمّال العذر؟» قال:
 - «مُرّ أهل كل بلد أن يختاروا لأنفسهم. فإذا اختاروا رجلاً فوله، فإن كان
 خيراً كان لك، و إن كان شراً كان لهم دونك و كنت معذوراً.»

توبة بن أبي أسيد و ما كان منه
 و كان مسلم بن سعيد كتب^(٢) إلى ابن هبيرة و استدعى منه توبة بن أبي
 أسيد مولى بنى العنبر، فكتب ابن هبيرة إلى عامله بالبصرة:
 - «إحمل إلى توبة بن أبي أسيد.»
 فحمله، فقدم، و كان جميلاً و سيماً جهيراً له سمٌّ. فلما دخل على ابن
 هبيرة قال: - «مثل هذا فليؤل.»
 و وجه به إلى مسلم. فلما ورد عليه، قال له مسلم:
 - «هذا خاتمي، فاعمل برأيك.»
 فلم يزل معه حتى قدم أسد^(٣) بن عبد الله، [23] فأراد توبة أن يشخص مع
 مسلم. فقال له أسد:

١. مدينة مشهورة في غربي جيحون في طريق بخارى من مرو.
 ٢. كتب: كذا في الأصل و مط. و ما في آ: وجه.
 ٣. أسد: كذا في الأصل و آ و الطبري (٩: ١٤٨٩). و ما في مط و حواشي الطبري:
 أسيد.

«أقم معي، فأنا أحوج إليك من مسلم.»
 فأقام معه، فأحسن إلى الناس، و ألانَ جانبَه، و أجمل مع الجند و أعطاهم
 أرزاقهم. فقال له أسد يوماً:
 «أحلفهم بالطلاق، لا يتخلف أحدٌ عن مفزاه، و لا يُدحل^(١) بديلاً سواه.»
 فأبى ذلك توبةً و لم يَزَ صواباً و أحلفهم بأيمانٍ آخر. فلَمَّا قدم عاصم بن
 عبد الله، أراد أن يُحلف الناس بالطلاق، و قالوا:
 «نَحلفُ بأيمان توبة.»
 فهم يعرفون ذلك له.

حجَّ هشام بن عبد الملك و ما استحسن له في هذا الحجَّ
 و حجَّ بالناس في هذه السَّنة هشام بن عبد الملك. فَمَمَّا^(٢) استحسن له ما
 تحدَّث به ابن أبي الزناد عن أبيه، قال: كتب إلى هشام بن عبد الملك قبل أن
 يدخل المدينة أن اكتب لي سنن الحجَّ. فكتبها له.
 قال أبو الزناد: فتلقَّيته^(٣)، فأتى لفي موكبه أسير خلقه، إذ لقيه سعيد بن عبد
 الله بن الوليد بن عثمان بن عفان. فنزل له، وسلَّم عليه، ثمَّ سار إلى جنبه.
 فصاح هشام:
 «أبو الزناد!»
 فتقدَّمت، فسرت إلى جانبه الآخر، فأسمع سعيداً يقول:

١. لا يُدحل: كذا في الأصل. و الدحل: الدهاء في كيس و حذق. و المداحلة: المخادعة.
 و لكنَّ ما في الطبري (٩: ١٢٨٢) و مط و آ: يُدخل (بالحاء المعجمة).
 ٢. فَمَمَّا: كذا في الأصل و آ. في مط: فما (من دون «من».)
 ٣. فتلقَّيته: كذا في الأصل و مط. في آ: فلقيته.

- «يا أمير المؤمنين، إنَّ^(١) الله [24] لم يزل يُنعم على أهل بيت أمير المؤمنين و ينصر خليفته المظلوم، و لم يزالوا يلعنون أبا تراب في هذه المواطن الصالحة. فأمر المؤمنين ينبغي أن يلعنه في هذه المواطن الفاضلة.»
قال: فشقَّ على هشام، و ثقل عليه كلامه، ثم قال:
- «إنا ما قدمنا لشتيم أحد و لا لعنه، إنما قدمنا حُجَّاجاً.»
ثم قطع كلامه، وأقبل على، فقال:
- «يا عبد الله بن ذكوان، فرغت ممَّا كتبتُ إليك؟» قلتُ:
- «نعم.»

قال: أبو الزناد: و ثقل على سعيد، ما حضرته يتكلَّم به عند هشام، فرأيتُه منكسراً كلما رآني.

هشام بن عبد الملك و ظلامَةُ إبراهيم و السنة قريش
و في هذه السنة أيضاً كلَّم إبراهيم بن محمَّد بن طلحة هشام بن عبد الملك
و هشام قد صلَّى في الحجر، فقال له:
- «أسألك بالله و بحُرمة هذا البيت و البلد الذي خرجتَ معظماً^(٢) له و لحقَّه
لما رددتَ عليَّ ظلامتي.» قال:
- «أى ظلامَةٍ؟» قال: الطبري (٩: ١٤٨٣)، معظماً. في آ: تعظيماً.
- «داري.» قال:
- «فأين كنت عن أمير المؤمنين عبد الملك؟» قال:
- «ظلمتني.» قال:

١. سقطت من مط من قوله: «إن الله» إلى قوله: «بيت أمير المؤمنين».
٢. معظماً: كذا في الأصل و مط و الطبري (٩: ١٤٨٣)، معظماً. في آ: تعظيماً.

- «فعن الوليد بن عبد الملك؟» قال:

- «ظلمنى.» قال:

- «فعن سليمان بن عبد الملك؟» قال:

- «ظلمنى.» قال:

- «فعن عمر بن عبد العزيز؟» قال:

- «رحمة الله عليه، لقد رگها.» قال:

- «فعن يزيد بن عبد الملك؟» [25] قال:

- «هو قبضها منى و ظلمنى بعد قبضى لها و هى اليوم فى يدىك.»

قال هشام:

- «أما والله، لو كان فىك ضربٌ لضربتك.»

قال إبراهيم:

- «فى و الله ضربٌ بالسيف و بالسوط.»

فانصرف هشام، و الأبرش خلفه. فقال:

- «أبا مجاشع، كيف سمعتَ هذا اللسان^(١)؟» قال:

- «ما أجود لسانه!» قال:

- «هذه فريش و ألسنتها، و لا يزال فى الناس بقايا، ما رأيت مثلاً هذا.»

مركز تحقيق كتاب توتير علوم اسدى
قدوم أسد خراسان

و كنّا حكيّنا قدوم خالد بن عبد الله العراق أميراً، و أنّه ولى أخاه أسد بن عبد الله خراسان. فقدمها و مسلم غازٍ بفرغانة. فذكر عن أسد أنّه لمّا أتى النهر ليقطعه، منعه الأشهبُ بن عبد الله بن تميم أحد بنى غالب، و كان على السفن

١. اللسان: كذا فى الأصل و مط و الطبرى. فى آ: الانسان.

بأموية^(١). فقال أسد:

- «أَقْطِ عَنِّي» قال:

- «لا سبيل إلى إقطاعك، لأنني نهيتُ عن ذلك.» فقال:

- «لا طِفْوه و أطمعوه.» فأبى. فقال له:

- «فإنني الأمير.»

ففعل حينئذٍ. فقال له أسد:

- «اعرفوا هذا حتّى نشركه^(٢) في أمانتنا.»

فقطع التّهر و أتى السّغد، فنزل مرج السّغد، و على خراج سمرقند هانئ بن أبي هانئ. فخرج في الناس يتلقّى أسداً. فلقوه بالمرج و هو جالس [26] على حجر. فتطيرّ الناس و قالوا:

- «أسد على حجر، ما عند هذا خيرٌ.»

فقال له هانئ:

- «أَقْدِمْتَ أميراً؟» قال:

- «نعم، و ما معي إلا ثلاثة عشر درهماً هي في كُمّي، و إنّما أنا رجل

منكم.»

و دخل سمرقند، و بعث رجلين معهما عهد عبد الرحمن بن نُعيم على الجند، و كان عبد الرحمن يومئذٍ على السّاقة، فدفعاً إليه العهد و الكتاب بالقفول و

١. بأمويه: كذا في الأصل و مط: أمويه. و في آ: بآمل أمويه. و في الطبري (٩: ١٤٨٤): بآمل. بآمل. بآمل زم (رم؟)، بآمل جيحون، و بآمل الشطّ (البطّ؟)، و بآمل السّغارة، و بآمو، و بأمويه، كلّها واحدة: مدينة في غربى جيحون في طريق بخارى من مرو (انظر مراد الاطلاع و معجم البلدان). و هناك مدينة أخرى مسمّاة بآمل، في طبرستان جنوبى بحر الخزر.

٢. نشركه: كذا في الأصل و مط من دون شكل. و ما في الطبري (٩: ١٤٨٤): نشركه (بفتح الراء).

الإذن لهم. فقرأ الكتاب، و أتى به مسلم بن سعيد و بعده^(١). فقال مسلم:
- «سمعاً و طاعة».

فقام عمرو بن هلال السدوسي، ففقهه سوطين لما كان منه إلى بكر بن وائل
بالبروقان، و شتمه حسين بن عثمان بن بشر بن المحترف^(٢). فغضب عبد الرحمن
بن نعيم، و زجرهما، و أغلظ لهما، ثم أمر بهما فدُفعا، و قفل بالناس، و شخص
معه مسلم. فلما قدموا على أسد، و هو يسمرقند، شخص أسد إلى مرو، و عزل
هاتئاً، و استعمل على سمرقند الحسن بن أبي العمرطة من ولد آكل المرار.
فقدمت على الحسن امرأته و هي الجنوب بنت القعقاع بن الأعلم سيّد الأزد
[27] و يعقوب بن القعقاع قاضي خراسان. فخرج يتلقاها، و غزاها الترك، فقبل
له:

- «هؤلاء الترك قد أتوك».

و كانوا سبعة آلاف. فقال:

- «ما أتونا، و لكن أتيناهم، و غلبناهم على بلادهم، و استعبدناهم. و أيم الله،
مع هذا، لأدنين بعضكم من بعض، و لأقرنن نواصي خيلكم بنواصي خيلهم. ثم
خرج، فتباطأ حتى أغار الترك و انصرفوا. فقال الناس:
- «خرج إلى امرأته فتلقاها»^(٣) مسرعاً. و خرج إلى العدو متباطئاً».

فبلغه ذلك، فلم يحتملها. فخرج إليهم، و خطبهم و قال:

- «تقولون و تعيبون. اللهم اقطع آثارهم، و عجل أقدارهم، و أنزل بهم

١. وبعده: كذا في الأصل و مط والطبري (٩: ١٤٨٥): و بعده. في آ: و تعده.

٢. المحترف: كذا في الأصل. ما في مط: غير واضح. و الحرفان الأخيران مهملان في آ. و
ما في الطبري (٩: ١٤٨٥): المحترف (بالزاء المعجمة).

٣. فتلقاها مسرعاً: كذا في الأصل و مط و آ: فتلقاها. ما في الطبري (٩: ١٤٨٧): يتلقاها
مسرعاً. و في تعاليقه: مسرعاً يتلقاها (بالتقديم و التأخير).

الضراء، و ارفع عنهم السراء.»
فشتم الناس جهراً و شتموه سراً.

خطيب يُحصَر

و كان استخلف حين خرج إلى الترك ثابت قُطنة، و كان خطيباً شاعراً. فلما
خطب الناس حُصِر فقال:

- «من يُطع الله و رسوله فقد ضل!»

و أرتج عليه، فلم ينطق بكلمة. فلما نزل عن المنبر قال:

فإِلا أَكُنْ فيكم خطيباً فإِنُنِي بِسَيْفِي، إِذا جَدَّ الوَغَى لَخَطِيبُ [28]

فَقيل له:

- «لو قلتَ هذا على المنبر كنتَ خطيباً.»

فهجاء حاجب الفيل، و كان يهاجيه، فقال:

أبا العلاء، لقد لاقيتُ مُحصِلةً يومَ العروبةِ من كربٍ و تخنيقِ
لَمَّا^(١) رَمَتَكَ عيونُ الناسِ ضاحيةً أنشأتَ تجرُضُ، لَمَّا قُمْتَ، بالزَّيقِ
تَلَوَى اللِّسانُ إِذا رُمَتْ الكلامُ بِهِ كما هَوَى زَلَقٌ من شاهقِ النِّيقي

و قال أيضاً:

تَقْضِي الأمورُ، و بكرٌ غيرُ شاهدةٍ بين المجاذيفِ و السُّكَّانِ مشغولُ
ما يعرفُ الناسُ منه غيرَ قُطنته^(٢) و ما سواها من الآباءِ مجهولُ

١. هذا البيت ساقط من الأصل و هو موجود في كل من مط و آ والطبري (٩: ١٤٨٦).

٢. قُطنة: جاء في هامش الأصل في وجه هذه التسمية: سُمِّي ثابت قُطنة، لقُطنة كانت على جراحة كانت في وجهه.

ثم دخلت سنة سبع و مائة

بكير بن ماهان يوجه أبا عكرمة و أبا محمد الصادق و محمد بن خنيس و عمار

دعاة إلى خراسان

و فيها وجه بكير بن ماهان أبا عكرمة، و أبا محمد الصادق^(١)، و محمد بن خنيس، و عمار العبادي في عدة من شيعتهم، معهم زياد خال الوليد الأزرق، دعاة إلى خراسان. فجاء رجل من كنده إلى خراسان. فجاء رجل من كنده إلى أسد بن عبد الله، فوشى بهم إليه، فأتى بأبي عكرمة و محمد بن خنيس و عامة أصحابه، و نجا عمار. فقطع أسد أيدي من ظفر به و أرجلهم [29] و صلبهم. و أقبل عمار إلى بكير بن ماهان، فأخبره الخبر، فكتب إلى محمد بن علي بذلك. فأجابه:

«الحمد لله الذي صدق مقاتلكم و دعوتكم. أما إنه قتلني ستقتل».

غزو جبال تمرون

و في هذه السنة غزا أسد جبال تمرون ملك الغرستان ممًا يلي جبال الطالقان. فصالحه تمرون و أسلم على يديه، فهم اليوم يتولون اليمن.

غزو الغور

و فيها غزا أسد الغور، و هي جبال هراة. فعمد أهلها إلى أثقالهم، فصيروها في كهف ليس إليه طريق. فأمر أسد باتخاذ توأبيت، و وضع فيها الرجال و دلاها بالسلاسل، فاستخرجوا ما قدروا عليه. فقال ثابت قُطنة:

١. في الأصل و آ و حواشي الطبري: و أبا محمد الصادق و محمد الصادق. في مط و الطبري (٩: ١٤٨٨): و أبا محمد الصادق (من دون تكرار «محمد الصادق»). فها أثبتناه. يوافق مط و الطبري.

أرى أسداً تضمّن مُقطّعاتٍ تهيبها الملوك ذوو الحجابِ
 سما بالخيل من أكناف مروٍ يوقّره^(١) بين هلا و هابِ
 إلى غورين حيث حوى أرب^(٢) و صافح بالسيوف و بالجرابِ
 هدى ضلّالنا قتلى نراها مُصليةً بأفواه الشُعابِ
 و كان إذا أناخ بدار قومٍ أراها المخزيات من العذابِ [30]

و دخلت سنة ثمان و مائة

غزو الخُتل

و فيها غزا أسد بن عبد الله الخُتل. فذكر علي بن محمد بإسناده، أن خاقان أتى أسداً و قد انصرف إلى القوازيان و قطع النهر، فلم يكن بينهم قتال، و مضى إلى الغوريان، فقاتلوهم يوماً، و صبروا لهم، و برز رجل من المشركين، فوقف أمام أصحابه، و ركز رُمحه و قد أعلم بعصاية خضراء، و سلم بن أحوز واقف مع نصر بن سيار، فقال سلم لنصر:

- «قد علمت سوء رأي أسد، و أنا حامل على هذا العليج، فلعلّي أقتله فيرضي^(٣)» قال:
 - «شأنك»

فحمل عليه، فما اختلج رُمحه حتّى غشيه سلم، فطعنه، فإذا هو بين يدي فرسه يفحص برجليه، و رجع سلم، فوقف فقال لنصر:
 - «أنا حامل حملة أخرى».

١. يوقّره: كذا في الأصل و آ. في الطبري (٩: ١٤٨٩): و توفّره. في مط: و يوفّره.

٢. أرب: كذا في الأصل و آ و مط. في الطبري: أرب (بالزاء المعجمة). و جاء. في هامش آ: الأرب: أهل الميثاق.

٣. فيرضي: كذا في الأصل و الطبري (٩: ١٤٩٣). في مط و آ: فرضي.

فحمل، حتّى إذا دنا منهم اعترضه^(١) رجل من العدو، فاختلفا ضربتين، فقتله سلم، و رجع سلمٌ جريحاً، فوقف. فقال نصر لسلم:

- «قف لي، حتى أحمل عليهم».

فحمل، حتّى خالط العدو، فصرع رجلين، و رجع جريحاً، و وقف فقال:

- «أ ترى ما صنعنا يرضيه^(٢)، لا رضى الله عنه؟» [31] قال:

- «لا والله، فيما أظن».

قال: و أتاهما رسول أسد فقال:

- «يقول لكما الأمير: قد رأيتُ موقفكما منذ اليوم، و قلّة غنائكما عن

المسلمين، لعنكم الله!» فقالا:

- «آمين، إن عُدنا لمثل هذا».

و تحاجزوا يومئذٍ، ثم عادوا من الغد. فلم يلبث المشركون أن انهزموا،

و حوى المسلمون عسكرهم، و ظهروا على البلاد، فأسروا و غنموا.^(٣)

ثم دخلت سنة تسع و مائة

عزل هشام بن عبد الملك خالداً القسريّ عن خراسان

و السبب في ذلك

و في هذه السنة، عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله القسريّ عن

١. اعترضه. كذا في الأصل و الطبرى. في مط: أعرضه. و في آ: سقطت من قوله: «فوقف و قال» حتى قوله: «لسلم».

٢. و العبارة في مط: «أبرى ما صنعنا يرضيه» بتصحيح لا معنى له.

٣. جاء في الطبرى (٩: ١٤٩٤): و قال بعضهم: رجع أسد في سنة ١٠٨ مفلولاً من الختل فقال أهل خراسان إلفارسية: «از ختلان آمذى * برو تباه آمذى * بيدل فراز آمذى». لقد تكرّر ذلك في مواضع من الطبرى باختلاف في الضبط. (انظر أيضاً الطبرى: ٩: ١٤٩٢، ١٦٠٢، ١٦٠٣).

خراسان، و صرف أخاه أسداً عنها. و كان السبب في ذلك أن أسداً أخا خالدٍ تعصب، حتّى أفسد الناس، و خطب في يوم الجمعة فقال في خطبته:
 - «تبّح الله هذه الوجوه، وجوه أهل الشقاق و النفاق و الشغب و الفساد.
 اللهم فَرِّق بيني و بينهم، و أخرجني إلى مهاجري^(١) و وطني.» ثم قال:
 - «مَنْ يروم ما قبلي، أو يترمم^(٢) و امير المؤمنين خالي، و خالد بن عبد الله أخى و معى اثنا عشر ألف سيف يمان؟»

ثم نزل عن منبره. فلما صلى و دخل عليه الناس و اخذوا مجالسهم [32]
 أخرج كتاباً من تحت فراشه، فقرأه على الناس، فيه ذكر نصر بن سيار، و عبد الرحمن بن نعيم، و سورة بن أبجر، و البختری بن أبى درهم من بنى الحارث بن عبّاد. فدعا بهم، و أنبهم، فأرّم^(٣) القوم، و تكلم سورة بن أبجر، فذكر حاله و طاعته و مناصحته، و أنّه ليس ينبغي له أن يقبل قول عدوّ مُبطل، و أن يجمع بينهم و بين مَنْ فوقهم بالباطل. فلم يقبل قوله، و أمر بهم فجردوا، فضرب عبد الرحمن بن النعيم، و كان رجلاً بطيئاً أرسح. فلما ضرب التوى و جعل سراويله يزلّ عن موضعه. فقام بعض أهل بيته، فأخذ رداءً له هروياً، و قام ماداً ثوبه بيديه، و هو ينظر إلى أسدٍ يريد أن يأذن له فيؤزره. فأومأ إليه أن افعل. فدنا منه فأزره و قال:

- «إصبر أبا زهير، فإن الأمير وال مؤدّب.»

١. إلى مهاجري: كذا في الأصل و مط و آ و الطبرى (٩: ١٤٩٨) و الضبط في الطبرى: «مهاجري» بضم الميم. في حواشى الطبرى: من مهاجري.
٢. يترمم: كذا في الأصل و آ و الطبرى. ما في مط: تبرم. يترمم: إذا حرك فاه للكلام و لم يتكلم. ما أشبهه بقولهم: ترمزم (بالاعجام). ترمزمت شفتاه بالشىء: تحركتا.
٣. فأرّم: كذا في الأصل و آ: أرّم: حك اضراسه بعضها ببعض من الغيظ. في مط: فادم. في الطبرى: «فازم القوم فلم يتكلم أحد، فتكلم سورة...» أزم على الشىء: عضّ بالقم كله عضاً شديداً.

ثم ضرب الجميع، و حلقهم بعد الضرب، و دفعهم إلى عبد ربّه^(١) بن أبي صالح مولى بنى سليم و كان من الحرسي، و عيسى بن بريق، ثم وجههم إلى خالد، و كتب إليه أنهم أرادوا الوثوب عليه. فكان ابن بريق كلما نبث شعر أحدهم حلقه.

و كان البختری بن أبي درهم يقول: [33]

«وددت أنه ضربني و هذا شهراً.»

يعنى نصر بن سيار، لما كان بينهم بالبروقان.

فأرسل بنو تميم إلى نصر:

«إن شئتم انتزعناكم من أيديهم.»

فكفهم نصر. فلما قدم بهم على خالد، لام أسداً، و عنقه، و قال :

«ألا بعثت برؤوسهم؟»

فقال عرفة التميمي:

فكيف^(٢)، و أنصار الخليفة كلهم
بكيت و لم أملك دموعي و حق لي

عُناة و أعداء الخليفة مُطلق
ونصر شهاب الحرب في الغل مؤثق

و قال نصر:

بعثت بالعتاب في غير ذنب
إن أكن مؤثماً أسيراً لديهم
رهن قسر فما وجدت بلاء
أبلغ المدعين قسراً، و قسر

في كتاب تلوم أم تميم
في هموم و كربة و شهوم
كإسار الكريم عند اللئيم
أهل عود القناة ذات الوصوم

١. عبد ربّه: ما في الأصل و آ يشبه أن يكون «عبدونه» و ما أثبتناه يؤيده مط و الطبري (٩: ١٤٩٨).

٢. فكيف: في الأصل و مط و آ: كيف، بدون الفاء، فأضفناها من الطبري (٩: ١٥٠٠).

هل فطمتكم عن الخيانة و النكث م١، أم أنتم كالحاكم^(١) المستديم

و قال الفرزدق:

أخالد، لولا الله لم تُعطِ طاعةً و لو لا بنو مروان لم تُوثقوا نصراً [34]
إذا لَلَقَيْتُمْ دُونَ شِدِّ وِثاقِهِ بنى الحرب لا كُشِفَ اللقاء ولا غُمرا

و كان قدم خراسان أبو محمد مولى همدان، داعياً بعثه محمد بن علي بن عبد الله بن عباس و قال له:

- «أدع الناس إلينا، و انزل في اليمن، و الطف بمُضَر^(٢)».

و نهاه عن رجل يقال له غالب من أبرشهر، لأنه كان مفرطاً في حب بنى فاطمة. فلما قدم زياد أبو محمد، و دعا إلى بنى العباس، و ذكر سيرة بنى مروان و ظلمهم، و جعل يطعم الناس الطعام، توافى إليه خلق، فقدم عليه غالب من أبرشهر، فكانت بينهم منازعة، غالب يفضل آل أبي طالب، و زياد يفضل بنى العباس. فأخبر بخبرهم أسد بن عبد الله، فدعا بزياد، و كان معه رجل يُكنى أبا موسى. فلما نظر إليه أسد قال له:

- «أعرفك، رأيتك في حانوت بدمشق» قال.

- «نعم».

قال أسد لزياد: «تجيتك كالمؤثر علوم ردي»

- «فما هذا الذي بلغني عنك» قال :

- «رُفع إليك الباطل. إنما قدمتُ خراسان في تجارة لي و قد فرقتُ مالي

١. كالحاكم: كذا في الاصل و آ. في مط: الحالم. و ما في الطبري (٩: ١٥٠٠): الحاكم.

٢. و الطف بمُضَر: في الأصل و مض و آ: مضر (بدون باء). فأضنفنا الباء كافي الطبري (٩: ١٥٠١). و كما هو الصحيح، لأن الصحيح لغة: لطف به و له (بالباء أو اللام).

على الناس و لو قد صار إلى خرجت.»
قال له أسد:

- «أخرج عن بلادى.»

فانصرف عنه، و عاد إلى أمره.

و كان الحسن بن شيخ^(١) [35] على خراج مرو، و يبلغه خبره، فدخل على أسد و عظم عليه أمره، فأرسل إليه. فلمّا نظر إليه قال:
- «ألم أنهك عن المقام بخراسان؟»
فقال له زياد:

- «ليس عليك، أيها الأمير، منى بأس.»

فأحفظه فأمر بقتلهم، و كانوا عشرة.

فقال له أبو موسى:

- «إقضى ما أنت قاضٍ.» فازداد غضباً و قال:

- «أنزلتني منزلة فرعون.» فقال:

- «ما أنزلتك^(٢)، ولكن الله أنزلك.»

فقتلوا، و كانوا عشرة من أهل الكوفة، و لم ينج منهم يومئذٍ إلا غلامان استصغرها، و ضلّب الباقون. فأتى من الغد أحدهما^(٣) و سأله أن يلحقه بأصحابه، فأشرف به على السوق و هو يقول:
- «رضينا بالله ربّاً، و بالقرآن إماماً، و بمحمدٍ صلى الله عليه، نبياً.»

١. فى آ، زيادة بين كلمة «شيخ» و «على» يشبه أن تكون «و فى» و ليس لها معنى.
٢. ما أنزلتك: كذا فى الأصل و مط. و ما فى آ: أنزلتم. و هو خطأ. و فى هامش آ: أنزلتك.

٣. زاد فى الطبرى: .. و أسدٌ فى مجلسه المشرف على السوق بالمدينة العتيقة.

فدعا أسد بسيفٍ كان ليُخاراً خُذاهُ^(١)، و ضرب عنقه بيده.
ثمّ قدم بعدهم رجل من أهل الكوفة يقال له كثير. فكان يأتيه الذين لقوا
زياداً فيدعوهم، و كان على ذلك سنةً أو سنتين، و كان كثيرٌ أميًّا. فقدم عليه
خُدّاش^(٢) و هو في قرية يُقال لها مرغم، فغلب كثيراً على أمره. و لما تعصّب
أسد و أفسد الناس بالعصبية، بلغ ذلك هشاماً، فكتب إلى خالدٍ: اعزل أخاك.
فعرّله، [36] و استأذن له بالحجّ، ففعل. فقفّل أسد إلى العراق، و استخلف الحَكَم
بن عُوانة الكلبيّ، فأقام الحكم صيفته و لم يغز.

استعمال هشام بن عبد الملك أشرس على خراسان
و استعمل هشام بن عبد الملك على خراسان أشرس بن عبد الله السلمي، و
أمره أن يكاتب خالداً، و كان أشرس فاضلاً خيراً، كانوا يستونونه: الكامل،
لفضله عندهم.

و قال: و لما قدم خراسان، فرح به أهلها، فاستعمل على شرطته عُميرة أبا
أميّة اليشكري، ثمّ عزله و ولي السُمط، و استقضى محمّد بن زيد و كان أوّل من
اتّخذ الرّابطة بخراسان، فاستعمل على الرّابطة عبد الملك بن زياد الباهليّ.
و تولّى أشرس صغير الأمور و كبيرها بنفسه، و كان يحجّ بالناس في هذه
السّنين إبراهيم بن هشام. فيقال: إنّه خطب الناس بمِنى في غد يوم النّحر و قال:
«سلوني، فأنا ابن الوحيد، لا تسألون أحداً أعلم مِنّي».
فقام إليه رجل من العراق فسأله عن الأضحية: أ واجبة هي؟ فما درى أيّ

١. كان لبخارا خذاه: كذا في الأصل. في مط: كان لنحارا حذاه. و هو تصحيف. و العبارة
ساقطة في آ. و في مكانها: فأخذ. و ما في الطبري (٩: ١٥٠٢) يوافق ما في الأصل.
٢. خُدّاش: كذا ضبط في الأصل (بكسر الخاء). و ما في الطبري (٩: ١٥٠٣): خُدّاش.
زاد في الطبري: كان اسمه عمارة، فُسّمى خدّاشاً لأنّه خدش الدين!

شيء يقول، فنزل.

ثم دخلت سنة عشر و مائة

و فى هذه السنة هم أشرس بأن يدعو أهل الذمة ممّا وراء النهر إلى الإسلام [37] على أن يوضع عنهم الجزية.

ذكر سوء رأى أشرس و فساد تدبيره و حرصه على المال
حتى نصب الناس له الحرب

ذكر أنّ أشرس قال فى عمله بخراسان:

- «أبغونى رجلاً له ورع و فضل أوجهه إلى من وراء النهر يدعوهم إلى الإسلام».

فأشاروا عليه بأبى الصّيداء صالح بن طريف مولى بنى ضبّة، فقال:
- «لست بالماهر بالفارسيّة».

فضمّوا إليه الرّبيع بن عمران التّيمي. فقال أبو الصّيداء:
- «فإني أخرج على شريطة أنّ من أسلم لم تؤخذ منه الجزية، فإنما خراج
خراسان على رؤوس الرّجال».

قال أشرس: «أجل، ذلك لك».

قال أبو الصّيداء لأصحابه: «فإني أخرج، فإن لم يف أعنتموني عليهم».
قالوا: «نعم».

فشخص إلى سمرقند، و عليها الحسن بن أبى العَمَرُطَة الكندى حربها و
خراجها. فدعا يومئذ أبو الصّيداء أهل سمرقند و من حولها إلى الإسلام على أن
توضع عنهم الجزية. فتسارع الناس إلى ذلك، فكتب غورك إلى أشرس أنّ
الخراج [38] قد انكسر، و كتب أشرس إلى ابن أبى العَمَرُطَة فى ذلك، فقال ابن

أبى العَمْرُطَة لأبى الصَّيْدَاء:

- «لست من الخراج فى شىء، فدونك هائناً و الاشحيد^(١)».

فقام^(٢) أبو الصَّيْدَاء يمنعهم من أخذ الجزية ممن أسلم. فكتب هائناً إلى أشرس وقال:

- «ممن تأخذ الخراج، و الناس قد أسلموا و بنوا المساجد».

فكتب أشرس إلى هائناً و العمَّال:

- «إنَّ الخراج قوَّة للمسلمين، و قد بلغنى أنَّ أهل السُّغد و أشباههم لم يُسلموا رغبةً و إنما دخلوا فى الإسلام تعوذاً من الجزية، فانظر من اختن و أقام الفرائض، و حسن إسلامه، و قرأ من القرآن شيئاً فارفع عنه خراجَه، و إلَّا فاستوفيه منه».

فأعاد العمَّال الجزية على من أسلم، فامتنعوا، و اعتزل من أهل السُّغد سبعة آلاف، فنزلوا على ستَّة فراسخ من سمرقند، و خرج إليه أبو الصَّيْدَاء و الرِّبيع بن عمران التِّمى، و أقسم الشَّيبانى و أبو فاطمة الأزدي و جماعته من العرب لينصروهم^(٣)، و لم يخرج ابن أبى العَمْرُطَة إلى حربهم، فعزل أشرس بن أبى العَمْرُطَة عن الحرب، و استعمل مكانه المجشَّر بن مزاحم السُّلمى، و ضمَّ إليه عُميرة بن سعد [39] الشَّيبانى.

فلما قدم المجشَّر كتب إلى أبى الصَّيْدَاء و ثابت قُطنة، و كان خرج معه يسألها أن يقدم عليه فى أصحابهما، فقدم أبو الصَّيْدَاء و ثابت قُطنة، فحبسهما.

١. الاشحيد: كذا فى الأصل و الطبرى (٩: ١٥٠٨). فى مط: الاسحيد. و فى آ: الاشخيد.

٢. فقام: فى الأصل. و مط، و آ: فقال (بدون المقول) و هو خطأ، فصحناه بما فى الطبرى (٩: ١٥٠٨): فقام.

٣. لينصروهم: فى الأصل، و مط، و آ، و الطبرى (٩: ١٥٠٩): لينصروهم. و فى حواشى الطبرى عن بعض الأصول: لينصروهم.

فقال أبو الصيّداء:

- «أعذرتم و رجعتم عمّا قلتم؟» فقال له هانئ:

- «ليس بغدر ما كان فيه حقن الدماء.»

و حمل أبا الصيّداء إلى الأشرس، و حبس ثابت قطنه عنده. فلما حمل

أبو الصيّداء اجتمع أصحابه، و ولّوا أمرهم أبا فاطمة ليقاتلوا هانئاً، فقال لهم:

- «كُفّوا، حتى أكتب إلى الأشرس فيأتينا رأيّه.»

فكتبوا إلى أشرس، فكتب الأشرس:

- «ضعوا عليهم الجزية.»

فرجع أصحاب أبي الصيّداء منكسرين وضعف أمرهم، و لم يُقدموا على

محاربة السلطان، و تتبّع العمّال الرؤساء منهم و حُمّلوا إلى مرو، و بقي ثابت

قطنه محبوساً، و ألحّ هانئ و العمّال في الخراج و جباية الأموال و الجزية،

حتى استخفّوا^(١) بعظماء العجم، و سلّطوا عليهم من أقامهم، و حرّق ثيابهم، و

ألقي مناطقهم في أعناقهم، و أخذوا الجزية من الضّعفاء. فكفرت السند و

بخارى، و استجاشوا الترك فلم يزل ثابت قطنه في حبس المجشّر حتى قدم

نصر بن سيّار والياً [40] على المجشّر، فحمل ثابتاً إلى أشرس مع إبراهيم بن

عبد الله اللّيثي، فحبسه، و كان نصر بن سيّار أطفه و أحسن إليه، فمدحه ثابت و

هو محبوس عند أشرس، فقال:

ما هاج شوقك من نؤي و أحجارٍ و من رسوم عفاها صوب أقطارٍ

لم يبق منها و من أعلام عرصتها إلا صبيح^(٢)، و إلا موقد النار

١. استخفّوا: كذا في الأصل، و مط: استخفّوا. و ما في آ: و استفتحوا.

٢. صبيح: كذا في الأصل و مط و آ: صبيح. و ما في الطبري (٩: ١٥١٠): شبيح. و في

حواشيه: شبيح، صبيح (بالاهمال).

و مائل^(١) في ديار الحى بعدهم
ديار ليلى قفار، لا أنيس بها
بذلت منها، و قد شط المزار بها
بين السماوة في حزم مشرقة
تقارع^(٢) الترك ما تنفك نائحة
إن كان ظنى بنصر صادقاً أبداً
لا يصرف الجند حتى يستفىء بهم
حتى تروهم و دون^(٣) الشرح بارقة
لا يمنع الضيم^(٤) إلا ذو محافظة
إنى وإن كنت من جذم الذى نشرت
لذاكر منك أمراً قد سبقت به
ناضلت عنى نضال الخمر إذ قصرت
و صار كل صديق كنت آملته
و ما تلبست بالأمر الذى وقعوا
و لا عصيت إماماً كان طاعته

مثل الربيثة في أهدامه العارى
دون الحجون و أين العجن من دارى
و ادى المخافة لا يسرى بها السارى
و مُعنق دوننا آذية جارى
منا و منهم على ذى نجدة شارٍ
فما أدبر من نقضى و إمرارى
نهباً عظيماً و يوفى^(٥) ملك جبّارٍ
فيها لواء كظل الأجدل الضارى [41]
من الخضارم سباق^(٦) بأوتار^(٧)
منه الفروع و زندي الثاقب الوارى
من كان قبلك يا نصر بن سيارٍ
عنى لعشيرة و استبطأت أنصارى
ألباً على، و رث الحبل من جارى
به على و لا دُست أطمارى
حقاً على، و لا فارقت من عارى

و لمّا ارتد أهل الشغد و أهل بخارى لأجل الجزية، و استجاشوا الترك،

١. و مائل: كذا في الأصل و مط و آ: و مائل. و ما في الطبرى (٩: ١٥١٠): و مائل.
٢. كذا في الأصل و آ. في مط: بقارع. و ما في الطبرى (٩: ١٥١١): تقارع.
٣. و يوفى: كذا في الأصل و مط و آ: و يوفى. و ما في الطبرى (٩: ١٥١١): و يحوى.
٤. و دون: كذا في الأصل و النسختين: و دون. و ما في الطبرى: دوين.
٥. الضيم: كذا في الأصل و آ و مط: الضيم. و ما في الطبرى (٩: ١٥١١): الثغر.
٦. سباق: كذا في الأصل و آ: سباق. و ما في مط و الطبرى: سباق.
٧. بأوتار: كذا في الأصل و مط و الطبرى (٩: ١٥١١): بأوتار. و ما في آ: بأوتارى.

خرج إليهم أشرس، فنزل آمل، و أقام ثلاثة أشهر، و قدم قطن بن قتيبة بن مسلم فعبر النهر في عشرة آلاف و أقبل الترك مع أهل بخارى و السغد فحاصروا قطن بن قتيبة في خندقه، و جعل خاقان ينتخب كل يوم فارساً فيعبر، و قطعت قطعة من الترك النهر فقال قوم:

- «أقحموا^(١) دوابكم عرياً».

فعبروا، و أغاروا على سرح الناس، فأخرج أشرس ثابت قطنة [42] بكفالة عبد الله بن بسطام بن مسعود بن عمرو، و وجهه مع عبد الله بن بسطام في خيل، فاتبعوا الترك، فقاتلوهم بآمل حتى استنقذوا ما بأيديهم. ثم قطع الترك النهر راجعين، ثم عبر أشرس بالناس إلى قطن بن قتيبة، و وجهه أشرس رجلاً يقال له: مسعود، أحد بنى حيان في سرية، فلقبهم العدو، فقاتلهم، فهزم مسعود و أصيب رجال من المسلمين، و أقبل العدو. فلما صاروا بقرب، لقيهم المسلمون، فقاتلوهم، فجال المسلمون، فقتل في تلك الجولة خلق من المسلمين. ثم كرّ المسلمون، و صبروا، فانهزم المشركون، و مضى أشرس بالناس حتى نزل بيكند^(٢)، و قطع عنهم العدو الماء، فأقام أشرس و المسلمون في عسكرهم يومهم و ليلتهم، فأضحوا و قد نفد ماؤهم، فاحتفروا فلم يتبطوا و عطشوا، فارتحلوا إلى المدينة التي منها قطعوا الماء عنهم^(٣)، و على مقدمة المسلمين قطن بن قتيبة، فلقبهم العدو، فقاتلوهم، فجهدوا من العطش، فمات منهم سبعمائة و عجز الناس عن القتال، و كاد قوم يؤسرون من الجهد، فحضر الحارث بن سريج [43] الناس. فقال:

- «أيها الناس، القتل بالسيف أكرم في الدنيا و أعظم أجراً عند الله من

١. أقحموا: كذا في الأصل و آ، و الطبري (٩: ١٥١٢): أقحموا. و في مط: الجموا.

٢. بيكند (بكسر الباء و فتح الكاف): بلد بين بخارى و جيحون. (مراصد الاطلاع).

٣. عنهم: كذا في الأصل و آ: عنهم. و ما في مط: منهم.

الموت عطشاً.»

و تقدّم الحارث بن سريح^(١) و قطن بن قتيبة و جماعة من بنى تميم و قيس، فقاتلوا حتّى أزالو التّرك عن الماء، و ابتدره النّاس، فاستقوا و رَوّوا. فمرّ ثابت قُطنة بعبد الملك بن دثار الباهلي، فقال:

- «يا عبد الملك، هل لك في الجهاد؟» قال:

- «أنظرني ريّ ما أغتسل و أتحنّط.»

فوقف له، حتّى خرج و مضى. فقال ثابت لأصحابه:

- «أنا أعلم بقتال هؤلاء منكم.»

و حضّهم، فحملوا على العدو، و اشتدّ القتال، فقتل ثابت و عبد الملك في عدّة من المسلمين فضمّ قطن بن قتيبة و اسحاق بن حسان خيلاً من بنى تميم تبايعوا على الموت، فأقدموا على العدو، فقاتلوهم حتّى كشفوهم و ركبهم المسلمون يقتلونهم حتّى حجزهم الليل و تفرّق العدو. فأتى أشرس بخارى فحاصر أهلها.

و تحدّث قوم شهدوا قتال التّرك لما التقوا على الماء و قاتلوا عليه، قالوا: سمعنا ثابتاً يقول:

- «اللهمّ إني كنتُ ضيف ابن بسطام البارحة، فاجعلني ضيفك الليلة، و الله لا

ينظر إلّى بنو أمّية [44] مشدوداً في الحديد.»

فحمل، و حمل أصحابه، فكذب أصحابه و ثبت هو، فرمى برذونه فشَبّ، و

ضربه فأقدم و ضرب فارتث، فقال و هو صريح:

- «اللهمّ إني أصبحت ضيفاً لابن بسطام، و قد أمسيت ضيفك، فاجعل قِرأى

من ثوابك الجنة.»

١. سريح: كذا في الأصل و الطبري (٩: ١٥١٣). و ما في آ، و مط: سريح.

و لحق غورك في تلك الوقعة بالترك. فيقال: إنه وقع وسط خيل، فلم يجد بداً من اللحاق بهم. و يقال: إن أشرس كان أرسل إلى غورك يطلب منه طاساً كان عنده. فقال غورك^(١) لرسول^(٢) أشرس:

- «إنه لم يبق معي شيء أتدهن^(٣) به غير هذا الطاس. فاصفع عنه». فأرسل إليه:

- «اشرب في قرعة، و ابعث إليّ بالطاس». فكان ذلك سبب فراقه.

فيقال: إن أشرس نزل قريباً من مدينة بخارى، ثم تحوّل منه إلى كمرجة^(٤)، و كانت كمرجة من أشرف آجام خراسان و أعظمها. فمرّ بهم سبابة^(٥) مولى قيس و قال:

- «إني قصدتكم للنصيحة. إن خاقان مأر بكم غدّ. فأرى لكم أن تُظهروا عدّتكم ليري حدّاً و احتشاداً فينقطع طمعه منكم». فقال لهم رجل:

- «استوثقوا منه، فإنه جاءكم ليفتّ في أعضادكم». [45] قالوا:

- «لا تفعل هذا مولانا، و قد عرفناه بالنصيحة».

فلم يقبلوا منه، و فعلوا ما أمرهم به المولى. و صبّحهم خاقان، فلما حاذى بهم ارتفع إلى طريق بخارى، كأنه يريدّها، فانهدر بجنوده من وراء تلّ بينه و

١. غورك: غير موجودة، لا في الأصل و لا في آ، فأضفناها من مط.

٢. لرسول: غير موجودة، لا في الأصل و لا في مط، فأضفناها من آ.

٣. اتدهن: في الأصل و آ: أتدهقن. في مط: ابدهر (و هو تصحيف اتدهن) و ما أثبتناه يؤيده الطبري (٩: ١٥١٦).

٤. كمرجة: كذا ضبطت في الطبري (٩: ١٥١٧) و ابن الأثير (٥: ١٥٢).

٥. سبابة: كذا في الأصل. في آ: سيابه. في مط: سبابة. و في الطبري (٩: ١٥١٦) «سبابة أو شبابة».

بينهم. فنزلوا و تأهبوا و هم لا يشعرون بهم. فما فاجأهم أن طلعوا على التلّ، فإذا جبل حديد^(١) فيهم أهل فرغانة و الطاربند و أفشينه و نَسَف و طوائف من أهل بخارا. فسقط في أيدي الناس. فقال لهم كليب بن قبان^(٢) الذهلي:

- «هم يريدون مزاحفتكم، فسرحوا دوابكم المجففة في طريق النهر، كأنكم تريدون أن تسقوها، فإذا حدرتموها^(٣) فخذوا طريق الباب، و تسربوا الأوّل فالأوّل.»

فلما رءاهم التّرك يتسربون، شدّوا عليهم في مضيق، و كانوا أعلم بالطريق من التّرك، فسبقوهم إلى الباب، فلحقوهم عنده، و قتلوا رجلا من العرب كان على حاميتهم يقال له المهلب، و قاتلوهم، فغلبوهم على الباب الخارج من الخندق و دخلوه، فاقتلوا، و جاء رجل بخزمة قصب قد أشعلها، فرمى بها في وجوههم، فتنحّوا^(٤)، و أجلوا عن قتلى و جراحات^(٥). [46] و أمسى القوم، فانصرف التّرك و أحرق العرب القنطرة.

و جاءهم خسرو بن يزديجرد في ثلاثين رجلا. فقال:

- «يا معشر العرب، لم تقتلون أنفسكم و أنا الذي جئت بخاقان ليردّ على مملكة آبائي؟ و أنا آخذ لكم الأمان.»

فشتموه، فانصرف.

١. جبل حديد: كذا في الأصل و آ و الطبري (٩: ١٥١٧): جبل جديد. في مط: خيل حديد.

٢. ما في الأصل غير واضح، فأثبتنا الاسم كما جاء في مط و في مواطن أخرى من الأصل. في مط: قبان. و في آ: فنان. و ما في الطبري (٩: ١٥١٧): قنان.

٣. حدرتموها: كذا في الأصل و مط و آ. و ما في الطبري (٩: ١٥١٧): جرّدموها.

٤. في مط. ففتحوا.

٥. كذا في الأصل و مط و آ. و ما في الطبري (٩: ١٥١٨): جرحى.

فجاءهم بازغرى^(١) فى مائتين، و كان داهيةً، من وراء النهر، و كان خاقان لا يخالفه، و معه رجلان من قرابة خاقان، و معه أفراس من رابطة أشرس، فقال: «آمنونا حتى ندنو منكم، و أعرض عليكم ما أرسلنى به إليكم خاقان.» فآمنوه، فدنا من المدينة، فأشرفوا عليه، و معه أسرى من العرب، و قال بازغرى:

«يا معشر العرب، احذروا إلى رجلا منكم أكلمه برسالة خاقان.»

فحدروا حبيباً مولى مَهْرَة من أهل درقتين^(٢)، فكلّموه، فلم يفهم. فقال:

«احذروا إلى رجلا يعقل عنى.»

فحدروا يزيد بن سعيد الهلالى^(٣)، و كان يشدو شيئاً من التركية. فقال له:

«هذه خيل الرابطة، و وجوه العرب، معه أسرى.»

و قال لهم:

«إنّ خاقان أرسلنى إليكم و هو يقول لكم: إئتى أجعل من كان عطاءه منكم

ثلاثمائة، ستمائة، و من كان عطاؤه [47] ستمائة أجعله ألفاً، و هو مُجمع بعد

هذا على الإحسان إليكم.»

فقال له يزيد:

«هذا أمر لا يلتزم، كيف يكون العرب و هم ذئاب، مع التّرك و هم شاة. لا

يكون بيننا و بينهم صلح.»

فغضب بازغرى.

١. بازغرى: ما فى الأصل و آ. (بالعين المهملة) و ما فى مط غير منقوط. و ما أثبتناه يوافق الطبرى (٩: ١٥١٩): بازغرى. (بالعين المعجمة).

٢. درقتين: كذا فى كل من الاصل و مط و آ: درقتين بالإهمال. و النقاط مستفادة من الطبرى (٩: ١٥١٨).

٣. الهلالى: كذا فى الأصل و مط: الهلالى. و ما فى آ و الطبرى: الباهلى.

فقال التركيان للذنان معه:

- «ألا تضرب عنقه؟» فقال:

- «لا، نزل إلينا بأمان.»

و فهم يزيد ما قالوا له، فخاف. فقال:

- «بلى يا بازغرى، إلا أن تجعلونا نصفين، فيكون نصفنا فى أثقالنا، و يسير

النصف معه، فإن ظفر خاقان فتحن معه، و إن كان غير ذلك كنّا كسائر مدائن

سُغد.»

فرضى بازغرى و التركيان بما قال^(١). فقال له:

- «إعرض على القوم ما تراضينا به.»

و أقبل، فأخذ بطرف الحبل، فجذبوه حتى صار على السور، فنادى:

- «يا أهل كمرجه، اجتمعوا، فقد جاءكم قوم يدعونكم إلى الكفر بعد

الإيمان.» قالوا:

- «لا نجيب و لا نرضى.» قال:

- «يدعونكم إلى قتال المسلمين مع المشركين.» قالوا:

- «نموت جميعاً قبل ذلك.» قال:

- «فأعلموهم ذلك.» قال:

- «فأشرفوا عليهم.» فقال:

- «يا بازغرى، أتبيع الأسرى الذين فى أيديكم فنفادى بهم؟ فأما ما دعوتنا

إليه فإننا لانجيبكم إليه.»

فقال لهم:

- «أ فلا تشترون أنفسكم [48] مثا؟ فما أنتم عندنا إلا بمنزلة من فى أيدينا

١. قال: كذا فى مط و آ و الطبرى (٩: ١٥١٩). و ما فى الأصل: قالوا. و هو خطأ.

منكم».

و كان في أيديهم الحجاج بن حميد النضري.

فقالوا:

- «يا حجاج، ألا تتكلم؟» قال:

- «على رُقباء».

ثم أمر خاقان بقطع الشجر».

ذكر حيلة تمت مع اتفاق حسن

فكان خاقان يقطع الشجر الرطب، و يلقيه في الخندق، و جعل أهل كمرجة يلقون معه الحطب اليابس، حتى سوي الخندق ليقطعوا^(١) إليهم. فأشعلوا النيران، فهاجت ريح شديدة، صنعا من الله عز و جل، فاشتعلت النيران في الحطب، فأحرق ما عملوا في ستة أيام، في ساعة واحدة من نهار، و رميناهم فأوجعناهم، و شغلناهم بالجراحات، فأصابنا بازغرى نشابة في شرتة، فاحتقن بوله، فمات من ليلته، فقطع أترابه آذانهم، فأصبحوا بشر منكمسين رؤوسهم يبيكونه، و دخل عليهم أمر عظيم.

فلما امتد النهار، جاؤوا بالأسرى، و هم مائة، فيهم أبو العوجاء العتكي و أصحابه، فقتلوهم، و رموا إليهم برأس الحجاج بن حميد النضري^(٢)، و كان مع المسلمين مائتان من أولاد [49] المشركين كانوا رهائن في أيديهم، فقتلوهم، و استماتوا، و اشتد القتال، و قاموا على باب الخندق، و صار منهم على السور خمسة أعلام.

١. ليقطعوا إليهم: كذا في الأصل و مط و آ. ليقطعوا إليهم. في حواشي الطبري: ليقطعوا النهر إليهم.

٢. النضري: كذا في الأصل و مط و الطبري (٩: ١٥٢٠). و في آ: البصري.

فقال كليب: «من لى بهؤلاء؟»

فقال ظهير بن مقاتل الطَّلَاوى^(١):

ـ «أنا لك بهم».

فذهب يسعى و قال لفتيان:

ـ «امشوا خلفى» و هو جريح.

فقتل من أصحاب الأعلام اثنان و نجى ثلاثة.

فقال لهم خاقان:

ـ «عليكم بهذا الغنم و قسّمه فى أصحابه».

ثم قال لهم:

ـ «كلوا لحومها و اسلخوا جلودها و املاها تراباً، ثم اكبسوا^(٢) خندقهم

بها».

ففعّلوا، و بعث الله سحابةً فمطرت و سال الخندق، فاحتمل المطر ما ألقوا

فيه^(٣)، فألقاه فى النهر الأعظم. فيقال: إنّ خاقان لما رأى أنّه لا يصل إليهم، شتم

أصحابه، و عيّر أهل السّغد و فرغانة و الشّاش و الدّهاقين و قال لهم:

ـ «زعمتم أنّ فى هذه خمسين حماراً و أنا نفتحها فى خمسة أيّام و قد

صارت الخمسة الأيّام شهرين».

و شتمهم و أمرهم بالارتحال، فقالوا:

ـ «ما ندع جهداً، و لكن احضرنا غداً فانظر».

فلما كان الغد جاء خاقان فوقف فقام إليه ملك الطّارِند، و استأذنه [50] فى

١. الطَّلَاوى: كذا فى الأصل و مط: الطَّلَاوى. و ما فى الطبرى (٩: ١٥٢٠): و آ الطَّلَاوى.

٢. اكبسوا: كذا فى الأصل و آ: و اكبسوا. و ما فى مط: اكسوا.

٣. ضاع من نسخة آ (مخطوطة آستان قدس) ما يعادل ص ٥٠ إلى ص ٨٤ من صفحات الأصل (مخطوطة اياصوفيا).

القتال و الدّخول عليهم. قال:

- «لا أرى أن نقاتل في هذا الموضع.»

و كان خاقان يعظمه، فقال له:

- «إجعل لي جاريتين من جوارى العرب و أنا أدخل عليهن.»

فأذن لهم، فقاتل حتّى قتل ثمانية، و جاء حتّى وقف على ثلثة، و كان إلى جنب الثّلثة بيت فيه خرق يُفصى إلى الثّلثة، و فى البيت رجل مريض من بنى تميم، فرماه بكلّوب، فتعلّق بدرعه، ثمّ نادى النساء و الصّبيان فجذبوه حتّى سقط لوجهه، و رماه رجل بحجر فأصاب أصل أذنه فصّرع، و جاء شابّ أمرّد من التّرك، فأخذ سيفه، و غلبناهم على جسده^(١). و كانوا قد اتّخذوا أبنية من خشب، فالصقوها بحائط^(٢) الخندق، و نصبوا قبالة ما اتّخذوا أبوابا، و أقعدوا وراءها الرّماة و جاء رجلاّن، فاطّلع أحدهما فى الخندق، فرماه واحد منّا، فلم تضّرّه الرّمية لكثرة سلاحه، و كان عليه كاسخودة^(٣) ثبّيتة، فرماه رجل شيبانيّ، و ليس يرى منه غير عينيه، و رماه غالب بن المهاجر، فدخلت نشابة فى عينيه و تنكّس، فلم يدخل خاقان شىء أشدّ منه. فأرسل إلى المسلمين: [51]

- «إنه ليس من رأينا أن نرتحل من مدينة تنزل عليها دون افتتاحها أو نرحلهم^(٤) عنها.»

فقال لهم كليب بن قبان:

- «و ليس من ديتنا أن نعطي بأيدينا حتّى نُقتل، فاصنعوا ما بدا لكم.»

١. جسده: كذا فى الأصل و مط و الطبرى (٩: ١٥٢١): جسده. و العبارة فى الطبرى:

«.. فقتله و أخذ سلّبه و سيفه فغلبناهم على جسده.»

٢. بحائط: كذا فى الأصل: بحائط الخندق و ما فى مط: بحائط الخندق.

٣. كاسخودة ثبّيتة: فى الطبرى (٩: ١٥٢٢): كاسخودة ثبّيتة. فى مط كاسخودة تبنية!

٤. نرحلهم: كذا فى الأصل. و ما فى الطبرى (٩: ١٥٢٢): نرحلهم.

فرأى التُّرك أنَّ مقامهم عليهم ضرر، فقالوا:
 - «نعطيكم الأمان على أن ترحلوا بأموالكم و أهاليكم إلى سمرقند أو
 الدَّبوسِيَّة.»

و رأى أهل كَمَرُجَّة ما هم فيه من الحصار و الشدَّة، فبعثوا إلى أهل سمرقند
 يشاورونهم. فأشاروا عليهم بالدَّبوسِيَّة و قالوا: هي أقرب.
 فرجع إلى أصحابه، فأخذوا من التُّرك رهائن لئلاَّ يعرضوا لهم، و أخذوا التُّرك
 من العرب رهائن، و ارتحل خاقان، و أظهر أنَّه إنما فعل ذلك من أجل غورك،
 أنَّه مع العرب، و أنَّ ابنه المختار طلب إليه في ذلك مخافةً على أبيه. فأجابته إلى
 ذلك.

و قال المسلمون:

- «أعطونا رجلاً كبيراً يكون معنا.»

فقال لهم التُّرك:

- «إختاروا من شئتم.»

فاختاروا كورصول، و كان معهم. فلما ارتحل خاقان قال كورصول للعرب:
 - «ارتحلوا.»

قالوا:

- «نكره أن نرتحل و التُّرك لم يمشوا، فلا [52] نأمنهم أن يعرضوا لبعض
 النساء فتحمي العرب، فنصير إلى ما كنَّا فيه من الحرب.»

قال: فكفَّ عنهم حتَّى مضى خاقان و التُّرك.

فلما صلَّوا الظُّهر أمرهم كورصول بالرحلة، و قال:

- «إنما الشدَّة و الخوف أن تسيروا فرسخين، ثمَّ تصيروا إلى قرى متَّصلة،

فارتحلوا.»

و كان في أيدي التُّرك من العرب خمسة رهائن، و في أيدي العرب من

التُّرك خمسة، فارتدّ خلف رجل من التُّرك رجل من العرب معه خنجر، و ليس على التُّركي غير قباء، فساروا بهم. ثم قال العجم لكورصول: - «إِنَّ الدَّبُوسِيَّةَ فِيهَا عَشْرَةُ آلَافٍ مَقَاتِلَ، فَلَا نَأْمَنُ أَنْ يَخْرِجُوا عَلَيْنَا». فقال لهم العرب: - «إِنْ قَاتَلُوكُمْ قَاتَلْنَاكُمْ مَعَكُمْ».

فساروا، فلمّا صار بينهم وبين الدَّبُوسِيَّةِ قدر فرسخ و أقلّ^(١)، نظر أهلها إلى فرسان و رجّالة، فظنّوا أنّ كمرجة قد فُتحت، و أنّ خاقان قصدهم. فتهيّأوا للحرب، فوجّه كليب بن قبان رجلاً من بني ناجية يقال له الضّحّاك، على يرذون يركض، و على الدَّبُوسِيَّةِ عقيل بن وّدان السّعدى. فأتاهم الضّحّاك و هم صفوف فرسان و رجّالة، فأخبرهم بالخبر، فأقبل أهل الدَّبُوسِيَّةِ [53] يركضون، فحملوا كلّ من كان يضعف عن المشى و من كان مجروحاً. ثمّ إنّ كليباً أرسل محمّد بن كرّان^(٢) و محمّد بن درهم ليعلما سباع بن النّعمان و سعيد بن عطية و سائر الرّهائن في أيدي التُّرك، أنّهم قد بلغوا مأمنهم، ثمّ خلّوا عن الرّهْنِ، فجعلت العرب تُرسل رجلاً من الرّهْنِ^(٣) الذين في أيديهم من التُّرك، و ترسل التُّرك رجلاً من الذين في أيديهم من العرب، حتّى بقى سباع بن النّعمان في أيدي التُّرك، و رجلٌ من التُّرك في أيدي العرب، وجعل كلّ فريق منهم يخاف على صاحبه الغدر. فقال سباع:

- «خلّوا رهينة التُّرك».

فخلّوه و بقى سباع في أيديهم. فلمّا التقى مع كورصول قال له:

١. و أقلّ: كذا في الأصل و الطبري (٩: ١٥٢٤): و أقلّ. و ما في مط: أقبل.
٢. كرّان: كذا في الأصل و مط: كرّان. و ما في الطبري (٩: ١٥٢٤): كرّاز.
٣. الذين: ما في الأصل و مط: الذي. و ما في الطبري: الذين. و هو الصحيح.

«لَمْ فَعَلْتَ هَذَا؟» قَالَ:

«إِنِّي وَثَقْتُ بِرَأْيِكَ، وَ قُلْتُ: تَرَفُّعُ نَفْسِكَ عَنِ الْغَدْرِ فِي مِثْلِ هَذَا.»

فَوَصَلَهُ وَ سَلَّحَهُ، وَ حَمَلَهُ عَلَى بَرْدُونَ، وَ رَدَّهُ إِلَى أَصْحَابِهِ.

وَ كَانَ حِصَارَ كَمَرْجَةٍ خَمْسَةِ وَ ثَلَاثِينَ^(١) يَوْمًا. فَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ لَمْ يَسْقُوا إِلَيْهِمْ

خَمْسَةَ وَعَشْرِينَ يَوْمًا.

وَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ جَعَلَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ بِالْبَصْرَةِ الصَّلَاةَ مَعَ الشَّرْطِ وَ

الْأَحْدَاثِ، وَ الْقَضَاءَ إِلَى بِلَالِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، فَجُمِعَ ذَلِكَ كُلُّهُ. [54]

وَ دَخَلَتْ سَنَةُ أَحَدَى عَشْرَةَ وَ مِائَةَ

وَ فِيهَا عَزَلَ هِشَامُ أَشْرُسَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ خِرَاسَانَ

وَ كَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ، أَنَّ شَدَّادَ بْنَ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَاهِلِيَّ شَخْصًا إِلَى

هِشَامٍ، فَشَكَاهُ، فَعَزَلَهُ وَ اسْتَعْمَلَ الْجُنَيْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَلَى خِرَاسَانَ سَنَةَ أَحَدَى

عَشْرَةَ وَ مِائَةَ. وَ كَانَ السَّبَبُ فِي اسْتِعْمَالِهِ إِثْبَاهُ، أَنَّهُ كَانَ أَهْدَى لِأُمِّ حَكِيمِ بِنْتِ

يَحْيَى بْنِ الْحَكَمِ امْرَأَةَ هِشَامٍ قِلَادَةً فِيهَا جَوْهَرٌ، فَأَعْجَبَتْ هِشَامًا، فَأَهْدَى لَهُ هِشَامُ

قِلَادَةً أُخْرَى، فَاسْتَعْمَلَهُ عَلَى خِرَاسَانَ، وَ حَمَلَهُ عَلَى ثَمَانِيَةِ مِائَةِ الْبَرِيدِ، فَسَأَلَهُ

أَكْثَرَ مِنْ تِلْكَ الدَّوَابِّ، فَلَمْ يَفْعَلْ. فَقَدِمَ خِرَاسَانَ فِي خَمْسِمِائَةِ وَ أَشْرُسَ بْنَ عَبْدِ

اللَّهِ يِقَاتِلُ أَهْلَ بَخَارَا وَ السَّغْدِ. فَسَأَلَ عَنْ رَجُلٍ يَسِيرُ مَعَهُ إِلَى مَاوِرَاءَ النَّهْرِ، فَذُلُّ

عَلَى الْخَطَّابِ بْنِ مُحَرِّزِ السُّلَمِيِّ خَلِيفَةَ أَشْرُسَ. فَسَارَ مَعَهُ، فَلَمَّا قَدِمَ آمُويَةَ،

أَشَارَ عَلَيْهِ الْخَطَّابُ أَنَّ يَقِيمَ وَ يَكْتَسِبَ إِلَى مَنْ يَزِمُ وَ مِنْ حَوْلِهِ، فَقَدِمُوا عَلَيْهِ، فَأَبَى

وَ قَطَعَ النَّهْرَ، وَ أَرْسَلَ إِلَى أَشْرُسَ أَنَّ أَمِدْنِي بِخَيْلٍ، وَ خَافَ أَنَّ يُقْتَطَعَ قَبْلَ أَنْ

١. ثلاثين: في الأصل ثلاثون. خلافا للطبري (٩: ١٥٢٥) و مط.

يصل إليه، فوجه إليه أشرس عامر بن مالك^(١) الجيماني. فلما كان ببعض الطريق، عرض له الترك و السغد ليقتطعوه قبل أن [٥٥] يصل إلى الجنيد. فدخل عامر حائطاً حصيناً، و قاتلهم على ثلعة الحائط و معه ورد بن زياد بن أدهم بن كلثوم، فرماه رجل من العدو بنشابة عرض منخريه، فأنفذ المنخرين. فقال له عامر بن مالك:

«يا بالزاهرية، كأنك دجاجة مقيتة».

و كان خاقان على تل خلفه أجمة عظيمة. فخرج من عسكر أشرس، عاصم بن عمير^(٢) السمرقندي و واصل بن عمرو القيني في شاكريته، فاستدارا حتى صارا من وراء الأجمة و الماء، فضموا خشباً و قصباً و ما قدروا عليه، حتى اتخذوا طريقاً، فعبروا عليه، فلم يشعر خاقان إلا بالتكبير من ورائه، و حمل واصل و الشاكريّة على العدو، فقاتلوهم، فقتل تحت واصل برذونان، و هزم خاقان و أصحابه.

و خرج عامر بن مالك من الحائط، فمضى إلى الجنيد، و هو في سبعة آلاف، فتلقى الجنيد، فأقبل معه و على مقدمة الجنيد عمارة بن خريم^(٣). فلما انتهى إلى فرسخين من بيكنند، تلقته خيل الترك، فقاتلهم، و كاد الجنيد يهلك و من معه، ثم أظهره الله، فسار حتى قدم العسكر و قد ظفر بأولئك الأتراك. فزحف [٥٦] إليه خاقان فالتقوا دون رومان^(٤) من بلاد سمرقند و قطن بن قتيبة على ساقة

١. مالك: في الأصل: ملك. و ما في مط و الطبري (٩: ١٥٢٨): مالان.

٢. مقيت: كذا في الأصل و مط: مقيت. و ما في الطبري (٩: ١٥٢٨): مرقق.

٣. في الأصل: عمير بن. و ما أثبتناه يؤيده الطبري (٩: ١٥٢٨).

٤. خريم: كذا في الأصل: خريم. و ما في مط و الطبري (٩: ١٥٢٩): خريم.

٥. رومان: كذا في الأصل و مط: رومان. و في الطبري (٩: ١٥٢٩): زرمان. و في

حواشيه: درمان، درمان، زرنان، زرمان.

الجنيد، و واصل في أهل بخارا، و كان ينزلها قاسم ملك الشاش، و أسر الجنيد ابن أخى خاقان فى هذه الغزاة، فبعث به إلى هشام، و أوفد لهما أصاب فى وجهه ذلك عمار بن معاوية العدوي و محمد بن الجراح العبدى و عبد ربه بن أبى صالح السلمى إلى هشام.

ثم أتى الجنيد مَرَوَ غانما ظاهرا.

فقال خاقان:

- «هذا غلام مُتَرَف هرب منى^(١) العام، و أنا مُهلكه فى قابل^(٢)».

و استعمل الجنيد عُماله، فلم يستعمل إلا مُضِرًّا، و كان بينه و بين الباهليين تباعد، لما كان بينهم بالبروقان.

ثم دخلت سنة اثنتى عشرة و مائة

و فى هذه السنة استشهد الجراح بن عبد الله الحكيم فى مَن معه من أهل الشام بمرج أردبيل، و افتتحت الترك أردبيل. و لما بلغ هشام أن الترك قتلت الجراح بن عبد الله و افتتحت أردبيل، دعا سعيد بن عمرو الحرشى، [57] فقال له:

- «إنه بلغنى أن الجراح بن عبد الله قد انحاز عن المشركين.» فقال:

- «كلأ يا أمير المؤمنين، الجراح أعرف بالله من أن ينحاز عن العدو، لكنه قُتل.» قال:

- «فما رأى؟» قال:

- «تبعثنى على أربعين دابة من دواب البريد، ثم تبعث إلى كل يوم أربعين

١. هرب منى: كذا فى الأصل و مط: هرب منى. و ما فى الطبرى (٩: ١٥٢٩): هزمنى.

٢. قابل: كذا فى الأصل و مط و الطبرى: قابل.

دابة عليها أربعون رجلاً. ثم اكتب إلى أمراء الأجناد يوافوني.»
 ففعل ذلك هشام، فأصاب سعيد بن عمرو للترك ثلاثة^(١) جموع وفودا إلى
 خاقان بمن أسروا من المسلمين و أهل الذمة. فاستنفذ الحرشي ما أصابوا، و
 أكثر القتل فيهم.
 ثم أنفذ هشام أخاه مسلمة بن عبد الملك في أثر الترك، فسار في شتاء
 شديد البرد، و مطر و ثلوج، فطلبهم، حتى جاز الباب، و خلف الحارث بن
 عمرو الطائي بالباب.

وقعة الجنيد مع الترك

و في هذه السنة كانت وقعة الجنيد مع الترك و رئيسهم خاقان بالشعب. و
 فيها قتل سورة بن أبجر و الأشراف.
 و قد قيل: إن هذه الوقعة كانت في سنة ثلاث عشرة.
 و كان سبب ذلك أن الجنيد بن عبد الرحمن خرج [58] غازياً في هذه السنة
 يريد طخارستان، فنزل على نهر بلخ، و وجهه عمارة بن خُزيم إلى طخارستان
 في ثمانية عشر ألفاً، و إبراهيم بن بسام الليثي في عشرة آلاف في وجه آخر.
 و جاشت الترك، فأتوا سمرقند، و عليها سورة بن أبجر أحد بني دارم. و
 كتب سورة إلى الجنيد:
 - «إن^(٢) خاقان جاش بالترك، فخرجت إليهم، فما قدرت أن أمنع حائط
 سمرقند، فالغوث!»

١. ثلاثة جموع: ما في الأصل و مط: ثلاث جموع. و ما في الطبري (٩: ١٥٣١): ثلاثة جموع.

٢. في الأصل و مط و حواشي الطبري: «أن ينزل خاقان جاش بالترك» بزيادة «ينزل» و هذه الكلمة زائدة مقحمة، و هي غير موجودة في الطبري. (٩: ١٥٣٢).

فأمر الجنيد الناس بالعبور، فقام إليه المجشّر بن مزاحم السلمي و ابن بسطام الأزدي، و ابن صبيح الحرقى، فقالوا:

- «إن التّرك ليسوا كغيرهم، لا يلقونك صفّاً و لا زحفاً و قد فرقت جُنْدَكَ: فمسلم بن عبد الرحمن بالزّوب، و البختى^(١) بهراة، و لم يحضر ك أهل الطّالقان، و عُمارة بن خُزيم غائب.»

و قال له المجشّر:

- «إنّ صاحب خراسان لا يعبر النّهر فى أقلّ من خمسين ألفاً، فأكتب إلى عُمارة، فليأتك، و امهل و لا تعجل.» قال:

- «فكيف بسورة و من معه من المسلمين، لو لم أكن إلاّ فى بنى مُرّة، أو من طلع معى من أهل الشّام، لعبرْتُ.» قال: [59]

- «أليس أحقّ النّاس أن يشهد الوغا و أن يقتل الأبطال، ضخم^(٢) على ضخم» و عبر، و نزل كِسّ، و بعث الأشهب بن عبيد الحنظلى ليعلم علم القوم. فرجع إليه فقال:

- «قد أتوك، فتأهّب.»

فبلغ التّرك مسيره، فعوّروا^(٣) طريق كِسّ و ما فيه من الركايا. فقال الجنيد:

- «أىّ الطّرق إلى سمرقند أمثل؟» قالوا:

- «طريق المحترقة.»

فقال المجشّر بن مزاحم السلمي:

١. كذا فى الأصل: البختى. ما فى مط مهمل. و ما فى الطبرى (٩: ١٥٣٢): البختى.
٢. ضخم: كذا فى الأصل و مط: ضخم. و ما فى الطبرى (٩: ١٥٣٣): ضخماً.
٣. فعوّروا طريق كِسّ: كذا فى الأصل و الطبرى: فعوّروا. و فى مط: فعبروا. و فى حواشى الطبرى: «فعوّروا الآبار التى فى...». كِسّ = كَشّ.

- «القتل بالسيف أمثل من القتل بالنار. إنَّ طريق المحترقة فيه الشجر و الحشيش، و لم يُزرع منذ سنتين، فقد تراكم بعضه على بعض، فإن لقيت خاقان، أحرق ذلك كله، فقتلنا بالنار والدخان، و لكن خذ طريق العقبة، فهو بيننا و بينهم سواء.»

فأخذ الجنيد طريق العقبة، فارتقى في الجبل^(١). فأخذ المجشّر بعنان دابته و قال:

- «إنَّه كان يقال: إنَّ رجلاً من قيس مترفاً يهلك على يده جند من جنود خراسان، و قد خِفنا أن تكونه.»
قال: «أفرخ روعك^(٢)»

فقال المجشّر: «أمّا ما كان بيننا مثلك فلا يُفرخ.»
فبات في أصل العقبة، ثم ارتحل حتّى أصبح، فصار [60] الجنيد بين مرتحل و مقيم، فتلقاه فارس. فقال له:

- «ما اسمك؟» قال:

- «حرب.» قال:

- «ابن من؟» قال:

- «ابن مجرب.» قال:

- «معن؟» قال:

- «من بنى حنظلة.» قال:

١. في بعض الأصول: الخيل.

٢. روعك: في الأصل بضم الراء، و في الطبري (٩: ١٥٣٤): بفتحها. الرّوع (بضم الراء): سواد القلب و قيل موضع الفزع منه. يقال أيضاً: أفرغ رُوعك. أى: اسكن و استأمن. الرّوع (بفتح الراء): الفزع. الحرب.

«سَلَطَ اللهُ عَلَيْكَ الْحَرْبَ، وَ الْحَرْبَ، وَ الْكَلْبَ»^(١).

و مضى بالناس حتى دخل الشعب و بينه و بين سمرقند أربعة فراسخ. فصَبَّحه خاقان في جمع عظيم، و زحف إليه السَّغْد، و شاش، و فرغانة. فحمل خاقان على المقدمة، و عليها عثمان بن عبد الله بن السُّخَيْر^(٢)، فرجعوا إلى العسكر و التَّرك تبِعهم و جاؤوهم من كلِّ وجه، و قد كان الإخريد^(٣) قال للجنيد:

«رَدَّ النَّاسُ إِلَى الْعَسْكَرِ، فَقَدْ جَاءَكَ جَمْعٌ كَثِيرٌ.»

فطلع أوائل الخيل من العدو، و النَّاسُ يَتَغَدَّونَ، فرأاهم عبيد الله بن زهير بن حَيَّان، فكره أن يُعلم النَّاسُ حتى يفرغوا من غدائهم، و التفت أبو الوأل^(٤)، فرأاهم، و قال: «الْعَدُو!» فركب النَّاسُ إلى الجنيد. فصَيَّرَ تَمِيمًا و الْأَزْدَ فِي الميمنة، و ربيعة في الميسرة ممَّا يلى الجبل^(٥)، و على مجقفة خيل بنى تميم عبيد الله بن زهير بن حَيَّان، و على المجردة عمر بن حرفاس^(٦) المنقرى، و على جماعة بنى تميم عامر بن مالك الحماني، و على الأزْد عبد الله بن بسطام [61] بن مسعود، و على خيلهم المجقفة و المجردة فُضَيْل بن هَنَاد و عبد الله بن حوْذَان: أحدهما على المجقفة و الآخر على المجردة. فالتقوا و ربيعة ممَّا يلى

١. الْحَرْبَ وَ الْكَلْبَ: الْحَرْبُ: الْهَلَاكُ وَ الْوَيْلُ، حَرْبَ الرَّجُلِ: سَلَبَ مَالَهُ وَ تَرَكَه بِلَا شَيْءٍ. الْكَلْبُ: دَاءٌ يَشْبَهُ الْجَنُونَ يَأْخُذُ الْكَلَابَ فَتَعْضُ النَّاسُ، فَيَكَلِبُ النَّاسُ أَيْضًا. الْعَطَشُ الشَّدِيدُ.
٢. السُّخَيْرُ: كَذَا فِي الْأَصْلِ: السُّخَيْرُ. فِي الطَّبْرِيِّ (٩: ١٥٣٤): السُّخَيْرُ. وَمَا فِي مَط: السَّحَرُ.

٣. الْإِخْرِيدُ: مَا فِي الْأَصْلِ وَ مَطْ مَهْمَلٌ، وَ الْإِعْجَامُ مِنَ الطَّبْرِيِّ.

٤. أَبُو الْوَأَلِ: كَذَا فِي الْأَصْلِ وَ مَط: أَبُو الْوَأَلِ. وَ مَا فِي الطَّبْرِيِّ (٩: ١٥٣٤): أَبُو الزَّيَّالِ.

٥. الْجَبَلُ: كَذَا فِي الْأَصْلِ وَ الطَّبْرِيُّ وَ مَط. وَ فِي حَوَاشِي الطَّبْرِيِّ (٩: ١٥٣٤) عَنْ الْأَصُولِ: الْخَيْلُ.

٦. حَرْفَاسٌ: كَذَا فِي الْأَصْلِ وَ مَط: حَرْفَاسٌ. وَ فِي الطَّبْرِيِّ (٩: ١٥٣٥): حَرْفَاسٌ.

الجبيل^(١) في مكان ضيق، فلم يقدم عليهم أحد. و قصد العدو الميمنة، و فيها تميم و الأزد في موضع واسع فيه مجال للخييل، فترجل حيّان بن عبيد الله بن زهير بين يدي أبيه، و دفع برذونه إلى أخيه عبد الملك. فقال له أبوه:

- «يا حيّان، انطلق إلى أخيك فإنه حدث و أخاف عليه». فأبى، فقال:

- «يا بُنَيَّ، إنك إن قتلت على حالك هذه، قتلت عاصياً».

فرجع إلى الموضع الذي خلف فيه أخاه و البرذون فإذا أخوه قد لحق بالعسكر و قد شدّ البرذون، فقطع حيّان مِقْوَدَه و ركبته، فإذا العدو قد أحاطوا بالموضع الذي خلف فيه أباه و أصحابه، فأمدّهم الجنيد بنصر بن سيار و بسبعة فيهم جميل بن غزوان. فدخل عبيد الله بن زهير معهم، و شدّوا على العدو، فكشفوهم، ثم كروا عليهم، فقتلوا جميعاً، فلم يفلت أحد ممن كان في ذلك الموضع. [62] قُتل عبيد الله بن زهير، و ابن حوذان، و ابن حرقاس، و الفضيل^(٢) بن هناد، و جالت الميمنة و الجنيد واقف في القلب، فأقبل إلى الميمنة، فوقف تحت راية الأزد، و قد كان جفاهم. فقال له صاحب راية الأزد:

- «ما جئتنا لتحبونا و لا لتكرهنا، و لكنك قد علمت أنه لا يُوصَل إليك و منا رجل حي، فإن ظفرنا كان لك، و إن هلكنا لم تبك علينا، و لعمرى، لئن ظفرنا و بقيت لا أكلمك كلمة أبداً».

و تقدّم، فقتل، و أخذ الراية ابن مُجَاعَة، فقتل، فتناول الراية ثمانية عشر

١. الجبل: كذا في الأصل: و (٩: ١٥٣٥): الجبل (كما في الموضع السابق)

٢. الفضيل: في الأصل و مط: الفضل. و في الطبري (٩: ١٥٣٦): الفضل كما في الموضع السابق منه، فوَحَّدنا الضبط.

رجلا من الأزد.

قال: و صبر الناس يقاتلون حتى أعيوا. فكانت السيوف لا تحيك و لا تقطع شيئا، فقطع عبيدهم الخشب يقاتلون بها حتى ملّ الفريقان. فكانت المعانقة، فتحاجزوا. فقتل من الأزد خلق، و فيهم الفضيل الحارثي صاحب الخيل. و قتل يزيد بن الفضل العداني، و كان حمل يوم الشعب على مائة بعير سويقاً للمسلمين، فجعل يسأل عن الناس، فلا يسأل عن أحد إلا قيل له: «قُتِلَ». فاستقدم و هو يقول:

«لا إله إلا الله».

فقاتل حتى [63] قُتِلَ.

و قاتل يومئذ محمد بن عبد الله بن حوْذان و هو على فرس أشقر، عليه تجفاف مذهب. فحمل سبع مرّات يقتل في كلّ مرّة رجلا، ثمّ يرجع إلى موقفه، فهابه كلّ من كان في ناحيته.

فناداه الترجمان من قبل خاقان:

«يقول لك الملك: لا تستقتل، و تحوّل إلينا، فنرفض صنمنا الذي نعبد، و

نعبدك»

فقال محمد:

«إنما أقاتلكم لتتركوا عبادة كلّ شيء، و تعبدوا الله وحده».

و قاتل حتى استشهد.

و قُتِل جُشم بن قريظ الهلالي، و قُتِل النضر بن راشد العبدي، و كان دخل

على امرأته و الناس يقتتلون، فقال لها:

«كيف أنتِ إذا أُتيتِ بابي ضمرة في لبدٍ مضرّجاً بالدماء؟»

فشقت جيبيها، و دعت بالويل. فقال:

«حسبك، لو أعولت كلّ أنثى على اليوم، لعصيتها شوقاً إلى الجنة».

و قاتل حتى استشهد.
 و بينا الناس كذلك، إذ أقبل رَهَجٌ، و طلعت فرسانٌ.
 فنادى منادى الجنيد:
 - «الأرض، الأرض.»
 فترجّل، و ترجّل معه الناس. ثم نادى منادى الجنيد:
 - «ليُخندق كلٌّ قائدٍ على حياله.»
 فخندق الناس فتحاجزوا. [64]
 و أصبحوا يوم السبت، فأقبل خاقان نصف النهار، فلم يَرِ موضعاً القتال^(١)
 فيه أيسر من موضع بكر بن وائل، و عليهم زياد بن الحارث، فقصدوهم.
 فقالت بكر لزياد:
 - «إن القوم قد كثروا، فخلّنا نحمل عليهم قبل أن يحملوا علينا.»
 فقال لهم:
 - «قد مارسْتُ منذ سبعين سنة أنكم إن حملتم عليهم فصعدتم^(٢) انبهرتم،
 ولكن دعوهم حتى يقربوا.»
 ففعلوا. فلما قربوا منهم، حملوا عليهم، فأخرجوا لهم، فسجد الجنيد.
 و قال خاقان يومئذ:
 - «إنَّ العرب إذا أخرجوا استقتلوا. فخلّوهم حتى يخرجوا، و لا تعرّضوا
 لهم.»
 و خرج جوارٍ للجنيد يُؤلّونَ، فانتدب رجال من أهل الشّام، فقالوا:
 - «الله الله، يا أهل خراسان، إلى أين؟»

١. القتال: كذا في الأصل: القتال. و ما في مط و الطبري (٩: ١٥٣٨): للقتال.

٢. فصعدتم انبهرتم: كذا في الأصل. في مط: فصعدت انبهرتم (!). و ما في الطبري (٩: ١٥٣٩): فصعدتم انهزمتم. و في حواشيه: فصعدتم انهزم.

و قال [الجنيد^(١)] :

- «ليلة كليلة الجراح، و يوم كيومه.» ف قيل له:

- «لَمْ، أصلحك الله؟» قال:

- «إن الجراح سير إليه بأذريجان، فقتل^(٢) أهل الحمى و الحفاظ. فلما جنَّ

عليه الليل انسلَّ الناس تحت الظلَّة إلى مدائن لهم بأذريجان، و أصبح الجراح في قَلَّة، فقتل.»

سبب قتل سورة بن أبجر

و في هذه الغزوة، قتل سورة بن أبجر التميمي. [65] و كان سبب ذلك أن

عبد الله بن حبيب قال للجنيد:

- «اختر بين أن تهلك أنت أو سورة.» فقال:

- «هلاك سورة أهون عليّ.» قال:

- «فاكتب إليه، فليأتك في أهل سمرقند، فإنَّ التَّرك إن بلغهم أنَّ سورة قد

توجَّه إليك انصرفوا إليه، فقاتلوه.»

فكتب إلى سورة يأمره بالقدوم عليه، و قيل: كتب إليه: «أغثنى.»

فقال عبادة بن السليل لسورة:

- «انظر أبرد بيت بسمرقند، فنم فيه. فإنَّك إن خرجت لا تبالى أسخط عليك

الأمير، أم رضى.»

و قال له حُلَيْس^(٣) بن غالب الشَّيباني:

- «إنَّ التَّرك بينك و بين الجنيد، فإن خرجت كرَّوا عليك، فاخطفوك.»

١. الجنيد: تكملة من الطبرى (٩: ١٥٣٩).

٢. فقتل: سقطت في مط من قوله «فقتل» إلى قوله: «بأذريجان».

٣. حُلَيْس: كذا في الأصل و الطبرى. (٩: ١٥٣٩) في مط: حلس.

فكتب إلى الجنيد:

- «إني لا أقدر على الخروج».

فكتب إليه الجنيد:

- «يا بن اللخناء، لتقدمن، أو لا وجهن شداد بن خالد الباهلي و كان له عدوا

فاقدم، وضع فلاناً بفرخشاذ في خمسمائة ناشب، و الزم الماء، فلا تفارقه».

فأجمع على المسير. فقال له الوجف بن خالد العبدى:

- «إنك لمهلك نفسك و العرب و من معك بمسيرك» قال:

- «لا بد».

فقال له عبادة [66] و حليس:

- «أما إذا أبيت فخذ على النهر» فقال:

- «أنا لا أصل إليه على النهر في يومين، و بينى و بينه من هذا الوجه ليلة

فأصبحه، فإذا سكنت الرجل^(١) سرت فصبحت».

ذكر إفشاء سره في ذلك حتى هلك هو و من معه

فكان خطأه في هذا الرأي أن أظهره، و كان ينبغي أن يمرض بغير الطريق

الذى^(٢) يسلكه. فلما قال ما قاله، جاءت عيون الأتراك إلى خاقان، فأخبروه

بما عزم عليه سيورة.

و أمر سيورة بالرحيل، و استخلف على سمرقند موسى بن أسود، و خرج في

اثني عشر ألفاً. فأصبح على رأس جبل دله عليه عِلج. فتلقاه خاقان حين

أصبح، و قد سار ثلاثة فراسخ، و بينه و بين الجنيد فرسخ.

١. الرجل: كذا في مط و الطبرى (٩: ١٥٤٠): الرجل. نقطة الجيم غير واضحة في الأصل.

٢. الذى: ساقطة في الأصل و موجودة في مط.

فقال بعض الرواة و هو أبو الذّئال:

- «قاتلهم في أرض حوارة».

فصبر، و صبروا حتّى اشتدّ الحرّ، فقال له غورك:

- «يومك يوم حارّ، فلاتقاتلهم حتّى تحمى الشمس عليهم، و عليهم السّلاح،

يشقلهم».

فأخذ خاقان برأيه، و أشعل النيران في الحشيش، و واقعهم، و حال بينهم و

بين الماء.

فقال سورة لعبادة:

- «ماذا ترى يا با السليل؟» قال:

- «تركّت الرأى» قال:

- «فما ترى الآن؟» قال:

- «أن تُشرع الرّماح، و ترحف [67] زحفاً، فإنما هو فرسخ حتّى تصل إلى

العسكر» قال: «لا أقوى على هذا، و لا يقوى فلان و فلان و عدّد رجالاً و

لكنّى أرى أن أجمع الخيل و من أرى أنّه يقاتل، فأصكّهم به، سلمت أم

عطبت».

فجمع النّاس، و حملوا، فانكشف التّرك، و ثار الغبار، فلم يُبصروا. و كان

وراء التّرك لهبٌ فسقطوا فيه، سقط فيه العدوّ و المسلمون، و سقط سورة،

فاندقت فخذُه، و تفرّق النّاس، فانجلت الغبرة و النّاس متفرّقون. فعطفت التّرك،

فقتلوهم لم ينجُ منهم إلّا ألف رجل.

فانحاز المهلب بن زياد العجلي في سبعمائة إلى رُستاق يُعرف بالمرغاب،

فأصيب المهلب بالمرغاب. لأنّ القوم تبعوهم و قاتلوهم، و قاتلهم أهل قصر من

قصور المرغاب. فلمّا أصيب المهلب، ولّوا أمرهم الوجفّ بن خالد.

فقال لهم غورك و كان في من تبعهم مع التّرك:

- «يا وَجَفْ، لكم الأمان.»

فقال قريش بن عبد الله.

- «لا تثنقوا بهم. و لكن إذا جئنا^(١) الليل خرجنا عليهم حتى نأتى سمرقند. فإننا إن أصبحنا قتلونا.»

فعصوه و أقاموا. فساقوهم إلى خاقان فقال:

- «لا أجيز أمان غورك.»

فقال غورك للوجف:

- «أنا عبد لخاقان، من شاكرته.» قال:

- «فليم غررتنا؟»

فقاتلهم الوجف و أصحابه [68] فقتلوا غير سبعة عشر رجلاً دخلوا حائطا فأمسوا. فقطع المشركون شجرة فألقوها على ثلثة الحائط، فجاء قريش بن عبد الله العبدى إلى الشجرة، فرمى بها، فخرج فى ثلاثة، فأتوا ناؤوساً فكمنوا فيه، و جهن الآخرون، فقتلوا حين أصبحوا، وقتل سورة.

و كان الجنيد خرج من الشعب لما اشتغل الترك بسورة، و بادر بالسير، و كان خالد بن عبيد الله بن حبيب يقول له:

- «سِرْ، سِرْ.»

و مجشّر بن مزاحم السلمى يقول:

- «أذكرك الله، أقيم.»

والجنيد يتقدم. فلما رأى المجشّر ذلك، نزل، فأخذ بلجام دابة الجنيد. فقال:

- «و الله، لا تسير و لتنزلن طائعا أو كارها، و لا ندعك تهلكنا بقول^(٢) هذا

١. جئنا: كذا فى الأصل و الطبرى (٩: ١٥٤٢): جئنا. فى مط: جاءنا. فى حواشى الطبرى: أجئنا.

٢. بقول: كذا فى الأصل و الطبرى (٩: ١٥٤٣): بقول. و ما فى مط: يقول.

الهجرى، انزل.»

فنزل، و نزل الناس، فلم يتنام نزلهم حتى طلع التّرك.
فقال المجشّر:

- «لو لقونا و نحن نسير، أ لم يستأصلونا؟»

فلما أصبحوا تناهضوا، فأنكشفت طائفة و جال الناس.
فقال الجنيد:

- «أيها الناس، إنها النار.»

فتراجعوا، و أمر الجنيد رجلاً فنادى:

- «أي عبدٍ قاتلَ فهو حرٌّ.»

فقاتل العبيد قتالاً عجباً عجب منه الناس، و جعل أحدهم يأخذ اللبّد،
فيجوبه^(١)، و يجعله فى عنقه يتوقّى به، فسّر الناس بما رأوا من صبرهم، [69] و
حمل العدو، و صبر الناس حتى انهزم العدو. فقال موسى بن النّعر للناس:
- «أتفرحون بما رأيتم من العبيد! و الله، إنّ لكم منهم ليوماً أروّنان^(٢).»

و مضى الجنيد إلى سمرقند، فحمل عيال من كان مع سورة إلى مرو. و كان
المجشّر صاحب رأى فى الحرب يُرجّع إليه. و أمّا عبيد الله بن حبيب فكان له
تعبئة فى القتال و علم به، و كان عبد الرحمن بن ضُبْح الحرّقى إذا نزل الأمر
العظيم فى الحرب، لم يكن لأحد مثل رأيه.

و لما انصرف التّرك إلى بلادهم بعث الجنيد بنهار بن توسعة مع ابن عمّ له
إلى هشام بن عبد الملك يُخبره.

١. فيجوبه: كذا فى الأصل: يجوبه. فى مط: يحويه يحويه (بالتكرار). و ما فى الطبرى
(٩: ١٥٤٣): يجوبه. و فى حواشيه: فيحربه. جاب الثوب: قطعه.

٢. أرونان: كذا فى الأصل و الطبرى (٩: ١٥٤٣): أروّنان. فى مط: أروبان. و فى حواشى
الطبرى: أرونان، أزوفان، أروزبان.

- «أَنَّ سَوْرَةَ عَصَانِي. أَمْرَتَهُ بِلِزْزُومِ الْمَاءِ، فَلَمْ يَفْعَلْ، وَ تَفَرَّقَ أَصْحَابُهُ، وَ أَصِيبَ سَوْرَةُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ.»

فَدَعَا هِشَامُ بِنَهَارَ بْنَ تَوْسَعِهِ، فَاسْتَخْبِرَهُ الْخَبِيرَ، فَأَخْبِرَهُ بِجَمِيعِ مَا شَهِدَ. وَ كَانَ الْجَنْدِيُّ أَوْفَدَ إِلَى خَالِدٍ، وَ أَوْفَدَ خَالِدٌ إِلَى هِشَامٍ يَحْسُنُ أَمْرَهُ فِي قَتْلِ سَوْرَةَ. فَقَالَ هِشَامُ:

- «إِنَّا لِلَّهِ، وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. مَصَابِ سَوْرَةَ بِخِرَاسَانَ، وَ الْجِرَّاحَ بِالْبَابِ.»
فَكَانَ أَبْلَى نَصْرٍ بِنَ سَيَّارِ يَوْمِ الشَّعْبِ، فَانْقَطَعَ سَيْفُهُ، وَ انْقَطَعَ سِيرٌ^(١) رِكَابِهِ. فَأَخَذَ سَيُورٌ^(٢) رِكَابَهُ يَضْرِبُ بِهَا مَنْ كَانَ يِقَاتِلُهُ [٧٠] حَتَّى أَثْخَنَهُ، وَ سَقَطَ فِي اللَّهْبِ مَعَ سَوْرَةَ جَمَاعَةٌ يَوْمئِذٍ، فَلَمْ يَشْكُرِ الْجَنْدِيُّ لِنَصْرِ مَا كَانَ مِنْ بِلَائِهِ. فَقَالَ نَصْرٌ:

إِنْ تَحْسَدُونِي عَلَى حُسْنِ الْبَلَاءِ لَكُمْ يَوْمًا، فَمِثْلُ بِلَائِي جَرٌّ لِي حَسَدًا
يَأْتِسِي إِلَهُ الَّذِي أَعْلَى بِقَدْرَتِهِ كَعَبِي عَلَيْهِمْ، وَ أَعْطَى فَوْقَكُمْ عِضْدًا
وَ ضَرَبِي التَّرِكَ عَنْكُمْ يَوْمَ فَرَقِكُمْ بِالسَّيْفِ فِي الشَّعْبِ، حَتَّى جَاوَزَ السَّنْدَا

ذَكَرَ آرَاءَ أَشِيرَ بِهَا عَلَيْهِ، فَأَخَذَ بِأَصُولِهَا^(٣)

وَ لَمَّا أَقَامَ الْجَنْدِيُّ بِسَمَرْقَنْدٍ، وَ انْصَرَفَ خَاقَانَ إِلَى بَخَارَى، وَ كَانَ عَلَيْهَا قَطْنُ بَنِ قَتِيْبَةٍ، فَخَافَ النَّاسُ عَلَى قَطْنٍ مِنَ التَّرِكَ. فَشَاوَرَهُمُ الْجَنْدِيُّ. فَقَالَ قَوْمٌ:
- «إِلْزَمِ سَمَرْقَنْدَ، وَ اكْتُبْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَمْدُكَ بِالْجُنُودِ.» وَ قَالَ قَوْمٌ:
- «بَلْ تَسِيرُ وَ تَأْتِي رَبَّنَجْنَ، ثُمَّ تَسِيرُ مِنْهَا إِلَى كَيْسَ ثُمَّ إِلَى نَسَفَ، فَتَصِلُ مِنْهَا إِلَى أَرْضِ زَمَ، وَ تَقْطَعُ النَّهْرَ، فَتَنْزِلُ آمُلَ، فَتَأْخُذُ عَلَيْهِ بِالطَّرِيقِ.»

١. سير: كذا في الأصل و الطبري: سير. و في الطبري (٩: ١٥٤٦): سيور.

٢. سيور: كذا في الأصل و الطبري: سيور. و في مط: سورة!

٣. نقلنا العنوان إلى فوق بسطرين.

فبعث إلى عبد الله بن أبي عبد الله، فقال:

- «قد اختلف الناس على فأخبره بما قالوا فما [71] الرأي؟»

فاشترط عليه ألا يخالفه في ما يشير به من ارتحال و نزول أو قتال. قال:

- «نعم.»

- «فإني أطلب إليك خصالاً.» قال:

- «ما هي؟» قال:

- «تخندق حيشما نزلت، و لا يفوتك حمل الماء و لو كنت على شاطئ نهر،

و أن تطيعني في نزولك و ارتحالك.

فأعطاء ما أراد. فقال:

- «أما ما أشاروا به عليك في مقامك بسمرقند حتى يأتبك الغياث، فالغياث

يُبطئ عليك. و إن سرت فأخذت بالناس غير الطريق، فتت في أعضادهم و

انكسروا عن عدوهم، و اجتراً عليك خاقان و هو اليوم قد استفتح بخارى و لم

تفتح له. فإن أخذت بهم في غير الطريق، تفرق الناس عنك مبادرين إلى

منازلهم، و يبلغ أهل بخارى فيستسلمون لعدوهم و إن أخذت الطريق الأعظم،

هابك العدو. و الرأي أن تعمد إلى عيالات من شهد الشعب و أصحاب سورة،

فتقسمهم على عشائريهم، و تجعلهم معك، فإني أرجو أن ينصرك الله على عدوك

و تُعطى كل رجل تخلف^(١) بسمرقند ألف درهم و فرسا.

فأخذ برأيه، و خلف بسمرقند عثمان بن عبد الله بن الشخير في ثمانمائة

رجل فرسانا [72] و رجالة، و أعطاهم سلاحاً.

فشتم الناس عبد الله بن أبي عبد الله و قالوا:

١. كذا في مط و الطبري (٩: ١٥٤٩) تخلف (بالخاء المعجمة) و ما في الأصل: تحلف (بالمهمل).

- «عَرَضْنَا لِلْهَلَاكِ».

و أمر الجنيد بحمل العيال، و خرج معه النَّاسُ، و على طلائعه الوليد بن القعقاع، و سَرَّحَ الجنيد الأشهب بن عُبَيْد الحنظلي و معه عشرة من طلائع الجند، و قال له:

- «كَلَّمَا مَضَيْتَ مَرَحَلَةً، فَسَرَّحْ إِلَيَّ رَجُلًا يُعَلِّمُنِي الْخَيْرَ».

و سار الجنيد، فلمَّا صار بقصر الرِّيح، أخذ عطاء^(١) الدَّبُوسِيَّ^(٢) بلجام فرس الجنيد، فكبحه ففرع رأسه هارون الشَّاشِي مولى ابن خازم بالرَّمْح حتَّى كسره على رأسه.

فقال الجنيد لهارون: «خَلَّ عَنِ الدَّبُوسِيَّ» و قال له:

- «مَالِكُ يَا دَبُوسِيَّ؟» قال:

أنظر أضعف شيخ في عسكريك، فسَلِّحْه سلاحاً تامًّا، وقلِّده سيفاً وجعبةً وترساً، و أعطه رمحاً، ثم سِرُّ بنا على قدر مشيه، فإنَّا لا نقدر على السُّوق و القتال و سرعة السَّير و نحن رجالة».

ففعل ذلك الجنيد، فلم يعرض النَّاسُ عارض حتَّى خرجوا من الأماكن المخوفة، و دنا من الطواويس، فجاءتنا الطلائع بإقبال خاقان، فعرضوا لهم بكرمينية أوَّل يوم من شهر رمضان. فلمَّا ارتحل الجنيد من كرمينية قدَّم محمد بن زيد^(٣) في الأساورة آخر النَّهار [73] فلمَّا كان في طرف مفازة كرمينية رأى العدوَّ ضعيفاً. فرجع إلى الجنيد، فأخبره. فنادى منادى ألا يخرج المكذَّبون^(٤)

١. عطاء: في الأصل: عطا. من دون همزة.

٢. الدَّبُوسِيَّ: كذا في الأصل و الطبري (٩: ١٥٥٠). في مط: الديوسي.

٣. زيد: كذا في الأصل: زيد. في مط: يزيد. في الطبري (٩: ١٥٥٠): الرندي.

٤. المكذَّبون: كذا في الأصل و مط: المكذبون. في الطبري (٩: ١٥٥٠): المكثَّبون. و في حواشيه: المكذبون.

إلى عدوهم. فخرج الناس و شبت الحرب، و جاء عبد الله بن أبي عبد الله إلى الجنيد يضحك.

فقال له الجنيد:

- «ما هذا بيوم ضحكك» قال:

- «بلى، والحمد لله، إذ لم يلقك هؤلاء إلا في حال معطشة على ظهر و أنت مخندق آخر النهار، بل أتوك كآلين و أنت مستريح، معك الزاد.»
فما قاتل الترك إلا قليلاً، ثم رجعوا.

و كان عبد الله بن أبي عبد الله قال للجنيد و هم يقاتلون:

- «ارتحل.» فقال الجنيد:

- «فهل من حيلة؟» قال:

- «نعم، تمضي برايتك^(١) قدر ثلاث غلوات^(٢)، فإن خاقان يود أنك لو أقمت، فينطوي عليك إذا شاء.»

فأمر بالرحيل و عبد الله بن أبي عبد الله على الساقة. ثم أرسل إليه أن:

«أنزل.» قال:

- «أنزل على غير ماء؟»

فأرسل إليه:

- «إن لم تنزل ذهبت خراسان من يدك.»

فنزل، و أمر الناس أن يستقوا. فذهب الناس الرجال و الناشبة و هما صفان، فاستقوا، و باتوا، فلمّا أصبحوا ارتحلوا.

فقال عبد الله بن أبي عبد الله:

١. برايتك: كذا في الأصل و الطبري: برايتك. و ما في مط: بمراتبك.

٢. غلوات: كذا في الأصل: غلوات. في الطبري (٩: ١٥٥١): غلاء. في مط: غاوات.

- «إنكم معشر العرب أربعة جوانب، فليس [74] يُغِيثُ^(١) بعضكم بعضاً، كلُّ رُبْعٍ لا يقدر أن يزول عن مكانه مقدّمة و هم: القلب و مجنّبتان و ساقّة، فإن جمع خاقان خيله و رجاله، ثمّ صدم جانباً منكم و هم ساقه كان يواركم، و بالحرى أن يفعل^(٢)، و أنا أتوقّع ذلك في يومي، فشذّوا السّاقّة بخيل.»

فوجّه الجنيد بخيل بنى تميم و المجفّفة، و جاءت التّرك، فسالت على السّاقّة و قد دنا المسلمون من الطّواويس، فاقتتلوا و اشتدّ الأمر بينهم، فحمل سلّم بن أحوز على عظيم من عظماء التّرك، فقتله، فتطير التّرك و انصرفوا من الطّواويس، و مضى المسلمون فأتوا بخارى يوم المهرجان، فتلّقاهم أهل بخارى بالذّراهم البخاريّة، ففرّق فيهم عشرة عشرة.

و كان الجنيد يذكر خالد بن عبد الله و يقع^(٣) فيه و يقول:

- «ربذة بن^(٤) الرّيد، صنبور^(٥) بن صنبور، قُلّ بن قُلّ، هيفة بن^(٦) الهيف.»

و قدمت الجنود على الجنيد مع عمرو بن مسلم الباهلي في أهل البصرة، و مع عبد الرحمن بن نعيم الغامدي^(٧) في أهل الكوفة و هو بالصّغانيان، و ابتداء الشّعراء يمدحون نصر بن سيّار و يذكرون بلاءه، و يذمّون الجنيد، فتركنا ذكرها. [75]

١. يغيث: كذا في الأصل و مط: يغيث. و ما في الطبري (٩: ١٥٥١): يعيب.

٢. يفعل: كذا في الأصل و الطبري (٩: ١٥٥٢): يفعل. في مط: تفعل.

٣. يقع فيه: يسبه و يعيبه و يفتابه.

٤. ربذة بن: كذا في الأصل: ربذة بن. في مط و الطبري (٩: ١٥٥٢): ربذة من. و في حواشي الطبري: زبذة من الزيد.

٥. صنبور بن صنبور: كذا في الأصل و الطبري (٩: ١٥٥٢): صنبور بن صنبور. في مط: سنور بن سنور.

٦. في الطبري (٩: ١٥٥٢): من الهيف.

٧. الغامدي: كذا في الأصل: الغامدي. في مط: العامدي. في الطبري: العامري.

و دخلت سنة ثلاث عشرة و مائه

و فى هذه السنة هلك عبدالوهاب بن بُخت و هو مع البطال بأرض الروم. غزا معه فى هذه السنة، فانهزم الناس عن البطال، فانكشفوا، فجعل عبدالوهاب يُكرّ^(١) فرسه و يقول:

- «ما رأيت فرسا أجبن منه، سفك الله دمي إن لم أسفك دمك.»

ثم ألقى البيضة عن رأسه و صاح:

- «أنا عبد الوهاب بن بُخت، إلى أين أيها الناس؟ أ من الجنة تفرّون؟»

ثم تقدّم فى نحور العدو، فمرّ برجل و هو يقول:

- «واعطشاه!» فقال:

- «تقدّم، الرّىّ أمامك.»

قال: فخالط القوم، و قُتل و قُتل فرسه.

و فى هذه السنة صار من دعاة ولد العباس جماعة إلى خراسان، فأخذ

الجُنيد رجلاً منهم، فقتله، ثم قال:

- «من أصيبت منهم قدمه هدر.»

و دخلت سنة أربع عشرة و مائة

و فيها ولى عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي خراسان، و توفى الجُنيد قبل أن يصل إليها.

و كان سبب ولاية عاصم أن الجُنيد تزوّج الفاضلة بنت يزيد بن [76]

١. يكرّ: كذا فى الأصل: يكرّ. فى الطبرى (٩: ١٥٦٠): يكرّ. بالراء المعجمة. فى حواشيه: يكرّ، كما فى الأصل. فى مط: تكرّ.

المهلب، فغضب هشام على الجنيد، و كان بين عاصم و بينه عداوة شديدة،
فولاه خراسان و قال:

«إن أدركته و به رمق فأرهق نفسه.»

و إنما قال ذلك، لأن الجنيد كان قد استسقى بطنه، فمات الجنيد قبل وصول
عاصم.

فقال أبو الجويرية:

هلك الجود و الجنيد جميعاً فعلى الجود و الجنيد السلام
أصبحتا ثاوين في بطن مرو ما تغنى على القصور الحمام
كُنْثما نُهْزَةَ الكِرام، فلمّا ميتٌ مات الندى و مات الكرام

و في هذه السنة خلع الحارث بن سريج، و كانت الحرب بينه و بين عاصم
بن عبد الله. و ذلك أن عاصمًا لمّا قدم خراسان، أقبل الحارث بن سريج حتّى
قدم بلخ، و عليها نصر بن سيار، و البُختى^(١) بن ضبيعة المَرّى و لاهما الجنيد.
فلما انتهى إلى قنطرة عطاء، و هى على نهر بلخ على فرسخين من المدينة،
تلقاه نصر بن سيار فى عشرة آلاف، و الحارث بن سريج فى أربعة آلاف.
فدعاهما الحارث إلى الكتاب و السنة و البيعة للرضا.
فقال قطن بن عبد الرحمن بن حرّ^(٢) الباهلى:

«يا حارث، أنت تدعو إلى كتاب الله و السنة. [77] و الله، لو أن جبرئيل عن
يمينك و ميكائيل عن يسارك، ما أجبتك.»

١. البُختى: الأصل يشبه أن يكون هكذا: البختى. ما فى مط مهمل و فى الطبرى (٩):
(١٥٦٦): التجيبي. و فى حواشيه: النجى، البختى (با همال الثالث)، المحيى، المحتى.
٢. حرّ: كذا فى الأصل و مط و ما فى الطبرى (٩: ١٥٦٧): جزى.

و قاتلهم، فأصابته رمية فى عينه، فكان أول قتيل، و انهزم إلى المدينة أهل بلخ، و اتبعهم الحارث حتى دخلها و خرج نصر من باب آخر، فأمر الحارث بالكف عنهم، و خرج إلى الجوزجان، و استعمل على بلخ رجلا من ولد عبد الله بن خازم.

ثم استشار أصحابه فى قصد مرو. فقال له أبو فاطمة:

- «مرو بيضة خراسان، و فرسانهم كثير، لو لم يلقوك إلا بعدهم لا نتصفوا منك، فأقم، فإن أتوك قاتلتهم، و إن أقاموا قطعت المادّة عنهم.»
فعصاه و غيره^(١) و سار.

فقال أهل الدّين من مرو:

- «إن مضى إلى أبرشهر و لم يأتنا فرّق جماعتنا، و إن أتانا نُكِبَ.»
و بلغ عاصما أنّ أهل مرو يكاتبون الحارث، فأجمع على الخروج و قال:
- «يا أهل خراسان، قد بايعتم الحارث بن سريج، و إنّه قصد بلخ و الجوزجان و الفارياب و الطّالقان و مرو الرّوذ ففتحها، و ليس يقصد مدينة إلاّ خلّيتموها له. أنا لا حق بأرض قومي أبرشهر، و كاتب منها أمير إلى المؤمنين حتّى يمدّنى بعشرين ألفا من أهل الشّام.»
فقال له مُجشّر بن مزاحم:

- «إن أعطوك بيعتهم بالطلاق و العتاق [78] فأقم، و إن أبوا، فيسرّ حتّى تنزل أرض أبرشهر و تكاتب أمير المؤمنين.»

فقال خالد بن هُرَيم^(٢) و هلال بن عُلَيم:

- «لا و الله، لا نخليك و الذّهاب، فيلزمنا ذنبك عند أمير المؤمنين، و نحن

١. و غيره: كذا فى الأصل: و غيره. فى مط: و عبر.

٢. هُرَيم: كذا فى الأصل و الطبري (٩: ١٥٦٩): هريم. فى مط: هُرَيم (بالزاء المعجمة)

معك حتّى نموت إن بذلت الأموال.» قال:

- «فإني أفعل.»

قال يزيد بن قران الرياحي:

- «إن لم أقاتل معك ما قاتلت، فبنت الأبرد بن قرة الرياحي طالق ثلاثاً.»

و كانت عنده. فقال عاصم:

- «كلّكم على هذا؟» قالوا:

- «نعم.»

و كان سلمة بن أبي عبد الله صاحب حرسه يحلفهم بالطلاق.

و أقبل الحارث بن سريج إلى مرو في جمع كثير يقال ستون ألفاً، و معه

فرسان الأزدي و تميم و عدّة من الدهاقين، و خرج عاصم في أهل مرو، و

غيرهم، فعسكر عند البيعة وقال: فأعطى الناس ديناراً ديناراً، فخفت عنهم

الناس، و أعطاهم ثلاثة دنائير ثلاثة دنائير. فلما قرب بعضهم من بعض، أمر

بالقناطر فكسرت. فجاء أصحاب الحارث، فقالوا:

- «تحصرونا في البريّة^(١)، دعونا تقطع إليكم فنناظركم في ما خرجنا له.»

فأبوا عليهم. و ذهبت رجالتهم يصلحون القناطر، و أتاهم رجالة مرو

يقاتلونهم و يمنعونهم. فمال محمد بن المثنى برايته إلى عاصم، فلما فعل ذلك

بدأ أصحاب الحارث بالحملة، و التقى الناس، فقتل قوم و انهزم أصحاب

الحارث، ففرق بشر كثير من أصحاب [79] الحارث و مضت الدهاقين إلى

بلادهم. فأرسل عاصم بجماعة إلى الحارث يسأله ما يريد. فبعث الحارث إليه

بمحمد بن مسلم وحده، فرجع معهم، و قال لهم:

- «إن الحارث و إخوته يقرأون عليكم السلام و يقولون: قد عطشنا، فدعوا

١. البريّة: كذا في الأصل و الطبري (٩: ١٥٧٠): البريّة. و في مط: البويد. و هو خطأ.

تنزل الليلة و تتناظر غدا، فإن اتفقنا، و إلا كنتم من وراء أمركم.»
فأبوا عليه. فقال مقاتل بن حيان:

- «يا أهل خراسان، كنّا بمنزلة أهل بيت واحد، ثغرنا واحد، و يدنا على
عدونا واحدة، و قد أنكرنا ما صنع صاحبكم. وجه إليه أميرنا بجماعة الفقهاء و
القرّاء من أصحابه، و وجه [هو] رجلا واحدا.» قال محمّد:

- «إنما أتيتكم مبلغا، و سيأتيكم الذي تطلبون غداً إن شاء الله.»
و انصرف محمّد بن مسلم إلى الحارث.

و سار الحارث، فبلغ عاصما، فلما أصبح سار إليه، فالتقوا و اقتتلوا، فهزم
أصحاب الحارث و قتلوا قتلا ذريعا، و قطع الحارث وادى مرو، و ضرب رواقاً.
فكفّ عنه عاصم، و لو ألحّ في طلبه لأهلكه.

و كان الحارث قال لأصحابه:

- «لا يُردّ لى راية.»

فلما هُزم هذه الهزيمة، أجمع أصحابه على مفارقتة.

و كان عاصم لما رأى الحارث يستفحل أمره و الناس يميلون إليه و هو
يفتح كلّ يوم [80] مدينة، هابه و انهزم أصحابه، و خشى أن يُبطى عنه المدد من
جهة الخليفة فيهلك.

و دخلت سنة سبع عشرة و مائة

و فيها عزل هشام بن عبد الملك عاصم بن عبد الله عن خراسان و ضمّها إلى
خالد بن عبد الله، فولّاهما أخاه أسد بن عبد الله.

ذكر السبب فى ذلك

كان عاصم كتب إلى هشام بن عبد الملك:

- «أما بعد، يا أمير المؤمنين، فإنّ الزائد لا يكذب أهله. و قد كان من أمير

المؤمنين إلى ما يحق به على النصيحة له، وإن خراسان لا تصلح إلا أن تُضم إلى صاحب العراق، فتكون موادها و معونتها في الأحداث و النوائب من قريب لتباعد أمير المؤمنين عنها و تباطؤ غيائه عمّن يكون بها.

فلما أمضى كتابه، أخرج حديثه إلى أصحابه، مثل مجشّر بن مزاحم و يحيى بن خُصين و أشباههم. فقال لهم المجشّر بعد ما مضى الكتاب:

«كأنك بأسد قد طلع عليك».

فقدم أسد بعد كتاب عاصم بشهرين.

ثم عاد الحارث و استعدّ و أراد مناجزة عاصم. فلما بلغ عاصماً أنّ أسد بن عبد الله قد أقبل، صالح الحارث، و كتب بينه وبينه كتاباً على أن ينزل الحارث أيّ كُور خراسان [81] شاء، على أن يكتبوا^(١) جميعاً إلى هشام يسألونه كتاب الله و سنة نبيّه. صلى الله عليه فإن أبي، أجمعوا أمرهم جميعاً عليه.

فختم على الكتاب جماعة من الرؤساء ممّن رضى به، و أبي يحيى بن خُصين و قال:

«هذا خلع لأمير المؤمنين».

و كان في بعث الشام رجل من اليمانية يُعدل بألف رجل، اختارته اليمانية، يُكنّى أبا داود، و كان في خمسمائة. فكان لا يمرّ بقرية من قرى خراسان إلا قال لأهلها:

«انتظروني^(٢)، فكانكم بي قد مررت بكم راجعاً حاملاً رأس الحارث بن سريج».

فلما التقوا خرج و دعاه إلى البراز، فبرز له الحارث بن سريج، فضربه فوق

١. يكتبوا: كذا في الأصل و مط: يكتبوا. في الطبري (٩: ١٥٧٧): يكتبوا.

٢. انتظروني: كذا في الأصل. في مط: انتظروني.

منكبه الأيسر، فصرعه، و حامى أصحابه فحملوه، فخلوط فكان يقول:

- «يا أبرشهر^(١)، يا أصحاب العموداه^(٢)، الحارث بن سريجاه.»

و رمى الحارث بن سريج رجل من أهل الشام بنشابة فأصابته لُبَان فرسه، فاستحضره و ألح عليه بالضرب حتى^(٣) عرّقه و شغله عن ألم الجراحه، فحمل الشامي عليه برمحه، حتى إذا ظن أن الرمح قد خالطه، مال الحارث عن فرسه، ثم لحق الشامي. فقال له الشامي:

- «بحرمة الإسلام إلا كففت عن دمي.» قال:

- «إنزل عن فرسك.»

فنزل، و ركب الحارث.

و عظم أهل [82] الشام يحيى بن الخُصين لما كان منه فى أمر الكتاب الذى كتبه عاصم. و كان هشام لما بلغه أمر الحارث بن سريج و كتاب عاصم، كتب إلى خالد بن عبد الله:

- «إبعث أخاك ليصلح ما أفسد. فإن كانت وجبة فلتكن به.»

فوجه أخاه أسدا إلى خراسان و ما يملك عاصم من خراسان إلا مرو و ناحية أبرشهر، و الحارث بن سريج بمرو الرّوذ، و خالد بن عبد الله الهجرى بآمل من قبل الحارث. فأقام أسد أيتاماً يروى: أ يقصد الحارث بمرو الرّوذ، أم خالد بآمل؟ حتى أجمع على توجيه عبد الرحمن بن نعيم الغامدى فى أهل الكوفة إلى الحارث، و سار أسد إلى آمل، فلقيه خيل عظيمة لأهل آمل عليها

١. يا أبرشهر: كذا فى الأصل و مط و الطبرى (٩: ١٥٨٠): يا أبرشهر. فى حواشى الطبرى: يا ابن شهر.

٢. العموداه: كذا فى الأصل: العموداه. فى مط: العمود. فى الطبرى (٩: ١٥٨٠): المعموراه. فى حواشيه: المعموداه.

٣. حتى عرّقه: فى الطبرى: حتى نرّقه و عرّقه.

زياد القرشي^(١) فهزمهم، و تحصنوا في ثلاث مدائن لهم، و نزل عليهم أسد و حصرهم و نصب المجانيق عليهم و هناك خالد بن عبد الله الهجرى من قبل الحارث بن سريج، فلما ضاق عليهم الحصار طلبوا الأمان.

فخرج إليهم بعض أصحاب أسد و قال:

- «يقول لكم الأمير: ما تطلبون؟» قالوا:

- «كتاب الله وسنة نبيه.» قال:

- «فلكم ذلك.» قالوا:

- «على ألا يأخذ أهل المدن بجنائتنا.»

فأعطاهم ذلك.

و سار أسد إلى بلخ في طريق زم، و كان أهل بلخ [83] قد تابعوا^(٢) سليمان بن عبد الله بن خازم، فقدم بلخ، ثم اتخذ سفناً، و سار منها إلى الترمذ، فوجد الحارث محاصراً لها، و كان مع الحارث وجوه الناس و معه السيل^(٣). فنزل أسد دون النهر، و لم يُطق العبور إليهم، و لا أن يُعد أهل الترمذ، إلا أن أهل الترمذ قد قويت نفوسهم، فهم يخرجون و يقاتلون أشد قتال.

فكان أصحاب الحارث من القراء يأتون أبواب الترمذ، فيبكون عندهم، فيشكون جور بني مروان، و يسألونهم أن يُمالئوهم على حرب بني مروان، حتى تكون أيديهم واحدة، فيأبون عليهم.

فقال السيل يوماً للحارث و هو معه:

- «يا حارث، إن الترمذ بُنيت بالطبول و المزامير، و لا تُفتتح بالبكاء، إنما تُفتتح

١. القرشي: كذا في الأصل: القرشي (بالفتح). و ما في الطبرى (٩: ١٥٨٢): القرشي.

٢. قد تابعوا: كذا في الأصل: قد تابعوا. في مط و الطبرى (١٥٨٣): قد بايعوا.

٣. السيل: كذا في الأصل: السيل. في مط: السبيل. في الطبرى (٩: ١٥٨٣): السبل. في حواشيه: البيل، السيل.

بالسيف، فقاتل إن كان بك قتالاً.»

فتركه السيل و أتى بلاده و ارتحل أسد إلى بلخ، و خرج أهل الترمذ إلى حارث، فقاتلوه و وثبتوا حتى هزموه، و قتلوا أبا فاطمة و عكرمة و خلقاً من أهل البصائر.

و سار أسد إلى سمرقند على طريق زَمَّ و كان بزَمَّ القاسم الشيباني بحصن هناك. فلمَّا مرَّ به أسد لم يعرض له. و لمَّا عاد في هذا الوقت مجتازاً به، بعث إلى الهيثم الشيباني و هو بزَمَّ أيضاً [84] في طاعة الحارث. فقال له:

«إنكم ما أنكرتم على قومكم إلا سوء سيرتهم، و لم يبلغ ذلك السبى و لا استحلال الفروج و لا غلبة المشركين على مثل سمرقند، و أنا أريد سمرقند، و لك عهد الله و ميثاقه أن لا يبدأك منى شر، و لك المواساة و اللطف و الكرامة و الأمان^(١) لمن معك، و إن أنت غمطت ما دعوتك إليه، فعلى عهد الله و ميثاقه و ذمة أمير المؤمنين و ذمة خالد، إن أنت رميت بسهم أن لا أومنك أبداً، و لا أفي لك بأمان إن جعلته لك.»

فخرج إليه على ما أعطاه من الأمان. فأمنه، و سار معه إلى سمرقند.

قتل دعاة بنى العباس بخراسان

و في هذه السنة أخذ أسد جماعة من دعاة بنى العباس بخراسان، فقتل بعضهم و مثل ببعضهم. فكان فيهم سليمان بن كثير، و مالك بن الهيثم، و موسى بن كعب، و لاهز بن قريط، و عدة منهم. فأمر موسى بن كعب، فأمر به فألجم بلجام حمار، و أمر باللجام أن يجذب، فجذب حتى تحطمت أسنانه، ثم أمر فوجئ لحياه، فنذر ضرسة. و ضرب لاهز بن قريط بالسوط، و أمر بصلبه، فتكلم

١. نهاية الصفحات الساقطة من مخطوطة آ (آستانقدس).

فيه الحسن بن زيد و قال:

- « هو لى جار و هو برئ [85] ممّا قُرف^(١) به.»

فوهبه له.

فقال:

- «و الآخرون أعرفهم بالبراءة.»

فخلّى سبيلهم و ضمنهم^(٢).

و دخلت سنة ثمانى عشرة و مائة

و فيها وجّه بُكير بن ماهان خِداشاً على خراسان يدعو إلى محمّد بن على، فصار واليا على شيعة بنى العباس. و يقال إنّ اسمه عمّار بن يزيد، فغيّر اسمه. فلمّا دعا الناس تسارعوا إليه، و قبلوا ما جاءهم به، و سمعوا و أطاعوا، حتّى غيّر ما دعاهم إليه، و تكذّب و أظهر دين الخُرُميّة و دعا إليه، و رخص لبعضهم نساء بعض، و أخبرهم أنّ ذلك دين محمّد بن على.

فبلغ ذلك أسد بن عبد الله، فوضع عليه العيون حتّى ظفر به، فأتى به فسأله فلم يلفظ به و جعل يغلظ فى بعض كلامه. فأمر به أسد فقطعت يده و قلع لسانه و سمل و صلب بآمل.

ثمّ إن أسدا لما انصرف من سمرقند سرح جديعا الكرمانى إلى القلعة التى فيها^(٣) الحارث من طخارستان العليا. فحصرهم و قتل مقاتلتهم، و كان فيها

١. قرف: كذا فى الأصل: قرف. فى مط: قرن. فى الطبرى (٩: ١٥٨٨): قذف.

٢. و ضمنهم: فى آ: «و ضمنهم إياه» بزيادة «إياه» و هى ليست لا فى الأصل و لا فى مط.

٣. فيها الحارث: كذا فى الأصل و مط و آ: فيها الحارث. فى الطبرى (٩: ١٥٨٩): فيها ثقل الحارث. و فى حواشيه حواشيه عن بعض الأصول: فيها أهل الحارث.

أصهار الحارث و رهطه، فسبى عامة أهلها من العرب و الموالى وغيرهم من
الذّراري، و باعهم فيمن يزيد بسوق بلخ. [86]

و السبب فى ذلك

و كان السبب فى ذلك أنّه كان قد نقم على الحارث نحو من خمسمائة رجل
من أصحابه أشياء و رئيسهم جرير بن الميمون القاضى، و همّوا بمفارقته.
فقال لهم الحارث:

«إن كنتم لا بُدَّ مُفارقى و طلبتم الأمان فاطلبوه و أنا شاهد، فإنّه أجدر أن
يجيبوكم، و إن ارتحلت قبل ذلك لم تُعطوا الأمان.»
فقالوا:

«إرتحل أنت عنا و خلّنا.»

ثمّ بعثوا من يطلب لهم الأمان، فوصل أسدا الرسول و أحسن إليه.
فقال الرسول:

«إنّ القوم فى القلعة، ليس لهم طعام و لا ماء.»

فغدر بهم و سرح أسد جديعاً الكرمانى فى سِتّة آلاف. فلمّا كان بينه و بين
القلعة فرسخ أو دونه، نزل حتّى وافاهم قوم فيهم المهاجر بن ميمون فى جماعة
مستأمنة. فتركهم حتّى اجتمعوا. ثمّ خطبهم فقال بعد حمد الله و الشّناء عليه:
«يا أهل بلخ، لا أجِدْ لكم مثلاً غير الزّانية من أتاها أمكنته من رجلها.
أتاكم الحارث فى ألف من العجم فأمكنتموه من مدينتكم، فقتل أشرافكم و طرد
أميركم. ثمّ سرتهم معه مكانفيه^(١) إلى مرو فخذلتموه. ثمّ انصرف إليكم منهزماً،

١. مكانفيه: كذا فى الأصل و مط. فى آ: مكانفيه. فى الطبرى (٩: ١٥٩١): من مكانفيه
(بزيادة «من»).

فأمكنتموه من المدينة. و الذي نفسى بيده، لا يبلغنى عن رجل منكم [87] كتب كتاباً إليهم فى سهم إلا قطعت يديه و رجله. فأما من كان معى من أهل مرو فهم خاصتى، ولست أخاف غدرهم.»

ثم نهذ إلى القلعة و حصرها و كان القوم مجهودين، قد جاعوا و عطشوا. فنادى مناديه أن:

— «قد نبذنا إليكم بالعهد.»

و قاتلوهم. فسألوا أن ينزلوا على الحكم و تترك نساؤهم و أولادهم، فنزلوا على حكم أسد. و أقام حتى رجع إليه جواب كتابه من أسد على يد المهلب بن عبد العزيز العتكي^(١) يكتب يقول فيه:

— «احمل إلى خمسين رجلاً منهم، و ليكن فيهم المهاجر بن ميمون و أمثاله من وجوههم.»

ففعل، فقتلهم أسد.

و كتب إلى الكرمانى أن يصير الذين بقوا عنده أثلاثاً. فثلاثاً يصلبهم، و ثلاثاً يقطع أيديهم و أرجلهم، و ثلاثاً يقطع أيديهم. ففعل ذلك الكرمانى و باع أثقالهم و ذراريتهم كما حكينا.

موت على بن عبد الله بن العباس

و فى هذه السنة مات على بن عبد الله بن العباس وله ثمان وسبعون سنة، و كان وُلد فى الليلة التى ضرب فيها على بن أبى طالب — رضى الله عنه^(٢) — فسمّاه عبدُ الله بن العباس أبوه عليّاً و كنّاه أبا الحسن و قال:

١. العتكي: كذا فى الأصل و آ، و الطبرى (٩: ١٥٩١): العتكي فى مط: العبلى.

٢. كذا فى الأصل و مط و آ: رضى الله عنه.

«سَمَّيْتَهُ بِاسْمِ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ».

و دخلت سنة تسع عشرة و مائة
و فيها لقي أسد صاحب الترك، فقتله و غنم كل ما معه، و قتل خلقا، و سلم
أسد و المسلمون [88].

ذكر الخبر عن هذه الواقعة
لَمَّا دخل أسد الخُتْل كتب ابن السَّائِجِي^(١) إلى خاقان يعلمه دخول أسد
الخُتْل، و تفرَّق جنده، و أَنَّهُ بِحَالٍ مُضِيعَةٍ.
و كان ابن السَّائِجِي هذا استخلفه السَّيْلُ عند موته و أوصى إليه. و سيجي
خبره إن شاء الله.

فَلَمَّا أَتَاهُ كِتَابُهُ تَجَهَّزَ، و كان لخاقان مرج و جبل جَمِيٌّ لَا يَقْرِبُهَا أَحَدٌ. فَصَادَ
مَا فِي الْمَرْجِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ و مَا فِي الْجَبَلِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. فَتَجَهَّزُوا وَ دَبَّغُوا جُلُودَ الصَّيْدِ،
وَ اتَّخَذُوا أَوْعِيَةً، وَ اتَّخَذُوا الْقِسِيَّ وَ النُّشَابَ، وَ دَعَا خَاقَانُ بِيرْذُونَ مُسَرِّجَ
مُلْجَمٍ، وَ أَمَرَ بِشَاةٍ فَقَطَّعَتْ، ثُمَّ عَلَّقَهَا فِي مَعَالِيقِ سَرَجِهِ، وَ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ مِلْحٍ،
فَصَيَّرَهُ فِي كَيْسٍ وَ جَعَلَهُ فِي مَنْطِقَتِهِ، وَ أَمَرَ كُلَّ تَرْكِيٍّ أَنْ يَفْعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ وَ قَالَ:

«هَذَا زَادَكُمْ حَتَّى تَلْقُوا الْعَرَبَ بِالْخُتْلِ».

فَلَمَّا أَحْسَسَ ابْنُ السَّائِجِي بِخَاقَانَ قَدْ أَقْبَلَ، بَعَثَ إِلَى أَسَدٍ:

«أَخْرِجْ عَنِ الْخُتْلِ، فَإِنَّ خَاقَانَ قَدْ أَظْلَمَكَ».

فَشْتَمَ أَسَدَ رَسُولَهُ وَ لَمْ يَصْدَقْهُ. فَبَعَثَ صَاحِبُ الْخُتْلِ:

١. السَّائِجِي: مَا فِي الْأَصْلِ وَ آ، مَهْمَلٌ وَ غَيْرُ مَهْمُوزٍ. فِي مَط: السَّائِحِي. وَ مَا اثْبَتْنَاهُ
يُؤَافِقُ الطَّبْرِي (٩: ١٥٩٣).

- «إني لم أكذبك، و أنا الذي أعلمته دخولك و تفرق جُندك. و أعلمته أنها فرصة [89] له، و سألته المدد. غير أنني نظرت فرأيت أنك قد أمعرت^(١) البلاد و أصبت الغنائم. فإن لقيك على هذه الحالة ظفر بك، و عادتني العرب أيضا ما بقيت، و استطال عليّ خاقان، و اشتدت مؤنته، و امتنّ عليّ يقول: أخرجتُ العرب من بلادك و رردتُ عليك مملكك».

فعرف أسد أنه صدقه، فأمر بالأنقال أن تُقدّم، و ولى عليها إبراهيم بن عاصم العقيلي، و هو الذي ولى سبجستان بعد، و أخرج معه المشيخة. فسارت الأنقال. و كتب أسد إلى داود بن شعيب و الأصبغ بن ذؤالة^(٢) الكلبي و قد كان وجهها في وجه أنّ خاقان قد أقبل. فأنضنا إلى الأنقال مع إبراهيم بن عاصم. و وقع إلى داود و الأصبغ رجل دبوسي، فأشاع أنّ خاقان قد هزم المسلمين و قتل أسداً.

فقال الأصبغ:

- «إن كان أسد و من معه أصيبوا، فإنّ فيئتنا^(٣) هشام ننحاز إليه، فإنّ الله حيّ قيّوم و جنود المسلمين كثير».

قال داود:

- «أأ فلا ننظر ما فعل أسد فنخرج على علم؟»

قال: «بلى».

فسارا حتّى شارفا عسكر إبراهيم، فإذا هما بالنيران.

فقال داود: «هذه نيران المسلمين، لأنّها متقاربة، و نيران الأتراك متفرقة».

١. قد أمعرت: كذا في الأصل و الطبري (٩: ١٥٩٤): قد أمعرت. في مط: أمعرت. في آ: أفقرت.

٢. ذؤالة: كذا في الأصل: ذؤالة. في الطبري (٩: ١٥٩٤): ذواله. في مط و آ: دواله.

٣. فيئتنا: كذا في الأصل: فيئتنا. في آ، فيئتنا. في مط و الطبري (٩: ١٥٩٥): فينا.

فقال الأصبغ: [90]

- «هم في مضيق..»

ثم دنوا، فسمعوا نهيق الحمير.

فقال داود:

- «أما علمت أن الترك ليس لهم حمير؟»

فقال الأصبغ:

- «أصابوها بالأمس، و لم يستطيعوا أكلها في يوم و لا اثنين.»

فقال داود:

- «نسرح فارسيين فيكبران.»

فبعثا إلى العسكر بهما. فلما دنوا منهم كبرا، فأجابهما أهل العسكر بالتكبير.

فأقبلوا إلى العسكر الذي فيه الأثقال، و مع إبراهيم أهل الصغانيان و صاغان^(١) خذاه. فضامًا إبراهيم بن عاصم.

و أقبل أسد يريد أن يخوض نهر بلخ، و قد كان إبراهيم قطعه بالسبي و جميع ما أصاب. فلما أشرف أسد على النهر، و قد أتاه أن خاقان قد سار من الشومان^(٢) سبع عشرة ليلة، قام إليه أبو نميلة^(٣) بن بحر وعبد الرحمن بن حيفر^(٤) الأزديان، فقالا:

- «أصلح الله الأمير، إن الله قد أحسن بلاءك في هذه الغزوة، فغنمت و

١. صاغان خذاه: كذا في الأصل و مط و آ: صاغان خذاه. في الطبري (٩: ١٥٩٦): صغان خذاه.

٢. الشومان: كذا في الأصل و آ: الشومان. في مط: السوات (مهملة). في الطبري (٩: ١٥٩٦): سويات.

٣. أبو نميلة بن بحر: كذا في الأصل. في الطبري: أبو نثم بن زحر.

٤. حيفر: ما في الأصل و مط مهمل. و الإعجام من آ. في الطبري: خنفر.

سلمت، فاقطع هذه النطفة و اجعلها وراء ظهرك.»

فأمر بهما، فوُجئت رقابهما و أخرجا من العسكر، و أقام يومه.
فلما كان من الغد ارتحل و في النهر ثلاثة و عشرون موضعا يخوضه الناس،
و موضع فيه مجتمع ماء يبلغ دفتي السرج. فخاضه الناس، و أمر أن يحمل كل
رجل شاة، و حمل هو نفسه شاة.

و قال له غسان بن عبيد الله [91] بن مطرف بن الشخير^(١):

«أيها الأمير، إن الذي أنت فيه من حمل الشاة، ليس له خطر، و قد فرقت
الناس و شغلتهم و أظلك عدوك، فدع هذه الشاة لعنة الله عليها و مر الناس
بالاستعداد.»

فقال أسد:

«و الله، لا يعبر رجل ليس معه شاة حتى تغنى هذه الغنم، الفارس يحملها
بين يديه، و الرّاجل على عنقه.»
و خاض الناس.

فلما حفرت سنايك الخيل النهر، صار بعض المواضع مخاض يقع فيها
الرجل. فأمر أسد بالشاة أن تُقذف و يخوضوا. فما استتم الناس العبور حتى
طلعت عليهم التّرك بالذهب، فقتلوا من لم يقطع النهر، و جعل الناس يقتحمون، و
ركب أسد إلى النهر، و أمر بالإبل أن يقطع بها النهر حتى يحمل عليها الأثقال. و
أقبل رهج من ناحية الختل، فإذا خاقان. فلما توافى معه صدر من جنده حمل
على الأزد و بنى تميم، و كانوا على مسلحة خلفهم أسد على الضعفة من الناس.
فلما حمل عليهم خاقان انكشفوا، و ركض أسد حتى انصرف إلى عسكره، و

١. الشخير: كذا في الأصل: الشخير. في الطبري (٩: ١٥٩٧): الشخير. في مط: السحر.
في آ: الشخر.

بعث إلى أصحاب الأثقال الذين كان قد سرحهم أمامه أن:

«انزلوا و خندقوا مكانكم في بطن الوادي».

و أقبل خاقان، [92] فظن المسلمون أنه لا يقطع النهر إليهم. فلما نظر خاقان إلى النهر أمر الإسكند^(١)، و هو يومئذ اصبهذ، أن يسير في الصف، وسأل الفرسان و أهل البصر بالحرب:

«هل يُطاق قطع النهر و الحملة على أسد؟»

و كلهم يقول:

«لا يُطاق».

حتى انتهى إلى استجن^(٢) فقال:

«بلى يُطاق، لأننا خمسون ألف فارس، فإذا نحن اقتحمنا دفعة واحدة ردَّ

بعضنا عن بعض الماء، فذهبت جريته».

قال: فضربوا بكوساتهم. فظن أسد و من معه أنه منهم و عيد، فأقحموا دوابهم، فجعلت تنخر أشدَّ النخير. فلما رأى المسلمون إقحام التَّرك وُلُّوا إلى العسكر، و عبرت التَّرك، فسَطع رَهج شديد لا يبصر الرجل دابَّته و لا يعرف بعضهم بعضاً، و دخل المسلمون عسكرهم و حوى التَّرك ما كان خارجاً، و خرج الغلمان بالبراذع و العُمد، فضربوا وجوه التَّرك، فأدبروا. و بات أسد و عباً من الليل تخوفاً من غُدُو^(٣) خاقان. فلما أصبح لم يَر شيئا، و دعا وجوه النَّاس و استشارهم.

١. الاسكند: كذا في الأصل: الاسكند. في الطبري (٩: ١٥٩٧) الاشكند. في مط و آ: الإسكندر.

٢. استجن. كذا في الأصل: استجن. في مط: سحر. في الطبري: اشتيخن.

٣. من غدو: كذا في الأصل و آ: من غدو. في مط: من غدر. في الطبري (٩: ١٥٩٨): من غدر خاقان و من غدو.

فقالوا له:

- «اقبل العافية.» قال:

- «ما هذه عافية، بل هذه بليّة، لقينا خاقان أمس، فظفر و أصاب من الجند و السّرح^(١)، فما منعه اليوم منّا إلاّ أنّه قد وقع في يده أسرى [93] فأخبروه بموضع الأتقال.»

فكان هذا رأيا جيّدا و حديثا صوابا من أسد، و قد علم العدو أنّ الثقل أماننا، فترك لقاءنا طمعا فيها^(٢).

ثمّ ارتحل أسد و بعث أمامه الطّلائع. فرجع بعضهم فأخبره أنّه عاين طوقات الأتراك و أعلاما من أعلام اسكند^(٣)، فسار [و الدوابّ]^(٤) مثقلة، فقليل له:

- «انزل أيّها الأمير و اقبل العافية.» فقال:

- «و اين العافية فأقبلها، إنّما هي بليّة ذهاب الأموال و الأنفس.»

فلمّا صار الى منزل و أمسى، استشار النّاس:

- «أتنزلون أم تسировون؟»

فقال النّاس:

- «اقبل العافية، و ماعسى أن يكون من ذهاب الأتقال بعافيتنا و عافية أهل

خراسان» و نصر بن سيار مطرق.

فقال أسد:

- «مالك يا بن سيار لا تتكلّم؟»

١. و السّرح: كذا في الأصل و مط و آ. في الطبري: و السلاح.

٢. الكلام للراوى.

٣. اسكند: في الطبري: الاشكند. في مط: بيكند (باهمال الاول و الثانى).

٤. و الدّوابّ: ليست الكلمة لا في الأصل و لا في مط: و لا في آ. أضفناها من الطبري

(٩: ١٥٩٨).

فقال: «أصلح الله الأمير، خلّتان كسلتاها لك: إن تَسِرُ تُغِيثِ الأثقال و تَخْلُصَهُمْ، و إن أنت انتهيت إليهم و قد هلكوا، فقد قطعت قُحمةً لا بُدَّ من قطعها.» فقبل رأيه و سار يومه كلّهُ.

قال: و دعا أسد قبل أن يسير سعيدا الصّغير، و كان عالما بطريق الخُتَل فارسا، و كتب معه كتابا إلى إبراهيم يأمره بالإستعداد و يُعلمه أن خاقان طواه و توجّه إلى ما قبلك. ثم قال له:

- «سر [94] بالكتاب إلى إبراهيم حيث كان قبل الليل، فإن لم تفعل فأسد برئ من الإسلام إن لم يقتلك، و أنت لحقت بالحارث هربا منّي، فعلى مثل الذي حلفت. إني أبيع امرأتك دلال في سوق بلخ، و جميع أهل بيتك.» قال سعيد:

- «فادفع إلىّ فرسك الكميّ الذنوب.» قال:

- «لعمرى، لئن جُدت بدمك و بخلت عليك بالفرس، إني للثيم.»

فدفعه إليه و سار على دأته من جنائبه و غلامه على فرس معه فرس أسد يجنبه. فلمّا حاذى غيرة طلائع التّرك تحوّل إلى فرس أسد، فطلبتّه الطلائع، فركض و لم يلحقوه. و أتى إبراهيم بالكتاب و تبعه بعض الطلائع حتّى وافوا عسكر إبراهيم و الأثقال. فرجعوا إلى خاقان فأخبروه. فعدا خاقان اليوم الثّاني على الأثقال و قد خندق إبراهيم خندقا و الناس قيام عليه. فأمر خاقان أهل السّغد بقتالهم. فلمّا دنوا من مسلحة المسلمين، ثاروا في وجوههم فهزموهم، و قتلوا منهم رجلا.

فقال خاقان:

- «اركبوا.»

وصعد تلاً مُشرفا، و جعل ينظر العورة، و وجّه المقاتلة و كذا كان يفعل ينفرّد في رجلين [95] أو ثلاثة، فإذا رأى عورة أمر جنوده فحملت من ناحية العورة.

ذكر ظفر خاقان ثم انهزامه باتفاق حسن
مع تدبير جيّد وجدّ في المسير من أسد
حتى رجع كيد العدو عليه و سلم المسلمون و أثقالهم
و لما صعد خاقان التلّ رأى خلف العسكر جزيرة و دونها مخاضة. فدعا
بعض قوّاد التّرك، فأمرهم أن يقطعوا فوق العسكر في مقطع وصفه، ثم ينحدروا
في الجزيرة، حتى يأتوا عسكر المسلمين من ورائهم، و أمرهم أن يبدأوا
بالأعاجم و أهل الصّغانيان و قد عرفهم بأبنيتهم و أعلامهم. و قال لهم:
«إن أقام القوم في خندقهم و أقبلوا إليكم دخلنا نحن خندقهم، و إن ثبتوا
لنا، فادخلوا من دُبره عليهم.»

ف فعلوا، و دخلوا عليهم من ناحية الأعاجم، فقتلوا صاغان خُذاه، و دخلوا
عسكر إبراهيم، فأخذوا عامّة ما فيه، و ترك المسلمون التّعبئة، و اجتمعوا في
موضع و أحسّوا بالهلاك، فإذا رهج قد ارتفع و تربة سوداء، و إذا أسد في جنده
قد أتاها، فجعلت التّرك ترتفع عنهم إلى الموضع الذي فيه خاقان و إبراهيم
[96] يتعجّب من كفّهم، و قد ظفروا، و قتلوا من قتلوا، بعد^(١) إصابتهم الغنيمة، و
هو لا يطمع في أسد.

و كان أسد قد أغدّ الشّير، فأقبل أسد حتى وقف على التلّ الذي عليه
خاقان، و تنحّى خاقان إلى ناحية الخُتل، و خرج إلى أسد من كان بقي من
أصحاب إبراهيم و قد قتل منهم بشر كثير و مشيخة من خزاعة. و خرجت امرأة
صاغان خُذاه إلى أسد فبكت زوجها، و بكى أسد معها حتى علا صوته.

و انصرف خاقان على طريق طخارستان و هناك الحارث بن سُرّيج، فانضمّ
الحارث إلى خاقان، و سار معه في أصحابه، و مضى أسد إلى بلخ، فعسكر في

١. بعد: في الأصل: و بعد (بزيادة «و»).

مرجها حتّى الشتاء، و كان الحارث يقول لخاقان:

- «إنّه لا نهوض بأسد، و قد تفرّق عنه العسكر».

فبثّ خاقان جنده فى الغارات على التّواحي و أقبل حتّى نزل جَزّة، فأمر بالنّيران، فرفعت على أعلى المدينة. فجاء النّاس من الرّساتيقي إلى مدينة بلخ. فأصبح أسد و صلّى، و خطب النّاس و قال:

- «إن عدوّ الله الحارث بن سُرّيج^(١) استجلب طاغية التّرك ليطفئ نور الله و يبدّل دينه، و إنّ عدوّكم قد أصاب من إخوانكم ما أصاب، فإن يُردّ الله نصركم لم يضرّكم [٩٧] قلّتكم و كثرتهم، فاستنصروا الله».

ثمّ وضع جبهته لله عزّ و جلّ، و دعا، فأمنّوا عليه، ثمّ رفعوا رؤوسهم و هم لا يشكّون فى الفتح. ثمّ نزل عن المنبر و ضحّى، و كان يوم الأضحى، و شاور النّاس فى المسير إلى خاقان.

فقال قوم:

- «أنت شابّ^(٢) لا تتخوّف من غارة على دابة و لا شاة إلاّ ما لا خطر فيه

لخروجك^(٣)».

فقال:

- «و الله لأخرجنّ، فأما ظفر و إمّا شهادة».

ثمّ أخذ من خيلة بن أبى داود مائة و عشرين ألف درهم، و أمر النّاس بعشرين عشرين، و معه من جنود خراسان و أهل الشّام سبعة آلاف رجل. فاستخلف على بلخ الكرمانى، و أمره أن لا يدع أحداً يخرج من مدينتها و إن

١. سريج: فى مط: سُريج.

٢. شابّ: كذا فى الأصل: شابّ. فى مط و آ و الطبرى (٩: ١٦٠٣): شابّ.

٣. إلاّ ما لا خطر فيه لخروجك: كذا فى الأصل و مط و آ. فى الطبرى (٩: ١٦٠٣): ... تخاطر بخروجك.

ضرب التُّرك باب المدينة.

فقال نصر بن سيار الليثي و القاسم بن بُخيت و جماعة أمثالهم و سعيد الصغير:

- «أصلح الله الأمير، ائذن لنا في الخروج و لا تهجَّن^(١) طاعتنا.»
فأذن لهم و خرج فنزل بابا من أبواب بلخ، و صلى بالنَّاس ركعتين طَوَّلهما،
و نادى في النَّاس:
- «ادعوا الله.»

و أطل الدَّعاء بالنَّصر و أمَّن النَّاس على دعائه.
ثمَّ انتقل من دعائه فقال:

- «نُصرتُم و ربُّ الكعبه إن شاء الله.» ثلاث مرَّات.
ثمَّ نادى مناديه: [98]

- «بريت الذِّمَّة من رجل حمل امرأة.»

و سار، فلمَّا كان عند قنطرة عطاء، قال لمسعود بن عمرو:
- «أبغنى خمسين رجلا و راية أخلفهم على هذه القنطرة، فلا يدع أحدا ممَّن
جازها أن يرجع.»

و كان مسعود هذا يخلفُ الكرمانئ بحضرته. فقال مسعود:

- «من أين أجد خمسين رجلاً؟»

فأمر به فصرَّع عن دابَّته و ضُرب. ثمَّ أمر بضرب عنقه. فتكلَّم فيه قوم، فكفَّ عنه.

و سار منزلا و أقام حتَّى أصبح، فقال له بعضهم:

- «ليتمَّ الأمير على المقام يومه حتَّى يتلاحق النَّاس.»

١. و لا تهجَّن: كذا في الأصل و آ و الطبري (٩: ١٦٠٣): لا تهجَّن. في مط: لا نهجَّن.

فأمر بالرحيل و قال:

- «لا حاجة لنا في المتخلفين»^(١).

ثم جعل على مقدمته سالم بن منصور تفاعلاً باسمه. فلقى ثلاثمائة من الترك طليعة لخاقان. فأسر^(٢) قائدهم و سبعة معه و هرب بقيتهم، فأتى به أسداً، فبكى التركي. فقال أسد:

- «ما يُكيك؟» فقال:

- «لست أبكى لنفسي، و إنما أبكى لهلاك خاقان.» قال:

- «و كيف؟» قال:

- «لأنه فرّق خيله في ما بينه و بين مرو.»

و سار أسد حتّى إذا شارف العين الحارّة استقبله بشر بن رزين، فقال:

- «ما وراءك؟» قال:

- «إن لم تُلحقنا»^(٣) غلبنا على مدينتنا.»

فقال:

- «قل للمقدام بن عبد الرحمن يطاول نَزْرُمحي»^(٤).

و سار فنزل مدينة [99] الجوزجان و قد استباحها خاقان. فأتاه المقدام بن عبد الرحمن في مقاتلته و أهل الجوزجان، و انصرفت طلائع الخاقان إليه، فأخبرته أنّ رهجاً ساطعاً من قبل بلخ طلع.

١. المتخلفين: كذا في الأصل و آ. في مط: المخلفين.

٢. فاسر: كذا في الأصل و مط. في آ: فأسر: (بتشديد السين).

٣. لم تلحقنا: كذا في الأصل و آ. لم تلحقنا. في مط: لم تحلفنا. في الطبري (٩: ١٦٠٦): لم تُغننا.

٤. نَزْرُمحي: كذا في الأصل و آ. و ما في مط: بطول بزرمحي. في الطبري (٩: ١٦٠٧) يطاول برمحي. والتشديد في «نَزْرُ» مثلاً.

فدعا خاقان الحارث فقال:

- «ألم تزعم أن أسدا ليس به نهوض؟ و هذا رهج من ناحية بلخ.»

فقال الحارث:

- «هذا هو اللص الذي كنت أخبرتك أنه من أصحابي.»

فبعث خاقان طليعة و قال:

- «انظروا هل ترون على الإبل سريراً و كراسي»

فجاءته الطلائع، فأخبرته أنهم عاينوها.

فقال خاقان:

«الصوص لا يحملون الأسرّة و الكراسي. هذا أسد قد أتاك.»

فسار أسد غلوة، فلقبه سالم بن منصور فقال:

- «أبشر أيها الأمير، حوزتهم^(١) فلا يبلغون أربعة آلاف، و أرجو أن يكون

عقيرة الله.»

و سار أسد على تعبئة، ميمنة و ميسرة و قلبا، و عبى خاقان مثل ذلك و

جعل على ميمنته الحارث بن سريج و أصحابه وملك السغد و صاحب الشاش

و صاحب الختل و الترك كلهم معه. فلما التقوا حمل الحارث و من معه على

الميسرة، و فيها ربيعة و أهل الشام، فلما ثبت له أحد، و انهزموا، فلم يردّهم شيء

دون رواق أسد، ثم شدّت عليهم ميمنة أسد و هم الأزد و بنو تميم و

الجوزجان، [100] فانهزم الحارث و الأتراك، فحمل الناس جميعاً.

فقال أسد:

- «اللهم إنهم عصوني فانصرهم.»

١. حوزتهم: كذا في الأصل: حوزتهم. في آ و الطبري (٩: ١٦٠٨): حوزتهم. و ما في مط مهمل. حوزة: قدره بالحدس و خمنه.

و ذهب التُّرك عباديدَ لا يُلوى بعضهم على بعض، و تبعهم النَّاس يقتلون من لحقوا منهم، حتَّى انتهوا إلى أغنامهم، فاستاقوا أكثر من خمسين و مائة ألف رأس، و دوابَّ كثيرة، و أخذ خاقان غير طريق الجادة في الجبل، و الحارث بن سريج يحميه، و هاجت ريح الحرب الَّتى تسمَّى الهفَّافة، فهزمهم الله تعالى.

فقال الجوزجان لعثمان بن عبد الله بن الشَّخِير:

- «إني أعلم ببلادى و طرقها، فهل لك فى أمر فيه هلاك خاقان و لك فيه ذكر ما بقيت؟ فقال:

- «و ما هو؟» قال:

- «تتبعنى.» قال:

- «نعم.»

فأخذ به طريقا يُسمَّى وراذك، فأشرفوا على طوقات^(١) خاقان و هم آمنون، فأمر خاقان بالكوسات فضربت ضربة الإنصراف و قد شُبَّت الحرب، فلم يقدر التُّرك على الإنصراف ثمَّ ضربت الثانية، فلم يقدرُوا لا شتغالهم. فحمل ابن الشَّخِير و الجوزجان على الطوقات، و ولى خاقان مُدبرا، فحوى المسلمون عسكرهم، و تركوا قدورهم تغلى و نساءهم مع نساء العرب كُنَّ معهم، و وحل بخاقان دابَّته، فحماء الحارث بن سريج، و أراد خصيَّ لخاقان أن يحمل امرأة خاقان، [101] فأعجلوه عن ذلك، فطعنوا^(٢) بخنجر، فلقوها و هى تتحرك، فأخذوا خُفَّها و هو من لبود مضرب، و وُجد عسكر التُّرك مشحونا من كلِّ شىء من آنية الفضة و صنَّاجاتهم و أمتعتهم. و بعث أسد بجوارى التُّرك إلى دهاقين خراسان، فاستنقذ من كان فى أيديهم من المسلمين، و انصرف أسد إلى

١. طوقات: كذا فى الأصل و آ. و الطبرى (٩: ١٦١١). فى مط: طوقات.

٢. فطعنوا: كذا فى آ و الطبرى (٩: ١٦١١). ما فى الأصل و مط: فطعنوها.

بلغ اليوم التاسع من خروجه، فقال ابن السجف المشاجعي:

لو سرت في الأرض تقيس الأرضاً تقيس منها طولها و العرضاً
لم تلقَ خيراً مِرةً و نقضاً من الأمير أسدٍ و أمضى
أفضى إلينا الخير حين أفضى و جمع الشمل و كان رفضاً^(١)
ما فاته خاقانُ إلا ركضاً قد فضّ من جُموعه ما فضاً
يا بن سريج قد لقيتَ حمضاً حمضاً به يُشفى صداعُ المرضى

و أصاب أسد أربعة آلاف درع، و كان أسد يوجّه الناس في السرايا، فكانوا لا يزالون يُصيبون جماعة من الترك.

و مضى خاقان إلى بلاده، فلما ورد سروشنه، تلقاه [102] خَرَابُغَرَه جَدُّ كاوس أبي الأفشين باللغّابين، و أعدّ له هدايا عظيمة و دوابّ له و لجنده. و كان الذي بينهما متباعداً، و لكنّه لما رجع منكوباً، أحبّ أن يتخذ عنده يداً، فأتاه بكلّ ما يقدر عليه. فلما رجع خاقان إلى بلاده أخذ في الاستعداد للحرب و محاصرة سمرقند. و حمل الحارث بن سريج و أصحابه على خمسة آلاف برذون، و فرّق في أصحابه مثلها.

ثمّ إنّه لاصب يوماً كورصول بالترّد على خطر تُدرّجَة، فقرر كورصول الرقشي^(٢) فطلب منه التدرّجَة، فقال أحدهما: أنشئ، و قال الآخر: ذكر. و تأدّى التنازع إلى أن رفع يده فضرب يد خاقان، فأوهنه، فحلف خاقان ليكرس يد كورصول، فتنحّى كورصول من بين يديه، و جمع جمعاً، ثمّ بيّت خاقان فقتله، و تفرّق عنه الترك، فتركوه مجرّداً، حتّى أتاه عظماء الترك، و دفنوه، و صنّع به

١. رفضاً: كذا في الأصل و مط و آ: رفضاً. في الطبري: فُضّاً.

٢. الرقشي: كذا في الأصل و آ. في مط: الرقشي. و ما في الطبري (٩: ١٦١٣): الترقيشي و في حواشيه عن ابن خردادبه: التركشي.

ما يُصنع بمثله، و تفرقت التُّرك في الغارات بعضها على بعض، و انحاز بعضهم إلى الشَّاش. فعند ذلك طمع أهل السَّغد في الرُّجعة إليها، فلم يسلم من خيل التُّرك التي تفرقت في الغارات إلَّا زرابر^(١) الكِسَى، فإنَّه سلم حين صار إلى طخارستان. [103]

ذكر اتفاق حسن اتفق لمقاتل بن حَيَّان من غير قصد منه كان أسد بعث من مدينته بلخ رجلاً يُعرف بسيف بن وِصَّاف إلى هشام يُخبره بما أظنَّه من الخطب العظيم، و يستمده. فلما وصل إليه أخبره، فلم يصدِّقه هشام، و قال لحاجبه:

- «ويحك، إنَّ هذا الشيخ قد أتانا بالطَّامة الكبرى إن كان صادقاً، و لا أظنَّه صادقاً، اذهب به، فغده^(٢)، ثمَّ سلِّه، و أتني بما يقول». ففعل، ثمَّ سأله فأخبره بما أخبر به هشاماً، فدخل عليه أمر عظيم، و صرفه. ثمَّ دعاه بعد أيَّام بسيرة، و قال له:

- «من القاسم^(٣) بن بُخيت منكم؟» قال:

- «ذاك، صاحب العسكر». قال:

- «فإنَّه قد أقبل». قال:

- «فإن كان قد أقبل، فقد فتح الله عزَّ و جلَّ على أمير المؤمنين». و كان أسد وجهه حين فُتح عليه، فأقبل القاسم بن بُخيت، فكبَّر على الباب، ثمَّ دخل يكبِّر و هشام يكبِّر معه حتَّى انتهى إليه. فقال:

- «الفتح يا أمير المؤمنين».

١. زرابر: كذا في الأصل. في آ: درنزا. في مط: زرابر. في الطبري (٩: ١٦١٤): زرابن.

٢. فغده: كذا في الأصل و آ و مط: فغده. في الطبري (٩: ١٦١٤): فغده.

٣. القاسم: في الأصل و مط و آ: القسم. و ما أثبتناه يؤيده الطبري (٩: ١٦١٤).

و أخبره الخبر. فنزل هشام عن سريرته، فسجد سجدة الشكر، و هي واحدة عندهم. فحسدت القيسيّة أسدا و خالدا، و قالوا لهشام:

- «اكتب إلى خالد فليأمر أخاه أن يوجّه مقاتل بن حيان.»

فكتب إليه، فدعا [104] أسد مقاتل بن حيان على رؤوس الناس و قال له:

- «سر إلى أمير المؤمنين، فأخبره بما عاينت، و قل الحق، و أنت لا تقول غير الحق إن شاء الله، و خذ من بيت المال حاجتك.»

فقال الناس:

- «إنه لا يأخذ شيئا، أعطه من المال كذا و كذا، و من الكسوة كذا.»

و جهّزه. فسار حتّى قدم على هشام و هو و الأبرش جالسان. فسأله، فقال:

كان من أمرنا كيت و كيت. إلى أن قال:

- «قصدنا خاقان، فساق من الذراريّ و أهل البلدان بعد أن قاتلناه كذا يوماً، ثمّ واقعناه و هو لا ينتظر، فحملوا على ميسرتنا فكشفوهم، ثمّ حملت ميمتنا فهزمناهم، ثمّ تبعناهم حتّى استبحنا عسكر خاقان بما فيه من النساء و الذراريّ و الآلات.»

و كان هشام متكئاً، فاستوى جالساً عند ذكر خاقان، و قال ثلاثاً:

- «أنتم استبحتم عسكر خاقان؟» قال:

- «بلى» قال:

- «حاجتك.» قال:

- «إنّ يزيد بن المهلب أخذ من أبي حيان من غير حقّ مائة ألف.»

فقال هشام:

- «لا أكلفك شاهداً، احلف بالله، إنّه لكما قلت.»

فحلف، فردّها عليه من بيت مال خراسان، و كتب إلى خالد أن يكتب إلى

أسد فيها. فكتب إليه، فأعطاه مائة ألف، فقسمها بين [105] ورثة حيّان على فرائض الله.

خروج المغيرة بن سعيد على خالد بن عبد الله
و في هذه السنة خرج على خالد بن عبد الله المغيرة بن سعيد و بيان^(١) في نفر، فأخذهم و قتلهم.

ذكر السبب في ذلك

أما المغيرة بن سعيد، فكان يتشيع، ثم نُسبت إليه أمور شنيعة فيها تزيد و إسراف.

فأحدها ما حكاه صاحب التاريخ على ما أخبرنا به القاضي عن محمد بن جرير الطبري، قال: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا جرير عن الأعمش، قال سمعت المغيرة بن سعيد يقول:

«لو أراد^(٢) عليّ أن يحيى عاداً و ثمود و قرونا بين ذلك كثيرا، لأحياهم.» قال الأعمش:

«كان المغيرة يخرج إلى المقبرة، فيتكلم فبى مثل الجراء على القبور.»

و نحو هذا من الكلام، في تاريخ الطبري

و حُكيت عنه حكايات عظيمة.

فلما أخذ خالد المغيرة و أصحابه أتى بهم، و هم سبعة، و أمر بسريره،

١. بيان: في الأصل والطبري (٩: ١٦١٩): بيان، ما في مط مهمل. و ما في آ: و سار.
٢. في الطبري (٩: ١٦١٩): لو أردت أن أحيى.... و مخطوطات تجارب الأمم متوافقة في ذلك، كما أن في حواشي الطبري (نفس الصفحة) أيضا ما يوافق المخطوطات.

فأخرج إلى المسجد الجامع، و أمر بأطنان قصب ونقط، فأحضر، ثم أمر المغيرة أن يتناول طناً، فكعّ و تأنّى، فصبّت الشياط على رأسه، فتناول طناً فاحتضنه، فشدّ عليه، ثم صبّ عليه و على الطنّ نفطاً، [106] ثم ألهمت النار، فاحترقا. ثم فعل بالزّهط مثل ذلك. ثم أمر بياناً آخرهم، فتقدّم إلى الطنّ مبادراً، فاحتضنه. فقال خالد:

- «ويلكم، في كلّ أمركم تحمقون، هلاً رأستم هذا إلا المغيرة^(١)». ثم أحرقه.

و كان هؤلاء يسمّون الوصفاء، و كان ظهورهم و خروجهم بظهر الكوفة. فأخبر خالد القسرى بخروجهم و هو على المنبر، فقال:

- «أطعموني ماءاً^(٢)». و قيل فيه:

أخالد لا جزاك الله خيراً و أيزّ في جرّ امّك من أمير
و قلت من المخافة أطعموني شراباً، ثم بليت على السرير

و لما قتل خالد المغيرة، أرسل إلى مالك بن أعين الجهنى، فسأله، فصدّقه عن نفسه، فأطلقه. فلما خلا مالك بمن يثق به و كان فيهم أبو مسلم صاحب الدّعوة قال لهم:

ضربت لهم بين الطريقين لاحباً و طنت عليه الشمس في من يطئها
و ألقىته في شبهة حين سألني كما اشتبها في الخط سين و شينها

١. و العبارة في الطبرى (٩: ١٦٢٠): «هلاً رأيتم هذا المغيرة» بدل: «هلاً رأستم هذا إلا المغيرة و نسخ التجارب متوافقة في ذلك.
٢. ماءاً: كذا في الأصل. ما في مط: شراباً، كما في الطبرى (٩: ١٦٢١).

و كان يقول أبو مسلم حين ظهر أمره:
- «لو وجدته لقتلته بإقراره على نفسه. [107]

و فى هذه السنة حكم بهلول بن بشر الملقب كُثارة فُقُتل
ذكر الخبر عن مخرجه و مقتله

كان بهلول يتأله^(١)، و كان بدائق، و هو مشهور بالبأس و النجدة عند هشام
بن عبد الملك، فخرج يريد الحجّ. فلمّا كان بسواد الكوفة أمر غلامه أن يبتاع له
خلاّ بدرهم. فجاء غلامه إليه بخمر، فردّه و قال:
- «استرجع الدرهم».

فلمّا رجع الغلام لم يُجبه البائع إلى ذلك، فجاء بهلول إلى عامل القرية،
فكلّمه، فقال العامل:
- «الخمر خير منك^(٢) و من قومك».

فمضى البهلولى فى حجّه حتّى فرغ منه. ثمّ عزم على الخروج على السّلطان،
فلقى بمكة من كان على مثل رأيه، فاتّعدوا قرية من قرى الموصل، و اجتمع
إليه أربعون رجلا، و أمّروا عليهم بهلول، و أجمعوا على أن لا يمرّوا بأحد إلّا
أخبروا أنهم أقبلوا من عند هشام على بعض الأعمال، وجّههم إلى خالد لينفذهم
فى أعمالهم. فجعلوا لا يمرّون بعامل إلّا أخبروه بذلك و أخذوا منه دوابّ من
[108] دوابّ البريد. فلمّا انتهوا إلى القرية التى كان ابتاع الغلام فيها الخلّ فأعطى
خمرًا، قال له أصحابه:

- «نحن نريد قتل خالد، فإن بدأنا بهذا شهرنا و حذرنا خالد و غيره، و لعلّ

١. تجد الرواية عند الطبرى أيضا بتصحيح فى بعض ألفاظها (٩: ١٦٢٢).

٢. كذا فى آ و مط. ما فى الأصل غير واضح.

خالدا يغلت، و هو الذي يهدم المساجد و يبنى البيع و الكنائس، و يولّى المجوس على المسلمين، و يُتكح أهل الذمّة المسلمات.» قال:
 - «لا و الله، إن^(١) تركت هذا و أتيتُ خالدا لعلى لا أظفر منه بما أريد و يفوتنى هذا، و الله يقول: «قاتلوا الذين يُلُونكم مِنَ الْكُفَّارِ.» قالوا:
 - «أنت و رأيك.»

فأتاه، فقتله، فنذر بهم الناس، و علموا أنهم خوارج، و ابتدروا إلى الطريق هُرَابًا، و خرجت البردُ إلى خالد، فأعلموه أن خارجة خرجت و هم لا يدرون من رئيسهم.

فخرج خالد من واسط حتّى أتى الحيرة فى خلق كثير، و كان قدم فى تلك الأيام قائد من أهل الشام من بنى القين، قد وجّهوهم مددا لعامل خالد على الهند، فنزلوا الحيرة. فقصدها خالد و دعا رئيسهم و قال له:

- «قاتل هؤلاء المارقة، فإننى أعطى من قتل منهم واحداً عطاءً سوى ما قبض بالشّام و أعفيه من الخروج إلى أرض الهند.»

و كان الخروج إلى أرض الهند شاقاً عليهم، فسارعوا إلى ذلك و قالوا:
 - «نقتل هؤلاء النفر و نرجع إلى بلادنا.»

فتوجّه [109] القينى إليهم فى ستمائة، و ضمّ إليهم خالد مائتين من شرط الكوفة. و قال القائد:
 - «لا تكونوا معنا.»

و أمّا يريد^(٢) فى نفسه أن يخلو هو و أصحابه بالقوم، فيكون الظفر لهم دون غيرهم لما وعدهم خالد.

١. فى مط: لا تركت. بدل: إن تركت.

٢. يريد: كذا فى الأصل و آ: يريد. ما فى مط: يكون.

و خرج إليهم بهلول، فسأل عن رئيسهم حتى عرف مكانه، ثم حمل عليه،
فطعنه في فرج درعه فأنفذه، فقال:

- «قتلتني، قتلك الله».

فقال بهلول:

- «إلى النار أبعدك الله».

و ولّى أهل الشام مع شرط أهل الكوفة منهزمين حتى بلغوا الكوفة و بهلول
و أصحابه يقتلونهم.

فأمّا الشّاميّون، فمن كان منهم على خيول جياد فأتوه.

و أمّا الشرط فبأنّه لحقهم، فقالوا:

- «إتق الله فينا فإنّا مكرهون مقهورون».

فجعل يقرع رؤوسهم برمح و يقول:

- «الحقوا، النّجا النّجا».

و أصاب البهلّول مع القينيّ بدره. و كان بالكوفة ستة نفر يرون رأى البهلّول،
فخرجوا يريدونه، فقتلوا. و خرج إليهم البهلّول و حمل البدره بين يديه، فقال:

- «مَنْ قتل هؤلاء النّفر حتّى أعطيه هذه الدّراهم؟»

فجعل هذا يقول: أنا، و هذا يقول: أنا. حتّى عرفهم، و هم يرون أنّه^(١) من قبل

خالد جاء ليُعطيهم ثواب ما فعلوا.

فقال بهلول لأهل القرية:

- «أ صدّق هؤلاء، هم قتلوا هؤلاء النّفر؟» قالوا:

- «نعم».

و كان خشي بهلول [110] أن يكونوا ادّعوا ذلك طمعا في المال.

١. أنّه: كذا في آ، و الطبري (٩: ١٦٢٥). في الأصل و مط أنّهم.

فقال لأهل القرية:

- «إنصرفوا أنتم.»

و أمر بأولئك، فقتلوا.

و بلغ هزيمة القوم خالدا، فأنفذ إليهم جيشا مع قائد من بنى شيبان، فلقبهم بين الموصل و الكوفة، فشدّ عليه البهلول، فقال:

- «نشدتك الله و الرّحم، فإننى جانح^(١) مستجير.»

فكفّ عنه و انهزم أصحابه. فأتى خالدا و هو بالحيرة، فلم يرعه إلاّ الفلّ قد هجم عليه، و ارتحل البهلول يريد الموصل، فكتب عامل الموصل إلى هشام أنّ خارجة خرجت و أنّه يخافهم و يسأله جُنّدا يقاتلهم به.

فكتب إليه هشام:

- «وجّه إليه كُثارة بن بشر.»

و كان هشام لا يعرف البهلول إلاّ بلقبه. فكتب إليه العامل:

- «إن الخارج هو كُثارة!»

و كان البهلول قال لأصحابه:

- «ما نصنع بابن النصرانية؟ يعنى خالدا و إنّما خرجتُ لله، فلمَ لا نطلب

الرأس الذى يسلط خالدا و أشباهه؟»

فتوجّه إلى الشّام يريد هشاما، فخاف عمّال هشام موجدته، إن تركوه يجوز بلادهم إليه. فجنّد له خالد جُنّدا من العراق، و جنّد له عامل الجزيرة جندا من الجزيرة، و وجّه إليه هشام جنّداً من الشّام. فاجتمعوا بدير بين الجزيرة و الموصل، و أقبل بهلول [111] حتّى انتهى إليهم، فنزل على باب^(٢) الدير، فقالوا له:

١. جانح: كذا فى الأصل و مط و الطبرى (٩: ١٦٢٥). فى آ: جامع.

٢. باب الدير. كذا فى الأصل و مط. و الطبرى (٩: ١٦٢٦). فى آ: أهل.

- «ترحزح عن باب الذير حتى نخرج إليك».

فتنحى و خرجوا. فلما رأى كثرتهم و هو فى سبعين، جعل من أصحابه ميمنة و ميسرة، ثم أقبل على أعدائه، فقال:

- «أكلكم يرجو أن يقتلنا و يسلم فيأتى أهله سالما؟» قالوا:

- «نعم، إنا نرجو ذلك، إن شاء الله».

فشد على رجل عظيم من عظمائهم فقتله، و قال:

- «أما هذا، فلا يأتى أهله أبدا».

و لم يزل هذا ديدنه حتى قتل ستة، فانهزموا و دخلوا الذير، و حاصرهم حتى جاءتهم الأمداد، و كانوا عشرين ألفا.

فقال له أصحابه:

- «ألا نعقر دوابنا ثم نشد عليهم شدة واحدة؟» فقال:

- «لا، حتى نُبلى^(١) عذرا ما استمسكنا على دوابنا».

فقاتلوهم عامة نهارهم حتى فشا فيهم القتل و الجراح.

ثم إن بهلولا نزل هو و أصحابه، فعقروا دوابهم و ترجلوا لهم، و أصلتوا السيوف^(٢) و قتل عامة أصحاب البهلول، و هو يقاتل و يذود عن أصحابه، إلى أن حمل عليه رجل يكتى أبا الموت، فصرعه، فارتثه من بقى من أصحابه، و قالوا له:

- «وَلْ أَمَرْنَا مِنْ بَعْدِكَ مَنْ يَقُومُ بِهِ» فقال:

- «إن هلكت، فأمر المؤمنين دعامة الشيباني».

و مات البهلول [112] فى ليلته، و هرب دعامة قبل الصبح.

١. نُبلى عذرا: كذا فى الأصل و مط و آ. و ما فى الطبرى (٩: ١٦٢٦): نُبلى الله عذرا.

٢. فى الأصل و مط: بالسيوف. فى آ و الطبرى: و أصلتوا السيوف.

ثم دخلت سنة عشرين و مائة

و فيها هلك أسد بن عبد الله من دُبَيْلَةٍ كانت في جوفه، فاستخلف جعفر بن حنظلة البهراني، فعمل أربعة أشهر، و جاء عهد نصر بن سيار في رجب سنة احدى و عشرين.

و في هذه السنة وجهت شيعة بنى العباس بخراسان إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس سليمان بن كثير، ليُعلمه أمرهم و ما هم عليه.

سبب توجيههم سليمان إلى محمد

و السبب في ذلك موجدة كانت من محمد بن علي، علي من كان بخراسان من شيعته من أجل طاعتهم كانت لخِداش^(١) الذي ذكرنا خبره و قبولهم منه الكذب الذي رواه لهم عنه. فلما أبطأ كتابه اجتمعوا، فذكروا ذلك منهم، فأجمعوا على الرضا بسليمان بن كثير ليلقاه بأمرهم و يخبره عنهم و يرجع إليه بما يرد عليه. فقدم سليمان بن كثير على محمد بن علي و هو متنكر، فأخبره عنهم بطاعة و خير، فعنفهم و قال:

«لعن الله خدasha و من كان علي رأيه و من سمع مقالته فأجابه إليها»

ثم صرف سليمان إلى أهل خراسان [113] فسأله أن يكتب إليهم معه كتاباً، فكتب كتاباً و ختمه. فلما قدم عليهم سليمان فضوا خاتم الكتاب، فلم يجدوا فيه إلا «بسم الله الرحمن الرحيم»، فغلظ ذلك عليهم و علموا أن ما كان من خدasha أتاها به مخالف لأمره. ثم أنفذ محمد بن علي بكير بن ماهان إلى شيعته بخراسان و بعث معه بعضي مضببة^(٢) بعضها بالحديد و بعضها بالشببة^(٣). فقدم بها بكير و جمع النقباء و الشيعة و دفع إلى كل رجل منهم عصاً، فعلموا

١. خدasha: كذا في الأصل و آ. ما في مط: حداس.

٢. مضببة: كذا في الأصل و آ و الطبري (٩: ١٦٢٠): مضببة. في مط: مضبة.

٣. في حواشي الطبري: النحاس، بدل الشبه.

أنهم عَصَاة، فرجعوا، و تابوا و اعتذروا إلى بُكَيْر.

و في هذه السَّنة عزل هشام خالد بن عبد الله عن أعماله كلّها
ذكر السَّبب في عزل خالد بن عبد الله القسرى و نكبته
كان السَّبب في ذلك سكرة عرضت لخالد من طول الولاية و عِزُّ الإمرة و
كثرة ما اجتمع عنده من الأموال. فمن ذلك أنَّ كاتباً كان لابنه خلا به يوماً فقال
له:

- « كم غلَّته ابني؟ » فقال:

- « قد زاد على عشرة آلاف ألف درهم. » فقال:

- « ابني مظلوم. ما تحت قدمي من شيءٍ إلَّا و هو له. »

يعنى أنَّ عمر بن الخطَّاب رضى الله عنه جعل لبجيلة ربع^(١) السَّواد. [114] و
كان خالد قد اتَّخذ بالعراق أموالاً، و حفر أنهاراً حتَّى بلغت غلَّته عشرين ألف
ألف درهم، و كان كثيراً ما يقول في خلواته عند من يأنس به:

- « هذا ابن الحمقاء. »

يعنى هشاماً. و كانت أمُّ هشام مستحمة، فتكلَّم فيه أولاد هشام و حسدوه
وسبعوه^(٢) هم^(٣) و أهل بيت مروان، و كان أحد الأسباب الذي غاظ هشاماً أنَّه
دخل على خالد رجل من قريش من أولاد سعيد بن العاص، أو عمرو بن
العاص، فتبسط عنده، فاستخفَّ به خالد و عضَّه بلسانه. فكتب إلى هشام
يشكوه.

١. ربع السَّواد: كذا في الأصل و مط و الطبرى (٩: ١٦٥٥): ربع السَّواد. في آ: رفع
السَّواد.

٢. سبعوه: كذا في الأصل و آ. ما في مط: شَعَوْه. سبعوه: شتموه.

٣. هم: كذا في آ. و ما في الأصل و مط: و هم (بزيادة الواو).

فكتب هشام إلى خالد:

كتاب هشام إلى خالد القسري

- «أما بعد، فإنَّ أمير المؤمنين، وإن كان أطلق يدك و رأيك في من استرعاك أمره و استحفظك عليه للذي من كفايتك و وثق به من حسن تدبيرك، لم يُفرشك غُرّة أهل بيته لتطأ بقدمك و لا تُحدِّ إليه بصرك، فكيف بك و قد بسطت عليه لسانك تريد بذلك تصغير خطره و احتقار قدره. زعمتَ بالنصفة منه حتَّى أخرجك ذلك إلى الإغلاظ له في اللفظ بمحضر العامة غير متحلل^(١) له حين رأيتَه مُقدًّا^(٢) من صدر مهالك الذي مهّدك [115] الله فيه، و في قومك من يعلوك بحسبه، و يغمرك بأوليته، فنلت مهالك بما رفع به آل عمرو من ضعتك خاصّة، مُساورين^(٣) بك فروع غُرر القبائل و قُرومها قِبَل أمير المؤمنين، حتَّى حللتَ هضبتَه صرت تنحو بها عليهم مفتخرا. هذا إن لم تُدهده بك قلّة شكرك متحطّما وقيذا.

- «فهلّا يابن محرّشة^(٤) قومه، أعظمت رجلهم داخلا عليك و خارجا، و وُشعت مجلسه إذا رأيتَه مقبلا إليك، و تجافيت له عن صدر فراشك مُكرما، ثمّ فاوضته مقبلا عليه يبشرك، اكراما لأمر

١. متحلل: كذا في الأصل؛ متحلل. في مط: متخلّل. في آ: متحلخل (متخلخل؟). و الأصل يوافق الطبري (٩: ١٦٤٣).

٢. مُقدّا. في مط و آ و الطبري: مُقبلا.

٣. مساورين. كذا في الأصل و مط و آ: في الطبري: مساوين.

٤. محرّشة: كذا في الأصل و مط و آ: محرشة ما في الطبري (٩: ١٦٤٣): مجرشه (بالجيم المعجمة).

المؤمنين، فإذا اطمأن به مجلسه نازعته نجى^(١) السرار. معظما لقربته، عارفا بحقه. فهو بين البيتين و نائهم و ابن شيخ آل أبي العاص و حرب و غرتهم.

- «و بالله يُقسم أمير المؤمنين لولا ما تقدّم من حرمتك، و ما يكره من شماتة عدوك بك، لوضع ما رفع من قدرك، حتى إردك إلى حال^(٢)» تفقد بها أهل الحوائج بعراقك، و تراحم المواكب ببابك، و ما أقرنى من أن أجعلك تابعا لمن كان لك تبعا.

- «فانهض على أيّ حال ألفتك رسول أمير المؤمنين و كتابه من ليل أو نهار ماشيا على [116] قدميك بمن معك من حولك، حتى تقف بباب ابن عمرو صاغرا مستأذنا عليه، متنصلا إليه، أذن لك أو منعك، فإن حرّكته عواطف رحيمة^(٣) احتملك، و إن احتملته^(٤) حميته و أنفته من دخولك عليه، فقف ببابه حولا غير متحلحل و لا زائل، ثم أمرك إليه بعد: عزل أو ولى، انتصر أو عفا. - «فلعنك الله من متكل عليه بالثقة، ما أكثر هفواتك، و أقذع لأهل الشرف أفاظك التي لا تزال تبلغ أمير المؤمنين من إقدامك بها على من هو أولى بما أنت فيه من ولاية مصرى العراق و أقدم و أقوم، و قد كتب أمير المؤمنين إلى ابن عمه بما كتب به إليك من إنكاره عليك ليرى فى العفو عنك والسخط عليك رأيه، مفوضا

١. نجى: كذا فى الأصل و مط. فى آ: بحى السرار. فى الطبرى: بحى السرار.

٢. ما بين | | تكملة من الطبرى (٩: ١٦٤٣).

٣. رحيمة: كذا فى الأصل و مط. فى آ و الطبرى (٩: ١٦٤٤): رحمة.

٤. احتملته: كذا فى الأصل و الطبرى. فى مط: احتمله. و فى آ: احتمته.

ذلك إليه، مبسوطةً فيه يده، محموداً عند أمير المؤمنين على أيها^(١)
أتى إليك موثقاً إن شاء الله.»

و كتابه إلى ابن عمرو:

«أما بعد، فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك، وفهم ما ذكرت من
بسط خالد عليك لسانه في مجلس العامة، محتقراً لقدرك،
مستصغراً لقربتك بأمر المؤمنين، وعواطف رحمه عليك، و
امساكك عنه [117] تعظيماً لأمر المؤمنين و سلطانه، و تمسكاً
بوثائق عصم طاعته، على مؤلم ما تداخلك من قبائح ألفاظه، و
شرارة منطقته، و إكبابه^(٢) عليك عند إطراقك عنه مروياً في ما
أطلق أمير المؤمنين من لسانه، و أطال من عنانه، و رفع من
ضعته، و نوه من خموله. كذلك أنتم آل سعيد في مثلها عند هذر
الذنابى، و طائشة أحلامها، صمتٌ غير^(٣) ما إفحام، بل بأحلام
تخف^(٤) بالجبال، و قد حمد أمير المؤمنين تعظيمك إياه، و توقيرك
سلطانه و سكره^(٥)، و قد جعل أمر خالد إليك في عزله و إقراره،
فإن عزلته أمضى عزلك إياه، و إن أقررتَه فتلک منة لك عليه لا
يشركك أمير المؤمنين فيها.

١. أيها أتى: كذا في الأصل و آ و مط. في الطبرى: على أيهما أتى.
٢. إكبابه: كذا في الأصل و مط و آ: إكبابه. في الطبرى (٩: ١٦٤٥): إكتابه.
٣. في الأصل: عن ما إفحام. في آ: غير ما إفحام. في مط: عن ما اتحام. في الطبرى (٩: ١٦٤٥): من غير إفحام.
٤. في الطبرى تخف بالجبال وزنا.
٥. سكره: كذا في الأصل و آ: سكره. في الطبرى (٩: ١٦٤٥) و مط: شكره.

«و قد كتب إليه أمير المؤمنين بما يطرد عنه سنة الهاجع عند وصوله له، يأمره بإتيانك، راجلا على أية حالة صادفه كتاب أمير المؤمنين و ألقاه رسوله الموجه إليك من ليله أو نهاره، حتى يقف ببابك، أذنت له أو حجبته، أقررتة أو عزلته.

«و تقدّم أمير المؤمنين إلى رسوله في ضربه بين يديك عشرين سوطا على رأسه، إلا أن تكره أن يناله ذلك بسببك [118] لحرمة خدمته، فأتهما رأيت إمضاءه كان لأمر المؤمنين في بزه لك و تعظيمه حرمتك و قرابتك و صلة رحمك موافقا و إليه حبيبا في ما ينوى من قضاء حق آل أبي العاص و سعيد.

«فكاتب أمير المؤمنين مبتدئا و مجيبا و محادثا و طالبا، ما عسى أن ينزل بك أهلك من حوائجهم التي تقعد بهم الحشمة عن تناولها من قبله لبعده دارهم عنه، و قلّة إمكان الخروج لإنزالها به غير محتشم من أمير المؤمنين، و لا مستوحش من تكرارها عليه على قدر قرابتهم و أديانهم و أسنانهم^(١)، مستميحا و مسترفدا و مُطالباً مستزيداً، تجد إليك أمير المؤمنين سريعا بالبر لما يحاول من صلة قرابتهم، و قضاء حقوقهم.

«و بالله يستعين أمير المؤمنين على ما ينوى، و إليه يرغب في العون على قضاء حقوق قرابته، و عليه يتوكل، و به يثق، و الله وليّه و مولاه، و السّلام.»

جناية خالد على نفسه

و ممّا جنّاه خالد على نفسه، أنّ رجلا يقال له: فروخ كان قد تقبّل من ضياع

١. أسنانهم: كذا في الأصل. في الطبري (٩: ١٦٤٦): أنسابهم. في مط: لسانهم.

هشام بن عبد الملك بموضع يُقال له: نهر الرمان فكان يُدعى لذلك: فرّوخ الرمانى فتقل مكانه على خالد.

فقال خالد لحسان [119] النبطى:

«و يحك، اخرج إلى أمير المؤمنين، و زد على فرّوخ.»

فخرج حسان، فزاد عليه ألف ألف، فبعث معه هشام رجلين من صلحاء أهل الشام^(١)، فحاز الضياع، فصار حسان أثقل على خالد من فرّوخ، فجعل يُضرب به و يوذيه، فيقول حسان له:

«لا تُفسدنى و أنا صنيعتك.»

فأبى إلا الإضرار به حتى بثق عليه البشوق. فخرج حسان إلى هشام، فقال:

«إنّ خالدأ بثق البشوق على ضياعك.»

فوجه هشام رجلا، فنظر إليها، ثم رجع فأخبره.

و أقام حسان يُفسد أمر خالد حتى قال يوما لخادم من خدم هشام:

«إن تكلمت بكلمة أقولها لك حيث يسمع هشام، فلك عندى ألف دينار.»

قال:

«فجعل لى الألف، و أقول ما شئت.»

فجعلها له و قال له:

«تلك صبيّا من صبيان هشام، فإذا يكى فقل له: اسكت و الله لكأنك ابن

خالد القسرى الذى غلته ثلاثة عشر ألف ألف.»

ففعل. فسمعها هشام، و دارت فى نفسه. فلما دخل عليه حسان، قال:

«أدن منى.» فقال:

«كم غلة خالد؟» قال:

١. أهل الشام: سقطت الكلمتان من مط.

- «عشرون ألف ألف». قال.

- «فكم غلّة ابنه؟» قال:

- «ثلاثة عشر ألف ألف». قال:

- «فكيف لم تخبرني [120] بهذا؟» فقال:

- «و هل سألتني؟»

فوقرت^(١) في نفس هشام، حتّى عزله.

و ممّا كتب به هشام إلى خالد:

- «قد بلغني يا بن أمّ خالد أنّك تقول: ما ولاية العراق لي بشرف. فيا بن

اللعناء، كيف و أنت من بجيلّة القليلة الذليلة؟ أما و الله، إنّني لأظنّ أن أول ما

يأتيك صقر^(٢) من قریش يشدّ يديك إلى عنقك.»

و كان من أسباب موجدته أيضاً، أنّ رجلاً قدم عليه، فقال:

- «إنّني سمعت خالداً ذكر أمير المؤمنين بما لا يلتقي به الشفتان، قال: قال

الأحول! قال لا، بل أشدّ من ذلك.» قال:

- «فما هو؟» قال:

- «لا أقوله أبداً.»

و لمّا صحّ عزم هشام على عزل خالد، أحب أن يكتم ذلك حتّى يتمّمه.

فاختار لمكانه يوسف بن عُمَر، و كان يومئذ والي اليمن. فكاتبه، فقدم عليه

جُنْدَب مولى يوسف بكتاب له. فقرأه، ثمّ قال لكاتبه:

- «أجبه على لسانك.»

و كتب هو بخطّه كتاباً صغيراً. ثمّ قال لي^(٣):

١. فوقرت: كذا في الأصل و آ: فوقرت. وقر فلاناً: جرّحه.

٢. صقر: كذا في الأصل و مط و آ: صقر. في الطبري (٩: ١٦٤٦): صغير.

٣. لي: كذا في الأصل والطبري (٩: ١٦٤٩): لي. في مط: له.

- «إيتنى بكتاب سالم.»

و كان سالم على الديوان، فأتيته به، فأدرج فيه الكتاب الصغير، ثم قال:
- «أختمه.»

ففعلت. ثم دعا برسول يوسف، فقال:

- «إن صاحبك لمتعدّ طورَه، و يسأل فوق قدره.» [121]

ثم قال لى:

- «مزق ثيابه.»

ثم أمر بضربه. فضربه أسواطاً، و قال:

- «أخرجه عنى، و ادفع إليه كتابه.»

فدفعت إليه الكتاب و قلت له:

- «ويلك، النجا.»

فارتاب بشير بن أبى ثلجة^(١) بذلك و كان خليفة سالم و قال:

- «هذه حيلة و الله.»

و قد ولى يوسف العراق. فكتب إلى عياض، و هو صاحب طارق بن أبى

زناد، و طارق هذا خليفة خالد على الخراج. و كان كتابه إلى عياض:

- «إن أهلك قد بعثوا إليك بالثوب اليماني، فإذا أتاك فالبسه، و احمد الله، و

أعلم ذلك طارقاً.»

فبعث عياض إلى طارق بالكتاب، و ندم بشير على كتابه، فكتب إلى عياض:

- «إن أهلك قد بدا لهم فى إمساك الثوب، فلا تتكل عليه.»

فجاء عياض بالكتاب الآخر إلى طارق. فقال طارق:

١. ثلجة: ما فى الأصل مهمل فى الحرف الاول. ما فى مط مهمل فى الأول أيضاً. و ما فى آ. يشبه أن يكون: مُلحة.

- «الخبر في الكتاب الأول، ولكن صاحبك ندم و خاف أن يظهر الكتاب^(١).
فكتب بهذا.»

ثم ركب طارق من الكوفة إلى خالد، و هو بواسط، فسار يوماً و ليلة،
فصبتهم، فرأه داود البربري و كان على حجابة خالد و حرسه و ديوان
الرسائل فأعلم خالدا قدومه، فغضب و قال:

- «قدِمَ بغير إذن!»

ثم أذن له. [122] فلما رآه قال:

- «ما أقدمك؟»^(٢) قال:

- «أمرُ كنتُ أخطأتُ فيه.» قال:

- «و ماهو؟» قال:

- «وفاة أسد. رحمه الله كتبتُ إلى أمير أعزّيه عنه، و إنما كان ينبغي أن آتية
ماشيا.»

فرق خالد، و دمعت عيناه و قال:

- «ارجع إلى عملك.» فقال:

- «أردتُ أن أذكر للأمير أمراً أسره إليه.» قال:

- «ما دون داود سر.» قال:

- «أمر من أمري.»

فغضب داود و خرج، فأخبر طارق خالدا. قال:

- «فما الرأي؟» قال:

١. الكتاب: كذا في الأصل و مط و آ: الكتاب. ما في الطبري (٩: ١٦٥٠): الخبر.

٢. ما أقدمك: كذا في الأصل و آ: ما أقدمك. في مط: «ما أقدمك!»

ذكر آراء أشير بها على خالد فلم يقبلها

- «تركب إلى أمير المؤمنين، فتعذر^(١) إليه من شيء إن كان بلغه عنك.»
قال خالد:

- «ما أركب إليه بغير إذنه.» قال:

- «فشيء آخر.» قال:

- «و ما هو؟» قال:

- «تسير في عملك و أتقدمك إلى الشام، فأستأذنه لك. فإنك لا تبلغ أقصر
عملك حتى ياتيك إذنه.» قال:

- «و لا هذا.» قال:

- «فأذهب، و اضمن لأمر المؤمنين جميع ما انكسر في هذه السنين، و
أتيك بعهدك مستعبلا.» قال:

- «و ما مبلغ ذلك؟» قال:

- «مائة ألف ألف.» قال:

- «و من أين أجد^(٢) هذا؟ و الله ما أجد عشرة آلاف ألف^(٣) درهم.» قال:

- «أتحمل أنا و سعيد بن راشد [123] أربعين ألف ألف درهم، و تفرق الباقي

على العمال أو الزينبي و أبان بن الوليد عشرين ألف ألف درهم^(٤)» قال:

- «إني إذن للثيم إن كنت سوغت قوما شيئا ثم أرجع فيه.»

فقال طارق:

- «إننا نقيك و نقي أنفسنا بأموالنا، و نستأنف الدنيا، و نبقي النعمة عليك و

١. فتعذر: كذا في الأصل و آ، و الطبري (١٦٥٠): فتعذر. في مط: فتعذر.

٢. اجد: كذا في الأصل و مط و آ، أجد. في الطبري (٩: ١٦٥٠): آخذ.

٣. في الأصل و آ: عشرة الف الف. في مط و الطبري: عشرة آلاف.

٤. ما بين [] ساقط من الأصل و مط، و هو موجود في آ، و الطبري (٩: ١٦٥١).

علينا، خيرٌ من أن يجيء من يطالبنا بالأموال، و هي عند تجّار أهل الكوفة،
 فيتقاعسون ويتربصون بنا، فنقتل نحن و يأكلون تلك الأموال.»
 فأبى خالد فودّعه طارق و بكى و قال:
 - «هذا آخر ما نلتقى في الدنيا.»

[مواساة من بلال بن أبي بُرده لخالد]

و تحدّث ابن عيّاش أنّ بلال بن أبي بُردة كتب إلى خالد و هو عامله على
 البصرة حين بلغه تعصّب هشام عليه:
 - «إنّه حدث أمر لا أجد بداً من مشافهتك به. فإن رأيت أن تأذن لي، فإنّما
 هي ليلة و يومها إليك، و يوم عندك، و ليلة و يومها منصّرفاً.»
 فكتب إليه: أن أقبل إذا شئت.
 فركب هو و موليان، له الجمّازات. فسار يوماً و ليلة حتّى صلّى المغرب
 بالكوفة و هي ثمانون فرسخاً، فأخبر خالد بمكانه، فأتاه و قد تعصّب. فقال:
 - «أبا عمرو، أتعبت نفسك.» قال:
 - «أجل.» قال:
 - «متى عهدك بالبصرة؟» قال:
 - «أمس.» قال: *مترجم: كما تبرز علوم راسدي*
 - «أحقّ ما تقول؟» قال:
 - «هو و الله ما قلتُ.» قال:
 - «فما أنصبتك؟» قال:
 - «بلغني من تعصّب أمير المؤمنين و قوله [124] و ما بغاك^(١) به ولده و أهل

١. بغاك: كذا في الأصل بغاك. الباء في آ: مهلمة. في مط: بغاك الله.

بيته. فإن رأيت أن تعرض عليه بعض أموالنا ثم تدعوه منها إلى أحب، فأنفسنا به طيبة. ثم اعرض على مالك، فما أخذ منه فعلينا^(١) العوض منه بعد.» قال:
 - «ما أتهمك، وحتّى أنظر.» قال:
 - «إني أخاف أن تُعاجل.» قال:
 - «كلاً.» قال:

- «إن قريشا من عرفت^(٢) و لاسيما سرعتهم إليك.» قال:
 - «يا بلال، إني و الله ما أعطى شيئا قسرا أبدا.» قال:
 - «أيها الأمير، أتكلّم؟» قال:
 - «نعم.» قال:

- «إن هشاما أعذر^(٣) منك. يقول: استعملتك و ليس لك شئ، فلم تر من الحقّ عليك أن تعرض على بعض ما صار إليك، و أخاف أن يزين له حسان النبطى ما لا تستطيع إدراكه، فاعتنم هذه الفترة.» قال:
 - «أنا ناظر فى ذلك. فأنصرف راشدا.» فأنصرف بلال و قد يؤس منه.

هشام يوتى يوسف بن عمر العراق

و كان رسول يوسف بن عمر لمّا قدم عليه قال له:

- «ما وراءك؟» قال:
 - «الشرّ. أمير المؤمنين ساخط عليك، و قد ضربنى و لم يكتب جواب كتابك، و هذا كتاب سالم صاحب الديوان.»
 ففصّل الكتاب و قرأه. فلمّا انتهى إلى آخره قرأ كتاب هشام بخطه أن:

١. فعلينا: كذا فى الأصل. فى آ: لعليينا.

٢. من عرفت: كذا فى الأصل. فى آ: قد عرفت.

٣. أعذر: كذا فى الأصل: أعذر. فى آ: أغدر. ما فى مط: مهمل.

- «سِرْ إِلَى الْعِرَاقِ، فَقَدْ وَلَّيْتُكَ، وَ إِيَّاكَ أَنْ يَعْلَمَ بِذَلِكَ أَحَدٌ، وَ خُذْ ابْنَ النَّصْرَانِيَّةِ [125] وَ عَمَّالَهُ، فَاسْتَفْنِي مِنْهُمْ.»

فَاسْتَخْلَفَ يُوسُفَ ابْنَهُ عَلَى عَمَلِهِ، وَ اخْتَارَ دَلِيلًا عَالِمًا بِالطَّرِيقِ^(١) وَ سَارَ. فَسَأَلَهُ ابْنَهُ:

- «أَيْنَ تَرِيدُ؟» قَالَ لَهُ:

- «يَا بْنَ اللَّخْنَاءِ، أُيْخِضِي عَلَيْكَ إِذَا اسْتَقَرَّرْتُ بِي مَنْزِلًا»

ثُمَّ سَارَ. فَكَانَ إِذَا أَتَى طَرِيقَيْنِ سَأَلَ. فَإِذَا قِيلَ: هَذَا إِلَى الْعِرَاقِ، قَالَ: أَعْرِفْ، حَتَّى أَتِيَ الْكَوْفَةَ. فَقَالَ لْغَلَامِهِ كَيْسَانَ:

- «إِنْ طَلَقَ، فَأَتْنِي بِطَارِقٍ، فَإِنْ كَانَ قَدْ أَقْبَلَ، فَاحْمِلْهُ عَلَى أَكَافٍ، وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ أَقْبَلَ، فَأَتِ بِهِ سَحْبًا.»

قَالَ: فَأَتَيْتُ الْحَيْرَةَ دَارَ عَبْدِ الْمَسِيحِ وَ هُوَ سَيِّدُ أَهْلِ الْحَيْرَةِ. فَقُلْتُ لَهُ:

- «إِنَّ يُوسُفَ قَدْ قَدَّمَ عَلَى الْعِرَاقِ، وَ هُوَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَشُدَّ طَارِقًا وَ تَأْتِيَهُ بِهِ^(٢).»

فَخَرَجَ هُوَ وَ وَلَدُهُ وَ غُلَمَانُهُ حَتَّى أَتَوْا مَنْزِلَ طَارِقٍ. وَ كَانَ لَطَارِقُ غَلَامٌ شَجَاعٌ مَعَهُ غُلَمَانُ شَجْعَانٍ، لَهُمْ سِلَاحٌ وَ عُذَّةٌ. فَقَالَ لَطَارِقُ:

- «إِنْ أَذْنْتُ لِي خَرَجْتَ إِلَى هَؤُلَاءِ فِي مَنْ مَعِيَ فَقَتَلْتَهُمْ، ثُمَّ طَرْتُ عَلَى وَجْهِكَ حَيْثُ شِئْتُ.»

فَقَالَ: «لَا.»

وَ أَذِنَ لَكَيْسَانَ. فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ:

- «أَخْبِرْنِي عَنِ الْأَمِيرِ مَا يَرِيدُ؟» قَالَ:

- «الْعَالِ.» قَالَ:

١. فِي آ، وَ الطَّبْرِي (٩: ١٦٥٢): الطَّرِيقُ.

٢. وَ تَأْتِيهِ بِهِ. كَذَا فِي الْأَصْلِ وَ مَط وَ آ وَ الطَّبْرِي (٩: ١٦٥٢): وَ تَأْتِيهِ بِهِ.

- «فأنا أعطيه ما سأل».

ثم أقبلوا إلى يوسف، فتوافوا بالحيرة. فلما عاينه ضربه ضرباً مبرحاً، يقال: خمسمائة، [126] و دخل المدينة - يعنى الكوفة - فخطب بها و توعد أهل العراق و قال:

- «والله لأقتلن منافقيكم بالسيف و جُناتكم بالعذاب، و فساقكم بالسوط».

ثم نزل، و مضى إلى واسط و أتى بخالد و هو بها، فحبسه. فتوسط بينهما الناس حتى صالحه أبان^(١) بن الوليد على تسعة آلاف ألف درهم. فنُذِم^(٢) يوسف و قيل له:

- «لو لم تفعل لأخذت منه مائة ألف ألف درهم» قال:

- «ما كنت لأرجع و قد رهننت لسانى بشئ».

و أخبر خالد، فقال:

- «أسأتم حين أعطيتموه عند أوّل وهلة تسعة آلاف ألف، ما آمن أن يأخذها ثم يعود عليكم، فارجعوا عليه».

فجاؤوه، و قالوا:

- «إنّ خالدًا ليس يرضى بما ضمنا و أخبرنا أنّ الملك لا يمكنه» فقال:

- «انتم أعلم و صاحبكم. أما أنا فلا أرجع عليكم، فإن رجعتم لم أمنعكم».

قالوا:

- «فإنّا قد رجعنا» قال:

- «[أ] [أ^(٣)] فقد فعلتم؟» قالوا:

- «نعم» قال:

١. أبان: كذا فى الأصل: أبان. فى آ و مط و الطبرى (١٦٥٢:٩): أبان.

٢. فنُذِم: كذا فى الأصل فنُذِم. فى آ: فندم. فى الطبرى: ثم ندم. فى مط: فتقدم.

٣. [أ]: الهمزة: ليست فى الأصل و مط و أضفناها من آ.

«فمنكم أتى النقص. فوالله لا أرضى بتسعة آلاف ألف، ولا أضعافها». فأخذ مائة ألف ألف.

كتاب يوسف بن عمر إلى جديع بولاية خراسان
ثم كتب يوسف بن عمر إلى جديع بن علي الكرمانى بولاية خراسان. فأتاه الكتاب بمرو، فخرج إلى الناس، فخطبهم، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر أسداً وما صنع [127] الله للناس على يده بعد ما كانوا فيه من الشدة والجهد. ثم ذكر أخاه خالدًا بالجميل، وأثنى عليه، وذكر قدوم يوسف بن عمر إلى العراق، وحث الناس على الطاعة ولزوم الجماعة، ثم قال:
«غفر الله للميت - يعنى أسداً - وعافى المعزول، وبارك للقادم». ثم نزل.

و فى هذه السنة عُزل جُديع الكرمانى عن خراسان
و وليها نصر بن سيار
ذكر السبب فى ذلك
لما انتهت وفاة أسد إلى هشام استشار أصحابه فى من يصلح لخراسان.
فأشير عليه بقوم. فقال: «اكتبوا أسماءهم». -
فكان ممن كتب له: عثمان بن عبد الله بن الشخير، و يحيى بن الحصين بن المنذر، و نصر بن سيار، و المجشّر بن مزاحم السلمى، و غيرهم.
- فسأل عن عثمان، فقيل: «هو صاحب شراب». -
و سأل عن المجشّر، فقيل: «هو شيخ هم». -
و سأل عن ابن حصين، فقيل: «فيه تية و عظمة».

و سأل عن قطن بن قُتيبة، فقليل: «هو موتور».

فاختار نصر بن سيار. فقليل:

— «ليست له بها عشيرة» فقال:

— «أنا عشيرته».

فولاه، و بعث بعده. و كان هشام سأل عبد الكريم [128] — و كان أتاه من خراسان من أخبره بموت أسد:

— «[مَن ترى أن نولّى خراسان؟]»^(١) بلغنى أن لك بها و بأهلها علماً» فقال:

— «يا أمير المؤمنين، أمّا رجل خراسان حزماً و نجدة فالكرمانى».

فأعرض بوجهه و تطيّر من اسمه: «جُديع» و قال:

— «سمّ لى غيره».

قال: قلت:

— «اللّسن المحرب يحيى بن نعيم بن هبيرة الشّيبانى» قال:

— «ربيعة لا تُسدّ بها الثّغور».

فقال عبد الكريم: فقلت فى نفسى، قد كرة ربيعة و اليمن، فأرميه بمُضر. فقلت:

— «عقيل بن معقل اللّشى إن اغتفرت هنة» قال:

— «ما هى؟» قلت:

— «ليس بالعفيف» قال:

— «فلا حاجة لى به» قال: قلت:

— «المجشّر بن مزاحم، عاقل شجاع له رأى» قال:

— «فيه كذب، و لا خير فى الكذب».

١. ما بين ١ | تكملة أضفناها من الطبرى (٩: ١٦٦١).

قال عبد الكريم: و أخَرْتُ نصرًا و هو أرجل القوم^(١) و أعرفهم بالسياسة.
ثم قلت: «نصر بن سيار الليثي.» فقال:
- «نصر بن سيار هو لها.» قلتُ:
- «فإنَّ عشيرته بها قليلة.» قال^(٢):
- «لا أبأ لك، أكثر مني؟ أنا عشيرته.»

فولَّى نصرًا، و أمره بمكاتبة يوسف بن عمر. و كان يوسف قد أسمى
لخراسان جماعة، و أوفد في ذلك وفدا، فأبى عليه هشام فيهم.
و كان خرج بعهد نصر إلى خراسان عبد الكريم الحنفى، أنفذه هشام مع
كاتبه أبى المهند، فوصل عبد الكريم بعشرة آلاف درهم. [129]
و استعمل نصر خلفاءه على كورخراسان، و عمر خراسان عمارة لم تُعمر
قطّ مثلها، و وضع الخراج، و أحسن الولاية و الجباية، و مدحه الشعراء، و كان
نصر شاعرا خطيبا، فخطب الناس، و قال في خطبته:

استمسكوا أصحابنا يُحدِّ بِكُمْ^(٣) فقد عرفنا خيركم من شرِّكم

ثم دخلت سنة احدى و عشرين و مائة

و فيها غزا مروان بن محمد بلاد صاحب السرير الذهب، ففتح قلاعه، و
خرَّب أرضه، فأذعن له بالجزية في كل سنة ألف رأس يؤديه، و أخذ رهائنه، و
ملكه^(٤) على أرضه.

١. أرجل القوم: كذا في الأصل و مط و الطبرى (٩: ١٦٦٢). ما في آ: أرجلهم.
٢. قال: في الأصل: قلتُ و هو خطأ. و الصواب هو ما اثبتناه كما في مط و آ.
٣. يُحدِّ بِكُمْ: الضبط في الأصل. ما في آ. مهمل. في مط يحدكم. و في الطبرى (٩: ١٦٦٦): بُجِدَّتْكُمْ. و في حواشيه: بِحُدِّيْكُمْ. أى بسيوفكم. و حذا بالاييل: ساقها.
٤. و ملكه: كذا في النسخ الثلاث. في الطبرى (٩: ١٦٦٧): و ملك مروان على أرضه.

قتل زيد بن علي بن الحسين (ع)

و فيها قتل زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب — صلوات الله عليهم^(١) — في قول الواقدي. وفي قول هشام بن محمد: قُتل في سنة اثنتين و عشرين و مائة.

ذكر السبب في مقتله و السبب في خروجه

كان بين أولاد الحسين و الحسن — عليهم السلام^(٢) — خصومة في صدقة رسول الله^(٣) — صلى الله عليه — و كانوا يتنازعون إلى والي المدينة، و كان واليها يومئذ إبراهيم بن هشام. و انتهت الخصومة إلى زيد بن علي، و إلى جعفر بن حسن. فلما هلك جعفر قال عبد الله بن حسن بن حسن [130]

— «مَنْ لزيد؟»^(٤)

قال حسن بن حسن بن حسن:

— «أنا.» قال:

— «إنا نخاف لسانك و يدك. و لكنني أنا أكفيك»^(٥). قال:

— «إذن لا تبلغ حاجتك أو حجّتك»^(٦) | و لكن أبلغ حجّتي.

١. صلوات الله عليهم كذا في الأصل، و التصلية مشطوبة في آ و قد كتب مكانها: رضى الله عنهم. في مط أيضاً: رضى الله عنهم.

٢. عليهم السلام. كذا في الأصل. في مط: رضى الله عنهم. في آ: عليهما السلام و الرضوان.

٣. صدقة رسول الله: كذا في الأصل و مط و آ: صدقة رسول الله. و زاد في هامش الأصل: هو صدقة علي، عليه السلام.

٤. من لزيد؟ في الطبري (٩: ١٦٧٢): من يكفينا زيدا؟

٥. أنا أكفيك: تكملة من الطبري (٩: ١٦٧٢).

٦. و حجّتك، تكملة من الطبري أيضاً.

فتنازعا يوماً، فأغلظ عبد الله لزيد و قال:

- «يا بن العذكية^(١)».

فتضاحك زيد و قال:

- «فعلتها يا با محمد».

ثم ذكر أمه بشيء.

و كانت ولاية المدينة يومئذ لخالد بن عبد الملك و هذه الخصومة كانت عنده. فقال خالد:

- «اغدوا علينا غداً. فلست لعبد الملك إن لم أفصل بينكما».

فباتت المدينة تغلى كالمرجل، يقول قائل: قال زيد كذا، و يقول قائل: قال عبد الله كذا. فلما كان الغد، جلس خالد فى المسجد و اجتمع الناس. فمن شامت و من مهموم. فدعا بهما خالد و هو يحب أن يتشاما فيتبين ذلك لهما. و ذهب عبد الله يتكلم. فقال زيد:

- «لا تعجل يا با محمد، أعتق زيد ما يملك، إن خاصمك إلى خالد أبداً^(٢)».

ثم قال:

- «يا خالد، لقد جمعت ذرية رسول الله صلى الله عليه لأمر ما كان يجمعهم عليه أبوبكر و لا عمر^(٣)».

فقال خالد: مركز حقائق كالمؤثر علوم إسلامي
- «ما لهذا السفيه أحد».

فتكلم رجل من الأنصار من آل عمرو بن حزم، فقال:

١. العذكية (العذكية؟): كذا فى الأصل. فى مط: العذكية. فى الطبرى (٩: ١٦٧٣): يا بن

الهندكية. و فى حواشيه عن بعض الأصول: السندية.

٢. انظر الطبرى (٩: ١٦٧٤).

٣. زاد فى مط: رضى الله عنهما.

- «يا بن أبي تراب و ابن حسين السّفيه^(١)، أما ترى للوالى عليك حقاً و لا طاعة!

فقال زيد:

- «أسكت أيها القحطانيّ، فإنّا لا نجيب مثلك.» فقال:

- «ولمّ؟ أترغب عنيّ؟ فو الله، إنّي لخير منك و أبى [131] خير من أبيك، و أمى خير من أمك.»

فتضاحك زيد، ثمّ قال:

- «يا معشر قريش، هذا الدّين قد ذهب، أذهبت الأحساب؟ فو الله، إنّه ليذهب دينُ القوم و ما تذهب أحسابهم.»

فتكلّم عبيد الله بن واقد بن عبد الله بن عمر بن الخطّاب ، فقال:

- «كذبت و الله يا قحطانيّ، فهو لخير منك نفساً و أباً و أمّاً و محتداً.»
و تناوله بكلام كثير.

فقال القحطانيّ:

- «دعنا منك، يا بن واقد.»

فأخذ ابن واقد كفاً من حصباء المسجد، فضرب بها الأرض، ثمّ قال:

- «أف! و الله ما لنا على هذا صبر.»

و قام فشخص زيد إلى هشام بن عبد الملك. فجعل هشام لا يأذن له، فيرفع إليه القصص. فكلّما قرأ قصّة له كتب هشام فى أسفلها:

- «إرجع إلى أميرك.» فيقول زيد:

- «إنّي و الله ما أرجع إلى خالد أبداً، و ما أسأل مالاً، و إنّما أنا رجل مخاصم.»

١. لعن القائل فى هامش آ، بخط آخر.

إذن هشام لزيد و محاجة جرت بينهما

ثم إن هشاماً أذن له يوماً بعد طول حبس، و جلس في عُلْيَةٍ له رفيعة، و أمر خادماً له أن يتبعه و يتسمع عليه، فقال له:

«أنظر لا يَرِيَنَّكَ [و اسمع ما يقول]»^(١)

قال: فأتعبته الدَّرَجَة و كان بادناً فوقف في بعضها و قال:

«و الله ما أحبُّ الدنيا أحد إلا ذلَّ»

فلما أعيد ذلك على هشام، علم أنه خارج عليه.

فيقال: إن هشاماً قال له يوماً:

«لقد بلغني يا زيد، أنك تذكر الخلافة و تتمناها و لست [132] هنالك»^(٢)

فإنك ابن أمة»

فقال زيد:

«إن لك يا أمير المؤمنين جواباً» قال:

«فتكلّم به» قال:

«إنه ليس أحد أولى بالله، و لا أرفع عنده منزلة من نبيّ ابتعثه، و قد كان

اسماعيل من خير الأنبياء و ولد خيرهم محمداً صلى الله عليه و كان ابن أمة، و

أخوه ابن صريحة مثلك، فاختاره الله عليه، فأخرج منه خير البشر، و ما على

أحد [من ذلك] ^(٣) جدّه رسول الله - صلى الله عليه ما كانت أمة»^(٤)

فقال له هشام:

«أخرج عني» قال:

١. و اسمع ما يقول: تكملة من الطبري (٩: ١٦٧٥).

٢. لست هناك: كذا في النسخ و في الطبري (٩: ١٦٧٦).

٣. تكملة من الطبري.

٤. ما كانت أمة: كذا في الأصل و مط و الطبري (٩: ١٦٧٦). في آ: ما كانت أمة أمة.

- «إن خرجتُ لا تراني إلا حيث تكره.»

فقال له سالم:

«لا يظهرنّ منك هذا.»

بين خالد بن عبد الله القسري و زيد بن علي

ثم إن خالد بن عبد الله القسري ادّعى مالا له قبل زيد بن علي، و محمد بن عمر بن أبي طالب، و داود بن علي بن عبد الله بن العباس و إبراهيم بن سعد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، و أيوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة المخزومي. فقدمت كتب يوسف بن عمر على هشام بذلك، فبعث إليهم يخبرهم بما ادّعى عليهم خالد، فأنكروا.

فقال لهم هشام:

- «فاخرجوا إليه يجمع بينكم و بينه.»

فقال له زيد بن علي:

- «أنشدك الله و الرَّحْم، أن تبعث بي إلى يوسف بن عمر.» قال:

- «و ما الذي تخاف منه؟» قال:

- «أخاف أن يعتدي عليّ.»

قال هشام:

- «ليس له ذاك.»

و دعا كاتبه و قال له: أكتب إلى يوسف بن عمر:

- «أمّا بعد، فإذا قدم | 133 | عليك فلان و فلان، فاجمع بينهم و

بين خالد القسري و ابنه يزيد. فإن هم أقرّوا بما ادّعى عليهم،

فسرح بهم إليّ، و إن هم أنكروا، فسله بيّنة، فإن لم يُقمها،

فاستحلفهم بالله الذى لا إله إلا هو: ما استودعكم خالد و لا ابنه
يزيد وديعة، و لا لهما قبلكم شيء. ثم خل سبيلهم.

فقالوا لهشام:

«إنا نخاف تعذيبه لكتابك.» قال:

«كلاً، إني قد صدقتكم، و لكن لا بد من أن تكذبوا خالداً فى وجهه، و أنا
باعث معكم رجلاً من الحرس بذلك، حتى يعجل الفراغ منه، و يردكم إلى.»
قالوا:

«جزاك الله خيراً.»

فوصلهم هشام، و سرح بهم إلى يوسف. فلما قدموا عليه أجلس زيد بن
على قريباً منه، و ألطفه فى المسألة. ثم سألهم عن المال، فأنكروا جميعاً،
فأخرج يوسف خالداً إليهم فى عباءة، و جمع بينه و بينهم، و قال:
«هذا زيد بن على، و هذا داود بن على، و هذا فلان و فلان الذين ادّعت
عليهم ما ادّعت، و قد أمر أمير المؤمنين بكيت و كيت، و هذا الكتاب. فهل
عندك بيّنة بما ادّعت؟»
فلم تكن له بيّنة.

فقال يوسف للقوم: «أتحلفون أن خالداً ما أودعكم ما لا و لا له قبلكم حق [134]

فقال زيد:

«أنى^(١) يودعنى هذا مالاً و هو يشتم آبائى على منبره؟»
و سكت القوم. ثم التفتوا بأجمعهم إلى خالد و قالوا:

١. أنى: كذا فى الأصل و آ. و ما نفى مط: ان.

«ما دعاك إلى ما صنعت؟»

قال:

«إنه أغلظ عليّ في العذاب، فادّعيث ما ادّعيث، و أمّلت أن يأتي الله بفرج قبل قدومكم.»

فأطلقهم يوسف، فمضوا، و تخلف بالكوفة زيد بن عليّ و داود.

إقبال الشيعة إليه

و أقبلت الشيعة تختلف إلى زيد و يوسف يأمره بالخروج، و هو يعتلّ عليه، و بلغ ذلك هشاماً. فكتب إلى يوسف:

«إنه بلغني أن زيدا يحتجّ عليك في مقامه بخصومة بينه و بين بعض آل طلحة في مال بينه و بينهم بالمدينة، فليقم جرياً^(١) يقوم مقامه.»

و أزعجه، و قد كان بايعه سلمة بن كهل، و نصر بن خزيمة العبسي، و معاوية بن إسحاق الأنصاري و ناس من وجوه أهل الكوفة. فلمّا رأى ذلك داود بن عليّ قال:

«يا بن عمّ، لا يغرنك هؤلاء من نفسك. ففي أهل بيتك لك عبرة.»

و ذكره بأيّام عليّ و أيّام الحسن و الحسين، و لم يزل به حتّى أخرجه معه، فشخصا حتّى بلغا القادسيّة. فاتبعه شيعة حتّى بلغوا الثعلبية، و قالوا له: نحن أربعون ألفاً، و إن رجعت إلى الكوفة لم يتخلف عنك أحد. فجعل يقول:

«إنّي أخاف أن تخذلوني [135] و تسلموني كما فعلتم بأبي و جدّي.»

١. فليقم جرياً: كذا في الأصل. في مط: حرباً. ما في آ مهمل. و في الطبري (٩: ١٦٧٩): فليجرّ جرياً. بدل: فليقم جرياً. الجري: الوكيل. الضامن.

فيحلفون له و يعطونه الموائيق و الأيمان المغلظة، و يقول له داود:
 - «يا بن عم، هكذا قالوا لأبيك و جدك، ثم لم يفوا.» فقال لزيد:
 - «إن هذا لا يحب أن تظهر أنت، و يزعم^(١) أنه و أهل بيته أحق بهذا الأمر
 منكم.»

رجوع زيد إلى المدينة

و لم يزالوا عليه بهذا الكلام و نحوه حتى انصرف معهم إلى الكوفة. فأتاه
 سلمة بن كهيل، فاستأذن عليه، فأذن له. فذكر قرابته برسول الله صلى الله عليه و
 حقه، فأحسن. ثم تكلم زيد فأحسن.
 فقال سلمة:

- «إجعل لي الأمان حتى أقول.» قال:
 - «سبحان الله! و مثلك يسأل مثلي الأمان؟»
 و إنما أراد سلمة أن يسمع ذلك أصحابه.

ذكر رأى أشار به سلمة على زيد، فلم يقبله

فقال:

- «نشدتك الله، كم بايعك^(٢)؟» قال:
 - «أربعون ألفاً.» قال:
 - «فكم بايع جدك؟» قال:
 - ثمانون ألفاً.» قال:

١. و يزعم: كذا في الأصل و مط: و يزعم. ما في آ: و زعم.
 ٢. بايعك: كذا في الأصل و آ: بايعك. في مط: تابعتك. و كذلك في قوله: «فكم بايع
 جدك.»

- «فكم حصل معه؟» قال:
- «ثلاثمائة.» قال:
- «نشدتك الله، أنت خير أم جدك؟» قال:
- «بل جدى.» قال:
- «أ فقرئك الذين خرجت فيهم خير، أم القرن^(١) الذين خرج فيهم جدك؟» قال:
- «بل القرن الذين خرج فيهم جدى.» قال:
- «أفتطمع أن يفى لك هؤلاء، و قد غدر أولئك | 136 | بجدك؟» قال:
- «إنهم بايعونى، و وثقوا لى.» قال:
- «فتأذن لى أن أخرج من البلد؟» قال:
- «و ليم؟» قال:
- «آمن أن يحدث فى أمرك حدث، فلا أملك نفسى.» قال:
- «و قد أذنت لك.» فخرج إلى اليمامة.

كتاب عبد الله بن الحسن إلى زيد

و كتب عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب إلى زيد:

- «يا بن عم، إن أهل الكوفة نفج^(٢) العلانية، خوز السريرة، تقدّمهم
ألستهم، و لا تشايهم قلوبهم. و لقد تواترت إلى كتبهم، فصممت
عن ندائهم، و ألبست قلبى غشاء عن ذكرهم، يأسا منهم، و أطراحا
لهم، و ما لهم مثل إلا ما قال على بن أبى طالب»

١. القرن: قرن القائد: هم الذين يتبعونه و يعاونونه.

٢. نفج: كذا فى الأصل و آ. نفج، فى مط: نفج، فى الطبرى (٩: ١٦٨١): نفخ.

و ذكره بأشياء قالها في أهل العراق.

[كيف كانت بيعة زيد]

و استخفى زيد بالكوفة و بثّ دعائه، و أخذ يتنقل من موضع إلى موضع و يبايع من استجاب له. و كانت بيعته:

- «إني أدعوكم إلى كتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه و جهاد الظالمين، و الدفع عن المستضعفين، و إعطاء المحرومين، و قسم هذا الفء بين أهله بالسواء، و ردّ المظالم، و إقفال المجتر^(١)، و نصرنا أهل البيت على من نصب لنا. أتبايعون على ذلك؟»

فإذا قالوا: نعم، وضع يده على يده، ثم يقول:

- «عليك عهد الله و ميثاقه و ذمته و ذمة رسوله صلى الله عليه - لتفين بيعتي، و لتقاتلن معي عدوي، و لتنصحن لي في السرّ [137] و العلانية.»

فإذا قال: نعم، مسح يده على يده، ثم قال:
- «اللهم اشهد.»

فمكث بذلك عشر شهرا، و بلغ هشاما خبر رجوعه إلى الكوفة بعد خروجه منها. و لم يبلغ ذلك يوسف بن عمر، و ظنّ أنّه استمرّ في خروجه إلى المدينة.

١. إقفال المجتر: كذا في الأصل و الطبري (٩: ١٦٨٧). في مط: افعال المحمر. في آ: إنقال المحمر (=المجمر).

كتاب هشام إلى يوسف بن عمر في أمر زيد بن عليّ

فكتب هشام إلى يوسف بن عمر في أمر زيد كتاباً نسخته:

«أما بعد، فقد علمت حال الكوفة في حبّهم أهل هذا البيت، و وضعهم إياهم في غير مواضعهم، لأنّهم افترضوا طاعتهم على أنفسهم، وضيّقوا^(١) عليهم شرائع دينهم، و نحلّوهم علم ما هو كائن، حتّى حملوهم من تفريق الجماعة على حال استخفّوهم فيها إلى الخروج، و قد كان قدم زيد بن عليّ على أمير المؤمنين في خصومة له، فرأى رجلاً جديلاً ليسنا خليفاً بتمويه الكلام و صوغه و اجتراح الرجال بحلاوة لسانه و كثرة مخارجه في حجبته، و ما يدلى به عند لدّد الخصام من السّطوة على الخصم بالقوّة الحادّة لنيل الفلج. فعجّل إشخاصه إلى الحجاز، و لا تُخلّه و المقام قبلك، فإنّه إن أعاره القوم أسماعهم فحشاها من لين لفظه و حلاوة منطقه مع ما يدلى به من القرابة برسول الله - صلّى الله عليه - وجدّهم [غير متّدة قلوبهم، و لا ساكنة احلامهم، و لا مصونة عندهم أديانهم]^(٢)، مُيلاً إليه، و بعض التحامل عليه [١٣٨] في أذى له [و إخراجهم و تركه]^(٣) مع السّلامة للجميع، و الحقن للدماء، و الأمن للفرقة، أحبّ إلّى من أمر فيه سفك دمائهم، و انتشار كلمتهم، و قطع سبلهم، و الجماعة حبل الله المتين، و دين

١. و ضيّقوا: كذا في الأصل. في الطبري (٩: ١٦٨): و وظّفوا.

٢. [غير متّدة..] تكلمة من الطبري (٩: ١٦٨٣).

٣. [و إخراجهم..] تكلمة من الطبري، إلّا أنّ في متن الطبري: «مع السّلامة» و في حواشيه: «معه السّلامة».

الله القويم، و عروته الوثقى. فادع إليك أشرف أهل المصر، فأوعدهم العقوبة فى الأبخار، و استصفاء الأموال. فإن من له عقد أو عهد منهم سيبطئ عنه، و لا يخفّ معه إلا الرّاع و أهل السّواد و من تنهضه الحاجة استلذاذاً للفتنة، أو أولئك ممّن يستعبد إبليس و هو يستعبدهم^(١) فبادهم بالوعيد، و اعرضهم بسوطك، و جرّد منهم سيفك، و أخف الأشراف قبل الأوساط، و الأوساط قبل السّفلة. و اعلم أنّك قائم على باب ألفة، و داع إلى طاعة، و حاض على جماعة، و مشرّ لدين الله، فلا تستوحش لكثرتهم، و اجعل معقلك الذى تأوى إليه، و صفوك الذى تخرج به، الثّقة برّبك و الغضب لدينك و المحاماة على الجماعة و مناصبة من أراد كسر هذا الباب الذى أمرهم الله، عزّ و جلّ، بالدّخول فيه، و التشاخّ عليه، فإن أمير المؤمنين قد أعذر إليه، و قضى من ذمامه، فليس له منزى^(٢) إلى ادّعاء حقّ هو له، ظلّمه^(٣) من نصبه فى فى، أو صلّه لذى قري، إلا ما [137] خاف أمير المؤمنين من حمل مدرّة السّوء له^(٤)، على الذى عسى أن يكونوا به أشقى و به أضلّ، و لهم أمر، و لأمر المؤمنين أعزّ و أسهل، إلى حيطة الدّين و الذّبّ عنه، فإنّه لا يحبّ أن يرى فى أمته حالاً متفاوتاً، نكالا لهم مُفتناً^(٥). فهو

١. [و أولئك..] تكلّمة من الطبرى.

٢. منزى: كذا فى الأصل: منزى. فى مط: مبرى. فى آ: مرى.

٣. ظلّمه قري: و العبارة فى الطبرى (٩: ١٦٨٤): ظلّمه من نصيبه نفسه أو فى، أو صلّة لذى قري.

٤. فى آ: فى حمل مدده و فى أخرى مدرّة السّوء له.

٥. فى الطبرى: مُفنيا. بدل: مفتنا. و فى حواشيه: مقيتا.

يستديم النظر، و يتأتى للرّشاد، ويجتنبهم^(١)، على المخاوف، و يستجبرهم إلى المرشد، و يعدل بهم عن المهالك، ففعل الوالد المشفق على ولده، و الرّاعى الحبيب على رعيته. و اعلم أنّ من حجّتك عليهم، و استحقاق نصر الله لك عند معاندتهم، توفيتك أطماعهم و أعطية ذريّتهم، و نهيك جنّدك أن ينزلوا حريمهم و دورهم. فانتهر رضا الله فى ما أنت بسبيله، فإنّه ليس ذنب أسرع تعجيل عقوبة من بغى، و قد أوقعهم الشيطان، و دلائهم فيه، و دلّهم عليه، و العصمة ببارك البغى أولى. فأمر المؤمنين يستعين الله عليهم و على غيرهم من رعيته و يسأل إلهه و مولاه و وليّه أن يصلح منهم ما كان فاسداً، و أن يسرع بهم إلى النّجاة و الفوز، إنّه سميع قريب.

فبحث يوسف فى طلب زيد، فأرشد إلى من يعرف خبره، و جاءه سليمان بن سراقه البارقى، فأخبره أنّه يختلف إلى [140] ابن أخت له، فطلبه يوسف هناك، فلم يوجد عنده، و جاء بالرجل. فلما كلمه استبان له أمر زيد و أصحابه، و تخوّف زيد أن يؤخذ، فأخذ فى التّعجيل.

نكث بيعة زيد

و لمّا رأى أصحاب زيد أنّ يوسف بن عمر قد بلغه أمر زيد و أصحابه، و أنّه يستبحث^(٢) عن أمره، اجتمعت إليه جماعة من رؤساء من بايعه، فقالوا:

١. و يجتنبهم: كذا فى الأصل. فى الطبرى يجتنّبهم. فى مط: و يجتنّبهم عن. ما فى آ: مهمل.

٢. يستبحث: كذا فى آ. و الطبرى (٩: ١٦٩٩) و نقطة الباء غير موجودة فى الأصل. فى مط: يستحثّ.

- «رحمك الله، ما قولك في أبي بكر و عمر؟»^(١)

قال زيد: «رحمهما الله و غفر لهما، ما سمعت من أهل بيتي أحداً يتبرأ منهما، و لا يقول فيهما إلا خيراً.»

قالوا: «فلم تطلب إذا بدم أهل هذا البيت، إلا أن هذين وثبا على سلطانكم. فنزعاه من أيديكم؟» فقال زيد:

- «إن أشد ما نقول في ما ذكرتم أننا كنا أحقّ بسلطان رسول الله صلى الله عليه من الناس أجمعين، و أن القوم استأثروا علينا و دفعونا عنه، و لم يبلغ ذلك بهم عندنا كفراً. قد ولّوا فعدلوا، و عملوا بالكتاب و اتّبعوا السّنة.»
قالوا له:

- «فلم يظلمك إذا هؤلاء، فلم تدعونا إلى قتال قوم ليسوا لك بظالمين؟»
فقال لهم:

- «إنهم ليسوا كأولئك. لأن هؤلاء ظالمون لأنفسهم، و إنما ندعوهم إلى كتاب الله و سنة نبيّه، و إلى السنن أن تُحيا، و إلى البدع أن تُطفا. فإن أنتم أحبتمونا سعدتم، و إن [141] أنتم أبيتم، فلست عليكم بوكيل.»
ففارقوه و نكثوا بيعته و قالوا:
- «سبق الإمام.»

و قد كان هلك محمد بن عليّ بن الحسين يومئذ، و كان ابنه جعفر حيّاً، فقالوا:

- «جعفر إمامنا و هو أحقّ بالأمر بعد أبيه و ليس زيد بإمام.»
فسأهم زيد الرافضة. و هم اليوم يزعمون أن الذي سألهم الرافضة المغيرة، و ذلك أنهم فارقوه بالكوفة و تركوه حتّى قُتل، و قد حكينا أمره.

استتباب الخروج لزيد

و استتبّ لزيد الخروج. فواعد أصحابه ليلة الأربعاء، و هي أوّل ليلة من صفر. يقال سنة اثنتين و عشرين، و يقال سنة إحدى و عشرين.

و بلغ يوسف بن عمر أنّ زيدا قد أزمع الخروج. فبعث حكم بن أبي الصلت^(١)، و أمره أن يجمع أهل الكوفة في المسجد الأعظم، ثمّ يحصرهم فيه. فبعث الحكم إلى العرفاء، و إلى الشرطة، و المناكب، و المقاتلة، فأدخلهم المسجد. ثمّ نادى مناديه أنّ الأمير يقول:

«من أدركناه في رحله فقد برئت منه الذمّة. ادخلوا المسجد الأعظم.»

فأتى الناس المسجد يوم الثلاثاء قبل خروج زيد بيوم، وطلبوا زيدا في المواضع التي كان يتنقل فيها. فخرج ليلة الأربعاء و كانت ليلة شديدة البرد — من دار معاوية بن إسحاق، [142] و كان قد طلب فيها. فرفعوا هرايئ النيران من القصب و نادوا بشعارهم:

«يا منصورُ أُمِّثْ»

و كلّما أكلت النار هُردياً رفعوا آخر. فما زالوا بذلك حتّى طلع الفجر. فلمّا أصبحوا، بعث زيد القاسم^(٢) التّبعي و رجلاً آخر من أصحابه يناديان بشعارهم. فلقبهما جعفر بن العبّاس الكندي في أصحابه. فشذّوا عليهما و قتل الرجل الذي كان مع القاسم التّبعي، و ارتثّ القاسم. فأتى به الحكم بن أبي الصلت، فكلمه، فلم يردّ عليه شيئاً، فضربت عنقه على باب القصر. فكان هذان أوّل من قتل من أصحاب زيد.

١. حكم بن أبي الصلت: كذا في الأصل و مط. في آ و الطبري (٩: ١٧٠١): بدون «أبي».

٢. القاسم: في الأصل: القسم.

و أمر الحكم به أبي الصلت بدروب السُّوق، فغُلِّقَتْ، و غُلِّقَتْ أبواب المسجد الأعظم على أهل الكوفة، و أمر أصحاب الأرباع بالكوفة أن يصيروا إليه، و بعث إلى يوسف بن عمر، فأخبره الخبر. فبعث يوسف جعفر بن العباس الكندي فركب في خمسين فارساً، ثم قال:

«أذهب فأتني بخبرهم.»

فلما استقبل^(١) الرجلين و كان ما كان من أمرهما، رجع إلى يوسف، فأخبره. فلما أصبح خرج إلى تلّ قريب من الحيرة، فنزل عليه ومعه قريش و أشراف الناس، و على شرطته العباس بن سعيد المرّي^(٢). فبعث زياد بن سلمة في ألفين و ثلاثمائة من الرجال معهم النشاب و أصبح زيد، [143] فكان جميع من وافاه تلك الليلة مائتي رجل و ثمانية عشر رجلاً فقال زيد:

«سبحان الله! أين الناس؟» فقل:

«هم في المسجد الأعظم محصورون.» فقال:

«لا و الله، ما هذا بعذر لمن بايعنا.»

و سمع نصر بن خزيمة النداء، فأقبل إليه، فلقى عمرو بن عبد الرحمن صاحب شرطة الحكم بن أبي الصلت في أصحابه. فقال نصر بن خزيمة:

«يا منصور أمت.»

فشدّ عليه نصر و أصحابه، فقتل عبد الرحمن، و انهزم من كان معه. و أقبل زيد إلى جبانة الصّيّادين، و بها خمسمائة من أهل الشام، فحمل عليهم زيد في من معه، فهزمهم. و كان تحت زيد يومئذ برذون أدهم بهيم، و سار حتّى انتهى إلى دار رجل من الأزديّ قال له: أنس بن عمرو، و كان في من

١. كذا في النسخ: استقبل.

٢. المرّي: كذا في الأصل و مط: المرّي. في آ. و الطبري (٩: ١٧٠٢): المزني.

بايعه، فنودى و هو فى داره، فلم يُجب. فناده زيد:

- «يا أنس، اخرج. فقد جاء الحق و زهق الباطل، إنّ الباطل كان زهوقاً^(١)».

فلم يخرج إليه، فقال زيد:

- «قد فعلتموها، الله حسيبكم».

ثم مضى زيد إلى الكُناسة، فحمل على جماعة بها من أهل الشام، فهزمهم.

ثم خرج حتى ظهر إلى الجبّانة، و يوسف بن عمر على التلّ ينظر إليه هو و

أصحابه، و بين يديه نحو من مائتى رجل، و ناس من الأشراف لا يبلغ عشرة.

فلو أقبل على يوسف لقتله [144] و تتم أمره.

ثم إن زيد أخذ ذات اليمين على مصلى خالد بن عبد الله حتى دخل الكوفة،

فأقبل على نصر بن خزيمة و قال:

- «أما ترى خذلان الناس إيانا قد جعلوها حسينية». فقال له:

- «جعلنى الله فداءك. أمّا أنا، فوالله لأضربنّ معك بسيفى هذا حتى أموت».

ثم إن نصرأ قال لزيد:

- «جعلنى الله فداءك. إنّ الناس فى المسجد الأعظم محصورون، فاذهب بنا

نحوهم».

فخرج بهم زيد نحو المسجد، فمرّ على دار خالد بن عرفة، و بلغ عبيد الله

بن العباس الكندى إقباله، فخرج فى أهل الشام، و أقبل زيد، فالتقوا على باب

عمرو بن سعد بن أبى وقاص، فكعّ^(٢) صاحب لواء عبيد الله فقال له:

- «احمل يا بن الخبيثة».

فحمل حتى خضب لواءه بالدم.

١. س ١٧ أسراء: ٨١.

٢. كعّ: ضعف و جبن.

ثُمَّ إِنَّ عبيد الله برز، فخرج إليه واصل الحنَّاط، فاضطربا بسيفيهما فقال واصل:

- «خذها مني و أنا الغلام الحنَّاط.» فقال:

- «قطع الله يدي إن كنت^(١) بقفيز أبدا.»

ثُمَّ ضربه، فلم يصنع شيئا، و انهزم عبيد الله و أصحابه، و بلغ زيد و أصحابه باب المسجد، و جعلوا يُدخلون راياتهم من فوق الأبواب و يقولون:

- «يا أهل المسجد، اخرجوا.»

و جعل نصر بن خزيمة يناديهم و يقول:

- «يا أهل الكوفة اخرجوا من الذَّلِّ و الصُّغار الى العِزِّ، اخرجوا الى الدِّين و

الدُّنيا.»

فأشرف عليهم [145] أهل الشَّام، فجعلوا يرمونهم بالحجارة. و انصرف عنهم زيد بن عليّ، فنزل دار الرزق، و خرج اليه ناس من أهل الكوفة، فأتاه ريَّان بن سلمه، فقاتله عند دار الرزق قتالا شديدا، فخرج أهل الشَّام و قتل منهم و انهزموا، و تبعهم أصحاب زيد من دار الرزق حتَّى انتهوا الى المسجد، فرجع أهل الشَّام مساء يوم الأربعاء أسوأ شيء ظَنُّوا. فلمَّا كان من الغد يوم الخميس دعا يوسف الرِّيّان بن سلمه و ليس عليه سلاحه فأقف به و قال:

- «أف لك من صاحب خيل، اجلس.»

و دعا العباس بن سعد المرِّي^(٢) صاحب شرطته، فبعثه في أهل الشَّام، فسار حتَّى انتهى الى زيد في دار الرزق، و خرج زيد في أصحابه، و على مجنَّبته نصر بن خزيمة العبسي، و معاوية بن إسحاق الأنصاري. فلمَّا رءاهم العباس و

١. كَلَّت. الضبط في الطبري (٩: ١٧٠٦): كَلَّتْ. و في حواشيه: كَلَّتْ.

٢. سعد المرِّي: كذا في الأصل: و آ و مط: سعد المرِّي. في الطبري (٩: ١٧٠٧): سعيد المرزني.

لم يكن معه رجالة، نادى أهل الشام:

«الأرض، الأرض».

فنزل معه ناس كثير، فأقتتلوا قتالاً شديداً في المعركة، فقتل نصر بن خزيمة. ثم اشتد القتال، فهزمهم زيد و قتل من أهل الشام نحواً من سبعين رجلاً، فانصرفوا و هم بشرّ حال. فلما كان العشيّ عبّاهم يوسف بن عمر ثم وجههم. فأقبلوا حتّى التقوا مع زيد و أصحابه، فحمل عليهم زيد [١٤٦] و أصحابه، فكشفهم. ثم تبعهم حتّى أخرجهم إلى بنى سليم، ثم تبعهم حتّى أخذوا على المسناة. ثم ظهر لهم زيد فى ما بين بارق و رؤاس^(١)، فقاتلهم هناك قتالاً شديداً، فجعلت خيلهم لا تثبت لخياله و لا رجالهم لرجاله. فبعث العباس إلى يوسف يُعلمه ذلك و قال له:

«إبعث إلى الناشبة».

فبعث إليهم القيقانيّة و البخاريّة، و هم ناشبة، فرموا زيدا و أصحابه، و حرص زيد على أن يصرف أصحابه، فأبوا عليه. فقاتل إسحاق بن معاوية بن إسحاق الأنصارى بين يديه قتالاً شديداً حتّى قُتل بين يدي زيد و ثبت زيد و من معه، حتّى جنح الليل، فرمى حينئذٍ بسهم أصاب جبهته اليسرى، فثبت فى الدماغ، فرجع و رجع أصحابه، و لا يظنّ أهل الشام أنّهم رجعوا إلّا للمساء و الليل. و حمل زيد حتّى أدخل بعض دور أرحب و شاكر، و جاؤوه بطبيب يقال له: شقر، فانتزع السهم، و جعل يضجّ، و لم يلبث أن قضى رحمه الله.

ماذا قعلوا برأسه و جسّته

فتشاور أصحابه: أين يوارى؟ فقال بعضهم:

١. الرؤاس: فى الأصل: الرواس، و الهمزة من الطبرى (٩: ١٧٠٨).

«نحتز رأسه و نطرحه بين القتلى، فهو أجدر أن لا يعرف، و ندفن رأسه حيث يخفى.»

فقال ابنه:

«لا و الله، لا تأكل لحم أبى الكلاب.»

فقال بعضهم:

«فننطلق به إلى الحفرة التى يؤخذ منها الطين.»

فانطلقوا به. فحفروا له و دفنوه، ثم أجروا عليه [147] الماء و تصدّع عنه الناس، و خرج ابنه نحو النهرين يعنى نهري كربلاء.

ثم بعث يوسف بن عمر لقا علم بقتل زيد. فأمر أن يطلبوه فى الجرحى فى دور أهل الكوفة. فكانوا يُخرجون النساء إلى صحن الدار و يدخلون جوف البيوت، يلتمسون الجرحى، حتى دلّهم غلام سندی كان لزيد حضر دفنه. و قيل: بل أبصرهم قصّار كان هناك، فدلّ عليه، فاستخرج.

فأمر يوسف بن عمر بحزّ رأسه، و بعث به إلى هشام، و صلب جثته بالكناسة مع جثة نصر بن خزيمة، و معاوية بن إسحاق الأنصارى و زياد النهدي. فبقى زمانا طويلا يُحرس بالكناسة لئلا ينزل. و أمّا رأسه فإنّ هشاما أمر بنصبه على باب مدينة دمشق. ثم أرسل به إلى المدينة. و لم يزل يدنه منصوبا حتّى مات هشام، فأمر به الوليد، فأُنزل و أُحرق.

كلام يوسف بن عمر بعد قتل زيد بن علي

و لما قتل زيد بن علي أقبل يوسف بن عمر حتّى دخل الكوفة، و جاء إلى المسجد، فصعد المنبر، و قال:

«يا أهل الكوفة، يا أهل المدرة الخبيثة، إني و الله ما تقرن بى

الصَّعْبَةِ، وَ لَا تُقْعَق لِي بِالسُّنَانِ، وَ لَا أَخْشَى^(١) بِالذُّنْبِ. هِيَهَاتِ،
[حُبَيْثُ]^(٢) بِالشَّاعِدِ الْأَشَدِّ. أَبْشُرُوا يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ بِالصَّغَارِ وَ
الْهُوَانِ [148] فَلَا عَطَاءَ لَكُمْ عِنْدَنَا وَ لَا رِزْقَ. لِأَخْرِبَنَّ بِلَادَكُمْ، وَ
لَأُحْرِبَنَّكُمْ أَمْوَالَكُمْ. أَمَّا وَ اللَّهِ، مَا أَطْلَتْ مِنْبِرِي إِلَّا لِأَسْمَعَكُمْ عَلَيْهِ
مَا تَكْرَهُونَ، فَإِنَّكُمْ أَهْلُ بَغْيٍ وَ خِلَافٍ، مَا مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ حَارَبَ اللَّهَ
وَ رَسُولَهُ. وَ لَقَدْ سَأَلْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِيكُمْ. وَ لَوْ أُذِنَ لِي لَقَتَلْتُ
مَقَاتِلَتَكُمْ، وَ سَبَيْتُ ذُرَارِيَكُمْ».

ما كان من غزوات نصر بن سيار

وَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَتَلَ الْبَطَّالُ بْنُ الْحُسَيْنِ، وَ اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ، فِي جَمَاعَةٍ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ بِأَرْضِ الرُّومِ. وَ قَدْ حَكَيْنَا مَا جَرَى فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ^(٣) وَ مِائَةٍ إِلَّا مَا
كَانَ مِنْ غَزَوَاتِ نَصْرِ بْنِ سِيَّارٍ، فَإِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَقْطَعَ حَدِيثَ زَيْدٍ بِحَدِيثِهِ.
وَ كَانَ مِنْ حَدِيثِ نَصْرِ بْنِ سِيَّارٍ أَنَّهُ غَزَا مِنْ بَلْخِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ، ثُمَّ قَفَلَ
فَخَطَبَ النَّاسَ وَ قَالَ:

«أَلَا إِنَّ فَلَانًا كَانَ مَانِحًا^(٤) الْمَجُوسَ، وَ فَلَانٌ مَانِحٌ الْيَهُودَ، وَ فَلَانٌ مَانِحٌ
النَّصَارَى يَحْمِلُونَ أَثْقَالَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ. أَلَا، إِنِّي مَانِحٌ الْمُسْلِمِينَ
أَحْمَلَ أَثْقَالَهُمْ عَلَى الْمُشْرِكِينَ. أَلَا إِنَّهُ لَا يَقْبَلُ مِنِّي إِلَّا تَوْفِيرَ الْخَرَجِ عَلَى مَا
كُتِبَ وَ رُفِعَ، وَ قَدْ اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ مَنْصُورَ بْنَ عِمَارِ بْنِ أَبِي الْحَرِّ، وَ أَمْرَتُهُ

١. أَخْشَى: كَذَا فِي الْأَصْلِ وَ مَطَّ وَ آ. فِي الطَّبْرِيِّ (٩: ١٧١٦): أَخَوْفُ.

٢. حُبَيْثُ: مَا فِي الْأَصْلِ: حَشْتٌ. فِي مَطَّ: خَشْتٌ (بَاهْمَالِ الْأَخِيرِ). فِي آ: حَسْتٌ. وَ مَا
أَثْبَتْنَاهُ هُوَ مِنَ الطَّبْرِيِّ (٩: ١٧١٦). حُبَيْثُ: أُعْطِيَتْ.

٣. اثْنَتَيْنِ وَ مِائَةٍ: كَذَا فِي الْأَصْلِ وَ آ. مَا فِي مَطَّ: اثْنَتَيْنِ وَ عَشْرِينَ وَ مِائَةٍ.

٤. مَانِحٌ: الْكَلِمَةُ مَهْمَلَةٌ فِي الْأَصْلِ (فِي الْمَوَاضِعِ الثَّلَاثَةِ). فِي آ: مَانِحٌ، مَانِحٌ.

بالعدل عليكم. فأَيُّما رجل منكم من المسلمين كان يؤخذ منه جزية من رأسه، أو تُقَل عليه في خراجِه و خُفِّف مثل ذلك عن المشركين، فليرفع ذلك [149] إلى منصور بن عمر^(١) يحوِّله عن المسلم إلى المشرك.

قال: فما كانت الجمعة الثانية حتى أتاه ثلاثون ألفا من المسلمين كانوا يؤدُّون الجزية عن رؤوسهم، و ثلاثون ألف رجل من المشركين قد أَلْقِيَتْ عنهم جزيَّتُهُمْ فحوَّل ذلك إليهم و أَلْقاه عن المسلمين.

ثمَّ غزا من مرو الشَّاش، فحال بينه و بين قُطُوع النَّهر كورصول في خمسة عشر ألفا استأجر كلَّ رجل منهم كلَّ شهر بشقَّة حرير، و الشقَّة يومئذٍ بخمسة و عشرين درهما. فكانت بينهم مراماة، فمَنع نصرا من القُطُوع إلى الشَّاش. و كان الحارث بن سُرَيْج يومئذٍ بأرض التَّرك، فأقبل معهم، و كان بإزاء نصر، فرمى نصراً و هو على سريرِه على شاطئ النَّهر بِحُسبان،^(٢) فوقع السَّهم في شِدْق و صِيف لنصر يوضُّئِه، فتحوَّل نصر عن سريرِه و رُمى فرس لرجل من أهل الشَّام، فنفق و عبر كورصول في أربعين رجلا، فبيَّت أهل العسكر، و ساق شاء أهل بخاري و كانوا في السَّاقة، و أطاف بالعسكر في ليلة مظلمة، و مع نصر أهل بخاري و سمرقند و كِس و سرؤشنة و هم عشرون ألفا. فنادى نصر في الأخماس:

« لا يخرجنَّ أحد من بنائه، و اثبتوا على مواضعكم.»

فخرج عاصم بن عُميرة^(٣) [150] و هو على جند سمرقند، حتى مرَّت خيل

١. عمر: في الأصل: عمر. و في مط: عمار. و في آ: عمر عمار (كذا).

٢. بحسبان: كذا في الأصل. في آ: بجعبار (مهملة) و هي ساقطة في مط. في الطبري (٩: ١٦٨٩) أيضا: بحسبان.

٣. عُميرة: كذا في الأصل و مط: عميرة. ما في آ، و الطبري (٩: ١٦٩٠): عُمير. في حواشي الطبري: عمرو.

كورصول، فحمل على آخرهم، فأسر رجلاً. فإذا هو ملك من ملوكهم صاحب أربعة آلاف قبة. فجاءوا به إلى نصر، فإذا هو شيخ يسحب درعه شبراً، و عليه رانا ديباج فيهما حلق و قباء فرند مكفف بالديباج. فقال له نصر:

- «من أنت؟» قال:

- «كورصول. فما ترجو من قتل شيخ؟ و أنا أعطيك ألف بعير من إبل الترك، و ألف برذون تقوى به جندك^(١) و خل سبيلي.» فقال نصر لمن حوله من أهل الشام و أهل خراسان:

- «ما تقولون؟» قالوا:

- «خل سبيله.»

فسأله عن سنه. قال:

- «لا أدري.» قال:

- «كم غزوة غزوت؟» قال:

- «اثنتين و سبعين غزوة.» قال:

- «أشهدت يوم العطش؟» قال:

- «نعم.» قال:

- «لو أعطيتني ما طلعت عليه الشمس ما انفلت من يدي بعد ما ذكرت من مشاهدك^(٢)»

و قالوا لعاصم بن عمير السعدي:

- «قم إلى سلبه فخذ.»

١. به جندك: كذا في الأصل و الطبري و آ: به جندك. في مط: به على جندك.

٢. مشاهدك: كذا في الأصل و مط و آ. ما في الطبري (٩: ١٦٩١): مشاهدتك.

فلما أيقن بالقتل قال:

- «من أسرنى؟» فقال نصر و هو يضحك:

- «يزيد بن قُرّان الحنظلي.» و أشار إليه. قال:

- «هذا لا يقدر أن يغسل إسته. فكيف يأسرنى؟ فأخبرني من أسرنى؟

فبأني أهل أن أقتل سبع قتلات.» قيل له:

- «عاصم بن عمير.» قال:

- «الآن لست أجد من القتل إذ كان أسرنى فارس من فرسان العرب.»

فقتله [151] و صلبه على شاطئ النهر.

و عاصم بن عمير هذا هو الهزارمرد الذي قُتل بنهاوند أيام قحطبة.

و لما قُتل كورصول تجردت الترك، و جاؤوا بأبنية له، فحرقوها، و قطعوا

أذانهم، و خدّدوا^(١) وجوههم، و تعرّوا ليكون عليه. فلما أمسى نصر و أراد

الرحلة بعث إليه بقارورة نطف فصبها عليه، ثم أشعل فيه النار لئلا يحملوا

عظامه. فكان ذلك أشدّ عليهم من قتله.

فارتفع نصر إلى فرغانة، فسبى منها ثلاثين ألف رأس.

مسير نصر إلى الشّاش

ثم إن يوسف بن عمر كتب إلى نصر أن:

- «سِرْ إلى هذا الغارز ذنبه بالشّاش. يعني الحارث بن سُرَيْج فإن أظفرك

الله به و بأهل الشّاش، فخرّب بلادهم و اسب ذراريهم، و إياك و ورطة

المسلمين.»

١. خدّدوا: كذا في الأصل و مط و آ: خدّدوا. ما في الطبري (٩: ١٦٩١): جرّدوا. في

حواشي الطبري: خدّدوا.

فدعا نصر الناس، فقرأ عليهم الكتاب، و قال:

- «ما ترون؟»

فقال يحيى بن حُضَيْن:

- «امض لأمر الأمير.» فقال نصر:

- «يا يحيى، تكلمت ليالى عاصم بكلمة فبلغت الخليفة فحظيت بها، و

زيد فى عطائك، و فرض لاهل بيتك و بلغت الدرجة الرفيعة. فقلت أقول
مثلها. سر يا يحيى، فقد وليتك مقدمتى.»

فأقبل الناس على يحيى يلومونه. فسار إلى الشَّاش، فأتاه الحارث بن
سُريج، فنصب عزادتين تلقاء بنى تميم. فقليل له:

- «هؤلاء بنو تميم.»

فنقلها و نصبها على الأزد [152] و أغار عليهم الأخرم، و هو فارس الترك،
فقتله المسلمون و أسروا سبعة من أصحابه. فأمر نصر برأس الأخرم، فرمى به
إلى عسكرهم فى منجنيق. فلما رأوه ضجَّوا ضجَّة ثم ارتحلوا منهزمين، و رجع
نصر و أراد أن يعبر، فحيل بينه و بين ذلك. فأقبل نصر حتَّى نزل سمرقند. ثم
سار إلى الشَّاش. فلما و افأها تلقاء نُذِر ملكها بالصُّلح و الفدية و الرُّهن، و
اشتراط عليه إخراج الحارث بن سُريج من بلدانه. فأخرجه إلى فاراب^(١) و
استعمل على الشَّاش نيزك بن صالح مولى عمرو بن العاص.

و كان نصر بعث سليمان بن صول إلى صاحب فرغانة بكتاب الصُّلح
بينهما يعنى ملك الشَّاش.

قال سليمان: فقدمت عليه، فقال لى:

- «من أنت؟» قلتُ:

١. فاراب: كذا فى الأصل. مط و الطبرى (٩: ١٦٩٤). ما فى آ: فارياب.

- «شاكري خليفة كاتب الأمير.» فقال:

- «أدخلوه الخزان ليرى ما أعددناه.»

قال: فأدخلتُ خزائنه، فقلت في نفسي يا سليمان، شمت بك حسادك، ليس هذا إلا لكرهية الصلح، و سأنصرف بخفي حنين. قال: فرجعت إليه فقال لي:

- «كيف رأيت الطرق في ما بيننا وبينكم؟» قلتُ:

- «سهلا كثير الماء و الرعى.» فقال:

- «ما علمك؟» قلتُ:

- «غزوت غرستان^(١)، و الخُتل و طبرستان. فكيف لا اعلم؟» قال:

- «فكيف رأيت ما أعددناه؟» قلتُ:

- «رأيت عُدَّة حسنة [153] و لكنني أعلم أن صاحب الحصار لا يسلم من

خصال.» قال:

- «و ما هن؟» قلتُ:

- «لا يأمن أقرب الناس إليه و أحبهم له و أوثقهم في نفسه أن يشب عليه،

و يتقرب به، أو يقنى ما جمع بطول المدَّة، فيسلم برمته، أو تصيبه الأدواء

التي لا يجد أدويتها و معالجها فيموت.»

فقطب و قال لي:

- «انصرف إلى منزلك.»

فانصرفت و أنا لا أشك في تركه الصلح.

فدعاني بعد يومين، فحملت كتاب الصلح و معي غلامي، و قلت له:

- «إن أتاكَ رسولِي فطلب الكتاب فقل: إني خلّفته في منزلي.»

١. في الطبري (٩: ١٦٩٦): غرستان و غور، و طبرستان.

فدخلت إليه. فسألني عن الكتاب، فقلتُ:

«خلفته في منزلي».

فبعثت إلى الغلام أن اذهب فجئني بالكتاب، و قبل الصلح و أحسن جائزتي، و سرح معي أمه و كانت صاحبة أمره و مدبرته. فلما قدمتُ على نصر قال:

«مثلك ما قال الأول: أرسل^(١) حكيما ولا توصيه».

و دخلت سنة ثلاث و عشرين و مائة

و في هذه السنة سعى يوسف بن عمر للحكم بن أبي الصلت

في ضمّ خراسان إلى عمله و عزل نصر بن سيار

و ذلك أن أيام نصر طالمت بخراسان و دانت له، فحسده يوسف فكتب [154]

إلى هشام يسأله أن يضمّها إلى العراق، ليعمرها و يستغرز دخلها. و أنفذ إليه الحكم بن أبي الصلت و قال:

«هو لبيب و له نصيحة و مودة لأمير المؤمنين، و قد كان مع الجنيد^(٢)، و

ولى جسام أعمالها^(٣). و قد سرحته إلى باب أمير المؤمنين ليراه».

فلما أتاه و قرأ كتاب يوسف بعث إلى دار الضيافة، فوجد فيها مقاتل بن

علي الشغدني، فأتوه به، فقال:

«ابن خراسان أنت؟» قال:

«نعم، و أنا صاحب الترك».

و كان قدم على هشام بخمسين و مائة من الترك. فقال:

١. في الطبري (٩ : ١٦٩٦) : فارسل.

٢. الجنيد: كذا في الأصل و آ: الجنيد. في مط: الجنيد.

٣. أعمالها: كذا في الأصل و آ و مط: أعمالها.

- «هل تعرف الحكم بن أبي الصُّلْت؟» قال:

- «نعم.» قال:

- «فما ولى بخراسان؟» قال:

- «ولى قرية يقال لها: الفاراب، خراجها سبعون ألفاً، فأسره الحارث بن

سريج.» قال:

- «و يحك! فكيف أفلت من يده؟» قال:

- «عرك أذنه و قفده^(١) و خلّى سبيله.»

فلما قدم الحكم عليه و شاهده رأى جمالا و بيانا. فكتب إلى يوسف:

- «إنّ الحكم قدم، و هو على ما و صفت و فى ما قبلك سعة، فخلّ الكنانيّ

و عمله.»

ثم أوفد نصر بن سيار مغراء^(٢) بن أحمر إلى العراق لمّا غزا فرغانة غزوته

الثانية.

فقال له يوسف بن عمر:

- «يا مغراء، أيغلبكم ابن الأقطع على سلطانكم معشر قيس!» فقال:

- «قد كان ذلك أصلح الله [١٥٥] الإمير.» قال:

- «فإذا قدمت على أمير المؤمنين فابقر بطنه.»

فلما قدموا على هشام و سألهم عن أمور خراسان، تكلم مغراء، فحمد الله

و أثنى عليه، ثم ذكر يوسف بن عمر بخير. فقال:

- «و يحك، أخبرنى عن خراسان.» فقال:

١. قفده: الحرف الثانى مهمل فى الأصل. فى آ: قفده. و ما أثبتناه يوافق الطبرى (٩):

١٧١٩) و الكلمة ساقطة فى مط.

٢. مغراء: كذا فى الطبرى أيضاً (٩: ١٧١٩).

- «يا أمير المؤمنين، ليس لك جند أعدّ و لا أحدّ^(١) منهم، من سراق^(٢) في السماء وقراسية^(٣) مثل الفيل، و عدة^(٤) و عدد من قوم ليس لهم قائد.» قال:
- «و يحلك، فما فعل الكنانى؟» قال:

- «لا يعرف ولده من الكبر.»

فردّ هشام عليه مقالته، و بعث إلى دار الضيافة، فأتى بشبيل بن عبد الرحمن المازنى.

فقال له هشام:

- «أخبرنى عن نصر.» قال:

- «ليس بالشّخّ يُخشى خرفه و لا الشابّ يُخشى سفهه، المحرّب المجرب، قد ولى عامّة ثغور خراسان و حروبها قبل ولايته.»

فكتب إلى يوسف بذلك، فوضع يوسف الأرصاد، فلمّا انتهوا إلى الموصل تركوا طريق البريد، و قد بلغ نصرا قول شبيل، و كان ابراهيم بن يسار فى الوفد، فمكر به يوسف و نعى إليه نصرا، و أخبره أنّه قد ولى الحكم بن أبى الصلت خراسان. ففسّر له أمر خراسان كلّها، حتّى قدم ابراهيم بن زياد رسول نصر، فعرف أنّ يوسف قد مكر به، و قال:

- «أهلكنى [156] يوسف، أهلكه الله.»

و كان بعد ذلك إذا ذكر انسان نصرا بين يدى هشام، قال:

١. أعدّ و لا أحدّ: كذا فى الأصل و آ و مط: أعدّ و أحدّ. و فى الطبرى (٩: ١٧٢٠): أغدّ و لا أنجد.

٢. سراق: كذا فى الأصل و آ و مط: سراق. و ما فى الطبرى (٩: ١٧٢٠): سوادق.

٣. قراسية: كذا فى الأصل. فى مط: فراسة. فى آ: فراسة؟ فى الطبرى: فراسية. القراسية: الضخم الشديد. يقال: لهم ملك قراسية و عزّ قراسية، أى شديد.

٤. و عدة: مجرور فى الأصل و مرفوع فى الطبرى (٩: ١٧٢٠).

- «معلم و هذا من جهة يوسف.»

و يقال: إن مغراء لمّا كلّفه يوسف الوقعة في نصر، قال له مغراء:

- «كيف أعيب نصرا مع بلائه و آثاره الجميلة عندي و عند قومي.»

فلم يزل به حتّى قال:

- «فبأيّ شيء أعيبه؟ أعيبه تجربته، أو طاعته، أم يمن تقييته، أم حسن

سياسته؟»

قال:

- «بواحدة من هذه. عبه بالكبر.»

فلمّا قدم مغراء و كان منه ما كان، قال ليوسف:

- «قد علمت بلاء نصر عندي، و قد صنعت به ما قد علمت: فليس لي

في صحبتته خير، و لا لي بخراسان مقام.»

فأمره بالمقام. و كتب إلى نصر:

- «إنّي قد حولت اسمه، فأشخص إليّ من كان قبلك من أهله.»

ثم دخلت سنة أربع و عشرين و مائة

و لم يجر على ما بلغنا، فيها ما تستفاد منه تجربة.

مركز تحقيقات كاميون علوم اسلامی

ثم دخلت سنة خمس و عشرين و مائة

وفاة هشام بن عبد الملك

و فيها كانت وفاة هشام بن عبد الملك. و كانت خلافته تسع عشرة سنة و

ثمانية أشهر، [157] و سنّه خمس و خمسون سنة. فتحدّث سالم قال:

- خرج علينا هشام بن عبد الملك يوما و هو كئيب، يعرف ذلك في وجهه،

مسترخ ثيابه، قد أرخى عنان دابّته. فلمّا سار ساعة انتبه، فجمع ثيابه و أخذ

بعنان دابته، و قال للربيع:

- «أدع الأبرش».

فسار بينى و بين الأبرش فقال له الأبرش:

- «يا أمير المؤمنين، لقد رأيت منك اليوم ما غمّنى.» قال:

- «و ما هو؟»

فوصف حاله. قال:

- «و كيف لا أكون كذلك و قد زعم أهل العلم أنى ميّت إلى ثلاثة و

ثلاثين يوماً؟»

قال سالم: فلمّا عدت إلى منزلى كتبتّه فى قرطاس: زعم أمير المؤمنين

يوم كذا أنّه يسافر إلى ثلاثة و ثلاثين يوماً. فمات فى اليوم الثالث و الثلاثين.

قال: فأغلق الخزّان الأبواب لما سنذكره. فطلبوا قممّا يُسخن فيه الساء

لفسله. فما وُجد، حتّى استعاروه من بعض الجيران.

فقال الحاضرون:

- «إنّ فى هذا لمعتبراً لمن اعتبر.»

و كانت وفاته بالذبحة.

ذكر بعض سيرة هشام

حكى عقّال بن شَبّة^(١) قال: دخلت على هشام حين وجهنى إلى خراسان

و عليه قباء | 158 | أخضر عليه فنك. فجعل يوصينى و أنا أنظر إلى القباء و

أتأمله. ففطن و قال:

- «مالك؟» قلت:

١. شَبّة: كذا فى الأصل و مط و الطبرى (٩: ١٧٣٠): شَبّة. فى آ: شيببة.

«إني رأيت عليك قبل أن تلي الخلافة قباء فنك أخضر، فأنا أتأمل هل هو ذاك.» قال:

«هو - و الله الذي لا إله غيره - ذاك. مالي قباء غيره و ما ترون من جمعي هذا المال و صونه إلا لكم.»

و كان عقّال يقول: دخلت على هشام، فرأيت رجلاً محشواً عقلاً. و لم يكن يسير أيتام هشام أحد في موكب إلا مسلمة بن عبد الملك. و رأى هشام يوماً سالماً في موكب. فزجره و قال:

«لا أعلمن^(١) متى سرت في موكب!»

فكان بعد ذلك إذا قدم الرجل الغريب، فسار مع سالم، وقف له سالم و يقول: حاجتك؟ و يمنعه أن يسير معه. هذا و سالم يرى كأنه هو أمر هشاماً. و لم يكن أحد يأخذ العطاء إلا ألزمه الغزو، فمنهم من يغزو، و منهم من يُخرج بديلاً.

و ولى هشام بعض مواليه ضيعة، فعمرها، فجاءت بغلة كثيرة، ثم عمرها أيضاً، فأضعفت الغلة، و بعث بها مع ابنه فجزاه خيراً و وجد ابن هذا المولى منه انبساطاً، فقال:

«يا أمير المؤمنين، إن لي حاجة.» قال:

«ما هي؟» قال:

«زيادة عشرة دنائير في العطاء.» فقال:

«ما يُخيّل إلى أحدكم [160] عشرة دنائير زيادة إلا بقدر الجوز^(٢). لا لعمرى، لا أفعل.»

١. لا أعلمن: كذا في الأصل و مط و آ: لا أعلمن. في الطبري (٩: ١٧٣١): لأعلمن متى سرت في موكب.

٢. في الأصل. و آ، و مط. الجود. ما في الطبري (٩: ١٧٣٢): الجوز، و هو الصحيح.

و قال غسان بن عبد الحميد: لم يكن أحد من بني مروان أشدّ نظرا، و لا أشدّ مبالغة في الفحص عن أمور أصحابه و دواوينه من هشام.
و كان أقطع هشام قبل الخلافة أرضا يقال لها: دورين. فلما أرسل في قبضها، وجدها خرابا. فقال لكاتب كان بالشام يقال له. دويد:^(١)
- «و يحك! كيف الحيلة؟» قال:

- «ما تجعل لي؟» قال:

- «خمسمائة دينار.»

فكتب دويد دورين و قراها. ثم أمضاها في الدواوين، فأخذ شيئا كثيرا. فلما ولي هشام دخل عليه دويد. فقال:
- «يا دويد، دورين و قراها لا والله، لا تلي لي ولاية أبدا.»
فأخرجه من الشام.

و قال له بعض آل مروان يوما:

- «أتطمع في الخلافة و أنت بخيل جبان؟» قال:

- «و لم لا أطمع، و أنا عليم عفيف سائس؟»

و أتى هشاما محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فقال:

- «مالك عندي شيء.» ثم قال:

- «إياك أن يفرّك أحد فيقول: لم يعرفك أمير المؤمنين. أنت محمد بن زيد بن

عبد الله بن عمر بن الخطاب. فلا تقيمنّ و تنفق ما معك. فليس عندي صلة.

فبادر، و الحق بأهلك!» [160]

و حجّ هشام، فأخذ الأبرش مختشين معهم برابط. فقال هشام:

١. دويد: كذا في الأصل و آ و مط: دويد. بالذال المهملة. في الطبري (٩: ١٧٢٥): دويد بالذال المعجمة.

- «احبسوهم وبيعوا متاعهم هذا و ما أدري ما هو، و صيروا ثمنه في بيت المال، فإذا صلحوا فردوا الثمن عليهم.»
و كان هشام ينزل الرصافة. و كان سبب ذلك أن الخلفاء و أبناءهم كانوا يهربون من الطاعون، فينزلون البرية. فعزم هشام على نزول الرصافة. ف قيل له:
- «لا تخرج، فإن الخلفاء لا يطعنون، لم نر خليفة طعن!» فقال:
- «أفتريدون أن تجربوا بي؟»

فخرج إلى الرصافة، و هي برية. فابتنى بها قصرين. و الرصافة كانت مدينة رومية بنتها الروم في القديم، ثم خربت.
و بعث يوسف بن عمر إلى هشام بياقوتة حمراء يخرج طرفاها من كف القابض، و حبة لؤلؤ أعظم ما يكون الحب على يد كاتبه فيخدم.
قال: فدخلت عليه، و دنوت منه، فلم أر وجهه من طول السرير و كثرة الفرش. فتناول الحجر و الحية فقال:
- «أكتب معك وزنهما.» قلت:
- «يا أمير المؤمنين، هما أجل من أن يكتب بوزنهما و من أين يوجد مثلهما؟» قال:
- «صدقت.»

و كانت البياقوتة لجارية خالد بن عبد الله القسري [161] و يقال لها: رائقة، اشتريتها بثلاثة و سبعين ألف دينار.^(١)



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك^(١)

و في هذه السّنة و لى الخلافة بعد موت هشام، الوليد بن يزيد بن عبد الملك. و كان يزيد بن عبد الملك عقد له الخلافة بعد أخيه هشام. و ذاك أنّ ابنه هذا كان صغيراً يوم عُقد لهشام. ثمّ لم يمت يزيد حتّى بلغ ابنه خمس عشرة سنة، فندم على استخلافه هشاماً. و كان إذا نظر إلى ابنه الوليد يقول:

«الله بينى و بين من جعل هشاماً بينى و بينك.»

و لى هشام و هو للوليد مكرم معظم مقرب، و لم يزل ذلك من أمرهما حتّى ظهر من الوليد مجون و شرب الشراب، حمّله على ذلك عبد الصّمد بن عبد الأعلى، و كان مؤدّب. و اتخذ الوليد ثُدماً، فأراد هشام أن يقطعهم عنه، فولّاه الحجّ سنة ستّ عشرة و مائة. فحمل معه كلاباً فى صناديق، فسقط صندوق منها، فأحالوا^(٢) على الكرى السّياط فأوجعوه ضرباً. و كان حمل معه قبة عملها على قدر الكعبة ليضعها فوق الكعبة، و حمل معه خمراً. و أراد أن ينصب القبة على الكعبة و يجلس فيها للشرب. فخوّفه أصحابه و قالوا:

١. العنوان زدناه من الطبرى (٩: ١٧٤٠).

٢. أحوالوا: كذا فى الأصل، و آ، و مط: أحوالوا. ما فى الطبرى (٩: ١٧٤١): أحوالوا (بالجيم المعجمة)

- «لا نأمن الناس [162] عليك وعلينا.»

فلم يحركها. و ظهر للناس تهاون بالدين و استخفاف به، و بلغ ذلك هشاما فطمع في خلعه و البيعة لابنه مسلمة بن هشام، فأراد، على أن يخلعها و يبايع لمسلمة، فأبى. فقال له:

- «فاجعلها له من بعدك.»

فأبى. فتنكر له هشام و أضر به، و عمل سرا في البيعة لابنه. فأجابه جماعة فيهم خاله محمد و إبراهيم. و تمادى الوليد في شرب الشراب و طلب اللذات، فأفرط.

فقال له هشام يوما:

- «و يحك يا وليد، والله ما أدري أعلى الإسلام أنت، أم لا؟ لا تدع شيئا من المنكر إلا أتيتته غير متحاش و لا مستتر به.
قال: فكتب إليه الوليد:

يا أيُّها السائلُ عن ديننا نحنُ على دينِ أبي شاكِرٍ
نشرُّها صِرْفاً و ممزوجةً بالسُّخَنِ أحياناً و بالفاتِرِ

يعنى بأبي شاكِر، مسلمة بن هشام، و كان يكنى أبا شاكِر.
فغضب هشام على ابنه و قال:

- «يعيِّرني بك الوليد، و أنا أرشحك للخلافة، فالزم الأدب، و احضر الجماعة.»

و ولَّاه الموسم سنة تسع عشرة، و أظهر النِّسك و الوقار [163] و اللين و الجود. و قسم بالمدينة و مكَّة أموالاً. فقال الشاعر:

يا أيُّها السائلُ عَنْ دِينِنَا نحن على دين أبي شاكِرٍ
الواهبِ الجردَ بأرسانِها ليس بزنديقٍ ولا كافرٍ

يعرّض بالوليد.

و أخذ هشام يعيب الوليد و يتنقصه، و زاد حتى قصد أصحابه. فخرج الوليد لما رأى ذلك مع خاصته حتى نزل بالأزرق على ماء يقال له: الأعدف، و خلف كاتبه عياض بن مسلم مولى عبد الملك بن مروان بالترصافة، و وصّاه أن يكاتبه بما يحدث، و أخرج معه عبد الصّمد بن عبد الأعلى. فقطع هشام عن الوليد ما كان يجري عليه، و كتب إليه:

- «بلغني أنّك اتخذت عبد الصّمد خدنا و نديما، و قد حقّق ذلك عندي أشياء بلغتني عنك، و لم أبرئك من سوء، فأخرج عبد الصّمد مذموماً مدحوراً.»
فأخرجه إليه، و كتب إليه:

- «إنّي قد أخرجت إليك عبد الصّمد.»

و اعتذر إليه ممّا بلغه.

و بلغ هشاماً أنّ عياض بن مسلم يكاتب الوليد بالأخبار، فأخذه، و ضربه ضرباً مبرّحاً، و البسه المسوح. [164] فبلغ الوليد، فقال:

- «من يثق بالناس و يصطنع المعروف؟ هذا الأحوال المشؤوم قدّمه أبى على أهل بيته، ثمّ صيّره وليّ عهده، و يصنع بى ما ترون! اللهمّ أجزنى منه. و قال:

أنا النذيرُ لمُسَدّي نعمةً أبداً إلى المقاريف ما لم تخبر^(١) الدخلاً
إن أنت أكرمتهم ألفيتهم بطراً و إن أهنتهم ألفيتهم ذُللاً

١. لم تخبر: كذا في الأصل، و مط. و في الطبرى (٩: ١٧٤٥): لم تخبر.

أَتَشْمَخُونَ وَ مِنَّا رَأْسُ نَعْمَتِكُمْ سَتَعْلَمُونَ إِذَا صَارَتْ لَنَا دُولًا
 أَنْظُرْ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى مَثَلٍ لَهُ سِوَى الْكَلْبِ، فَاضْرِبْهُ لَهُ مِثْلًا
 بَيْنَا يُسَمِّنُهُ لِلصَّيْدِ صَاحِبُهُ حَتَّى إِذَا مَا نَوَى مِنْ بَعْدِ مَا هَزَلَا
 عَدَا عَلَيْهِ، فَلَمْ تَضُرُّهُ عَذْوَتُهُ ، وَلَوْ أَطَاقَ لَهُ أَكْلًا لَقَدْ أَكَلَا

و كتب إلى هشام:

- «قد بلغني الذي أحدث أمير المؤمنين من قطع ما قطع عني
 و محو من^(١) محام من أصحابي و حرمتي و أهلي، و لم أكن
 أخاف أن يبتلى الله أمير المؤمنين بذلك، و لا إيتاي^(٢) منه. فإن
 يكن مني ذنب^(٣)، فيحسب الغير أن يكون علي قدر الذنب، و إن
 يكن ذلك لشيء في نفس أمير المؤمنين علي فقد سبب الله لي
 من العهد و كتب لي من العمر و قسم لي من الرزق ما لا يقدر
 أحد [165] على قطع شيء منه دون مدته، و لا صرف شيء عن
 مواقعه، فأمر الله يجرى بمقاديره في ما أحبب الناس أو كرهوا.
 فالتناس بين ذلك يقتطفون الآثام على أنفسهم من الله، أو
 يستوجبون الأجور عليه، و أمير المؤمنين أحق أمته بالبصر
 لذلك^(٤) و التحفظ به، و الله الموفق لأمر المؤمنين.»

مركز تحقيق و نشر علوم و ادب

١. من محام: كذا في الأصل و آ و مط: من محام. في الطبري: ما محي.
٢. و لا إيتاي: في الأصل و آ و مط: و لا إيتاي. و ما في الطبري (٩: ١٧٤٦): و لا أبالي به منه.
٣. و العبارة في الطبري (٩: ١٧٤٦): فإن يكن ابن سهيل كان منه ما كان فيحسب الغير أن يكون قدر الذنب.
٤. في الطبري: بذلك.

فكتب هشام في الجواب إلى الوليد:

- «قد فهم أمير المؤمنين ما كتبت به في قطع ما قطع عنك و غير ذلك، و أمير المؤمنين يستغفر الله من إجرائه ما كان يُجرى عليك، و أمير المؤمنين أخوف على نفسه في اقرار المآثم حيث أجرى عليك ممّا أحدثه في قطع ما قطع و محو من محاسن من صحابتك لأمرين: أحدهما إشار أمير المؤمنين إياك بما كان يصل إليك و هو يعلم و ضحك له في غير موضعه، و الآخر اثبات أصحابك و إدراج أرزاقهم، و هم لا ينالهم ما ينال المسلمين في كلّ عام من مكروه الغزو، و هم معك تجول بهم في سفهك، و لأمر المؤمنين أخرى بالتقصير في الغير عليك، منه في الاعتداء عليك، مع أنّ الله قد بصّر أمير المؤمنين في قطع ما قطع عنك من ذلك ما يرجو به تكفير ما يتخوّف مما سلف فيه. و أمّا ما ذكرت ممّا [166] سبّب الله لك، فإنّ الله ابتدأ أمير المؤمنين بذلك و اصطفاه له، و الله بالغ أمره. فقد أصبح أمير المؤمنين و هو على اليقين من ربه، لا يملك لنفسه في ما أعطاه الله من كرامته ضرّاً و لا نفعاً، و أنّ الله وليّ ذلك منه، و أنّه لا بدّ له من مزايلته، و الله أرأف بعباده و أرحم من أن يولّي أمرهم غير الرضا له منهم، و أنّ أمير المؤمنين من حسن ظنّه برّه - لعلّ أحسن الرجاء أن يولّيه من هو أهله، فإنّ بلاء الله عند أمير المؤمنين أعظم من أن يبلغه ذكره أو يؤدّيه شكره إلاّ بعون منه له^(١). و لعمري، إنّ كتابك إلى أمير المؤمنين بما كتبت به، لغير مستنكر من سفهك و

١. منه له: كذا في الأصل و آ: منه له. في مط و الطبري: منه. (بدون «له»).

حمقك. فاربغ على نفسك من غلوائها، و ارق على ظلمك، فإن الله
سطوات يصيب بها من يشاء، و يأذن فيها لمن يشاء، و أمير
المؤمنين يسأل الله المعصمة و التوفيق.»

فكتب الوليد إلى هشام

رأيتك تبني جاهداً في قطيعتي ولو كنت ذا إربٍ لهدمت ما تبني
تُشير على الباقيين مَجْنِي ضغيفتي فويل لهم إن متَّ من شرٍّ ما تجني [167]
كأنى بهم و اللئى أفضل قولهم ألا ليتنا كنّا إذ اللئى لا يُغنى

و لم يزل الوليد مقيماً في تلك البريّة حتى مات هشام.
و لما كان صبيحة اليوم الذى جاءته فيه الخلافة دعا أبا الزبير المنذر بن
أبى عمرو. فقال له:

- «يا أبا الزبير، ما أتت على ليلة، منذ عقلت، أطول من هذه الليلة.
عرضت لى هموم و حدثت نفسى فيها بأمور من أمر هذا الرجل الذى قد
أولع بمكروهى يعنى هشاماً فاركب بنا نتنفس.»

فركبا و سارا ميلين، فيينا هو يشكو حاله إذا برهج^(١). فقال:

- «أسأل الله خير الأمور. هؤلاء رسل هشام.»

فلما دنا القوم نزل موليان يعدوان حتى دنوا. فسلمّا عليه بالخلافة، فوجم،
و جعلاً يكرران عليه ذلك. فقال:

- «و يحكما! أمات هشام؟» قالوا:

١. برهج: كذا الأصل و مط: برهج. فى آ: ترهج

«نعم.» قال:

«فممن كتابكما؟» قال:

«من مولاي، سالم بن عبد الرحمن صاحب ديوان الرسائل.»

ثم سأل عن كاتبه عياض بن مسلم. فقال:

«يا أمير المؤمنين، لم يزل محبوبا»

حتى نزل بهشام أمر الله، فلما صار في حدٍّ لا يرجي الحياة لمثله أرسل عياض إلى الخزان: احتفظوا بما في أيديكم، فلا يصلنَّ أحد منه إلى شيء. فمنعوه بعض ما التمسه. [168] فقال: أراءنا كنا خزاناً للوليد. فمات من ساعته. فخرج عياض من السجن و ختم أبواب الخزائن و أمر بهشام، فأُنزل عن فرشه، فما وجدوا قمقما يسخن له فيه الماء حتى استعاروه، و لا وجدوا كفنا من الخزائن، فكفنه غالب مولى هشام.

استعمال الوليد العمال

و استعمل الوليد العمال، و جاءته بيعته من الآفاق، و كتب إليه العمال، و جاءته الوفود، و جاءه كتاب من مروان بن محمد و كان إليه ارمينية و آذربيجان بليغ يثنى عليه، و يذكر أنه قد بايع له من قبيلة و يستأذنه في المصير إليه لمشاهدته.

مركز حیات کاپتور علوم اسلامی

إجراء على الزماني و العميان

و أجرى الوليد على الزماني و العميان، و أمر لكل إنسان منهم بخادم، و أخرج لعيالات الناس الطيب و الكسوة، و زاد الناس جميعا في العطاء عشرات، ثم زاد أهل الشام بعد زيادة العشرات عشرة عشرة، و أضعف جوائز أهل بيته و لم يقل قط في شيء سئله: لا.

عقد الوليد بن اليزيد للخلافة بعده لابنيه: الحكم و عثمان
و في هذه السنة عقد الوليد لابنيه: الحكم و عثمان، بعده و جعلهما و لئى
عهده، أحدهما بعد الآخر، و كتب بذلك إلى الأمصار، إلى يوسف بن عمر
بالمراق، و إلى نصر بن سيار بخراسان.
و نسخة البيعة: [169]

- «تبايع^(١) لعبد الله^(٢) بن الوليد أمير المؤمنين و للحكم بن أمير
المؤمنين إن كان بعده، و عثمان بن أمير المؤمنين إن كان
بعد الحكم، على السمع و الطاعة. فإن حدث بواحد منهما
حدث، فأمر المؤمنين أملك فى ولده و رعيته، يُقدّم من أحب
و يؤخّر من أحبّ. عليك بذلك عهد الله و ميثاقه.»

و فى هذه السنة ولى الوليد نصر بن سيار خراسان كلّها و أفرد به.
و فيها كتب يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار يأمره بالقدوم عليه، و
بحمل ما قدر عليه من الهدايا و الأموال، و بعياله أجمعين.
فلما أتى نصرأ كتابه قسم على أهل خراسان الهدايا و على عمّاله، و لم
يدع بخراسان جارية، و لا عبداً، و لا برذونا فارها، إلاّ أعدّه، و اشترى ألف
مملوك و أعطاهم السلاح، و حملهم على الخيل، و أعدّ خمسمائة و صيفة، و
أمر بصنعة أباريق الذهب و الفضة، و تماثيل الأطباء، و رؤوس السباع و
الأيائل، و غير ذلك. فلما فرع من جميع ذلك كتب الوليد يستحثّه، فسرح

١. تبايع: كذا فى الأصل و آ و الطبرى (٩: ١٧٥٦): تبايع. فى مط يبايع.

٢. لعبد الله الوليد: فى الأصل و مط و آ: لعبد الله بن الوليد (بزيادة ابن) و ما أثبتناه
يوافق الطبرى.

أوائها حتى بلغ ذلك بيهق، وكتب الوليد إليه يأمره أن يبعث إليه برابط و طناير، و أن يجمع له كل صناجة بخراسان يقدر عليها [170] و كل باز هناك، ثم يسير بذلك كله بنفسه، مع ما أعدّه، و بوجوه أهل خراسان.

و كان المنجمون يخبرون نصراً بفتنة تكون. فبعث نصر إلى صدقة بن وثاب، و كان منجماً مُحذقاً^(١) يبلغ فأحضره فكان مقيماً عنده، و ألحّت عليه الكتب. فلم يزل يتباطأ حتى وجّه إليه يوسف رسولا و أمره بلزومه و استحثائه، فإن أبطأ، أشاع في الناس أنه خلع.

فلما جاء الرسول أجازته و أرضاه، و تحوّل إلى قصره الذي هو دار الإمارة اليوم. فلم يأت لذلك إلا يسير، حتى وقعت الفتنة، فحوّل نصر إلى قصره بماجان، و استخلف عصمة بن عبد الله الأسرى على خراسان، و ولّى كل كورة ثقة له، و أمرهم، إذا بلغهم خروجه من مرو، أن يستجلبوا^(٢) الترك، و أن يغيروا على ما وراء النهر لينصرف بعد خروجه، يعتلّ بذلك. فبينما هو يسير يوما إلى العراق طرقه ليلا مولى لبنى ليث و ناجاه^(٣).

فلما أصبح أذن للناس، و بعث إلى رسل الوليد، فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال:

«قد كان من مسيرى ما رأيتم، و بعثني بالهدايا ما علمتم، فطرقني فلان ليلا و أخبرني أن الوليد قد قتل، و وقعت الفتنة بالشام، و قدم منصور بن جمهور العراق، [171] و قد هرب يوسف بن عمر منه، و نحن في بلاد قد علمتم حالها و كثرة عدوها.»

١. محذقا: كذا في الاصل: محذقا. في مط و آ: محذقا. في الطبري (٩: ١٧٦٦)؛ و كان منجماً. (بدون «محذقا»)

٢. في الطبري (٩: ١٧٦٧)؛ يستجلبوا. (بالحاء المهملة).

٣. ناجاه: كذا في الأصل و مط: ناجاه. في آ: فاجاه.

ثم دعا بالقادم، فأحلفه أن ما جاء به حق. فحلف.

فقال سلم بن أحوز^(١):

«أصلح الله الأمير، لو حلفتُ لكنت صادقاً أنه بعض مكائد قريش، أرادوا تهجين طاعتك. فبِرْز و لا تُهَجِّنَا.»

فقال:

«يا سلم، أنت رجل لك علم بالحروب، و لك مع ذلك حسن طاعته لبنى أمية. فأما مثل هذا من الأمور فرأيتك فيه رأى أمة هتماء.»

ثم قال لمن حضر:

إني لم أشهد بعد ابن خازم أمراً مفضلاً إلا كنت المفرع^(٢) في الرأى.

فقال الناس:

«قد علمنا ذلك، فالرأى رأيتك.»

يوسف الثقفى يولئ المدينة و مكة

و فى هذه السنة وجّه الوليد بن يزيد خاله يوسف بن محمد بن يوسف الثقفى والياً على المدينة و مكة، و دفع إليه إبراهيم و محمداً ابنى هشام بن اسماعيل المخزومى موثقين فى عباءتين. فقدم بهما المدينة و أقامهما للناس ثم بعث بهما إلى يوسف بن عمر و هو يومئذٍ عامله على العراق فعذبهما حتى قتلهما و قد كان رُفع عليهما عند الوليد أنهما أخذاً مالاً كثيراً.

١. أحوز: كذا فى الأصل: أحوز. فى مط. و آ: أحوز.

٢. المفرع: كذا فى الأصل و آ، و مط و الطبرى (٩: ١٧٦٨): المفرع (بالراء المهملة). المفرع: المصلح بين الناس.

ذكر أبي مسلم

و في هذه السنة قدم سليمان بن كثير و مالك بن الهيثم و لاهز بن قريظ و قحطبة بن شبيب مكة على محمد بن علي و أخبروه [172] بقصة أبي مسلم و ما رأوا منه. فقال لهم:

- «أحر هو أم عبد؟»

قالوا:

- «أما عيسى فيزعم أنه عبد و أما هو فيزعم أنه حر.»

قال:

- «فاشتروه و أعتقوه و أعطوا محمد بن علي مائتي ألف درهم.»

و كسى بثلاثين ألف درهم. فقال لهم:

- «ما أظنكم تلقوني بعد عامي هذا فإن حدث بي حدث فصاحبكم إبراهيم بن محمد فإنه مأمون و أنا أثق به لكم و أوصيكم به خيراً و قد أوصيته بكم.»

فصدروا من عنده.

و في هذه السنة قتل يحيى بن زيد بن علي بخراسان.

ذكر مقتل يحيى بن زيد و السبب فيه

أقام يحيى بن زيد ببلخ عند الحريش بن عمر بن داود حتى هلك هشام و ولي الوليد بن يزيد بن عبد الملك. فكتب يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار بمسير يحيى بن زيد و بمنزله^(١) ببلخ حتى قال أنه عند الحريش و قال له:

- «إبعث إليه فخذة أشد الأخذ.»

١. بمنزله: كذا في الأصل و الطبري (٩: ٧٧٠). في آ: منزله.

فبعث نصر إلى عقيل بن معقل يأمره أن يأخذ الحريش فلا يفارقه حتى يزهد نفسه أو يأتيه يحيى بن زيد، فبعث إليه عقيل فسأله عنه فقال:

- «لا علم لي به.»

فجلده ستمائة سوط. فقال له الحريش:

- «و الله لو أنه كان تحت قدمي ما رفعها لك عنه.»

فلما رأى ذلك قريش بن الحريش [173] أتى عقيلاً فقال له:

- «لا تقتل أبي و أنا أدلك عليه.»

فأرسل معه فدلّه عليه و هو في بيتٍ جوفٍ بيتٍ فأخذه فأتى به نصر بن سيّار فحبسه و كتب إلى يوسف بن عمر يخبره بذلك فكتب بذلك يوسف إلى الوليد بن يزيد فكتب الوليد إلى نصر بن سيّار يأمره أن يؤمنه و يخلّي سبيله و سبيل أصحابه و كان معه نفرٌ خرجوا معهم^(١) من الكوفة فظفر بهم فدعاه نصر بن سيّار و أمره بتقوى الله و حذر الفتنه و أمره أن يلحق بالوليد بن يزيد و أمر له بألفي درهم و بغلين فخرج هو و أصحابه إلى سرخس و أقام بها فكتب نصر إلى عامله بسرخس أن يشخصه منه و كتب إلى عامله بطوس:

- «انظر يحيى بن زيد إذا مرّ بك فلا تدعه يقيم بطوس.»

و أمرهما إذا مرّ بهما أن لا يفارقاه حتى يدفعاه إلى عمرو بن زرارة بأبرشهر ففعل به ذلك و وكلّ به سرحان بن فروخ بن مجاهد بن بلعاء العنبري. قال سرحان: فدخلت يوماً عليه فذكر نصر بن سيّار و ما أعطاه و إذا هو يستقلّه و ذكر الوليد فأثنى عليه ثمّ اعتذر من مجيئه بأصحابه و أنّه لم يأت بهم إلا مخافة أن يُسمّ أو يُعَمّ ثمّ عرض [174] بيوسف و ذكر أنّه يتخوّفه و همّ

١. معهم: كذا في الأصل و في آ: معه.

بالوقوع فيه ثم أمسك فبسطته و قلت:

«قل ما أحببت يرحمك الله، فليس عليك مني عين.»

ثم اعتذرت إليه من مسيرى معه و كنت أسير معه على رأس فرسخ حتى تلقانا عمرو بن زرارة فدفعنا إليه فأشخصه إلى بيهق و هي أقصى خراسان و أدناه من قومس فأقبل في سبعين رجلاً و كان يخاف اغتيال يوسف إياه و مرّ به قوم تجار فأخذ دوابهم و قال:

«علينا أثمانها.»

و كتب عمرو بن زرارة إلى نصر: أن يحيى قد أقبل و فعل كيت و كيت. فكتب نصر إلى عبد الله بن قيس و إلى الحسن بن زيد أن يمضيا إلى عمرو بن زرارة فهو عليهم ثم يقاتلوا يحيى بن زيد حتى يقتلوه أو يأخذوه أسيراً فأتوها إلى عمرو بن زرارة و كانوا عشرة آلاف و أتاها يحيى و ليس معه إلا سبعون رجلاً فهزمهم و قتل عمرو بن زرارة و أصاب دواب و متاعاً كثيراً.

و أقبل يحيى بن زيد حتى مرّ بهرة، و عليها مغلّي بن زياد فلم يعرض له و لا عرض هو^(١) لمغلّي و قطع هرة فسرّح نصر بن سيار سلم بن أحوز في طلب يحيى فتبعه حتى لحقه بالجوزجان بقرية منها^(٢) و قد لحق [175] بيحيى نفر من الشيعة فصافه سلم بن أحوز و أمر سلم جماعة بتعبئة الناس فتباطؤوا عليه حتى عبّأهم سورة بن محمد بن عزيز^(٣) الكندي و اقتتلوا فقتل أصحاب يحيى من عند آخرهم و مرّ سورة بيحيى صريعاً فأخذ رأسه و بعث به إلى يوسف بن عمر فنصبه فكتب الوليد بن يزيد إليه أن أحرقه ثم انسفه في اليمّ نسفاً. فأمر

١. ولا عرض هو: كذا في الأصل. و في آ: ولا عرض له.

٢. منها: كذا في الأصل، والطبري (٩: ١٧٧٣). و في آ: فيها.

٣. عزيز: كذا في الأصل: عزيز، و ما في الطبري (٩: ١٧٧٣): عزيز.

يوسف بإنزاله من جذعه و أحرقه بالنار ثم رضّه و جعله فى قوصرة و أمر بأن
يُذَرّ فى الفرات.

و دخلت سنة ستّ و عشرين و مائة
و فيها قُتل الوليد بن يزيد قتله يزيد بن الوليد.



مركز تحقیقات کتب و علوم اسلامی

خلافة يزيد الناقص

ذكر السبب في قتل الوليد و خلافة يزيد الناقص

كان سبب اضطراب أمره و فساد نيات الناس له اشتغاله بالمجون و الخلاعة و تهاونه بأمر الدين و استخفافه به و قد حُكي عنه ما لا يُلفظ به و لا فائدة في ذكره و كان من أعظم ما جنى على نفسه إفساده بني عمّيه: ولد هشام و ولد الوليد ابني^(١) عبد الملك بن مروان و أفسد أيضاً على نفسه اليمانية^(٢) [176] و هم عظم أهل الشام.

و كان قد اشتدّ على الجند و على بني هشام^(٣) ضربه سليمان بن هشام مائة سوطٍ و حلق رأسه و لحيته، و غرّبه إلى عمان و كان يتعرّض لجوارى أبيه و أولادهم و أراد خالد بن عبد الله القسري على البيعة لابنيه فأبى فقال له أهله: - «ويحك أبيت على أمير المؤمنين.» قال:

- «ويحكم كيف أباع من لا أصلى خلفه و لا أقبل شهادته و هم صبيان^(٤).» قالوا:

١. ابني: كذا في الإصل و في الطبري (٩: ١٧٧٥). و في آ: بني.
٢. اليمانية: في الأصل مهملة في الاول. في آ: الثمانية. في الطبري (٩: ١٧٧٥): اليمانية.
٣. هشام: كذا في الأصل و الطبري (٩: ١٧٧٦) و مط. و في آ: هاشم.
٤. وهم صبيان. كذا في الأصل و آ. و العبارة ليست في الطبري (٩: ١٧٧٦).

- «فالوليد تقبل شهادته مع فسقه؟» قال:

- «أمر الوليد مغيب عني ولا أعلمه يقيناً إنما هي أخبار الناس.»

فغضب الوليد على خالد وحبسه ثم رمى الناس الوليد بكل^(١) فاحشة و اتهموه بالزندقة و كان أشدّ الناس عليه يزيد بن الوليد الذي لُقّب فيما بعد بالناقص و كان الناس يميلون إليه لآفته كان يظهر النسك و يتواضع فكان يحمل الناس على الفتك به و أجمع قوم من اليمانية و قضاة من أهل^(٢) دمشق خاصّة على قتل الوليد فاجتمع رؤساؤهم إلى خالد بن عبد الله فدعوه إلى أمرهم فلم يجيبهم فسألوه أن يكتب عليهم قال:

- «لا أسمّي أحداً منكم.»

و أراد الوليد الحجّ فخاف خالد أن يفتكوا به في الطريق، فأتاه فقال:

- «يا أمير المؤمنين أخر الحجّ العام.» قال:

- «و لِمَ؟»

فلم يخبره فأمر [177] بحبسه و أن يُستأدى ما عليه من بقايا أموال العراق.

و همّ الوليد بعزل يوسف عن العراق فكتب إليه:

- «إنك كنت^(٣) كتبت إلى أمير المؤمنين بتخريب ابن النصرانية البلاد و قد

كنت تحمل إلى هشام ما تحمل و قد ينبغي أن تكون عمرت البلاد و وفّرت

الدخل فاشخص إلى أمير المؤمنين و صدّق ظنه بك فيما تحمل إليه لعمارتك

البلاد و ليعرف أمير المؤمنين فضلك على غيرك، فأنك خاله و أحقّ الناس

بالتوفير^(٤) و قد علمت ما أمر به أمير المؤمنين لأهل الشام و غيرهم من الزيادة

١. بكل: كذا في الأصل. و في مط: على.

٢. من أهل دمشق: كذا في الأصل. في آ: من دمشق.

٣. إنك كنت كتبت: كذا في الأصل. و في آ. و الطبري (٩: ١٧٧٨): إنك كتبت.

٤. التوفير: كذا في الأصل و الطبري (٩: ١٧٧٩). و في آ و مط: التوفر.

ففي أعطياتهم^(١) و ما وصل به أهل بيته لطول جفوة هشام إيتاهم حتى أضر ذلك ببيوت الأموال.

فخرج يوسف و استخلف عمه يوسف بن محمد و حمل من الأموال و الأمتعة و الآتية مالم يُحمل من العراق مثله، فقدم يوسف و خالد بن عبد الله محبوس فلقيه حسان النبطي ليلاً فأخبره أن الوليد عازم على تولية عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف. و قال له:

- «لابد لك من إصلاح أمر وزرائه». فقال:

- «ليس عندي فضل درهم». قال:

- «فعندي خمسمائة ألف درهم إن شئت فهي لك و إن شئت فاردها إذا

تيسرت». قال:

- «فأنت أعرف بالقوم و منازلهم من [178] الخليفة متى ففرقها على قدر

علمك^(٢) فيهم». ففعل. فقدم يوسف و القوم يعظمونه. فقال له حسان:

- «لا تغد إلى أمير المؤمنين و لكن رح إليه رواحاً و اكتب على لسان

خليفتك كتاباً إليك: إني كتبت و لا أملك إلا القصر ثم ادخل على الوليد و

الكتاب معك متحازناً فأقرئه الكتاب وأمر إبان بن عبد الرحمن أن يشتري منه

خالداً بأربعين ألف ألف».

ففعل يوسف فقال له الوليد:

- «إرجع إلى عمك».

فقال إبان بن عبد الرحمن:

- «إدفع إليّ خالداً و أحمل إليك أربعين ألف ألف». قال:

١. أعطياتهم: كذا في الأصل و آ. في مط: إعطائهم.

٢. علمك: كذا في الأصل. في آ: عمك.

- «و من يضمن عنك؟» قال:

- «يوسف.» فقال:

- «أتضمن عنه؟» قال:

- «بل ادفعه إليّ فأنا أستاذيه خمسين ألف ألف.»

فدفعه إليه فحمله في غير وطاء في محمل مكشوف و قدّم به الكوفة فقتله بالعذاب.

و كانت اليمانية أمت يزيد بن الوليد فأرادوه على البيعة فشاور فقيلاً:

- «لا يبايعك الناس فشاور أخاك العباس بن الوليد فإنه سيّد بني مروان فإن بايعك لن^(١) يخالفك أحد و إن أبى كان الناس أطوع له^(٢)، فإن أبيت إلاّ المضى على رأيك فأظهر أنّ العباس قد بايعك.»

و كانت الشام وبيئة تخرج الملوك منها إلى البوادي [179] و كان يزيد بن الوليد بن عبد الملك متبدياً و كذلك العباس بن الوليد و بينهما أميال يسيرة فأتى يزيد أخاه العباس فشاوره وعاب الوليد.

فقال له العباس:

- «مهلاً يا يزيد فإنّ في نقض عهد الله فساد الدين و الدنيا.»

فرجع يزيد إلى منزله و دبّ في الناس فبايعوه سرّاً و بثّ ثقاته يدعون إليه و يلعنون الوليد و بلغ العباس أخاه، فقال له:

- «لئن عاودت لما يبلغني لأشدّك وثاقاً و لأحملنك الى أمير المؤمنين.»

فلم ينته يزيد و بلغ معاوية بن عمرو بن عتبة خوض الناس فأتى الوليد فقال:

١. لن: كذا في الأصل. في آ، و مط: لم.
٢. أطوع له: كذا في الأصل. في آ: له أطوع.

- «يا أمير المؤمنين إنك تبسط لسانى بالأنس بك و أكفّه بالهبة لك و أنا أسمع ما لا تسمع و أخاف عليك ما أراك تأمن. أفأتكلم ناصحاً أم أسكت مطيعاً؟» قال:

- «كلّ مقبول منك و لله فينا علم غيب نحن صائرون إليه، ولو علم بنو مروان أنّ ما يوقدون علىّ رضف^(١) يلقونه فى أجوافهم ما فعلوا، و نعود فأسمع منك.»

و بلغ مروان بن محمد بأرمينية أنّ يزيد يؤكّب الناس و يدعو إلى خلع الوليد فكتب إلى سعيد بن عبد الملك يأمره أن ينهى الناس و يكفّهم و كان سعيد يتألّه، فقال:

- «إنّ الله جعل لكلّ أهل بيت أركاناً يعتمدون عليها [180] و يتّقون بها المخاوف و أنت بحمد^(٢) ربك ركن من أركان أهل بيتك و قد بلغنى أنّ قوماً من سفهاء أهل بيتك قد أسسوا^(٣) أمراً إن تمّت لهم رويّتهم فيه على ما أجمعوا عليه من نقض بيعتهم، استفتحوا باباً لن يخلقه الله عنهم حتّى يسفك دماء كثير منهم، و أنا مشغول بأعظم الشغور فرجاً، ولو جمعتنى و إيّاهم لرممت فساد أمرهم بيدي و لسانى، و لخفت الله فى ترك ذلك لعلمى بما فى عواقب الفرقة و أنّه لن ينتقل سلطان قوم إلّا بتشتت كلمتهم و أنّ كلمتهم إذا تشتت طمع فيهم عدوّهم و أنت أقرب إليهم منى فاحتل لعلم ذلك بإظهار المتابعة لهم فإذا صرت إلى علم ذلك

١. علىّ رضف: كذا فى الأصل: رضف. فى الطبرى (٩: ١٧٨٥): على رضف.

٢. بحمد: كذا فى الأصل: بحمد. فى آ: محمد.

٣. أسسوا: كذا فى الأصل: أسسوا. ما فى الطبرى (٩: ١٧٨٦) استنوا.

فتهددهم بإظهار أسرارهم و خذهم بلسانك و خوفهم العواقب لعل
الله أن يرد عليهم ما قد عزب^(١) من أحلامهم فإن فيما سعوا فيه
تغير النعم و ذهاب الدولة فعاجل الأمر و حبل الألفة مشدود و
الناس سكون و الثغور محفوظة و قد أمل القوم في الفتنة أملاً لعل
أنفسهم تهلك دون ما أملوا و لكل أهل بيت مشائيم يغير الله بهم
النعمة فأعاذك الله من ذلك و حفظ عليك دينك.»

فأعظم سعيد ذلك و بعث بكتابه إلى العباس فأعاد العباس موعظة يزيد
[181] و تهديده و قال:

- «يا أخى أخاف أن يكون بعض من حسدنا على هذه النعمة أراد أن
يغري بيننا.»

و حلف له أنه لم يفعل. فصدقه.

فلما اجتمع ليزيد أمره و هو متبداً أقبل إلى دمشق و بينه و بينها أربع
ليال متتكرراً في سبعة على حمر و كان أهل دمشق قد بايعوا ليزيد سرّاً، إلا
معاوية بن مصاد و كان سيّد أهل المزة، و بين المزة و بين دمشق ميل.
فمضى يزيد من ليلته ما شاء في نفي من أصحابه إلى مزة فأصابهم مطر
شديد فأتوا منزل معاوية فضربوا بابه ففتح لهم فلما رأى يزيد قال:
- «إلى الفراش أصلحك الله.» قال:

- «إن في رجلى طيناً و أكره أن أفسد بساطك.» قال:

- «إن الذي تريدنا عليه أفسد.»

و كلمه يزيد، فبايعه، و رجع يزيد إلى دمشق و نزل دار سليمان بن سعيد

١. عزب من أحلامهم: كذا في الأصل. في آ: عزب من أخلاقهم. في الطبري (٩: ١٧٨٦): عزب من دينهم و عقولهم.

الجشمي^(١) و كان على دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف فخاف الوباء و خرج و استخلف ابنه و كان على شرطته أبو العاج كثير بن عبد الله السلمي، فأجمع يزيد على الظهور، و قيل للعامل: إن يزيد خارج، فلم يصدق، و أرسل يزيد أصحابه بين المغرب و العشاء ليلة الجمعة سنة ست و عشرين و مائة، فكمثروا عند باب الفراديس حتى سمعوا أذان العتمة، فدخلوا المسجد و صلّوا و للمسجد [182] حرس قد وُكِّلوا بإخراج الناس من المسجد بالليل. فلما صلى الناس صاح الحرس و تباطأ أصحاب يزيد و جعلوا يخرجون من باب و يدخلون من باب حتى لم يبق إلا الحرس و أصحاب يزيد. فأخذوا الحرس و مضى ابن عتبة إلى يزيد بن الوليد و قال:

«قم يا أمير المؤمنين و أبشر بتصر الله تعالى وعونه.»

فقام و قال:

«اللهم إن كان هذا لك رضا فأعني عليه و إن كان غير رضا فاصرفه عني بموت.»

و أقبل في اثني عشر رجلاً فلما كانوا عند سوق الحمر لقوا أربعين رجلاً من أصحابهم. فلما كانوا عند سوق القمح لقيهم زهاء مائتي رجل من أصحابهم فمضوا إلى المسجد و دخلوه فضربوا باب المقصورة و قال^(٢) رسل الوليد: ففتح لهم خادم الباب فأخذوه و دخلوا فأخذوا أبا العاج و هو سكران و أخذوا خزان بيت المال و صاحب البريد. و أرسل إلى كل من يحذره، فأخذوه^(٣). و توجه رسل يزيد من ليلته إلى محمد بن عبيد و هو

١. الجشمي: كذا في الأصل: الجشمي. في الطبري (٩: ١٧٨٩): الخشني.

٢. و قال: كذا في الأصل و مط. في الطبري (٩: ١٧٩٠)، و آ: و قالوا.

٣. آ: فأخذوا رسل يزيد من ليلته. و العبارة في الطبري (٩: ١٧٩٠): «و أرسل إلى كل من كان يحذره، فأخذوا رسل يزيد.»

على بعلبك فأخذه و أرسل من ليلته إلى محمد بن عبد الملك بن الحجاج بن يوسف، فأخذه و قال:

«استدعوا أصحابنا من النواحي.»

و قال للبوابين:

«لا تفتحوا الباب غدوةً إلا لمن أخبركم بشعارنا.»

فتركوا الأبواب [183] بالسلاسل فلما أصبحوا جاء أهل المزة و غيرهم فما انتصف النهار حتى تتابع الناس و كان في المسجد سلاح كثير قدم به سليمان بن هشام من الجزيرة فلم يكن الخزان قد قبضوه فأصابوا سلاحاً كثيراً عتيداً و تتابع الناس من كل ناحية و أرسل يزيد بن الوليد إلى عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك و أمره أن يقف بباب الجابية^(١) و قال:

«من كان له عطاء فليأت إلى عطاءه و من لم يكن له عطاء فله ألف درهم معونة.»

و قال لبنى الوليد بن عبد الملك و كان معه منهم ثلاثة عشر:

«تفرقوا في الناس يروكم، وخصوهم.» و نادى مناديه:

«مَنْ يَنْتَدِبُ إِلَى الْفَاسِقِ و له ألف درهم؟» فانتدب ألف رجل. ثم نادى مناديه:

«مَنْ يَنْتَدِبُ وَلَهُ أَلْفٌ و خمسمائة؟»

فانتدب نحو من ألفين. فعقد لجماعة. و جعل عليهم جميعاً عبد العزيز بن الحجاج عبد الملك. فخرج عبد العزيز حتى عسكر بالحيرة. و بلغ الخبر الوليد فأنفذ أبا محمد ابن عبد الله بن يزيد بن معاوية و أجازته و جهزه و وجهه إلى

١. الجابية: كذا في الأصل و الطبري (٩: ١٧٩١): الجابية. في آ، و مط: الحابية (بالحاء المهملة).

دمشق. فخرج أبو محمّد. فلمّا انتهى إلى ذنبه^(١) أقام فوجّه إليه يزيد بن الوليد عبد الرحمن بن مصاد^(٢) فسأله أبو محمّد و بايع ليزيد بن الوليد و أتى الوليد الخبر و هو بالأعدف^(٣). [184]

ذكر آراء أشير بها على الوليد

فساقه الحين إلى أحدهما

فقال له يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية:

«يا أمير المؤمنين سِرْ حتّى تنزل جِمْص فإنّها حصينة و وجّه الجنودَ إلى يزيد فإنّه يُقتل أو يؤسّر.»

فقال عبد الله^(٤) بن عَنبَسَةَ بن سعد^(٥) بن العاص:

«ما ينبغي للخليفة أن يدع عسكره و نساءه قبل أن يقاتل و يُعذر، و الله مؤيّد أمير المؤمنين و ناصره.»

فقال يزيد بن خالد:

«و ماذا تخافُ على حُرْمه؟»

و إنّما أتاه عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك و هو ابن عمّه. فأخذ يقول ابن عَنبَسَةَ.

فقال له الأبرش: كاتِبُ عِلْمٍ رَسْمِي

١. ذنبه: الضبط من الطبرى (٩: ١٧٩٥). فى آ: مهلمة فى كل الحروف.

٢. مصاد: كذا فى الأصل و مط و الطبرى (٩: ١٧٩٥). و فى آ: معاد.

٣. بالأعدف: كذا فى الأصل و آ: بالأعدف. فى مط: الأعدف. فى الطبرى (٩: ١٧٩٥): بالأعدف.

٤. عبد الله: فى الأصل مطموس، كذا فى آ، و مط، و الطبرى (٩: ١٧٩٥): عبد الله.

٥. سعد: كذا فى الأصل. فى آ، و مط، و الطبرى (٩: ١٧٩٥): سعيد.

- «يا أمير المؤمنين تدمر حصينة و بها قومي يمنعونك.» فقال:
- «أهلها بنو عامر وهم الذين خرجوا عليّ و لكن دُلّني على منزل حصيني.» قال:
- «انزل القرية.» قال
- «أكرهها.» قال:
- «فهذا الهَرِيم^(١)» قال:
- «أكره اسمه.» قال:
- «فهذا البخراء^(٢) قصر النعمان بن بشير.» قال:
- «ويحك ما أقبح أسماء مياهمكم.»
- و أقبل في طريق السماوة فقال له بيكس بن زميل:
- «أما إذ أبيت أن تمضي إلى حمص و تدمر فهذا الحصن البخراء و هو حصين و هو من بناء العجم فانزله.»
- فنزله.

ونذب يزيد بن الوليد الناس إلى الوليد و نادى مناديه:

- «من سار فله ألفان.»

فانتدب [185] ألفا رجل فأعطاهم ألفين ألفين و قال: موعدكم بدّنة و سار فوافاه بدّنة ألف و مائتان ثم سار، فتلقاهم ثقل الوليد فأخذه و نزلوا قريباً من الوليد و أرسل العباس إلى الوليد:

- «إني آتيك، فاختر بين أن آتيك، أو آتى يزيد فأكفّه.»

١. الهَرِيم: كذا في الأصل و آ، و في مط مهمة. في الطبري (٩: ١٧٩٦): الهَرِيم. و في هامش الطبري: الهريم، الحزيم.

٢. البخراء: الضبط من الطبري (٩: ١٧٩٦). في الأصل و مط غموض و اهمال. في آ و حواشي الطبري: النجراء.

فاتهمه و قال:

- «بل اتنى.»

فبلغ عبد العزيز مسير العباس بن الوليد فأرسل إليه منصور بن جمهور في خيل و قال:

- «إنكم ستلقون العباس بن الوليد في الشعب و معه بنوه فخذوهم و جيئوني بهم.»

فخرج منصور في خيل فلما صاروا في الشعب إذا هم بالعباس في ثلاثين من أهل بيته.

فقالوا له:

- «إعدل إلى عبد العزيز.»

فشتهم. فقال له منصور:

- «و الله لئن تقدمت لأفقدن حصينك^(١)»

- و يقال بل الذي لقيه، يعقوب بن عبد الرحمن بن سليم و قال له:

- «و الله لئن أبيت لأضربن ما فيه عيناك.»

و لم يكن مع العباس أصحابه، لأنه تقدمهم وكان معه بنوه فقال:

- «إنا لله.»

و أتوا به عبد العزيز فقال:

- «بايع لأخيك يزيد بن الوليد.» فبايع.

و كان عبد العزيز قد أخرج أصحابه و عبأهم فقاتل أصحاب الوليد و قد قُتل من أصحابه جماعة. و حُملت رؤوسهم إلى الوليد و الوليد على باب البخراء جالس [285] ينتظر العباس فلما بايع الناس على الكره و على سبيل

١. أو حضنيك. و في مط: حصبتك. و في الطبري (١٧٩٨:٩): «حصينك يعني درعك»

المكر به، قال:

- «إنا لله، خُدَعَة من خُدَع الشيطان هلك بنو مروان و نصب عبد العزيز راية.»

وقالوا:

- «هذه راية العباس بن الوليد و قد بايع لأمر المؤمنين يزيد.»
فتفرق الناس عن الوليد، و دخلوا في الأمان إلى عبد العزيز و العباس.
و ظاهر الوليد بين درعين، و أتوه بفرسين: السندی و الذائد^(١). فقاتلهم،
فناداهم رجل:

- «اقتلوا عدو الله قتلة قوم لوط، إرموه بالحجارة.»
فلما سمع ذلك دخل القصر و تبعه الناس يطلبونه. فدنا الوليد من الباب.
فقال:

- «أما فيكم رجل شريف له حَسَب و حياءُ أكلمة؟»
فقال له يزيد بن عَنبَسَة السَّكْسَكِي:

- «كَلَمْنِي.» قال:

- «من أنت؟» قال:

- «يزيد بن عَنبَسَة.» قال^(٢):

- «يا أخا السكاسك، ألم أزد في أعطياتكم، ألم أرفع المؤن عنكم، ألم
أعط فقراءكم، ألم أخدم رَمَناكم؟»
- «فأجابه و قال:

- «ما ننقم عليك في أنفسنا، و لكن ننقم عليك في انتهاك ما حرّم الله، و

١. الذائد: كذا في الأصل. في الطبري (٩: ١٧٩٩): الزائد، و في حواشيه: الزايد. الرابذ.
الذائد.

٢. نجد الحوار في الطبري (٩: ١٧٩٩).

شرب الخمر، و نكاح أمهات أولاد أبيك، و استخفافك بالدين.»
قال:

«حَسْبُكَ يَا أَخَا السَّكَايِكِ، فَلَعَمْرِي لَقَدْ أَكْثَرْتَ وَ أَغْرَقْتَ. فَإِنْ فِيمَا
أَحَلَّ اللَّهُ لِسَعَةِ عَمَّا ذَكَرْتَ وَ وَاللَّهِ [187] لَا اجْتَمَعْتُ^(١) كَلِمَتَكُمْ بَعْدِي.»
و رجع إلى القصر. و أخذ مصحفاً فنشره و جلس يقرأ. و قال:
«يوم كيوم عثمان.»

و كان أول من علا الحائط يزيد بن عَنبَسَةَ. فتحدّث المثنى بن معاوية قال:
دخلت القصر فإذا الوليد قائم في قميص قصَبٍ و سروايل وشي و معه
سيف في غمد و الناس يشتمونه. ثمّ كثر الناس عليه و تعاوروه بأسيا فهم فقتل.

رأس الوليد و ما فعل به

و كان جعل يزيد بن الوليد في رأس الوليد مائة ألفٍ فانتهب الناس
عسكر الوليد و خزائنه و أمر يزيد بنصب الرأس على رمح و طيف به في
مدينة دمشق ثمّ قال:

«إِدْفَعُوهُ إِلَى سُلَيْمَانَ^(٢) أَخِي الْوَلِيدِ.»

و كان سليمان أخو الوليد ممّن سعى على أخيه. فغسل الرأس و وُضع في
سَقَطٍ و أتى به سليمان فنظر إليه ثمّ قال:
«بُعْدًا لَهُ وَ سُحْقًا أَشْهَدُ أَنَّهُ كَانَ شَرُّوياً لِلْخَمْرِ فَاسِقًا مَاجِناً وَ لَقَدْ أَرَادَنِي
الْفَاسِقُ عَلَى نَفْسِي.»

فخرج حامل الرأس و هو ابن فروة من الدار فتلقته مولاة للوليد. فقال لها:

١. لَا تَجْتَمِعُ: فِي الْأَصْلِ وَ آ: لَا اجْتَمَعْتُ. فِي مَط: مَا اجْتَمَعْتُ. وَ مَا اثْبَتْنَاهُ يُوَافِقُ

الطبري (٩: ١٨٠١)

٢. سليمان: كَذَا فِي الْإِصْل وَ آ: سليمان. فِي مَط: سلمان.

- «ويحك ما أشد ما شتمه^(١) زعم أنه أراد على نفسه.» قالت:
- «كذب الخبيث و لئن كان أراد على نفسه لقد فعل . ما كان ليقدّر على
الامتناع منه.»

هَرَبُ الْمُغْنِيِّ

و كان مع الوليد مالك بن أبي السّمح المُغْنِيّ و عمر الوادي^(٢). [188] فلمّا
تفرّق الوليد عن أصحابه و حُصر قال مالك لعمر:
- «إذهب بنا.»

فقال عمر:

- «ليس هذا من الوفاء و نحن لا يُعْرَضُ لنا لآثا لسنا ممّن يُقاتل.»
فقال مالك:

- «ويلك و الله لئن ظفروا بنا لا يُقتل قبلي و قبلك أحد فيوضع رأسه بين
رأسينا و يقال للناس: انظروا من كان معه في هذه الحال فلا يعيبونه^(٣) بشيء
أشدّ من هذا.»

فهربا، و كان معهما أبو كامل العزّيل المُغْنِيّ، و كان سبقهما إلى الهرب.

من صفات الوليد

و كان قتل الوليد يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست
و عشرين و مائة و كانت خلافته سنة و ثلاثة أشهر و كان له من السنين ثيف

١. شتمه. كذا في الأصل و آ، و مط و الطبري (٩: ١٨٠٨): ما شتمه. (بصيغة الغائب).

٢. عمر الوادي: كذا في الأصل: عمر الوادي. في آ، و الطبري (٩: ١٨٠٩): عمرو
الوادي. وزاد في هامش الأصل بخط المتن: «عمر الوادي مغنّ، و مالك مُلّه.»

٣. يعيبونه: كذا في الأصل و الطبري (٩: ١٨١٠): يعيبونه. في مط و آ: يعنونه.

و أربعون سنة و قد اختلف فى النيف. و كان شديد البطش طویل أصابع الرجلين و كان يوتد له سكة حديد فيها خيط قوى فيشد الخيط فى رجله ثم يشب على الدابة فينتزع السكة و يركب ما يمس الدابة بيده. و كان شاعراً شروباً للخمر، أحصى عليه فى ليلة سبعون قدحاً، و كان صاحب صيد، و لما أفضت إليه الخلافة انهمك و أولع بالصيد، و كره الجلوس للناس و حجبهم و فعل تلك الأمور التى زادت به بغضاً إلى الناس حتى قتل و لم يتمتع بملكه. [189]

مقتل خالد بن عبد الله القسرى فى العذاب

و فى هذه السنة قتل خالد بن عبد الله القسرى. و قد كنّا ذكرنا عزل هشام له و أنه استعمل يوسف بن عمر و طالبه و استخرج منه مالاً و عذبه. و لكن كان مع ذلك يحامى عليه هشام و يوصى به. و لم يزل يوسف يُكثر و يعتل بانكسار الخراج و ذهاب الأموال حتى أذن له و بعث حرسياً يشهد أمره، و حلف لئن أتى على خالد أجله و هو فى يده ليقتلنه. و كان يوسف يطالبه و يبقى عليه بعض الإبقاء إلى أن بسط عليه يوماً بحضرته فلم يكلمه خالد^(١) حتى شتمه يوسف و قال:

«يا بن الكاهن»

يعنى، شق بن صعب الكاهن فقال له خالد:

«إنك لأحمق تعيرنى بشر فى و لكنك ابن سبأ»^(٢)، إنما كان أبوك يبيع

الخمر.

١. خالد: كذا فى الأصل و مط: خالد. فى آ: أحد. فى الطبرى (٩: ١٨١٣) واحدة.

٢. السبأ: بتشديد الباء: باع الخمر. و السبأ: بتخفيف الباء: الخمر.

فردّ إلى محبسه ثم كتب إليه هشام بتخلية سبيله. فخرج حتى ورد دمشق. و كان يُقصد بها و يؤذى من جهة أعداء كانوا له، نصبهم يوسف عليه، حتى قال يوماً:

- «و الله ليكفنّ عنّي هشام أو لأدعونّ إلى عراقيّ الهوى، شاميّ الدار، حجازيّ الاصل، يعنى محمّد بن عليّ بن عبد الله بن العباس و قد أذنت لكم أن تبلغوا هشاماً.»

فلما بلغه ما قال. قال:

- «خرف أبو الهيثم.» [190]

و أقام خالد بدمشق حتى هلك هشام، و قام الوليد، و قدم عليه يوسف بن عمر بمال العراق، و تكلم أبان بن عبد الله النمري^(١) في خالده فقال يوسف:

- «أنا أشتريه بخمسين ألف ألف.»^(٢)

فقال الوليد لخالد:

- «إن كنت تضمنها، و الآن دفعتك يا خالد إليه.»

فقال خالد:

- «ما عهدت العرب ثُبّاع و الله لو سألتني أن أضمن هذا. و رفع عوداً من الأرض ما ضمنت، فأبك.»

فدفعه إلى يوسف فنزع ثيابه و درّعه عباءةً و لحفه أخرى و حمله في محمل بغير وطاء ثم دعا به و ذكر أمّه.

فقال:

- «ما ذكر الأمّهات لعنك الله، و الله لا أكلمك كلمة أبداً.»

١. النمري: كذا في الأصل: النمري. في مطب: النمري. في آ، و الطبري (٩: ١٨٢١): النميري.

٢. في آ: ألف ألف درهم.

فبسط عليه العذاب و عذّبه عذاباً شديداً لا يكلمه كلمة و مكث خالد يوماً في العذاب. فحدّث أبو نعيم قال: شهدت خالداً حين أتى به يوسف فدعا يعود يعرف بالمضرسّة فوضعه على قدميه ثم قامت عليه الرجال حتّى كُسِرَ قدماه فو الله ما تكلم و لا عبس، ثم على ساقيه حتّى كُسرتا، ثم على فخذه، ثم على حقويه، ثم على صدره حتّى مات. فو الله ما تكلم و لا عبس، و و الله ما نصره طول أيام حبسه أحد من عشيرته و لا من صنائعه، بيد و لا لسان، إلّا رجل من [191] بنى عبّس فإنّه قال^(١):

ألا إنّ بحرَ الجودِ أصبحَ ثاوياً أسيرَ ثَقِيفٍ مُوثَقاً في السَّلاسلِ
فإنّ تسجُّنوا القسرى لا تسجُّنوا اسمه و لا تسجُّنوا معروفه في القبائلِ



مركز تحقيقات کاتبی و تاریخ اسلام

١. انظر الطبري (٩: ١٨١٧).



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك

اضطراب حبل بنى مروان

و فى هذه السنة بُويع ليزيد بن الوليد بن عبد الملك الذى يقال له: الناقص، و إنما قيل له الناقص لنقصه الناس الزيادة التى زادهموها الوليد بن يزيد فى أعطياتهم و ذلك عشرة عشرة. و فى هذه السنة اضطرب حبل بنى مروان^(١) و هاجت الفتنة.

ذكر الفتن و أسبابها

كان سبب ذلك وثوب سليمان بن هشام بن عبد الملك بعمان - و كان محبوباً بها فأخذ ما كان بعمان من الأموال و أقبل إلى دمشق يلحن الوليد و يعيبه و يرميه بالكفر - و وثوب أهل حمص بأسباب العباس بن الوليد و هدمهم داره و إظهارهم الطلب بدم الوليد بن يزيد.

و أمّا أهل حمص فكان واليهم مروان بن عبد الله من قبل الوليد. و كان نبيلاً فاضلاً كريماً له جمال و روعة [192] فلما قُتل الوليد أغلق أهل حمص أبوابها و أقاموا النوائح و البواكى على الوليد، و سألوا عن قتله. فقال بعض من

١. انظر الطبرى ٩: ١٨٢٥.

حضر الأمر:

- «مازلنا منتصفين من القوم قاهرين لهم حتى جاء العباس بن الوليد فمال إلى عبد العزيز بن الحجاج بن الوليد فوثب أهل حمص إلى دار العباس، فانتهبوها و سلبوا حرمة، و أخذوا بنيه و حبسوهم، و طلبوه فخرج إلى يزيد بن الوليد.»

و بلغ ذلك مروان بن عبد الله بن عبد الملك فوافقه ذلك و تابعهم و كتب أهل حمص بينهم كتاباً و توافقوا فيه على ألا يدخلوا في طاعة يزيد و كاتبوا رؤساء الأجناد^(١) و دعوا إلى وليي العهد و كانا صبيّين بعد، فلمّا بلغ يزيد بن الوليد خبرهم وجّه إليهم رُسلًا فيهم يعقوب بن هاني و كتب معه:

- «إنّه ليس يدعو إلى نفسه، و لكن يدعوهم إلى الشورى.»

فقال عمرو بن قيس الشكوني:

- «قد رضينا بوليّ عهدنا.» يعني ابن الوليد.

فأخذ يعقوب بلحيته. فقال:

- «أيّها الغشمة، إنك قد خرفت و ذهب عقلك. إنّ الذي تعنى لو كان يتيماً

في حبرك لم يحلّ لك أن تدفع إليه ماله فكيف أمر الأمة؟»

فوثب [193] أهل حمص على رسل يزيد بن الوليد فطردوهم.

ثمّ أقبل أهل حمص، فنزلوا قرية كانت لخالد بن يزيد بن معاوية، و أمرهم إلى رجل يعرف بأبي محمد السفيناني. فتكلّم مروان بن محمد بشيء اتهموه فيه، فوثبوا عليه و قتلوه. و لمّا بلغ يزيد أمر أهل حمص دعا عبد العزيز بن الحجاج، فوجهه في ألف و خمسمائه و وعده أن يمده و كان سليمان بن هشام قد بادروهم فنزلوا بالسليمانية و كان أهل حمص قد نزلوها قبلهم و أراحوا دوابهم

١. الاجناد: كذا في الأصل. ما في مط: الأخبار.

و جعلوا الزيتون عن أيماهم و الجبل عن شمائلهم و الجباب^(١) خلفهم و ليس لهم مأتى إلا من وجه واحد.

قال من حضر: و دُفعنا إليهم و نحن مُعيون قد كلَّت دوابنا و ثقل علينا الحديد فحاربناهم فهزموا ميمنتنا و ميسرتنا أكثر من غلوتين و سليمان كان فى القلب فثبت و حمل عليهم حتَّى ردَّهم إلى مواضعهم. فبينما نحن نحمل مع سليمان و يحملون علينا إذا طلع عبد العزيز من الثنية فشَدَّ عليهم حتَّى دخل عسكرهم و قُتل ثمَّ نفذ إلينا فلمَّا تشبَّتوا و استحرَّ فيهم القتل نادوا يزيد بن خالد بن عبد الله القسرى:

«الله الله فى قومك».

فكفَّ الناس عنهم على أن [194] يبايعوا ليزيد بن الوليد فلمَّا خرجوا إلى دمشق أعطاهم يزيد و أجاز الأشراف.

و وثب فى هذه السنة أهل فلسطين و الأردن على عاملهم فطروده.

ذكر السبب فى ذلك

كان سبب ذلك أن سعيد بن عبد الملك كان عاملاً للوليد على فلسطين و كان حسن السيرة و كان يزيد بن سليمان سيّد ولد أبيه و كان ولد سليمان بن عبد الملك ينزلون فلسطين و كان أهل فلسطين يحبّونهم لجوارهم فلمَّا ورد قتل الوليد و رأس أهل فلسطين يومئذٍ سعيد بن روح بن زنباع^(٢) فكتب إلى يزيد بن سليمان:

«أنَّ الخليفة قد قُتل فاقدّم علينا نُؤلك أمرنا».

١. الجباب: كذا فى الأصل. فى آ: الجبات. فى مط: الجناب. فى الطبرى (١٨٢٨:٩): الجبات.

٢. زنباع: الضبط. فى الطبرى (١٨٣١:٩): كذا، زنباع، بكسر الزاء.

فقدم فجمع له سعيد قومه و كتب إلى سعيد بن عبد الملك و هو نازل بالسبع:
 - «ارتحل عتًا فإنَّ الأمر قد اضطرب و قد ولينا أمرنا رجلاً قد رضيناه.»
 فخرج إلى يزيد بن الوليد.

و دعا يزيد بن سليمان أهل فلسطين إلى قتال يزيد بن الوليد و بلغ أهل
 الأردن أمرهم فولَّوا عليهم محمَّد بن عبد الملك و أمر أهل فلسطين إلى سعيد
 بن رُوح بن زُبَاع^(١) و ضُبَّان بن رُوح و بلغ يزيد أمرهم فوجَّه إليهم [195]
 سليمان بن هشام في أهل دمشق.

فقال محمَّد بن راشد: كان سليمان بن هشام يرسلني إلى سعيد و ضُبَّان
 ابني رُوح و إلى الحكم و هاشم^(٢) ابني حرو^(٣) من بلقين فأعدهم و أمَّنيهم على
 الدخول في طاعة يزيد بن الوليد.

و قال عثمان بن داود الخولاني: أنفذني يزيد بن الوليد و معي خُذيفة بن
 سعيد إلى محمَّد بن عبد الملك و يزيد بن سليمان يدعوهما إلى طاعته و يعدهما
 و يمثيها فبدأنا بأهل الأردن و محمَّد بن عبد الملك، فاجتمع إليه جماعة و قال
 بعضهم:

- «أصلح الله الأمير، أقتل^(٤) هذا القَدْرَى الخبيث،

فكفَّهم عني الحكم بن جرو^(٥) القيني. و أقيمت الصلاة فخلوت به و قلت:

١. روح بن زُبَاع: كذا في الأصل و مط. في آو الطبري (١٨٣١:٩): روح، دون «بن زُبَاع».

٢. هاشم: كذا في الأصل و آ و مط: هشام. في الطبري (١٨٣٢:٩): راشد.

٣. في الطبري (١٨٣٢:٩): جرو من بلقين، بالجيم المعجمة. في حواشيه: حرو، مهملة. في آ: حرو بن بلقيس.

٤. أقتل هذا القَدْرَى الخبيث: كذا في الأصل (بالضبط) في آ و مط: أقبل. في الطبري: «أقبل هذا الفتى»

٥. جرو القيني: كذا في الأصل: حرو (مهملة). في آ و مط: حرو القيني، بالحاء المهملة.

- «إني رسول يزيد إليك و الله ما تركت ورائي راية تعقد إلا على رأس رجل من قومك، و لا درهما يخرج من بيت المال إلا في يد رجل منهم و هو يجعل^(١) لك كذا و كذا.» فقال:

- «أنت بذاك.» قلت: «نعم.»

ثم خرجت فأتيت ضبعان بن رُوح فقلت له مثل ذلك و قلت:
- «يوليك فلسطين مابقي.» فأجابني فما أصبحت حتى رحل بأهل فلسطين.
فلما أتيت يزيد قال:

- «أخبرني كيف قلت لضبعان بن رُوح؟»

فأخبرته. قال:

- «فما صنع؟» قلت:

- «إرتحل.» قال:

- «فليسا^(٢) بأحق [196] بالوفاء مني، ارجع.»

فأمّره ألا ينصرف حتى ينزل الرملة فيبايع أهلها. و قد استعملت إبراهيم بن الوليد على الأردن و ضبعان بن رُوح على فلسطين و مسرور بن الوليد على قنسرين و ابن الحُصين على حمص.

خطبة خطبها يزيد استمال بها الناس

خطب يزيد بن الوليد الناس بعد قتل الوليد فقال بعد أن حمد الله و أثنى

عليه:

١. يجعل: كذا في الأصل و مط و آ: يجعل. في الطبري (١٨٣٢:٩): يحمل.

٢. فليسا: كذا في الأصل و آ و مط: فليسا. في الطبري (١٨٣٣:٩): فليس.

- «أيها الناس إني والله ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا حرصاً على الدنيا ولا رغبة في الملك و ما بي إطرأ لنفسي. إني لظلوم لنفسي إن لم يرحمني ربي و لكنني خرجت غضباً لله و رسوله و دينه، و داعياً إلى الله و كتابه و سنة نبيه لما هُدمت معالم الهدى و أطفئ نور أهل التقوى و ظهر الجبار العنيد المستحل لكل حرمة و الراكب كل بدعة مع أنه و الله ما كان يصدق بالكتاب، و لا يؤمن بيوم الحساب و أنه لابن عمي في النسب^(١) و كُفني في الحساب^(٢). فلما رأيت ذلك استخرت الله في أمره و سألته ألا يكلني إلى نفسي و دعوت إلى ذلك من أجانبي من أهل ولايتي وسعيت فيه [197] حتى أراح الله منه العباد و البلاد بحول الله و قوته لا بحولي و قوتي.

«أيها الناس إن لكم عليّ ألا أضع حجراً على حجر و لا لبنة على لبنة، و لا أكرى نهراً، و لا أكنز مالاً و لا أعطيهِ زوجة و لا ولداً، و لا أنقل مالاً من بلدٍ حتى أسدّ ثغر ذلك البلد، و خصاصة أهله بما يغنيهم^(٣) فإن فضل فضل نقلته إلى البلد الذي يليه ممن هو أحوج إليه و لا أجمركم على ثغوركم فأفتنكم و أفتن عليكم أهليكم و لا أغلق بابي دونكم، فيأكل قوَّيكم ضعيفكم، و لا أحمل على أهل جزيتكم ما يجلبهم عن بلادهم و يقطع نسلهم، و إن لكم أعطياتكم عندي في كل سنة و أرزاقكم في كل شهر،

١. في النسب. كذا في الأصل و مط و آ: في النسب. في الطبري (١٨٣٤:٩): في النسب.

٢. في الطبري: في النسب.

٣. يغنيهم: كذا في الأصل و مط: يغنيهم (بالعين المعجمة). و ما في آ و الطبري (١٨٣٥:٩): يغنيهم (بالعين المهملة).

حتى تستدرّ المعيشة بين المسلمين فيكون أقصاهم كأدناهم. فإن أنا و فیت لكم بما قلت فعلیکم السمع و الطاعة و حسن المؤازرة و إن أنا لم أفِ لكم أن تخلعونى إلا أن تستتيبونى فإن تبیت قبلتم منى و إن علمتم أحداً ممن يعرف بالصلاح يعطيكم من نفسه مثل ما أعطیکم فأردتم أن تبايعوه فأنا أول من يبايعه و يدخل فى طاعته»^(١) [198]

«أئها الناس، إنه لا طاعة للمخلوق فى معصية الخالق و لا وفاء له بنقض عهد. إنما الطاعة طاعة الله فمن أطاع فأطيعوه بطاعة الله ما أطاع، فإذا عصى الله و دعا إلى معصيته، فهو أهل أن يُعصى و يُقتل. أقول قولى هذا و أستغفر الله لى و لكم»^(٢)

ثم دعا إلى تجديد البيعة له فكان أول من بايعه الأقمم يزيد بن هشام و بايعه قيس بن هاني فقال:

«يا أمير المؤمنين، اتق الله و ذم على ما أنت عليه فما قام مقامك أحد من أهل بيتك، و إن قالوا: عمر بن عبد العزيز، فأنت أخذتها بحبل صالح و إن عمر أخذها بحبل سوء».

فلما بلغ قوله مروان بن محمد قال:

«ماله قاتله الله ذمنا جميعاً و ذم عمر و حقدنا»^(٣).

١. تجد الخطبة فى الطبرى أيضاً (٩: ٢٥-١٨٣٣).

٢. تجد النص فى الطبرى أيضاً (٩: ١٨٣٥).

٣. و حقدنا: كذا فى الأصل و آ و مط: حقدنا. و العبارة ليست فى الطبرى (٩: ١٨٣٦)، و لعل الصحيح: حقدنا، أو: حقدنا.

فلما ولي^(١) بعث رجلاً و قال له:

- «إذا دخلت مسجد دمشق فانظر قيس بن هاني فإنه طالما صَلَّى فيه فاقته.»

- «فانطلق الرجل، فدخل المسجد، فرأى قيساً يُصلي، فقتله.

عزل يزيد يوسف بن عمر عن العراق

و تولية منصور بن جمهور

و في هذه السنة عزل يزيد بن الوليد يوسف بن عمر عن العراق و ولّاها منصور بن جمهور.^(٢)

و لما استوسق أهل الشام ليزيد بن الوليد على الطاعة عزل يوسف عن العراق و ولّاها منصور بن جمهور، [199] فسار و هو سابع سبعة. فبلغ خبره يوسف بن عمر، فهرب و قديم منصور بن جمهور الحيرة في رجب، و كان منصور أعرابياً جافياً غيلاني الرأي^(٣) و إنما صار مع يزيد لرأيه في الغيلانية و حميه لقتل يوسف خالداً فلما ولّاه يزيد، وصّاه و قال:

- «إتق الله و سرّ و أنت تستشعر التقوى، و اعلم أنّي إنما قتلت الوليد لفسقه و لما أظهر من الجور، فلا تركب مثل ما قتلناه عليه.»

فلما صار بالحيرة، كتب إلى سليمان بن سليم بن كيسان:

- «أما بعد، فإن الله لا يُغيّر ما بقوم حتّى يُغيّروا ما بأنفسهم و إذا

١. ولي: كذا في الأصل و آ و مط: ولي. في الطبري: (١٨٣٦:٩)؛ ولي مروان.

٢. السطران الأخيران ليسافي آ. و هما موجودان في الطبري (١٨٣٦:٩).

٣. غيلاني الرأي: و زاد في الطبري (١٨٣٧:٩)؛ و لم يكن من أهل الدين.

أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءٌ فَلَا مَرَدَّ لَهُ^(١)، وَ إِنَّ الْوَلِيدَ بِذَلِكَ نِعْمَةُ اللَّهِ كَفَرًا، فَسَفَكَ اللَّهُ دَمَهُ وَ عَجَّلَهُ إِلَى النَّارِ وَ وُلِّيَ خِلَافَتَهُ مِنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ وَ أَحْسَنُ هَدِيًّا وَ قَدْ بَايَعَهُ النَّاسُ. وَ وُلِّيَ عَلَى الْعِرَاقِ الْحَارِثُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنُ الْوَلِيدِ وَ وَجَّهَنِي الْعَبَّاسُ لِأَخْذِ يَوْسُفَ وَ عَمَّالِهِ، وَ قَدْ^(٢) نَزَلَ الْأَبْيَضَ وَ هُوَ وَرَائِي. فَخَذَ يَوْسُفَ وَ عَمَّالَهُ وَ لَا يَفُوتُكَ مِنْهُمْ أَحَدٌ فَاحْبِسْهُمْ قَبْلَكَ، وَ إِيَّاكَ أَنْ تَخَالَفَ فَيُحِلَّ بِكَ وَ بِأَهْلِ بَيْتِكَ مَا لَا قَبِيلَ لَكَ وَ لَهُمْ بِهِ. فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ أَوْ دَعِ.

فلَمَّا وَرَدَ الْكِتَابُ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ سُلَيْمٍ مَعَ كُتُبٍ كَتَبَهَا إِلَى جَمَاعَةِ [200] مِنْ قَوَادِ الشَّامِ، أُوصِلَتْ الْكُتُبُ كُلُّهَا سُلَيْمَانَ بْنِ سُلَيْمٍ وَ سُئِلَ أَنْ يَفَرِّقَهَا فِي الْجُنْدِ. فَدَخَلَ سُلَيْمَانُ عَلَى يَوْسُفَ بْنِ عَمْرِ، وَ أَقْرَأَهُ كِتَابَ مَنْصُورٍ إِلَيْهِ، فَبِعِلَّ^(٣) بِهِ وَ قَالَ:

«مَا الرَّأْيُ؟» فَقَالَ:

«لَيْسَ لَكَ إِمَامٌ تَقَاتِلُ مَعَهُ وَ لَا تَقَاتِلُ أَهْلَ الشَّامِ، الْحَارِثُ بْنُ الْعَبَّاسِ مَعَكَ، وَ لَا آمَنُ مِنْ مَنْصُورٍ إِنْ قَدَّرَ عَلَيْكَ لَمَّا فِي نَفْسِهِ مِنْ أَجْلِ خَالِدٍ، وَ مَا الرَّأْيُ إِلَّا أَنْ تَلْحَقَ بِشَامِكَ.» قَالَ:

«هُوَ رَأْيِي. فَكَيْفَ الْحِيلَةُ؟» قَالَ:

«تَظْهَرُ الطَّاعَةُ لِيَزِيدَ، وَ تَدْعُو لَهُ فِي خُطْبَتِكَ، فَبِإِذَا قَرَّبَ مَنْصُورُ بْنُ جَمْهُورٍ وَجَّهْتَ مَعَكَ مِنْ أَثَقٍ بِهِ.»

١. س ١٣ الرعد: ١١.

٢. فِي آ، سَقَطَ مِنْ «وَقَدْ» إِلَى «عَمَّالِهِ».

٣. فَبِعِلَّ بِهِ: كَذَا فِي الْإِصْلِ وَ آ وَ الطَّبْرِي (١٨٣٨:٩): فَبِعِلَّ. بَعِلَّ: دَهَشَ وَ تَحَيَّرَ. فِي مَط: فَتَعَدِيهِ!

ففعل. فلما نزل منصور بحيث يصبح البلد، خرج يوسف إلى منزل سليمان فأقام أياماً ثم وجه معه من أخذ به طريق السماوه حتى صار إلى البلقاء. وكان يوسف وجه رجلاً من بنى كلاب فى خمسمائة و قال لهم:

- «إن مرّ بكم يزيد بن الوليد نفسه فلا تدعنه يجوز.»

فأتاهم منصور بن جمهور فى سبعة فلم يهيجوه فانتزع سلاحهم منهم و أدخلهم الكوفة.

و لما بلغ يوسف البلقاء رُفع خبره إلى يزيد بن الوليد فوجه قائداً فى خمسين رجلاً و قال له:

- «أتنى يوسف.»

فأتى البلقاء و طلبه فى منزله فلم يجده ورأى ابناً فرهبه. ^(١) فقال:

- «أنا أدلك عليه.»

و ذهب [201] به إلى مزرعة فوجدوه فى ثياب النساء جالساً مع نسوة، فالتقى عليه قطيفة خز، و جلسن على حواشيها حاسرات، فجزّوا برجله و أقبلوا به إلى يزيد، فلقبه عاملٌ ليزيد على نوبة من نواب الحرس، فأخذ بلحيته و هزّها و تنف بعضها - و كان من أعظم الناس لحيه و أصغرهم قامه - فلما دخل على يزيد قبض على لحيته و كانت حينئذٍ تجوز سرّته و جعل يقول:

- «تنف و الله يا أمير المؤمنين لحيتى فما بقى فيها شعرة.»

فأمر يزيد بحبسه فى الخضراء، فدخل عليه محمد بن راشد فقال له:

- «أما تخاف أن يطلع عليك بعض من قد وترت فيلقى عليك حجراً

فيقتلك؟» قال:

- «لا و الله ما فطنت لهذا فنشدتك الله إلا كلمت أمير المؤمنين فى تحويلي

١. فى الطبرى (١٨٤٢: ٩): فرهبنا ابنا له، بدل «فرهبه».

إلى محبس^(١) غير هذا وإن كان أضيّق منه.»
 - «ما غاب عنك من حمقه أكثر^(٢)، و ما حبسته إلا لأردّه إلى العراق فيقام للناس و تؤخذ منه المظالم من ماله و دمه.»
 فأخبرت يزيد. فقال
 و أمّا منصور بن جمهور فإنه فتح الخزائن و فرّق في الناس استحققاتهم و أحسن إلى جميعهم.

امتناع نصر بن سيار لعامل منصور بن جمهور
 و في هذه السنة امتنع نصر بن سيار بخراسان لعامل منصور بن جمهور و كان يزيد بن الوليد [202] قد ولاها منصوراً مع العراق.

ذكر الخبر عن ذلك

كنا ذكرنا ما أعدّه نصر من الهدايا و شخوصه متوجّهاً إلى يوسف بن عمر بالعراق و تباطئه في سفره حتّى ورد عليه الخبر بقتل الوليد. فحكى بشير بن نافع و كان على سكك العراق قال: لما أقبل منصور بن جمهور أميراً على العراق هرب يوسف بن عمر، فوجّه منصور أخاه منظور بن جمهور على الرّي، فأقبلت مع منظور إلى الرّي و قلت: أقدم على نصر فأخبره. لما وردت على نصر و أخبرته كان الخبر عنده، فأمر حُميداً مولاة أن يحملني إلى عنده، و أكرمني و أمر لي بجارية^(٣). ثمّ دخل إلى نصر قوم فيهم يونس بن عبد الله و عبيد الله بن هشام و سلم بن أحوز، فأرسل إليّ و قال: أخبرهم.

١. محبس: كذا في الأصل و مط: محبس. في آ، و الطبري (١٨٤٣:٩): مجلس.

٢. أكثر: كذا في آ، و مط و الطبري (١٨٤٣:٩): أكثر.

٣. بجارية: كذا في الأصل: بجارية. ما في آ، و مط و الطبري (١٨٤٦:٩) بجائزة.

فلما أخبرتهم كذبوني فقلت: أستوثق من هؤلاء. فلما مضت ثلاث وكّل بي ثمانين رجلاً من الحرس، فأبطأ الخبر إلى الليلة التاسعة، ثم جاءهم الخبر ليلة النيروز على ما وصفت، فصرف عامة تلك الهدايا إلى أربابها و أعتق الرقيق و قسّم روقه^(١) الجوارى في ولده [203] و خاصّته، و قسّم تلك الأواني في الناس و وجّه العتال و أمرهم بحسن السيرة.

و أرجفت الأزد بخراسان أن منظور بن جمهور قادم خراسان. فخطب نصر و قال في خطبته:

«إن جاءنا أمير ظنين قطعنا يديه و رجله.»

ثم باح به بعد و قال:

عدوّ الله المخذول المبتور.

و ولى نصر^(٢) ربيعة و اليمن و ولى كلّ من ظنّ عنده خيراً و أمرهم بحسن السيرة و دعا الناس إلى البيعة و كان نصر ولى عبد الملك بن عبد الله السلمي خوارزم فخطبهم و قال في خطبته:

«و الله ما أنا بالأعرابي الجلف، و لا القروي^(٣) المستنبط، ولقد

كدمتني الأمور و كدمتها.^(٤) أما و الله لأضعنّ السيف موضعه، و

مركز تحقيق تكملة علوم اسلامی

١. رُوقه الجوارى: الرُوقه: الجميل جداً من الغلمان و الجوارى. للمذكر و المؤنث و المفرد و المثنى و الجمع. رُوقه الناس: خيارهم و سراتهم.

٢. و ولى نصر ربيعة: كذا في الأصل و مط و الطبري (١٨٤٧:٩)؛ و ولى نصر، في آ: نصر بن ربيعة.

٣. القروي: كذا في الأصل و آ: القروي. في الطبري (١٨٤٩:٩)؛ الفزاري.

٤. كدمتني الأمور و كدمتها: كذا في الأصل. كدمه: عضّه. ما في الطبري (١٨٤٩:٩)؛ كرمتني الأمور و كرمتها.

السوط مضربه، و السجن مدخله. ثم لتجدني غشمشماً أعشبي^(١)
الشجر و لتستقيمن لي على الطريقة رقص^(٢) البكارة في السنن
الأعظم، و لأصكنكم صك القطامي القطا القارب^(٣)»

وقوع إختلاف بخراسان

و في هذه السنة وقع الإختلاف بخراسان بين اليمانية و النزارية.
و أظهر فيها الكرمانى الخلاف لنصر بن سيار و اجتمع مع كل واحد منهما
جماعة لنصرته.
و فيها [204] أظهر مروان بن محمد الخلاف و كتب إلى الغمر بن يزيد أخى
الوليد بن يزيد كتاباً بليغاً يأمره بالطلب بدم أخيه الوليد.

تولية عبدالله بن عمر العراق

و فيها عزل يزيد منصور بن جمهور عن العراق و ولأها عبدالله بن عمر بن
عبد العزيز بن مروان. و كان عبدالله بن عمر هذا متألهاً فدعاه يزيد بن الوليد و
قال:

«إن أهل العراق يميلون^(٤) إلى أهلك فسر إليها فقد وليتها.»
فلما شخص قدّم بين يديه رسلاً و كتب إلى قواد الشام الذين بالعراق، و
خاف ألاّ يسلم منصور بن جمهور العمل، فانقاد له الكلّ، و سلم منصور بن

١. أعشى الشجر: كذا في الأصل: أعشى الشجر. في الطبرى (١٨٤٩:٩): أغشى الشجر.
٢. رقص البكارة: كذا في الأصل و الطبرى (١٨٤٩:٩): رقص البكارة. في آ: بعض
البكارة.

٣. و زاد في الطبرى (١٨٤٩:٩): يصكهن جانباً فجانباً.

٤. يميلون: كذا في الأصل. و زاد في آ: إليك.

جمهور، و أنصرف إلى الشام و فرّق عبد الله بن عمر عقّاله و أعطى الناس أرزاقهم و أعطياتهم. و كتب إلى نصر بعهدته على خراسان. و كان المنجّمون ذكروا لنصر أنّ خراسان ستكون بها فتنة. فأمر نصر برفع حاصل بيت المال، و أعطى الناس بعض أعطياتهم ورقاً و ذهباً من الآنية التي كان اتّخذها للوليد^(١) بن يزيد.

و كان أوّل من تكلم رجل من كِنْدَة أفوه طوال فقال:
- «العطاء، العطاء.»

فلما كانت الجمعة، أمر نصر رجلاً من الحرس، فلبسوا السلاح، و فرّقهم في المسجد مخافة أن يتكلّم متكلّم، فقام الكنديّ فقال:
- «العطاء، العطاء.»

و قام مولى للأزد [205] يلقّب أبا الشياطين فتكلّم، و قام آخرون فقالوا:
- «العطاء، العطاء.»
فقال نصر:

- «عليكم بالطاعة و الجماعة، إنّقوا الله و اسمعوا ما توعظون.»
فصعد سلّم بن أحوز و هو على المنبر فكلّمه فقالوا:
- «ما يغني كلامك هذا شيئاً.»

و وثب أهل السوق إلى أسواقهم، فغضب نصر و قال:
- «إيتاي و العصيّة^(٢) ما لكم عندي عطاء بعد يومكم هذا.»
ثم قال:

١. اتّخذها للوليد بن يزيد: في الأصل يشبه أن يكون: للوليد من يزيد. في الطبري (١٨٥٦:٩): للوليد بن - يزيد. في آ: اتّخذها الوليد بن يزيد.
٢. والعصيّة: و زاد في آ: و حميّة الجاهليّة، فإنّهما يورثان النفاق، و يُعقبان الشقاق، و لا تظالموا فتُمقّتوا، و لا تنازعوا فتفشلوا.

- «كأني بالرجل منكم قد قام إلى أخيه و ابن عمّه، فلطم وجهه في حمل يُهدى له، وثوب يُكساه، و يقول مولاي و ظئري فأذّلوا هذه السفلة، و كأني بهم قد نبغ الشر من تحت أرجلهم. و كأني بكم مطرّحين في الأسواق كالجزر المنحورة. إنه لم تطل ولاية رجل قطّ إلا ملّوه. و أنتم يا أهل خراسان مسلحة في نحر العدو، فإياكم أن يختلف فيكم سيفان.»

فقال الكرمانى:

- «أنتم في فتنة، فانظروا لأموركم رجلاً.»
و إنما سُميَ الكرمانى لأنه وُلد بكرمان و اسمه جُدَيْع بن على بن شبيب المعنى^(١).

فقالوا: «أنت لنا.»

فاجتمعت المضريّة إلى نصر و قالوا له:

- «إنّ الكرمانى يفسد الناس عليك، فأرسل إليه فاقتله أو فاحبسه.»
فقال: «لا، ولكنّ لى ولداً ذكوراً و إناثاً، و له ولد فأزوّج بنى بيناته، و بنيه بيناتى.» [206]

قالوا: «ليس ينفع ذلك شيئاً.»

- «فابعث إليه بمائة ألف فإنّه بخيل و لا يعطى أصحابه شيئاً و يعلمون بها فيتفرّقون عنه.»

قالوا: «لا، هذه تصير قوّة له.»

قال: «فدعوه على حاله يتّقينا و نتّقيه.»

١. المعنى: كذا في الأصل و الطبرى (١٨٥٨:٩): المعنى. في آ: المعنى.

قالوا: «لا»^(١)

و بلغ نصر بأن الكرماني يقول: كانت غايتي في طاعة بني مروان أن يتقلد ولدي^(٢) السيوف فأطلب بشار بني المهلب معاً لقينا من نصر و جفائه و طول حرمانه و مكافأته إيانا بما كان من صنيع أسد إليه.
فقال عصمة بن عبدالله الأسدي لنصر:

- «إنها بدىء فتنة، فتجنّ عليه، و احبسه، و أظهر أنه مخالف، ثم اضرب عنقه، و عنق سباع بن النعمان الأزدي، و الفرافصة^(٣) بن ظهير البكري، فإنه لم يزل غضبان على الله، عزّوجلّ، بتفضيله مضر على ربيعة.»
و كثر على نصر الكلام في أمر الكرماني، حتى قال له أصرم بن قبيصة:
لو أن جديعاً لم يقدر على السلطان و الملك إلا بالنصرانية و اليهودية، لتنصر أو لتهود.

و كان نصر و الكرماني متصافيين و كان الكرماني أحسن إلى نصر في ولاية أسد بن عبدالله، فلما ولي نصر خراسان عزل الكرماني عن الرئاسة و صيرها لحرب بن عامر الواشحي. ثم مات حرب، فأعاد الكرماني عليها، و لم يلبث إلا يسيراً حتى عزله [207] و صيرها لجميل بن النعمان، فتباعد ما بين نصر و الكرماني، فحبس نصر الكرماني في القهndوز، و كان على القهndوز مقاتل بن علي المري^(٤)، ولما هم نصر بحبس الكرماني تكلم قوم فخاف نصر الفتنة لأن الأزدي تعصبت له فقال نصر:

١. انظر الطبري (١٨٥٨:٩) حيث فيه بعض الاختلاف في عبارات الحوار هنا.

٢. في الطبري (١٨٥٨:٩): أن تقلدني السيوف.

٣. في الأصل: فُرافصة، بضمّ الفاء و في الطبري بفتحها. في آ: مهملة تماماً.

٤. المري: كذا في الأصل: المري. في الطبري (١٨٥٩:٩): المرائي، و يقال: المري.

- «أحلف بالله أني أحبسه ثم لا ينداه»^(١) مني مكروه فإن خشيتم عليه
فاختاروا رجلاً يكون معه.

فاختاروا يزيد النحوي و كان معه في القهndز و صير حرسه بنى ناجية.
فبيناهم كذلك إذ جاءهم رجل من أهل نسف فقال لغلام الكرمانى، يقال له
جعفر:

- «ما تجعلون لى إن أنا أخرجته؟» قالوا:

- «لك ما سألت».

فأتى مجرى الماء في القهndز، فدخله و وسّعه، و أتى ولد الكرمانى و قال
لهم:

- «أكتبوا إلى أبيكم يستعدّ للخروج الليلة».

فكتبوا إليه و أدخلوا الكتاب مع الطعام فدعا الكرمانى يزيد النحويّ و
حصين بن حكيم، فتعشّيا معه و خرجا. و دخل الكرمانى السرب، و أخذوا
بضبعه^(٢) فيقال: إنه انطوت على بطنه حيّة فلم تضرّه، و انتهى إلى موضع ضيق
فسحبوه فسحج منكبه و جنبه، ثم خرج.

و كان الكرمانى أرسل إلى محمد بن المثنى و عبد الملك بن حرملة: [208]

- «إني خارج الليلة فاجتمعوا بعلطان»^(٣).

- «فتوافوا على باب الزيان بن سنان اليعمدي بنوس في المرج، و كان
مصلّاهم في العيد، و خرج إليهم الناس من قراهم، فصلّى بهم الغداة و هم زهاء
ألف رجل. فما ترجّلت الشمس حتّى صاروا ثلاثة آلاف، فسار و أتاهم أهل

١. لا ينداه: كذا في الأصل: لا ينداه. في الطبرى (١٨٥٩:٩): ينداه.

٢. بضبعه: كذا في الأصل: بضبعه. في الطبرى: بعضده. الضبع: الإبط.

٣. بعلطان (بالعين المهملة): كذا في الأصل. ما في الطبرى (١٨٦٢:٩): بعلطان (بالغين المعجمة).

السقاؤم فأتوا حوزان.

و كان الأزد اجتمعوا إلى عبد الملك بن حرمة فبايعوه على الكتاب و السنة قبل خروج الكرمانى بليلة. فلما اجتمعوا فى مرج نوس أقيمت الصلاة فاختلف عبد الملك و الكرمانى فى التقدّم ساعة، ثم قدّمه عبد الملك و صير الأمر له، فصلّى بهم الكرمانى.

ولما أتى نصرأ هزّب الكرمانى استخلف عصمة بن عبد الله الأسدى، و خرج إلى القناطر الخمس بباب مرو الرود و خطب الناس، فنال من الكرمانى، و ذكره بالقبيح^(١)، ثم ذكر الأزد فقال:

«إن يستوسقوا فأذّل قوم و إن يأبوا فهم كما قال الأخطل:

ضَفَادِعُ فِي ظِلْمَاءٍ لَيْلٍ تَجَاوَيْتُ فَذَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ»

ثم ندم على ما فرط منه فقال:

«اذكروا الله فإنّ ذكر الله شفا، ذكر الله خير لا شرّ فيه، [209] ذكر الله براءة

من النفاق».

و اجتمع إلى نصرأ كثير فوجّه سلم بن أحوز^(٢) إلى الكرمانى فى المجففة وهم خلق كثير فسفر الناس بين نصرأ و الكرمانى و سألوا نصرأ أن يؤمنه و لا يحبسّه. و ضمن قومه ألا يخالفه و أتاه القاسم^(٣) بن بخيت^(٤) فكلّمه فيه فأمنه و قال له:

١. آ: القبح. و ما فى مط كالأصل.

٢. مط: الاحور (بالراء المهملة).

٣. ضبط الأصل: القسم. و ضبطنا يوافق الطبرى (١٨٦٣:٩).

٤. كذا فى الأصل. فى مط: بخيب. فى الطبرى (١٨٦٣:٩): نجيب.

- «إِنَّ شئتَ خرج لك عن خراسان و إن شئتَ أقام في داره.»

و كان رأى نصر إخراجَه فقال له سلم:

- «إن أخرجته نوّهت باسمه و قال الناس: أخرجَه إنّه هابه.»

فقال نصر:

- «إِنَّ الذي أتخوّفه منه إذا خرج أيسر ممّا أتخوّفه منه إذا أقام و الرجلُ إذا

نُفي عن بلده صغر أمره.»

فأبوا عليه، فكفّ عنه و أعطى من كان معه عشرة عشرة.

و أتى الكرمانيّ نصرأ، فدخل سرادقه فأمنه و لحق عبد العزيز بن عبد ربّه

بالحارث بن سريح^(١) و هو بالترك. و أتى نصرأ عزل منصور بن جمهور و

ولاية عبد الله بن عمر بن عبد العزيز. فخطب الناس و ذكر ابن جمهور بسوء و

قال:

- «قد علمت أنّه لم يكن من عمّال العراق و قد عزله الله و استعمل الطيّب بن

الطيّب.»

فغضب الكرمانيّ لابن جمهور فعاد في جمع الرجال و اتخاذا السلاح، و كان

يحضر الجمعة في ألف و خمسمائة و أكثر [210] و أقلّ، فيصلّى خارجاً من

المقصورة ثمّ يدخل على نصر، فيسلّم عليه و لا يجلس. ثمّ ترك إتيان نصر و

أظهر الخلاف. فأرسل إليه نصر سلم بن أحوز و قال:

- «إني و الله ما أردت بك في حبسك سوءاً، و لكنّي خفت أن تفسد أمر

الناس فأتني.»

فقال الكرمانيّ لسلم:

- «لولا أنّك في منزلي لقتلتك، و لو لا ما أعرف من حمقك لأحسنّت أدبك.

فارجع إلى ابن الأقطع فأعلمه ما شئت من خير و شر.

فرجع إلى نصر فأخبره. قال:

- «عُد إليه.» قال:

- «لا و ما بى هية له، و لكن [أكره]^(١) أن يسمعنى فيك ما أكره.»

فبعث إليه عصمة بن عبد الله الأسدئ فقال:

- «يا باعلى، إنى أخاف عليك خصالاً فانطلق إلى أميرك يعرضها عليك و ما

يريد بذلك إلا الإعذار إليك.»

فقال الكرمانئ:

- «إنى أعلم أن نصراً لم يقل هذا لك و لكنك أردت أن يبلغه فتحظى، و الله

لا أكلمك كلمة بعد انقضاء كلامى حتى ترجع إلى أميرك^(٢) فيرسل من أحب

غيرك.»

فرجع عصمة فقال:

- «ما رأيت عجباً أعدى لظوره من الكرمانئ، و ما أعجب منه و لكننى

أعجب من يحيى بن حصين و أصحابه لعنهم الله و الله لهم أشدّ تعظيماً له من أصحابه.»

فقال سلم بن أحوز لنصر:

- «إنى أخاف فساد [211] هذا الثغر و الناس.»

فأرسل إليه قديداً فقال نصر لقديد بن منيع:

- «إنطلق إليه.»

فأتاه فقال:

١. زدناها من آ، و الطبرى (٩: ١٨٦٤).

٢. فى الطبرى (٩: ١٨٦٥): إلى منزلك.

- «يا با علىّ قد لحجت و أخاف أن يتفاقم الأمر فنهلك جميعاً و تشمت بنا هذه الأعاجم.»

قال:

- «يا قُديد، إني لا أتهمك، و قد جاء من لا أثق معه بنصر. و قد قال رسول الله صلى الله عليه: البكرى أخوك و لا تثق به.»

قال:

- «أما و قد وقع هذا فى نفسك فأعطه رهناً.»

قال:

- «أعطيه عليّاً و عثمان فمن يعطينى و لا خير فيه؟»

فقال:

- «يا با علىّ نشدتك الله أن يكون خراب هذه البلدة على يدك.»

و رجع إلى نصر. فقال نصر لعقيل بن معقل الليثى:

- «ما أخوفنى أن يقع بهذا الشر بلاء فكلّم ابن عمك.»

فقال عقيل لنصر:

- «أيّها الأمير. أنشدك الله أن تشأم عشيرتك. إنّ مروان بالشام تسقاتله

الخوارج و الناس فى فتنة، و الأزد أخفأ سفهاء، و هم جيرانك.»

قال:

- «فما أصنع إن علمت أمراً يصلح الناس فدونك و قد زعم أنّه لا يشق بى.»

قال: فأتى عقيل الكرمانى فقال:

- «يا با علىّ قد سننت للسفهاء سنة تُطلب بعدك من الأمراء، إني أرى أمراً

أخاف أن تذهب فيه العقول.»

قال الكرمانى:

- «إنّ نصرأ يريد أن آتبه و لا آمنه، و أريد أن يعتزل [212] و نعتزل، و

نختار رجلاً من بكر بن وائل نرضاه جميعاً، فيلبي أمرنا حتى يأتي أمر الخليفة
و هو يأبى هذا.»

قال:

- «يا با علىّ إنّي أخاف أن يهلك أهل هذا الثغر فأنت أميرك و قل ما شئت
تُجب إليه و لا تطمع سفهاء قومك فيما دخلوا فيه.»

فقال الكرمانيّ:

- «إنّي لا أتهمك في نصيحة و لا عقل و لكنّي لا أثق بنصر، فليحمل من
المال ما شاء و ليشخص.» قال:

- «فهل لك في أمر يجمع الأمر بينكما، تتزوج إليه و يتزوج إليك؟»

قال:

- «لا آمنه على حال.»

قال:

- «ما بعد هذا خير و إنّي لخائف أن يهلك غدا بمضبعة.» قال:

- «لا حول و لا قوّة إلّا بالله.»

فقال له عقيل:

- «أعود إليك؟»

قال:

- «لا ولكن أبلغه عنّي و قل له لا آمن أن يحملك قوم من أمرى على غير ما

تريد فتركب منّا ما لا بقيّة^(١) بعده، فإن شئت خرجت عنك لا من هيبة لك و
لكن أكره أن أشأم أهل هذه البلدة و أسفك الدماء.»

و تهيّأ ليخرج إلى جرجان.

١. بقية: في الأصل غموض، و ما أثبتنا من الطبري (٩: ١٨٦٦).

و في هذه السنة آمن يزيد بن الوليد الحارث بن سريج و كتب له بذلك و كتب إلى عبد الله بن عمر يأمره برده ما كان أخذ منه من ماله و ولده. [213]

ذكر السبب في ذلك

إنَّ الفتنة لما وقعت بخراسان بين نصر و الكرمانى خاف نصر قدوم الحارث بن سريج عليه بأصحابه و الترك فيكون أمره أشدَّ عليه من الكرمانى و غيره و طمع أن يناصره فأرسل إليه مقاتل بن حيان النبطى و ثعلبة بن صفوان البنانى و جماعة ليردّه من بلاد الترك. و قيل: إنَّ قوماً خرجوا إلى يزيد بن الوليد فطلبوا منه أماناً للحارث بن سريج فكتب له أماناً و لمن معه و أمر نصرأ برده ما كان أخذ له و لأصحابه. ثم نفذ القوم إلى الحارث فلقوا مقاتل بن حيان و أصحابه الذين وجّههم نصر إلى الحارث و أقبل الحارث يريد مرو و كان مقامه بأرض الترك إثنى عشرة سنة.

فيقال: إنَّ نصرأ كتب إلى الحارث من غير إذن الخليفة فكتب إليه ابن عمر:

«إنَّك آمنت الحارث بغير إذنى و لا إذن الخليفة.^(١) فسقط في يديه فبعث يزيد بن الأحمر و أمره أن يفتك بالحارث إذا صار معه فى السفينة.

و فى هذه السنة وجّه إبراهيم بن محمّد الإمام أبا هاشم بُكير بن ماهان إلى خراسان و بعث معه [214] بالسيرة و الوصيّة فقدم بمرو و جمع النقباء و من بها من الدعاء. فنعى إليهم الإمام محمّد بن على، و دعاهم إلى إبراهيم، فقبلوه و دفعوا إليه ما اجتمع عندهم من نفقات الشيعة.

١. فى مط: و لا آمن الخليفة.

ولاية عهد إبراهيم الوليد

و في هذه السنة أخذ يزيد بن الوليد البيعة لأخيه إبراهيم بن الوليد و جعله وليّ عهده و لعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك من بعد إبراهيم بن الوليد.

ذكر السبب في ذلك

كان سبب ذلك أنّ يزيد مرض فاجتمع إليه القدريّة و كان يرى رأيهم و أشاروا عليه بذلك و قالوا:

« لا يحلّ لك أن تهمل أمر الأمة فبايع لأخيك.»

حتّى بايع لإبراهيم و عبد العزيز من بعده.

و في هذه السنة أظهر مروان بن محمّد بن مروان الخلاف على يزيد بن الوليد و انصرف من أرمينية إلى الجزيرة مظهرًا أنّه طالب بدم الوليد بن يزيد. فلما صار بحرّان^(١) بايع ليزيد.

ذكر السبب في خلاف مروان

ثمّ دخوله في الطاعة و مبايعته

لما بلغ مروان قتل الوليد أقبل يريد الجزيرة و كان ابنه عبد الملك بن مروان بن محمّد [215] قد وثب على حرّان^(٢) و مدائن الجزيرة فضبطها و كتب إلى أبيه بأرمينية يعلمه بذلك و يشير عليه بتعجيل السير و القدوم. فتهيأ مروان للمسير و أظهر أنّه يطلب بدم الوليد و كره أن يدع الثغر معطلًا فوجّه إلى أهل الباب إسحاق بن مسلم العقيلي و هو رأس قيس و ثابت بن نعيم الجذامي و هو

١. في مط: بخراسان.

٢. في مط: خراسان.

رأس اليمن و كان سبب صحبة ثابت إتياء أن مروان كان خلّصه من حبس هشام و أحسن إليه و حباه. فلمّا كتب مروان إلى أهل الباب على أيديهما و حمل معهما إليهم أعطياتهم و رغبهم في الجهاد، ثبتوا. ثم بلغه أن ثابتاً كان يدسّ إلى فؤاده بالإنصراف إلى ثغرهم و اللحاق بأجنادهم فلمّا انصرف^(١) إليه تهيّأ مروان للمسير و عرض جنده فدسّ ثابت بن نعيم إلى من معه من أهل الشام بالإنخزال عن مروان و الانضمام إليه ليسير بهم إلى أجنادهم فتولّى أمرهم فأنزلوا عن عسكر مروان ليلاً و عسكروا على يحدّة، فبات ليلة و من معه في السلاح يتحارسون حتّى أصبح. ثم خرج إليهم بمن معه و من مع ثابت يضعفون من مع مروان. فصافوهم ليقاتلوهم فأمر مروان مناديين فبرزوا بين الصّفين [216] فنادوهم^(٢):

«يا أهل الشام ما دعاكم إلى الاعتزال و ما الذي نقمتم على أئمّكم بما تحبّون و أحسن السيرة فيكم والولاية عليكم ما الذي دعاكم إلى سفك دماءكم؟»

فأجابوه بـ [قولهم]:

«إنّا إنّما كنّا نطيعك بطاعة خليفتنا فقد قُتل خليفتنا و بايع أهل الشام يزيد بن الوليد فرضينا بولاية ثابت و رأسناه ليسير بنا على ألويتنا حتّى نردّ أجنادنا.»

مركز تحقيق و نشر علوم اسلامی

فأمر مناديه فنادى:

«أن قد كذبتُم و ليس تريدون الذي قلتُم و إنّما أردتم أن تتركبوا رؤوسكم فتغصبوا من مررتُم به من أهل الذمّة أموالهم و أطعمتهم و أعلافهم. و ما بيني و

١. في آ و الطبري (١٨٧٢:٩): انصرفا.

٢. كذا في الأصل و مط: فنادوهم (بصيغة الجمع). في آ: فناداهم.

بينكم إلا السيف حتى تنقادوا إليّ، فأسير بكم حتى أوردكن الفرات، ثم أخلى عن كل قائد و جنده حتى يلحقوا بأجنادهم.^(١)

فلما الجّد منه انقادوا له، و مالوا إليه، و أمكنوه من ثابت بن نعيم و أولاده و هم أربعة رجال^(٢). فأمر بهم، فأنزلوا عن فيولهم، و سلبوا سلاحهم، و وضع في أرجلهم السلاسل، و وكلّ بهم عدّة من حرسه يحتفظون بهم، و شخص بجماعة الجند من أهل الشام و الجزيرة، و ضمّهم إلى عسكره، و ضبطهم في مسيره، فلم يقدر أحد منهم على أن يشدّ و لا أن يظلم [217] أحداً من أهل القرى و لا يرزاه^(٣) شيئاً إلاّ بضمن حتى ورد حرّان. ثمّ أمرهم باللحاق بأجنادهم و حبس ثابتاً معه و دعا أهل الجزيرة إلى الفرض ففرض لستّة^(٤) و عشرين ألفاً من أهل الجلد منهم و تهيّأ للمسير إلى يزيد. فكاتبه يزيد على أن يبايعه و يولّيه ما كان عبد الملك بن مروان ولى أباه محمّد بن مروان من الجزيرة و أرمينية و الموصل و آذربيجان. فبايع له بحرّان^(٥) و وجّه إليه بنفر من وجوه الجزيرة.

موت يزيد بن الوليد

و في هذه السنة مات يزيد بن الوليد و كانت وفاته سلخ ذى القعدة^(٦) سنة ست و عشرين و مائة. فكانت خلافته ستّة أشهر. و اختلف في مبلغ سنّه فقيل ثلثون^(٧) و قيل ثيف و أربعون^(٨). و كان أسمر طويلاً صغير الرأس

١. في الطبرى (١٨٧٣:٩): فتلحقون بأجنادكم.

٢. و هم أربعة رجال: رفاعه، و نعيم، و بكر، و عمران (الطبرى ١٨٧٣:٩).

٣. رزأ الرجل ماله: أصاب منه شيئا مهماً.

٤. في الطبرى (١٨٧٣:٩): لثيف.

٥. في الطبرى (١٨٧٣:٩): مروان.

٦. في الطبرى (١٨٧٣:٩): ذى الحجة.

٧. في الأصل: ثلاثين.

جَمِيلاً و إنما سُمِّي الناقص في قول أكثر الناس لأنه نقصهم أعطياتهم التي كان الوليد زادها الناس. و قال بعضهم إنما سُمِّي الناقص لأن مروان بن محمد سبّه فقال: الناقص بن الوليد. فسُمِّي الناقص.

ثم كان إبراهيم غير أنه لم يتم له أمر و سُلِّم عليه جمعة^(٩) بالخلافة. و جمعة بالإمرة و جمعة لا بالخلافة و لا بالأمرة. فكان على ذلك [أمره] حتى قدم مروان بن محمد [218] فخلعه و قتل عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك.

و دخلت سنة سبع و عشرين و مائة

مسير مروان إلى الشام

فسار مروان بن محمد إلى الشام في جند الجزيرة و خلف ابنه عبد الملك في أربعة آلاف بالرقّة. فلما انتهى إلى قنسرين و بها أخ ليزيد بن الوليد يقال له بشر، كان ولّاه قنسرين، فخرج إليه و صافه، و تنادى الناس، و دعاهم مروان إلى بيعته. فمال إليه يزيد بن عمر بن هبيرة في القيسيّة، و أسلموا بشرا و أخاً له يقال له مسرور، فأخذهما مروان و حبسهما و سار متوجّهاً إلى حمص و كان أهل حمص قد امتنعوا حين مات يزيد أن يبايعوا إبراهيم. فوجّه إليهم إبراهيم^(١٠) عبد العزيز بن الحجاج في جند أهل دمشق فحاصره في مدينتهم و أغدّ مروان السير، فلما دنا من مدينة حمص رحل عبد العزيز عنهم و خرجوا إلى مروان فبايعوه و ساروا بأجمعهم معه.

و وجّه إبراهيم بن الوليد الجيوش مع سليمان بن هشام فسار بهم حتى نزل عين الجرّ في عشرين و مائة ألف و أتاه مروان في نحو من ثمانين ألفاً فدعاهم

٨. في الأصل: أربعين.

٩. جمعة: زيادة من آ و الطبري (٩: ١٨٧٥).

١٠. آ: إبراهيم بن.

مروان إلى الكف عن قتاله و التخلية عن ابني الوليد [219] الحكم و عثمان و كانا في سجن دمشق و ضمن لهم عنهما ألا يؤاخذاهم بقتلهم أباهما و لا يطلبأ أحداً ممن ولى قتله. فأبوا عليه و جدّوا في قتاله، فاقتتلوا ما بين ضحوة النهار إلى العصر و استحرّ القتل و كثر في الفريقين. و كان محرباً^(١) مكائداً، فدعا ثلاثة نفر من قوّاده أحدهم أخ لإسحاق بن مسلم، فأمرهم بالمسير خلف صفّه في خيلهم و هم ثلاثة آلاف، و وجّه معهم فعلة بالفؤوس و قد ملأ الصقّان من أصحابه و أصحاب سليمان ما بين الجبلين المحيطين بالمرج، و بين العسكرين نهر خرّار. و أمرهم إذا انتهوا إلى الجبل أن يقطعوا الشجر فيعقدوا جسوراً فيجيزوا إلى عسكر سليمان و يغيروا فيه فلم تشعر خيول سليمان و هم مشغولون بالقتال إلا بالخيّل و البارقة^(٢) و التكبير في عسكرهم من خلفهم فلمّا رأوا ذلك انكسروا و كانت هزيمتهم. و وضع أهل حمص السلاح فيهم، فقتلوا منهم نحواً من سبعة عشر ألفاً، و كفّ أهل الجزيرة و أهل قنّسرين عن قتلهم، و أتوا مروان من أسراهم بمثل عدّة القتلى و أكثر، و استبيح عسكرهم فأخذ مروان عليهم العهد للغلامين: الحكم و عثمان، و خلّى عنهم بعد أن قوّاهم بدينار [220] دينار و ألحقهم بأهاليهم.

و مضى سليمان و من معه من الفلّ حتّى صبحّوا دمشق و اجتمع إليه و إلى إبراهيم و عبد العزيز بن الحجاج رؤوس امّن^(٣) معهم فقال بعضهم لبعض:

«إن بقي الغلامان ابنا الوليد حتّى يقدم مروان فيخرجهما من الحبس و يصير الأمر إليهما لم يستبقيا أحداً من قتلة أبيهما و الرأى أن نقتلهم.»

١. في الطبرى (٩: ١٨٧٧): فجرّبا.

٢. البارقة: السيوف.

٣. من: زيادة من الطبرى ليست لا في الأصل و لا في مط.

فولوا ذلك يزيد بن خالد و معها في الحبس أبو محمد السفيناني و يوسف بن عمر.

فأرسل يزيد مولى لخالد يكتي أبا الأسد في عدة من أصحابه فدخل السجن، فشدخ الغلامين بالعمد، و أخرج يوسف بن عمر فضرب عنقه و أرادوا أبا محمد ليقتلوه فدخل بيتاً من بيوت السجن فأغلقه و ألقى خلفه المتاع^(١) و اعتمد على الباب فلم يقدرُوا على فتحه و دعوا بنار ليحرقوه فلم يؤتوا بها حتى قيل قد دخلت خيل مروان المدينة. و هرب إبراهيم بن الوليد و تغيّب، و نهب سليمان ما كان في بيت المال من المال و قسمه فيمن معه من الجنود و خرج من المدينة.

و في هذه السنة دعا إلى نفسه عبد الله بن [221] معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بالكوفة و حارب بها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان فهزمه عبد الله بن عمر فلاحق بالجبال و تغلب عليها.

ذكر سبب خروج عبد الله بن معاوية

و طمعه في الخلافة

كان سبب خروجه أنه قدم الكوفة زائراً لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز يلتمس صلته و لا يطمع في غيرها. فلما وقعت العصبية قال له أهل الكوفة: - «أدعُ إلى نفسك فبنو هاشم أولى بالأمر من بني مروان لا سيما و قد اختلفوا.»

فدعا سرّاً بالكوفة و ابن عمر بالحيرة و بايعه قوم و كان فيهم ابن ضمره: الخُزاعي قدس إليه ابن عمر فأرضاه. فأرسل إليه:

١. الفرش و الوسائد (الطبري ٩: ١٨٧٩).

- «إذا نحن التقينا انهزمنا بالناس».

و بلغ ابن معاوية فلما التقى الناس قال ابن معاوية:

- «إن ابن ضمرة قد غدر و وعد ابن عمر أن ينهزم بالناس فلا يهولنكم

انهزامه فإنه عن غدر ما يفعل».

فلما اقتتلوا^(١) انهزم ابن ضمرة، و انهزم الناس، فلم يبق مع ابن معاوية أحد

فرجع ابن معاوية إلى الكوفة [222] ثم خرج و معه نفر، فغلب على حلوان، ثم على همدان و الرى و إصفهان.



مركز تحقيق تراثنا في علوم الإسلام

١. في الطبري (٩: ١٨٨٠): التقوا. بدل: اقتتلوا

خلافة مروان بن محمد

و في هذه السنة بويع لمروان بن محمد بدمشق بالخلافة.
و قد ذكرنا ما كان من هرب إبراهيم و أن سليمان انتهب ما كان في بيت
المال و فرقه في جنده و دخل مروان دمشق و أتى بالغلامين مقتولين و
يوسف^(١) بن عمر فأمر بهم فدفنوا و أتى بأبي محمد في كبوله فسلم عليه
بالخلافة و مروان يسلم عليه يومئذ بالإمرة فقال له: «مئة»
فقال أبو محمد:

«إنهما جعلاهما لك بعدهما»

و كانا قد بلغا أبا الحكم، و هو أكبرهما، و كان قد وُلد له و أمّا الآخر فكان
قد احتلم قبل ذلك بسنتين فأنشده شعراً قاله الحكم:

ألا مَنْ مُبْلَغُ مَرْوَانَ عَنِّي وَ عَمِّي الْغُمَرُ،^(٢) مِنْ كَبْدِي حَنِينًا
بَأَنِّي قَدْ ظَلِمْتُ وَ صَارَ قَوْمِي عَلَى قَتْلِ الْوَلِيدِ مُتَابِعِينَ
أَيْذَهُبُ كُلِّهِمْ بِدَمِي وَ مَالِي فَلَا غَثًّا أَصَبْتُ وَ لَا سَمِينًا

١. في الأصل و آ، و مط: و يوسف.

٢. الغمر: بتشليث الغين: من لم يجرب الأمور. الجاهل.

و مروان بأرض بني نزار
 ألم يحزنك قتل فتى قريش
 ألا فاقرا السلام على قريش
 و سار الناقص القدرى فينا
 فلو شهد الفوارس من سليم
 ولو شهدت ليوث بني تميم
 أينكث بيعتى من أجل أمى
 فليت خوولتى فى غير كلب
 فإن أهلك أنا و وليى عهدي
 و مروان بأرض بني نزار
 ألم يحزنك قتل فتى قريش
 ألا فاقرا السلام على قريش
 و سار الناقص القدرى فينا
 فلو شهد الفوارس من سليم
 ولو شهدت ليوث بني تميم
 أينكث بيعتى من أجل أمى
 فليت خوولتى فى غير كلب
 فإن أهلك أنا و وليى عهدي

ثم قال:

«ابسط يدك أبايعك.»

وسمعه من تبع مروان من أهل الشام. فكان أول من نهض معاوية بن يزيد بن حصين بن نعيم، وتبعه الناس فبايعوه. فلما استوت لمروان بن محمد الشام انصرف إلى منزله من حران^(٢) و طلب منه الأمان إبراهيم بن الوليد و سليمان بن هشام فآمنهما. فقدم عليه سليمان و كان يتذمر فى إخوته و أهل بيته و مواليه فبايعوا مروان.

مركز تحقيق و توثيق علوم إسلامي

و فى هذه السنة انتفض على مروان أهل حمص و سائر أهل الشام. [224]
 ذكر السبب فى ذلك

كان الذى دعاهم إلى ذلك ثابت بن نعيم، كان يرأسهم و يكاتبهم و مروان

١. فى الأصل غموض. و فى آ و مط إهمال. و ما أثبتناه يوافق الطبرى (١٨٩١:٩).

٢. فى الطبرى (١٨٩٢:٩): بحرّان.

بحماسة^(١) ليس بينه و بين مدينة حمص إلا ثلاثون ميلاً. فأتاه خبرهم صبيحة الفطر، فجدّ في السير، و معه يومئذ إبراهيم بن الوليد المخلوع و سليمان بن هشام. كان آمنهما و كان يكرمهما و يجلسان معه على غدائه و عشائه و يسيران معه في موكبه. فأنتهى إلى مدينة حمص بعد الفطر بيومين و قد ردم القوم أبوابها من داخل، فأحدثت خيله بالمدينة و وقف حذاء باب^(٢) منها، فأشرفت عليه جماعة من الحائط. فناداهم مناديه:

- «ما دعاكم إلى النكث؟» قالوا:

- «فإننا على طاعتك لم تنكث.» فقال لهم:

- «إن كنتم على ما تذكرون فافتحوا.»

ففتحوا له الباب فاقتحم عمرو بن الوضّاح في الوضّاحية و هم نحو من ثلاثة آلاف. فقاتلوهم داخل المدينة. ثمّ كثرتهم خيل مروان، فخرجوا من باب من أبواب المدينة فقاتلهم داخل المدينة من كان عليه، فقتل عامتهم و أسر منهم قوم، فأتى بهم مروان فقتلهم. ثمّ أمر بجمع قتلاهم و هم خمسمائة أو ستمائة فضلبوا حول المدينة [225] و هُدم من حائط مدينتها نحو غلوة^(٣)، و ثار أهل الغلوة إلى مدينة دمشق فحاصروا أميرهم زامل بن عمرو، و ولّوا عليهم يزيد بن خالد القسريّ.

و ثبت زامل مع أهل المدينة، فوجه إليهم مروان بن حمص أبا الورد بن الكوثر بن زُفر بن الحارث و عمرو بن الوضّاح في عشرة آلاف. فلمّا دنوا من المدينة حملوا عليهم و خرج من في المدينة فحملوا عليهم فهزموهم و استباحوا عساكرهم و لجأ يزيد بن خالد و أبو علاقة إلى رجل من لخم من

١. في الأصل و آ، و مط: بحمه، فضبطناها حسب الطبرى (١٨٩٣:٩).

٢. في آ: «مات» بدل: «باب».

٣. الغلوة: أقصى الغاية لرمى السهم.

أهل مِزّة فدلّ عليهما زامل فأرسل إليهما فقتلا و بعث برأسيهما إلى مروان بجمعص.

و خرج ثابت بن نعيم في أهل فلسطين حتّى أتى طبرية، فحاصر أهلها فقاتلوه^(١) أيّاماً. و كتب مروان إلى ابن الورد أن يشخص إليهم، و رحل من حمص إلى دمشق بعد أيّام. فلمّا بلغهم دنوّه خرجوا من المدينة على ثابت و من معه، فاستباحوا عسكرهم و انصرف ثابت منهزماً إلى فلسطين. فجمع قومه و جنده و مضى إليه أبو الورد، فهزّمه ثانية و تفرّق من معه، و أسر ثلاثة من ولده و هم نعيم و بكر و عمران، فبعث بهم إلى مروان، فقدم بهم عليهم و هو بدير أيّوب جرحى، فأمر بمداواتهم.

و تغيّب ثابت و أفلت [226] من ولده رفاعه بن ثابت و كان أخبثهم، فلحق بمنصور بن جمهور بالسند فأكرمه و ولّاه و خلّفه مع أخ له يقال له منظور بن جمهور فوثب عليه فقتله فبلغ منصوراً و هو متوجّه إلى الملتان و كان أخوه بالمنصورة فرجع إليه و ظفر به فبنى له أسطوانة من آجر مجوّفة، و أدخله فيها و ستره إليها و بنى عليه.

و كتب مروان إلى و إليه على فلسطين و هو الرماحس^(٢) في طلب ثابت و التلطف له. فدلّ عليه رجل من قومه فأخذ و معه نفر فأتى به مروان بعد شهرين فأمر به و بينيه الذين كانوا في يديه فقطعت أيديهم و أرجلهم. ثمّ حملوا إلى دمشق و أقيّموا على باب مسجدها، لأنّهم كانوا يرجفون بثابت و يقولون: أتى مصر فغلب عليها و قتل عامل مروان بها.

و أقام مروان بدير أيّوب حتّى بايع لابنيه عبيد الله و عبد الله و استقامت له

١. آ: فقاتلهم.

٢. آ: رماحس. و الأصل و الطبرى متفقان (٩: ١٨٩٥).

الشام كلها ما خلا تدمر. و أمر بثابت و بنيه الذين قطعوا، فقتلوا و صلبوا على أبواب دمشق.

و سار حتى نزل القسطل من أرض حمص ممّا يلى تدمر و بينهما مسيرة ثلاثة أيام و بلغه أنّهم عوّروا ما بينه و بينها من الآبار و طمّوها [227] بالصخر، فهيّا المزاد و القرب و العلف و الإبل له و لمن معه. فكلّمه الأبرش بن الوليد و سليمان بن هشام و غيرهما، و سألوه أن يعذر إليهم. فأجابه، و وجّه الأبرش إليهم أخاه، و كتب إليهم يحذّره و يعلمهم أنّه يتخوّف أن يكون هلاكه و هلاك قومه، فطردوه و لم يجيبوه. فسأله الأبرش أن يأذن له فى التوجّه إليهم و يؤجّله أَيْاماً ففعل و أتاهم و كلّمهم و أعلمهم أنّهم حمقى و لا طاقة لهم به و بمن معه. فأجابه عامّتهم و هرب من لم يشق به منهم.

فكتب الأبرش إلى مروان يعلمه ذلك، فكتب إليه مروان أن:

«اهدم حائط مدينتهم، و انصرف إلىّ بمن تابعك.»^(١)

ففعل و قدم عليه بالرصافة.

ثمّ شخص إلى الرقّة و مضى حتى نزل عند واسط على شاطئ الفرات فأقام ثلاثاً. ثمّ مضى إلى قرقيسيا و ابن هبيرة بها ليقدمه إلى العراق لمحاربة الضحّاك بن قيس الشيبانى الحرورى و كان خرج محكّماً.

و أقبل جماعة نحو عشرة آلاف ممّن كان مروان قطع عليهم البعث بدير أيّوب لغزو العراق مع قوّادهم، حتى حلّوا بالرّصافة. فدعوا [228] سليمان إلى خلع مروان و محاربتة.

و فى هذه السنة دخل الضحّاك بن قيس الشيبانى الكوفة.

١. تابعك: كذا فى الأصل و آ، و مط. ما فى الطبرى (١٨٩٦:٩): بايعك.

ذكر السبب في خروج الضحّاك و قوّته^(١)

حتى دخل الكوفة

يقال: إنّ سبب خروج الضحّاك أنّه كان خرج بالجزيرة حروريّ يقال له: سعيد بن بهدل الشيباني، في مائتين من أهل الجزيرة فيهم الضحّاك، و قتل الوليد في تلك الأيام فاغتنم ذلك و اشتغال مروان بالشام، فخرج في أرض بكفّرثوثاً و خرج بسطام البيهسي و هو مفارق لرأيه في مثل عدّتهم من ربيعة، فسار كلّ واحد منهما إلى صاحبه. فلما تقارب العسكران وجّه سعيد بن بهدل الخيبري و هو أحد قوّاده و هو الذي هزم مروان في نحو من مائة و خمسين فارساً ليبيته، فانتهى إلى عسكره و هم غارون و قد أمر كلّ رجل منهم أن يكون معه ثوب أبيض يجلّل به دابّته^(٢) ليعرف بعضهم بعضاً فكبّروا في عسكره و قتلوا بسطاماً و جميع من معه إلا أربعة عشر رجلاً ثمّ مضى فلحقوا بمروان فكانوا معه و أثبتهم و ولى [229] عليهم رجلاً منهم يكنّى أبا النعثل.

ثمّ مضى سعيد بن بهدل نحو العراق لما بلغه من تشتت الأمر بها و اختلاف أهل الشام و قتال بعضهم بعضاً مع عبد الله بن عمر و النضر^(٣) بن سعيد الحرشي، و كانت اليمانية من أهل الشام مع عبد الله بن عمر بالحيرة، و المضريّة مع ابن الحرشي بالكوفة، فهم يقتتلون فيما بينهم غدوة و عشية. فمات سعيد بن بهدل في وجهه ذلك من طاعون أصابه.

و استخلف الضحّاك بن قيس من بعده، فاجتمع مع الضحّاك نحو من ألف. ثمّ توجه إلى الكوفة و مرّ بأرض الموصل فاتّبعه منها و من السواد نحو من ثلاثة آلاف و بالكوفة يومئذ النضر بن سعيد الحرشي و معه المضريّة و بالحيرة

١. في آ، و مط: قومه.

٢. دابّته. ما في الطبري (١: ١٨٩٨): رأسه.

٣. سقطت من آ: «النضر» إلى «بن عمر».

عبد الله بن عمر في اليمانية فهم متعصبون يقتتلون فيما بين الكوفة و الحيرة. و كان سبب قتال عبد الله بن عمر النضر بن سعيد الحرشي أن مروان ولى النضر العراق و عزل عبد الله بن عمر فأبى عبد الله أن يسلم و قاتل النضر و وجد أعواناً من اليمانية للعصبيّة التي بينهم و بين المضريّة.

فلما دنا الضحّاك فيمن معه من الكوفة اصطالح ابن عمر [230] و الحرشيّ و صار أمرهما واحداً و بدأ على قتال الضحّاك، و خندقاً و معهما يومئذٍ من أهل الشام نحو من ثلاثين ألفاً لهم قوّة وعدّة و معهم قائد من أهل قنسرين يقال له، عبّاد بن الغزيل،^(١) في ألف فارس قد كان مروان أمّده به ابن الحرشي فبرزوا لهم فقاتلوهم فقتل يومئذٍ عاصم بن عمر بن عبد العزيز و جعفر بن عبّاس الكندي و هزموهم أقبح هزيمة.

و لحق عبد الله بن عمر في جماعتهم بواسط، و توجه ابن الحرشيّ، و جماعته المضريّة، و إسماعيل بن عبد الله القسريّ، إلى مروان و استولى الضحّاك بن قيس و الحروريّة على الكوفة و أرضها، و جبوا السواد.

ثمّ استخلف الضحّاك رجلاً من أصحابه يقال له: ملحان، على الكوفة في مائتي فارس و مضى في أصحابه إلى عبد الله بن عمر بواسط، فحاصره بها، و كان عبد الله بن عمر يأمل أن يقتل مروان لحديث سمعه و هو:

«إنّ عين بن عيين بن عيين، يقتل ميم بن ميم بن ميم».

فكان يروى هذا الحديث و يظنّه هو حتّى تبين بعد ذلك فقتله عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس بن عبد المطلب^(٢).

فذكر أنّ أصحاب ابن عمر لما انهزموا فلاحقوا بواسط، [231] قالوا لابن عمر:

١. في الطبري (١٨٩٩:٩): الغزيل (بالغين المعجمة).

٢. فأصبحت العينات خمساً و هي في هذا الحديث ثلاث.

- «علامَ تقيم، قد هرب الناس؟» قال:

- «أتلوم و أنظر.»

فأقام يوماً أو يومين لا يرى إلا هارباً قد امتلأت قلوبهم رعباً من الخوارج. فأمر عند ذلك بالرحيل إلى واسط و جمع خالد بن العزيل أصحابه، فلاحق بمروان و هو بالجزيرة مقيم.

و نظر عبيد الله بن العباس الكندي إلى مالقى الناس فلم يأمن على نفسه فجنح إلى الضحّاك فبايعه و كان في عسكره.

فقال أبو عطاء السندی يعتره باتباعه الضحّاك و قد قتل أخاه:

فقل^(١) لعبيد الله لو كان جعفر
و لم يتبع المراق و الثأر فيهم
إلى معشر أردوا أخاك و أكفروا
هو الحي لم يجنح و أنت قتيل
و في كفّه غضب الذباب صقيل
أباك فماذا بعد ذاك تقول

فلما بلغ عبيد الله هذا البيت قال:

- «أقول: أعضك الله بيطر أمك.»

و أقام عبد الله بن عمر يقاتل الضحّاك أياماً فاقتتلوا في بعض الأيام و اشتدّ قتالهم. فشده منصور بن جمهور على قائد من قواد الضحّاك عظيم القدر في الشّراة يقال له: عكرمة، من بنى شيبان فضرب فقطه باثنين، فقتله.

ثم إن [232] منصوراً قال بعد ذلك و قد لقي جهداً لابن عمر:

- «مارأيت في الناس مثل هولاء قط - يعني الشّراة - فلم تحاربهم أنت و تشغلهم عن مروان؟ أعطهم الرضا و اجعلهم بينك و بين مروان. فإنك إن

١. في الأصل: قل. و ما أثبتناه يوافق مط و الطبري (١٩٠٢:٩).

أعطيتهم الرضا خلّوا عنك و مضوا إلى مروان فكان حدّهم و بأسهم به و أقمت أنت مستريحاً بموضعك هذا فإن ظفروا به كان ما أردت، و كنت عندهم آمناً، و إن ظفر بهم و أردت خلافة و قتاله قاتلته جاماً مستريحاً مع أن أمره معهم سيّطول.»

فقال ابن عمر:

«لا تعجل حتّى تلوّم و تنظر.»

فقال:

«أى شيء ننتظر؟ فوالله ما نستطيع أن نطلع معهم و لا نستقرّ. فإن خرجنا إليهم لم نقم لهم فواقاً فما الذى ننتظر و مروان فى راحة و قد كفينا حدّهم و شغلناهم عنه و هو يتربّص بنا و بهم. أمّا أنا فخارج إليهم و لا حقّ بهم و معطيهم الرضا.»

قال: فخرج فواقف حياء صفّهم و ناداهم:

«إني خارج أريد أن أسلم و أسمع كلام الله.»

قال: و هى محتنتهم فلقى بهم و بايعهم و قال لهم:

«قد أسلمت.»

فدعوا لهم بغذاء فتغذّى معهم و تحرّم.

ثم خرج إليهم [233] عبد الله بن عمر أيضاً فى سؤال فبايعهم.

خلع مروان بن محمد

و فى هذه السنة خلع سليمان بن هشام بن عبد الملك، مروان بن محمد بن

مروان، و نصب له الحرب.^(١)

١. فى آ: «الحرث» بدل: الحرب.

لما شخص مروان من الرصافة إلى الرقة لتوجيه ابن هُبيرة إلى العراق لمحاربة الضحّاك بن قيس الشيباني استأذنه سليمان بن هشام في المقام أياً ما لإجماع ظهره وإصلاح أمره. فأذن له و مضى مروان، فجاء إلى سليمان نحو من عشرة آلاف مئة كان مروان قطع عليهم البعث لغزو العراق مع قوادهم حتى حلّوا بالرصافة. و دعوا سليمان إلى خلع مروان و محاربتهم و قالوا:

«أنت أرضى عند أهل الشام منه و أولى بالخلافة.»

فاستزله الهوى فأجابهم، و خرج إليهم بإخوته و ولده و مواليه، فعسكر بهم، و سار بجميعهم إلى قنسرين، و كاتب أهل الشام فانقضوا إليه من كل وجه و جند.

فعاد^(١) مروان بعد أن شارف قرقيسيا منصرفاً إليه و كتب إلى ابن هُبيرة يأمره بالثبوت في عسكره و اجتمع من كان بالهنيء من موالى سليمان [234] و ولد هشام، فدخلوا حصن الكامل بذراريهم و غلقوا الأبواب دونه. فأرسل إليهم:

«لم خلعتم طاعتى و تقضتم بيعتى بعد ما أعطيتهمونى من العهود و من الموائيق؟»

فردّوا على رسله:

«إنّا مع سليمان كنّا و مع سليمان نحن.»

فردّ إليهم:

«فإني أنذركم أن تعرضوا لأحد مئة يتبعنى من جندى أو يناله منكم أذى، فاحذروا ألا تحلّوا^(٢) بأنفسكم، فلا أمان لكم حينئذٍ عندي.»

١. في الطبري: «غادر» بدل «عاد».

٢. آ: تحلّوا. (بالحاء المعجمة).

فأرسلوا إليه:

«إنا سنكفّ».

و مضى مروان،^(١) وجعلوا يخرجون من حصنهم فيغيرون على من اتبعه من أخريات الناس و شذآن^(٢) الجند فيسلبونهم خيولهم و سلاحهم.

و بلغه ذلك فتحرق عليهم غيظاً، فاجتمع إلى سليمان نحو من سبعين ألفاً. فلما دنا منه مروان قَدَّم إليه السكسكى فى سبعة آلاف، و وجَّه مروان عيسى بن مسلم فى نحو من عدَّتْهم، فالتقوا فيما بين العسكرين و اقتتلوا قتالاً شديداً، ثم التقى السكسكى و عيسى و كل واحد منهما فارس بطل، فاطعنا حتَّى تقصفت الرماح، ثم صارا إلى السيوف، فضرب السكسكى عيسى على مقدم فرسه فسقط لجامه و جال به فرسه فاعترضه السكسكى فضربه بالعمود [235] فصرعه ثم نزل إليه فأسره، و بارز^(٣) غيره فأسره، و انهزمت مقدمة مروان، و بلغه الخبر و هو فى مسيره فمضى و طوى على تعبته و لم ينزل حتَّى انتهى إلى سليمان و قد تعباً و تهيأ لقتاله فلم يناظره حتَّى واقعه، فانهزم سليمان و من معه و اتبعتهم خيوله يقتلهم و يأسرهم حتَّى انتهوا إلى عسكرهم فاستباحوه.

و وقف مروان موقفاً، و أمر ابنه حتَّى وقفا موقفين آخرين، و أمر كوثرأ صاحب شرطته فوقف فى موضع آخر، ثم أمرهم ألا يؤتوا بأسير إلا قتلوه، إلا أن يكون عبداً مملوكاً. فأحصى قتلهم يومئذٍ فزاد على ثلاثين ألفاً. و قُتل ابن لسليمان يقال له إبراهيم و هو أكبر ولده.

و أتى بخال لهشام بن عبد الملك يقال له خالد و كان بادناً كثير اللحم فأدنى إليه و هو كال متعب يلهث فقال:

١. آ: مروان بن محمد.

٢. شذآن الجند: متفرقوهم.

٣. آ: بارزه.

- «أى^(١) فاسق، أما كان لك فى خمر المدينة و قيانها ما يكفك عن الخروج مع الحرّاء^(٢) تقاتلنى؟» قال:

- «يا أمير المؤمنين، أكرهنى فأنشدك الله و الرحمن.» قال:

- «و تكذب أيضاً. كيف أكرهك و قد خرجت بالقيان و الزقاق و البرابط معك فى عسكره؟»

صمّ أمر به فقتل. و ادعى كثير من الأسراء أنهم [236] رقيق، فكفّ عن قتلهم و أمر ببيعهم مع ما بيع ممّا أصيب فى معسكرهم.

و مضى سليمان مفلولاً حتّى انتهى إلى حمص، فانضمّ إليه من أفلت، فسكر بها و بنى ما كان مروان أمر بهدمه من سورها و وجّه مروان يوم هزمه خيلاً إلى الكامل جريدة و وصّاهم أن يسبقوا كلّ خبر حتّى يُحدقوا به.

ثمّ أقبل مروان نحوهم حتّى نزل معسكره من واسط ثمّ راسلهم بأن:

- «انزلوا على حكمى.»

فقالوا:

- «لا حتّى تؤمننا بأجمعنا.»

فنصب عليهم المجانيق^(٣)، فلمّا تتابعت عليهم نزلوا على حكمه فمثل بهم. و كانت عدّتهم نحو ثلاثمائة.

ثمّ عاد إلى ناحية سليمان بحمص فلمّا دنا منهم اجتمعوا إلى سليمان و قال بعضهم لبعض بحضرته:

- «حتّى متى ننهزم من مروان؟ هلموا، فلنباع على الموت و لا نفرق بعد معاينته حتّى نقتله أو نموت جميعاً.»

١. الضبط فى الأصل «إى» بكسر الهمزة مع أن «أى» هنا للنداء لا للجواب.

٢. فى الطبرى (٩: ١٩١٠): الحرّاء (بالخاء المروحة).

٣. فى الطبرى (٩: ١٩١١): «مناجيق» بدل: «مجانيق».

فوطَّن على الموت نفسه قوم، و ولى سليمان السكسكى على شطرهم و على الشطر الباقي. ثَبَّتًا^(١) البهراني فتوجَّهوا إليه مجتمعين على أن يبيتوه فإن أصابوا منه غزوة، فوجدوه متحرزاً فى الخنادق يسير على تعبئة. فتهيَّأوا^(٢) و كمنوا فى زيتون على طريقه، فخرجوا عليه و هو يسير على تعبئة، فوضعوا السلاح [237] فيمن معه و انتبذ، ثم فنادى فى خيوله، فثابت إليه من المقدمة و المجنبتين و الساقة فقاتلوهم.

و التقى السكسكى و فارس من فرسانه من بنى سليم، فصرعه السلمي عن فرسه و أسره و أتى به إلى مروان فقال:

- «الحمد لربِّ أمكن منك فطال ما بلغت منّا.» قال:

- «استبقنى فإننى فارس العرب.» قال:

- «كذبت، الذى جاء بك أفرس منك.»

فأمر به فأوثق، و قُتل ممَّن صبر معه نحو من سبعة آلاف.^(٣)

و أفلت ثَبَّت و من انهزم معه فلما أتوا سليمان خلف أخاه سعيد بن هشام فى مدينة حمص، و علم أنَّه لا طاقة له به، و مضى هو إلى تدمر و نزل مروان بـحمص فحاصرهم عشرة أشهر، و نصب عليها نيفاً و ثمانين منجنيقاً تخطر عليهم حجارتها ليلاً و نهاراً، و هم فى ذلك يخرجون إليه كلَّ يوم فيقاتلون، و ربَّما يبتوا نواحي عسكره. ولما تتابع عليهم البلاء و لزمهم الذلَّ سألوه الأمان على أن يمكَّنوه من سعيد أخى سليمان و ابنه عثمان و مروان و من قوم كانوا يغيرون على عسكره و يشتمونه من السور. فأمنهم و استوثق من سعيد و ابنه و مثل بالباقيين، ثم أقبل متوجَّهاً إلى الضحاك؟

١. فى آ: «ثَبَّتًا».

٢. فى آ: فتهيَّأوا. و الطبرى كالأصل.

٣. فى الطبرى (٩: ١٩١١): ستة آلاف.

و قد روى أيضاً أنَّ سليمان لمَّا انهزم من مروان أقبل إلى ابن عمر، [238] ثمَّ خرج معه إلى الضحَّاك و بايعه. و فى ذلك يقول شاعرهم: ^(١)

ألم تر أنَّ الله أظهر دينه وصلت قريش خلف بكر بن وائل

و لمَّا استقام لمروان الشام و نفى عنها من كان يخالفه و قتل بها تلك المقتلة العظيمة أقبل حتَّى نزل نهر سعيد بن عبد الملك، و بلغ ذلك ابن عمر فأعلم ذلك الضحَّاك، فارتحل الضحَّاك و أقام ابن عمر بواسط، و بلغ خبر مروان ملحان الشيبانى و كان عامل الضحَّاك على الكوفة، فخرج إليه يقاتله و هو فى قلَّة من الشراة، فلقى النضر و كان النضر قد توجه إليه و بلغ القادسيَّة و صبر فى المعركة حتَّى قتله النضر.

و بلغ الضحَّاك قتل ملحان، فاستعمل على الكوفة المثنى بن عمران من بنى عائذة. و سار الضحَّاك، فأخذ على الموصل، لأنَّ أهل الموصل كاتبوه و دعوه ليمنَّوهم منها. فسار فى جماعة جنوده حتَّى انتهى إليها و عليها يومئذٍ عامل لمروان من بنى شيبان يقال له: القطران بن أكمة ^(٢) ففتح أهل الموصل المدينة للضحَّاك، و قاتلهم القطران فى قومه و جماعة يسيرة من أهل بيته و ثبتوا حتَّى قُتلوا و استولى الضحَّاك على الموصل. [239]

و بلغ خبره مروان فكتب إلى ابنه عبدالله و هو خليفته على الجزيرة يأمره أن يسير فيمن معه و من قدر على جمعه، إلى نصيبين ليستغل الضحَّاك عن توسط البلاد.

فشخص عبدالله إلى نصيبين فى جماعة روابطه ^(٣) و هو نحو من سبعة آلاف

١. هو شُبَيْل بن عَزْرَةَ الضُّبَعِيَّ (الطبرى ٩: ١٩١٣).

٢. القطران بن أكمة: كذا فى الأصل و الطبرى (٩: ١٩٣٨).

٣. كذا فى الأصل و الطبرى (٩: ١٩٣٩): فى جماعة روابطه.

أو ثمانية آلاف.

و سار الضحّاك من الموصل إلى عبد الله بنصيبين فقاتله فلم يطقه لكثرة من مع الضحّاك، و ذاك أنّ عدّتهم بلغت عشرين و مائة ألف يُرزق الفارس مائة و خمسين و الراجل و البغال مائة و ما دونها إلى السبعين في كلّ شهر. و أقام الضحّاك على نصيبين محاصراً لها و وجّه بخيل له إلى الرقة و كان بها خيل لمروان، و لمّا بلغ مروان نزولهم بالرقة وجّه خيلاً إليها، فلمّا دنوا منها انقشع أصحاب الضحّاك منصرفين إليه و اتبعتهم خيل مروان فاستسقطوا من ساقتهم نيّفاً و ثلاثين رجلاً فقطع مروان أيديهم و مضى صامداً إلى الضحّاك في جموعه حتّى التقيا بموضع يُقال له: الغُدُّ، من أرض كَفَرْتوتّا، فقاتله عامّة نهاره. فلمّا كان عند المساء ترجّل الضحّاك و ترجّل معه من ذوى النّيّات نحو من ستة آلاف، و أهل عسكره [240] لكثرتهم لا يعلمون بما كان منه. فأحدقت بهم خيل مروان و ألحّوا عليهم حتّى قتلوهم عند المعتمة، و قُتل فيهم الضحّاك، و انصرف من بقى من أصحاب الضحّاك إلى عسكرهم، و كذلك أصحاب مروان و لا يعلم مروان و لا أصحاب الضحّاك بمقتل الضحّاك حتّى فقدوه في منتصف الليل و جاءهم بعض من عاينه حين ترجّل، فأخبرهم بمقتله فبكوا عليه و ناحوا و خرج عبد الملك و هو القائد الذى كان وجّهه إلى الرقة من عسكرهم حتّى دخل عسكر مروان و تقرب إليه بقتل الضحّاك فأرسل معه رسلاً من حرسه معهم النيران و الشموع إلى موضع المعركة، فقلّبوا القتلى حتّى استخرجوه و أتوا به مروان و فى وجهه و رأسه أكثر من عشرين ضربة، فكبّر أهل عسكر مروان، فعرف أهل عسكر الضحّاك أنّهم قد علموا بذلك. و بعث مروان برأسه من ليلته إلى مدائن الجزيرة يُطاف به فيها.

و لمّا قُتل الضحّاك بايع أهل عسكره الخبيرىّ و عاودوا مروان القتال من الغد وصافّهم و سليمان بن هشام يومئذٍ و أهل بيته و مواليه مع الخبيرىّ. و قد

كان قدم على الضحّاك في أكثر من ثلاثة آلاف [241] من أهل بيته و مواليه، و تزوّج إليهم أخت شيبان الحروريّ و هو الذي بايعوه بعد الخيبري. فحمل الخيبريّ على مروان في نحو من أربعمئة فارس من الشُّراة فهزم مروان و هو في القلب و خرج مروان من العسكر منهزماً و دخل الخيبري فيمن معه عسكره، و جعلوا ينادون بشعارهم:

«يا خيبري، يا خيبري.»

و يقتلون من أدركوا حتّى انتهوا إلى حجرة مروان فقطعوا أطنايها. و جلس الخيبري على فرسه^(١) و ميمنة مروان على حيالها و عليها ابنه عبدالله، و ميسرته أيضاً ثابتة، عليها مسلم بن عقيل،^(٢) فلمّا رأى أهل عسكر مروان قلّة من مع الخيبري ثار إليه عبيد أهل العسكر بعمد الخيام، فقتلوا الخيبريّ و أصحابه جميعاً في حجرة مروان و حولها. و بلغ مروان الخبر و قد جاز العسكر بنحو ستة أميال منهزماً فانصرف إلى عسكره، وردّ خيوله عن مواقفها، و بات تلك الليلة في عسكره، و انصرف أيضاً عسكر الخيبري. فولّوا عليهم شيبان و بايعوه، فقاتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس و أبطل تعبئة الصفّ منذ يومئذٍ.

توجيه يزيد بن عمر بن هبيرة إلى العراق لحرب الخوارج
و في هذه السنة وجّه مروان يزيد بن عمر بن هبيرة إلى العراق لحرب من بها من الخوارج. [249] و كان بالعراق عمّال الضحّاك و فيهم عبدالله بن عمر، كما حكينا من أمره، و مضى ابن هبيرة، فأخذ على الموصل و انحطّ على غزّة

١. آ، و الأصل: فرسه. مط و الطبري (١٩٤١:٩): فرشه.

٢. كذا في الأصل و آ: مسلم بن عقيل. و ما في الطبري (١٩٤١:٩): اسحاق بن مسلم العقيلي.

من عين التمر، و بلغ ذلك المشئى بن عمران^(١) عامل الضحّاك على الكوفة، فسار إليه فيمن كان معه من الشّراة و معه منصور بن جمهور و قد كان صار إليه حين بايع الضحّاك. فالتقوا بغزّة، و اقتتلوا قتالاً شديداً أيّاماً متوالية، فقتل المشئى مع عدّة من رؤوساء أصحاب الضحّاك و هرب منصور بن جمهور و انهزمت الخوارج.

و أقبل منصور بن جمهور حتّى دخل الكوفة فجمع بها جمعاً من اليمانية و الصّفريّة و من كان تفرّق منهم يوم قتل ملحان^(٢) و من تخلف منهم عن الضحّاك فجمعهم منصور جميعاً ثمّ سار بهم حتّى نزل الروحاء.

و أقبل ابن هبيرة فى أجناده حتّى لقيهم بها فقاتلهم أيّاماً ثمّ هزمهم و قتل خلق من أصحاب الضحّاك و هرب منصور بن جمهور؛ و أقبل ابن هبيرة حتّى نزل الكوفة و نفى الخوارج عنها.

و فى هذه السنة وافى الحارث بن سريج مرو من بلاد الترك بأمان الخليفة فصار إلى نصر، ثمّ خالفه و تابعه خلق.

ذكر الخبر عن أمره و أمر

نصر بن سيار [243]

إنّ الحارث سار إلى مرو و مخرجه من بلاد الترك فقدمها يوم الأحد سنة سبع و عشرين و مائة، و يقال ثمان و عشرين و مائة، فتلّقاه سلم بن أحوز و الناس بكشماهن^(٣) فقال له محمّد بن عطية العيسى:

١. فى الطبرى (٩: ١٩١٤)؛ عمران العائذى.

٢. الضبط من الطبرى (٩: ١٩١٥).

٣. كشماهن: كذا فى الأصل. فى آ: كشماهن. و تسمى: كش ميهن أيضاً. كانت دون مرو بمنزل، على طريق بخارا، و اشتهرت بزيبها حسب اليعقوبى (الى سترنغ).

«الحمد لله الذي أقرَّ عيوننا بقُدومك و ردَّك إلى قِبْطَةِ الإسلام و إلى الجماعة.»

قال:

«يا بُنَيَّ، أما علمت أنَّ الكثير إذا كانوا على معصية الله لم يكونوا جماعة، و أنَّ القليل إذا كانوا على طاعة الله كانوا جماعة؟ و ما قرَّرت عيني منذ خرجت إلى^(١) يومى هذا و ما قرَّرة عيني إلَّا أنَّ يُطاع الله.»

فلَمَّا دخل مرو قال:

«اللَّهُمَّ إِنِّي لَمْ أَنْوَ قَطَّ فى شَيْءٍ بَيْنِي و بَيْنَهُمْ إلَّا الْوَفَاءَ، فَإِنْ أَرَادُوا الْغَدْرَ فَاَنْصُرْنِي عَلَيْهِمْ.»

و تلقَّاه نصر و أجرى عليه نُزْلًا^(٢) خمسين درهماً فى كُلِّ يومٍ، فكان يقتصر على لون واحد و أطلق له نصر من كان عنده من أهله، فلَمَّا أتاه ابنه محمَّد قال:

«اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ بَرًّا تَقِيًّا.»

و كان قدم الوضَّاح بن حبيب بن بديل على نصر من عند عبد الله بن عمر. فأتى الحارث و عنده جماعة من أصحابه فقال:

«إِنَّا بِالْعِرَاقِ نُشْهَرُ عَظَم^(٣) عَمُودِكَ و ثَقَلَهُ و إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَرَاهُ.» قال:

«مَا هُوَ إِلَّا كِبَعْضُ مَا تَرَى — و أشار إلى عمده مع قوم و قوف على رأسه —

[244] و لَكُنِّي إِذَا ضَرَبْتَ بِهِ شَهْرَتَ ضَرِبَتِي.»

و كان فى عموده ثمانية عشر رطلاً.

و عرض نصر على الحارث أن يوليَّه و يعطيه مائة ألف فلم يقبل و قال:

١. كتب فى الأصل تحت «إِلَّا» و بخط آخر: إلى.

٢. النُّزْل: العطاء.

٣. فى آ: شهر عظيم!

- «إني لست من [أهل]^(١) هذه اللذات و من [أهل] تزويج عقائل العرب في شيء أنا أسأل كتاب الله و العمل بالسنة و استعمال أهل الخير، فإن فعلت ساعدتك على عدوك.»

ثم قال لنصر:

- «خرجت من هذه البلاد منذ ثلاث عشرة سنة إنكاراً للجبور، و أنت تريدني عليه»

و أرسل الحارث إلى الكرمانى:

- «إن أعطاني نصر العمل بكتاب الله و ما سألته من استعمال أهل الخير و الفضل عضدته و قمت بأمر الله، و إن لم يفعل استعنت بك عليه و تضمن لى ما أريد من القيام بالعدل و السنة.»

و كان كلما دخل عليه بنو تميم دعاهم إلى نفسه، فبايعه قوم من رؤساءهم و انضم إلى الحارث ثلاثة آلاف.

و دخلت سنة ثمانية و عشرين و مائة

و فيها قُتل الحارث بن سريج

ذكر الخبر عن مقتله و سبب ذلك [245]

لما ولى ابن زهير العراق، كتب إلى نصر بعده، فبايع لمروان. و قال الحارث:

- «إنما آمننى يزيد بن الوليد، و مروان لا يجيز^(٢) أمان يزيد فلا آمنه.»

فلما دعا الحارث قوماً إلى مبايعته أتاه سلم بن أحوز و خالد بن هريم و

١. مزيدة من آ، فى كلا الموضعين.

٢. ما فى الأصل مهمل فى الأخير، و الإعجام من الطبرى (٩: ١٩١٧).

قَطُنُ بنِ مُحَمَّدٍ و أمثالهم فكلّموه و قالوا:

«ألم يصير نصر سلطانه و ولايته في أيدي قومك، ألم يخرجك من أرض الترك و من حكم خاقان، — و عدّدوا عليه ما اصطنعه إليه — أتخالفه فتفرّق أمر عشيرتك و تطمع فيهم عدوّهم؟ فنذكرك الله أن تفرّق جماعتنا.»

فقال الحارث:

«إني لا أرى في عشيرتي شيئاً من الولاية.»

و لم يجبههم بما أرادوا.

و خرج فحسّر و أرسل إلى نصر يسأله أن يجعل الأمر شورى. فأبى نصر، و خرج الحارث، فأتى منازل آل يعقوب بن داود. و كان الحارث يظهر أنّه صاحب الرايات السود. فأرسل إليه نصر:

«إن كنت كما تزعم و إنكم تهدمون سور دمشق و تزيلون أمر^(١) بني أميّة فخذ مني خمسمائة رأس من الدوابّ و مائتي بعير و احمل إليك من الأموال ما شئت و من آلة الحرب و سِرّ، فلعمري لئن كنت الإمام صاحب الأمر إني لفي يدك، و إن كنت لست ذلك [246] فقد أهلكت عشيرتك.»

فقال الحارث:

«قد علمت أنّ هذا حقّ، و لكن لا يبايعني عليه من صحبني.»

فقال نصر:

«فقد استبان لك أنّهم ليسوا على رأيك و لا لهم مثل بصيرتك و أنّهم فساق و رعا ع فأذكرك الله في عشرين ألفاً من ربيعة و اليمن سيهلكون فيما بينكم.» و عرض نصر على الحارث أن يوليه ما وراء النهر و يعطيه ثلاثمائة ألف قلم يقبل. فقال له نصر:

«إن شئت فابدأ بالكرمانى فإن قتلته فأنا فى طاعتك و إن شئت فخل بينى وبينه فإن ظفرت به رأيت رأيك، و إن شئت فسير بأصحابك، فإذا جُزت الرى فأنا فى طاعتك.»

فخالفه الحارث و أبى إلا أن يجعل الأمر شورى فأخذ نصر فى التأهب و صير مسلماً فى المدينة و ضم إليه الرابطة مع فرسان ضمهم إلى هذبة بن عامر و حوّل السلاح و الدواوين إلى القهّندرز، و جلس للناس.

و كان اتهم قوماً من أصحابه أنهم كاتبوا الحارث بن سريج، فأجلس عن يساره من اتهم منهم و أجلس الذين اصطنعهم عن يمينه ثم تكلم و ذكر بنى مروان و من خرج عليهم كيف أظفر الله به ثم قال لمن عن يمينه:

«إئنى أحمد الله و أذم من عن يسارى [247] و ليث خراسان ففعلت و صنعت. و ذكر حسن بلائه. و أمرتكم أن ترفعوا ما أصبتم لئما أردت المسير إلى الوليد، فمنكم من رفع ألف ألف و أكثر و أقل و فرددتها عليكم ثم فعلت فعلت فكان جزائى أن مالأتكم^(١) الحارث على، فهلاً نظرتهم إلى هولاء الأحرار. و أوما إلى من عن يمينه — الذين لزمونى مؤاسين^(٢) لى على غير بلاء.»

و اعتذر إليه الناس فقبل عذرهم و صرفهم.

و لئما انتشر فى كور خراسان أمر الفتنة قدم على نصر جماعة من رؤوساء الناس و وجوههم و كتب الحارث بن سريج سيرته فكانت تُقرأ فى طرق مرو و فى المساجد. فأجابه قوم كثير و أمر نصر الحسن بن سعد مولى قريش^(٣) فنادى فى المدينة.

«إن الحارث عدو الله قد نابذ و حارب، فاستعينوا الله، و لا حول و لا قوة

١. الممالأة: المعاونة، المساعدة.

٢. فى الطبرى (٩: ١٩٢٠): مؤاسير (كذا)، بدل: المؤاسين.

٣. تكملة من الطبرى (٩: ١٩٢٠).

إلا بالله.»

فأرسل نصر من ليلته إلى جماعة أصحابه:

«تهيأوا للقتال.»

فقال له أصحابه:

«ما نجعل شعارنا؟»

فقال مقاتل بن سليمان:

«شعارنا شعار رسول الله صلى الله عليه: حم^(١) لا يتصرون.»

و علامتهم على الرماح الصوف.

و كان الذى هاج القتال أن غلاماً للنضر بن محمد الفقيه يقال له: عطية، صار

إلى أصحاب سلم | 248 | فقال أصحاب الحارث:

«ردوه علينا.»

فأبوا فاقتتلوا فهزمهم أصحاب سلم فانتهوا إلى الحارث و هو يصلى الغداة،

فلما قضى الصلاة دنا منهم فرجعوا. ثم دنا من الحارث رجلان فناداهما عاصم.

«عرقبا^(٢) برذونه.»

فبادر الحارث أحدهما بعموده فقتله و رجع الحارث فأتبعه حماد بن عامر

و محمد بن زُرعة و هو فى سكة أبى عصمة فكسر رمحيهما بعموده و حمل

على مرزوق مولى سلم، فلما دنا منه رمى بنفسه عن فرسه و دخل حانوتاً و

ضرب برذونه على مؤخره فنفق.^(٣)

و ركب سلم حين أصبح و أمر بالخندق فخندقوا و أمر منادياً فنادى:

«من جاء برأس فله ثلاثمائة.»

١. ضبط ما فى الطبرى هكذا: حَم.

٢. عَرَقَبَ الدابة: قطع عُرْقوبها، و العرْقوب عصب غليظ فوق العقب.

٣. نفق الرجل أو الدابة: خرجت روحهما.

فلم تطلع الشمس حتّى انهزم أصحاب الحارث و مضى سلم حتّى انتهى إلى
عسكر الحارث و وجد فيه قوماً فقتلهم و فيهم كاتب الحارث و اسمه يزيد بن
داود فقتل. و مضى سلم إلى باب ييق^(١) ففتحه و قتل رجلاً كان دليّ الحارث
على نقب في الحائط دخل منه.

و أرسل نصر إلى الكرمانيّ فأتاه على عهد جرى بينهما على يد القاضي
محمّد بن ثابت و حضر القاضي و مقدام و نعيم و سلم بن أحوز فدعا نصر إلى
الجماعة. فقال الكرمانيّ: [249]

«أنت أسعد الناس بذلك.»

فوقع بين سلم بن أحوز و بين المقدام كلام فأغلظ له سلم فأعانه أخوه و
غضب لهم عبدالرحمن الجرهمي السغدّي فقال له سلم:

«لقد هممت أن أضرب أنفك بالسيف.»

فقال السغدّي:

«لو مسست السيف لم ترجع إليك يدك.»

فخاف الكرمانيّ أن يكون مكرّاً من نصر. فقام فتعلّقوا به، فلم يجلس، و
مضى إلى باب المقصورة قال: فتلقّوه بفرسه، فركب في المسجد. و قال:

«أراد نصر الغدريّ.»

فأرسل الحارث إلى نصر:

«إنّا لا نرضى بك إماماً.»

فأرسل إليه نصر:

«كيف يكون لك عقل و قد أفنيت عمرك في أرض الشرك، و غزوت

١. انضبط من الطبري (٩: ١٩٢٢)، و في حواشيه: ينق، و ما في الأصل مهمل في الوسط.
في مط: نيو (?)

المسلمين بالمشرّكين، أترانى أتضرع إليك أكثر ممّا تضرّعت؟»
و أسر يومئذٍ جهم بن صفوان صاحب الجهمية فقال لسلم:
- «إنّ لى عقداً^(١) من ابنك حارث.» قال:

- «ما كان ينبغي له أن يفعل، ولو فعل ما آمنتك و لو ملأت لى هذه الملاءة
كواكب و الله لو كنت فى بطنى لشققت بطنى حتّى أقتلك لا والله لا تقوم علينا
مع اليمانية أكثر ممّا قتت.»
و أمر عبد ربّه بن سبّسن^(٢) فقتله.

ولمّا هزم نصر الحارث أتى الحارثُ فائزة^(٣) الكرمانى حتّى دخلها [250] و
مع الكرمانى داود بن شعيب الحُدانى، و محمد بن المثنى، فأقيمت الصلوة،
فصلّى بهم الكرمانى. فلمّا كان من الغد سار الكرمانى إلى ناحية باب ميدان
يزيد، فقاتل أصحاب نصر، فقتل جماعة، و أخذوا علم عثمانى الكرمانى و
تقاتلوا يوم الأربعاء، ثمّ تحاجزوا و لم يكن بينهم يوم الخميس قتال، و التقوا
يوم الجمعة، فانهزمت الأزد حتّى و صلوا إلى الكرمانى فأخذ اللواء بيده فقاتل
به.

و حمل خضر^(٤) بن تميم فرموه بالنشّاب و حمل عليه خنيس^(٥) مولى نصر
فقطعنه فى حلقه. فأخذ الخضر السنان بيده اليسرى فشبّ به فرسه و طعن
خنيساً فأذراه^(٦) عن برذونه و قتلته رجالة الكرمانى بالعصى و انهزم أصحاب

١. فى الطبرى (٩: ١٩٢٤): وَلِيّاً. بدل «عقداً». الولّى: القُرب.

٢. الضبط من الطبرى.

٣. الفائزة: مظلة بعمودين. يقال: «ضرب الفائزة بالمفازة».

٤. آ: حصين.

٥. فى الطبرى (٩: ١٩٢٥): حُبَيْش.

٦. أذراه: أطاره. فى مط: أَرَدَاه. أى: أسقطه و أهلكه.

نصر و صُرِعَ تميم بن نصر و أخذوا له برذونين أخذ أحدهما السُغدي و الآخر الخضر.

و لحق الخضر سلم بن أحوز فتناول من ابن أخيه عموداً فضربه و صرعه. فحمل عليه رجلان من تميم فهرب فرمى سلم بنفسه تحت القناطر و به بضع^(١) عشرة ضربةً على بَيْضَتِهِ^(٢) فسقط فحملة رجل إلى عسكر نصر و انصرفوا. فلمّا كان في بعض الليل خرج نصر عن مرو، و قُتِلَ عصمة بن عبد الله الأسدي [251] و كان يحمي أصحاب نصر. و لمّا هزمت اليمانية المضريّة أرسل الحارث إلى نصر:

«إِنَّ اليمانية يعيرونني بانهزامكم و أنا كافّ، فاجعل حُماة أصحابك بإزاء الكرمانيّ.»

فبعث إليه نصر يزيد النحويّ أو خالدًا^(٣) يتوثّق منه أن يفى بما يذله من الكفّ. و إنّما كفّ الحارث عن قتال نصر لأنّ عمر بن الفضل الأزدي و أهل بيته و عبد الجبار بن العدوي و خالد بن عبيد الله و عامّة أصحابه كانوا تقموا على الكرمانيّ ما فعله أهل التبوشكان. و ذلك أنّ أسداً كان وجهه إليهم فنزلوا إليه على حكم أسد فبقر بطون جماعة و ألقاهم في نهر بلخ و قطع أيدي ثلاثمائة منهم و أرجلهم و قتل ثلثاً و صلب ثلثاً و باع أثقالهم فيمن يزيد. فنقموا على الحارث معاونته الكرمانيّ و قتاله نصرًا.

فأقام نصر بمرّو أربعة أيّام ثمّ خرج إلى نيسابور و معه سلم بن أحوز و سلم بن عبد الرحمن و قال نصر لنسائه:

«إِنَّ الحارث سيخلفني فيكنّ و يحميكنّ.»

١. في الأصل: بضعة عشر.

٢. كذا في الطبري (٩: ١٩٢٦).

٣. في الأصل و آ، و مط: خالد. و المضبوط في الطبري (٩: ١٩٢٨): أو خالدًا.

فلما قرب من نيسابور أرسل إليه أهلها:

- «ما أقدمك، و قد أظهرت العصبية و كان أمراً قد أطفأه الله؟»

و كان عامل نصر على نيسابور ضرار بن [252] عيسى العامري فأرسل إليهم نصر بن سيار سناناً الأعرابي و مسلم بن عبد الرحمن و سلم بن أحوز فكلّموهم حتّى خرجوا و تلقّوا نصراً بالموالك و الهدايا و الجوارى. و قدم من مكّة على نصر عبد الحكم^(١) بن سعد و أبو جعفر عيس. فقال نصر لعبد الحكم:

- «أما ترى ما صنع سفهاء قومك؟»

فقال عبد الحكم:

- «بل سفهاء قومك، طالت ولايتك وصيّرت الولاية لقومك دون ربيعة و اليمن فبطروا، و فى ربيعة و اليمن حلماء و سفهاء فغلب سفهاؤهم حلماءهم.»

فقال عبّاد:

- «أتستقبل الأمير بهذا الكلام؟» فقال:

- «دعه فقد صدق.»

فقال أبو جعفر عيسى لنصر:

- «أيها الأمير حسبك من الولاية، فإنّه قد أظّل أمر عظيم سيقوم رجل مجهول النسب يظهر السواد ويدعو إلى دولة لا محالة ستكون فيغلب على الأمر و أنتم تنظرون و تضطربون.»

فقال نصر:

- «ما أشبه أن يكون ما تقول لقلة الوفاء و سوء ذات البين. و جهت إلى

١. فى الطبرى (٩: ١٩٢٩): الحلیم، و فى حواشيه: الحكم.

الحارث و هو بأرض الترك فعرضت عليه الولاية و الأموال فأبى إلا الشغب^(١)
ثم ظاهر عليّ.

فقال أبو جعفر عيسى:

«إن الحارث مقتول مصلوب، و ما الكرمانيّ من ذلك [253] يبعيد.»

و لما خرج نصر من مرو و غلب الكرمانيّ عليها.

قال الحارث:

«إنما أريد كتاب الله.»

فقال مقاتل بن حيان:

«في كتاب الله هدم الدور و إنباب الأموال.»

فبلغ الكرمانيّ فحبسه في خيمة في العسكر فكلمه معمر بن مقاتل بن حيان
أو معمر بن حيان أخوه فخلّاه. و أتى الكرمانيّ المسجد و وقف الحارث
فخطب الكرمانيّ الناس و آمنهم.

و عسكر الكرمانيّ في مصلى أسد. و مضى الحارث إلى باب دروازق^(٢)
سرخس فبعث إلى الحارث فأثاه فأنكر الحارث هدم الدور و الإنباب، فهمّ به
الكرمانيّ ثم كفّ عنه.

و خرج بشر بن جرموز الضبّي بخرقان^(٣) فدعا إلى كتاب الله و السّنة و قال
للحارث:

«إنما قاتلت معك طلب العدل، فأما إذ كنت مع الكرمانيّ فقد علمت أنك
إنما تقاتل ليقال: غلب الحارث. و هذه عصبية و لست مقاتلاً معك.»

١. في الطبري (٩: ١٩٣٠): فأبى و شعث.

٢. في الطبري (٩: ١٩٣٠): باب دوران و سرخس. و الصواب باب دروازق سرخس.

دروازق: معرب الأصل الفارسي: دروازه، أي: الباب.

٣. بخرقان: الضبط بالإعجام من الطبري (٩: ١٩٣١).

و اعتزل في خمسة آلاف^(١) و قال:

«نحن الفئة العادلة ندعو إلى الحق و لا نقاتل إلا من قاتلنا».

و أتى الحارث مسجد عياض فأرسل إلى الكرمانى يدعو إلى أن يكون الأمر شورى. فأبى الكرمانى. و كتب أصحاب الحارث إلى الكرمانى و أصحابه: «نوصيكم بتقوى الله [254] و طاعته و تحريم ما حرّم الله عزّ و جلّ من دمائكم أمّا بعد، فإنّ اجتماعنا كان إلى الحارث ابتغاء الوسيلة إلى الله، و نصيحة الله فى عباده، فعرضنا أنفسنا للحرب، و دمائنا للسفك، و أموالنا للتلف، و صغر ذلك كلّ عندنا فى جنب ما نرجو من ثواب الله و نحن و أنتم إخوان فى الدين و أنصار على العدو، فاتّقوا الله و ارجعوا إلى الحقّ فإنّا لا نريد سفك الدماء بغير حقّها».

و أقاموا أيّاماً. فأتى الحارث بن سريج ثلثة فى الحائط فوسّعها عند دور آل هشام بن أبى الهيثم فتفرّق عن الحارث أهل البصائر و قال: «غدرت». و أقام معه نفر و دخل الكرمانى من باب سرخس فحاذى بالحارث و مرّ به المنخل الأزدي فقتله السّميدع و نادى: «يا لثارات لقيط».

و اقتتلوا و عيى الكرمانى ميمته و ميسرته و اشتدّ الأمر بينهما فانهزم أصحاب الحارث و قتلوا ما بين الثلثة و عسكر الحارث و كان الحارث على بغل فنزل عنه و ركب فرساً فحرّن^(٢) و انهزم أصحابه فبقى فى مائة فقتل و قُتل أخوه سوادّة و جماعة معه نحو مائة.

و كفّ الكرمانى و كان قد قُتل من أصحاب الكرمانى أيضاً مائة. [255] و

١. فى الطبرى (٩: ١٩٣١): خمسة آلاف و خمس مائة.

٢. فى الطبرى (٩: ١٩٣٢): فضربه فجرى.

صُلب الحارث عند باب مدينة مرو بغير رأس و كان قتله بعد خروج نصر من مرو بثلاثين يوماً. قُتل يوم الأحد لسبِّ بقين من رجب.
و أصاب الكرمانى صفائح ذهب للحارث، فأخذها و أخذ أموال من خرج مع نصر، و اصطفى متاع عاصم بن عُمير، فقال إبراهيم:
- «بأى شيء تستحلّ ماله؟» فقال صالح من آل الوضّاح:
- «اسقنى دمه.»

فحال بينه و بينه مقاتل بن سليمان و أتى به منزله.
و كان الحارث قبل مكاشفته الكرمانى ندم على اتباعه إياه. فلما همّ الكرمانى بقتال بشر بن جرموز، و كان عسكره خارجاً عن المدينة، قال له الحارث:

- «لا تعجل إلى قتالهم، فإنى أردّهم إليك.»
فخرج من العسكر فى عشرة فوارس حتّى أتى عسكر بشر و هو فى خمسة آلاف، فأقام معهم و قال:
- «ما كنت لأقاتلكم مع اليمانية.»
و جعل المضريّون يتسلّلون من عسكر الكرمانى إلى الحارث حتّى لم يبق مع الكرمانى مضريّ إلا سلمة بن أبى عبد الله مولى بنى سليم فإنّه قال:
- «لا أتبع الحارث أبداً فإنى لم أره إلا غادراً و المهلب بن إياس.»
و قال:

- «لا أتبعه فإنى لم أره قطّ إلا فى خيل تُطرد.»
فقاتلهم الكرمانى مراراً يقتتلون [256] ثمّ يرجعون إلى خنادقهم فمرة تكون لهؤلاء و مرة لهؤلاء.

برذون الحارث

فالتقوا يوماً و قد شرب مرثد بن عبدالله المجاشعي فخرج سكران على
برذون للحارث فطعن فصرع و حماء فوارس تميم حتى تخلص و عار البرذون.
فلما رجعوا لامه الحارث و قال:

- «كدت تقتل نفسك».

فقال للحارث:

- «إنما تقول هذا لمكان برذونك، امرأته^(١) طالق إن لم آتك بأفرو برذون في
عسكرهم».

فالتقوا من غد فقال مرثد:

- «أي برذون في عسكرهم أفرو؟» قال:

برذون عبد^(٢) الله بن ديسم الغنوي».

و أشاروا له إلى موقفه فقاتل حتى وصل إليه فلما غشيه رمى ابن ديسم
بنفسه عن برذونه و علّق مرثد عنان البرذون في رمحه و قاده حتى أتى به
الحارث و قال:

- «هذا مكان برذونك».

فلقى مخلد بن الحسن مرثداً فقال له يمازحه:

- «ما أهيا برذون بن ديسم تحتك!»

فنزل عنه فقال:

- «خذه» قال^(٣):

- «أردت أن تفضحني، أخذته منّا في الحرب و آخذه منك في السلم».

١. كذا في الأصل و مط و الطبري (١٩٣٤:٣): امرأته.

٢. كذا في الإصل و الطبري (١٩٣٣:٩): عبد. في آ: عبيد.

٣. في الأصل: «و قال» بزيادة الواو. في آو الطبري (١٩٣٤:٩): بدون الواو.

و يقال: إِنَّ الحارثَ لَمَّا أَتَى حائطَ مَروَ لَيْلاً فَتَنَقَّبَ فِيهِ بِأَباً وَ دَخَلَهُ، وَ أَصْبَحَ الْكَرْمَانِيُّ فِي أَثَرِهِ دَاخِلاً مِنَ الْبَابِ، قَالَتِ الْمَضْرِيَّةُ لِلْحَارِثِ:
- «قَدْ تَرَكْنَا الْخُنَادِقَ فَهُوَ يَوْمُنَا وَ قَدْ فَرَرْتَ غَيْرَ مَرَّةٍ».

فَتَرَجَّلَ، فَقَالَ:

- «أَنَا فَارِساً [257] خَيْرَ لَكُمْ مِنِّي رَاجِلاً».

قَالُوا:

- «لَا نَرْضَى إِلَّا أَنْ تَتَرَجَّلَ

فَتَرَجَّلَ، فَقُتِلَ هُوَ وَ أَخُوهُ بَشْرُ بْنُ جَرْمُوزَ، وَ عَدَّةٌ مِنْ فَرَسَانَ تَمِيمٍ، وَ انْهَزَمَ الْبَاقُونَ، وَ صُلِبَ الْحَارِثُ وَصِفَتْ مَروَ لِلْيَمَنِ، فَهَدَمُوا دُورَ الْمَضْرِيَّةِ. فَقَالَتْ أُمُّ كَثِيرِ الضَّبِّيَّةِ:

لا بَارِكْ ^(١) اللهُ فِي أَنثَى وَ عَذْبِهَا	تَزَوَّجْتَ مُضَرِيّاً آخِرَ الدَّهْرِ
أَبْلُغْ رِجَالَ تَمِيمٍ قَوْلَ مُوجَعَةٍ	أَحْلَلْتُهَا بِدَارِ الذُّلِّ وَ الْفَقْرِ
إِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَكْرُؤْا بَعْدَ جَوْلَتِكُمْ	حَتَّى تُعِيدُوا رِجَالَ الْأَزْدِ فِي الطَّنْجِ
إِنِّي اسْتَحَيْتُ لَكُمْ مِنْ بَذْلِ طَاعَتِكُمْ	هَذَا الْمَرْؤَنِيَّ ^(٢) يَحْبِيكُم عَلَى قَهْرٍ

توجيه أبي مسلم إلى خراسان

و فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَجَّهَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَبَا مُسْلِمٍ إِلَى خِرَاسَانَ. وَ كَتَبَ إِلَى أَصْحَابِهِ:

- «إِنِّي قَدْ أَمَرْتَهُ بِأَمْرِي، فَاسْمَعُوا مِنْهُ وَ اقْبَلُوا قَوْلَهُ. فَإِنِّي قَدْ أَمَرْتَهُ عَلَى

١. الأبيات تجدها في الطبري (٩: ١٩٣٥).

٢. في مط: المروذي.

خراسان و ما غلب عليه بعد ذلك.»

فأتاهم فلم يقبلوا قوله و لا كتابه حتّى خرجوا من قابل فالتقوا بمكة عند إبراهيم، فأعلمه أبو مسلم أنّهم لم يُنفذوا كتابه و لا أمره. فقال إبراهيم: - «إني عرضت هذا الأمر على غير واحد فأبوه عليّ فاجمعت رأيي على هذا.»

و أشار عليه، و أمرهم بالسمع [258] و الطاعة له. و كان إبراهيم عرض ذلك على سليمان بن كثير فقال: - «لا أليّ أمر اثنين أبداً.»

ثمّ عرضه على إبراهيم بن سلعة فأبى. ثمّ قال إبراهيم لأبي مسلم: - «يا عبدالرحمن، إنّك رجل منّا أهل البيت، فاحفظ وصيّتي: انظر هذا الحيّ من اليمن، فأكرمهم و خلّ بين أظهرهم فإنّ الله عزّ و جلّ لا يتمّم هذا الأمر إلّا بهم. و انظر هذا الحيّ من ربيعة، فاتهمهم في أمرهم. و انظر هذا الحيّ من ربيعة، فاتهمهم في أمرهم. و انظر هذا الحيّ من مضر، فاتهم العدو القريب الدار، و اقل من شككت في أمره و من كان في أمره شبهة و من وقع في نفسك منه شيء. و إن استطعت ألاّ تدع بخراسان لساناً عربياً فافعل. و أيّما غلام بلغ خمسة أشبار تّهمه فاقتله.»

و لا تخالف هذا الشيخ يعنى سليمان بن كثير و لا تعصه، و إذا أشكل عليك أمر فاكتف به منّي.»

أبو حمزة الخارجي يدعو الناس إلى خلاف مروان بن محمد و في هذه السنة لقي أبو حمزة الخارجي عبداً لله بن يحيى طالب الحقّ فدعاه إلى مذهبه. و كان أبو حمزة و اسمه المختار بن عوف الأزدي من أهل البصرة يوافي الموسم كلّ سنة يدعو الناس إلى خلاف مروان بن محمد و آل

مرون، حتّى وافى عبد الله بن يحيى فى آخر سنة. فقال لعبد الله بن يحيى: - «يا رجل، [259] إني أسمع كلاماً حسناً و أراك تدعو إلى حقّ، فانطلق معي فإنني رجل مطاع فى قومي.»

فخرج به حتّى ورد به حضرموت، فبايعه أبو حمزة على الخلافة و دعا إليه. و كان أبو حمزة مرّ بمعدن سليم^(١) و كثير بن عبد الرحمن عامل على المعدن فسمع بعض كلامه فأمر به فجلد أربعين سوطاً. ثمّ مضى إلى مكّة فلمّا قدم أبو حمزة المدينة و افتتحها تغيب كثير حتّى كان من أمرهم ما كان.

ثمّ دخلت سنة تسع و عشرين و مائة
و فيها كان هلاك شيبان بن عبد العزيز^(٢)
ذكر السبب فى ذلك

كان السبب فى ذلك أنّ الناس الخوارج لمّا قُتل الضحّاك بن قيس الشيباني رئيسهم ثمّ الخيبرى بعده، ولّوا أمرهم شيبان و بايعوه. فكان مروان يقاتلهم. فقال سليمان بن هشام بن عبد الملك للخوارج و هو يومئذٍ معهم فى عسكرهم: - «إنّ الذى تفعلون ليس برأى فإن أخذتم، برأى و إلّا انصرفت عنكم.» قالوا: «و ما الرأى؟»

قال: «إنّ أحدكم يظفر ثمّ يستقتل فيقتل. فأرى أن تنصرف على حاميتك حتّى تنزل [260] الموصل و تخندق.»

فقبل منه و ارتحل و اتّبعه مروان فكان إذا رحل عن منزل نزل موضعه حتّى أتى الموصل فنزل شيبان بشرقى دجلة من الموصل و خندق و نزل مروان

١. فى الطبرى (٩: ١٩٤٣): بنى سليم. فى مط: معدن سليم

٢. العنوان غير موجود فى مط.

بإزائه من غريبها و خندق. فأقام سنة يقاتلهم بكرة و عشية. فبرز يوماً ابن أخى سليمان بن هشام، و كان مع عمه سليمان فى عسكر شيبان، فبارزه رجل من فرسان مروان، فأسره الرجل، و أتى به مروان فقال:

«أنشدك الله و الرحم يا عم».

فقال: «ما بينى و بينك اليوم رحم».

فأمر به، و عمه سليمان و اخوته ينظرون، فقطعت يده و رجلاه و ضربت عنقه.

و كتب مروان إلى يزيد بن عمر بن هبيرة يأمره بالمسير من قرقيسيا بجميع من معه إلى عبدة بن سوار خليفة الضحاك بالعراق فلقى خيوله بعين التمر. فقاتلهم فهزمهم و عليهم يومئذ المثنى بن عمران. ثم تجمعوا له بالنخيلة من الكوفة فهزمهم، ثم تجمعوا له بالصراة، و معهم عبدة، فقتل عبدة، و هزم أصحابه و استباح عسكرهم. فلم تكن لهم بقية بالعراق، و استولى ابن هبيرة عليها.

و كان منصور بن جمهور معهم فمضى حتى غلب على الماهين و الجبل و سار سليمان بن هشام حتى لحق بابن معاوية الجعفرى بفارس. و بقى ابن عمر [261] بواسطة حتى سار إليه ابن هبيرة فأخذه و حبسه. فكتب مروان إلى ابن هبيرة لما صفت له العراق أن: أمدنى بعامر بن ضبارة فى أهل الشام. فأمدّه به فسار فى أهل الشام حتى انتهى إلى السين^(١)، فلقاه بها الجئون بن كلاب الخارجى، فهزم ابن ضبارة^(٢) حتى أدخله السين فتحصن و جعل مروان يمدّه بالجنود من طريق البر حتى ينتهوا إلى السين، ثم يقطعوا دجلة إلى ابن ضبارة،

١. السين: مدينة على دجلة فوق تكريت عند مصب الزاب الأسفل (مرصد الإطلاع).

٢. كذا ضبط فى الأصل: ضبارة (بالفتح) فى الطبرى (٩: ١٩٢٧): ضبارة.

حتى كثروا. فنهض إلى الجّون فقتله.

و سار ابن ضَبارة مُصْعِداً إلى الموصل. فلما انتهى خبر الجّون و قتله إلى شيبان و مسير عامر انخزل، و كان شيبان لَمّا بلغه مسير ابن ضَبارة خاف أن يأتيه من ورائه. فأرسل الجّون مع عدّة وافرّة ليشغله فحصره حتى كان من أمره ما كان.

و لحق أصحاب الجون بشيبان و ابن ضَبارة في آثارهم. فكان شيبان و الخوارج يقاتلون من وجهين. نزل ابن ضَبارة من ورائهم ممّا يلي العراق و مروان أمامهم ممّا يلي الشام فقطع عنهم المادّة و الميرة و غلت أسعارهم حتى بلغ الرغيف درهماً. ثم ذهب الرغيف فلا شيء يُشترى بغالٍ ولا رخيص. فانتقل إلى شهرزور [262] من أرض الموصل فعاب عليه ذلك أصحابه و اختلفت كلمتهم و ارتحل شيبان و من معه و أخذوا على حلوان إلى الأهواز و فارس و وجّه مروان إلى ابن ضَبارة ثلاثة من قواده في ثلاثة آلاف من رابطة^(١) أحدهم مصعب و الآخر شقيق و عطيف.

و كتب إليه يأمرهم باتّباعهم و ألا يُقلع عنهم حتى يبهرهم و يستأصلهم، فلم يزل يتبعهم حتى وردوا فارس و خرجوا منها و هو في ذلك يستسقط من لحق من أخرياتهم حتى تفرّقوا، و أخذ شيبان في فرقة إلى البحرين فقتل بها.

و أقبل عامر بن ضَبارة حتى نزل بإزاء ابن معاوية، و ناهضه القتال، فانهزم ابن معاوية و لحق بهرة. و سار سليمان إلى جیرفت فركب السفن فيمن معه من موالیه و أهل بيته إلى السند، و انصرف مروان إلى منزله من حرّان و أقام بها إلى أن شخص منها إلى الزاب.

إبراهيم بن محمد يأمر أبا مسلم بإظهار الدعوة و التسويد بخراسان
و فى هذه السنة أمر إبراهيم بن محمد أبا مسلم و كان شخص من خراسان
يريده حتى بلغ قومس، بالانصراف إلى شيعته بخراسان و أمره بإظهار الدعوة
إليهم و التسويد.

ذكر الخبر عن ذلك و عن مبدأ أمرهم

لم يزل أبو مسلم^(١) يختلف إلى خراسان حتى وقعت العصبية بها. فلما
اضطرب الحيل كتب سليمان بن كثير إلى أبي سلمة الخلال يسأله أن يكتب إلى
الإمام حتى يوجه رجلاً من أهل بيته فكتب أبو سلمة إلى إبراهيم. فبعث أبا مسلم،
و قد كتبنا خبره فيما تقدم، ثم كتب إبراهيم إلى أبي مسلم يأمره بالقدوم عليه،
يسأله عن أخبار الناس. فخرج فى النصف من جمادى الآخرة مع سبعين نفرًا
من النقباء بالذئدائقان^(٢) من أرض خراسان. فعرض له كامل أو ابن كامل فقال:
- «أين تريدون؟» قالوا:

- «الحج».

ثم خلا به أبو مسلم فدعاه فأجابه و كف عنه. و مضى أبو مسلم إلى بيرو^(٣)
فأقام بها. ثم سار إلى نسا^(٤) و عليها سليمان بن قيس السلمى عاملاً لنصر بن

مركز تحقيق كتاب تاريخ علوم اسلامی

١. انظر الطبرى (٩: ١٩٤٩).

٢. فى الأصل: بانداندائقان (بالإهمال و التصحيف). و لعل الصواب ما أثبتناه، و هو من
الطبرى (٩: ١٩٥٠).

٣. بيرو: مهمل في الأصل. و قد تكررت فى ص [265] فصاعداً. و ما فى الطبرى
(٩: ١٩٥٠): بيرو.

٤. فى الأصل: «نساء» بكسر الأول و تشديد الثانى و المد هنا أو فى المواضع الآتية
بالقصر. و فى الطبرى (٩: ١٩٥٠) و المعجم و المراد: «نسا» بالفتح و التخفيف و القصر.
فوجدنا الضبط حسب الطبرى و المعجم و المراد.

سيّار، و كان قد تعرّض قبل ورود أبي مسلم لقوم من الشيعة فأخذهم. و بلغ أبا مسلم فتتكبّط الطريق و أخذ في أسفل القرى حتّى أتى قومس و عليها بيّهس بن بُديل العجلى فاتاهم بيّهس فقال:

- «أين تريدون؟» قالوا:

- «نريد الحجّ.» قال:

- «معكم فضلُ برذون تبيعونه؟»

قال أبو مسلم:

- «أما بيعاً فلا و لكن خُذْ أَيْ دوابّ شئت.» قال:

- «أعرضوها عليّ.»

فعرضوها عليه فأعجبه برذون [264] منها سمّند. فقال أبو مسلم:

- «هو لك.» قال:

- «لا أقبله إلّا بشمن.» قال:

- «احتكم.» قال:

- «سبعمائة.» قال:

- «هو لك.»

فأتاه و هو بقومس كتاب من الإمام و كتاب إلى سليمان بن كثير. فكان في

كتاب أبي مسلم: *مركز تحقيق كتاب تواتر علوم إمامي*

- «إني قد بعثت إليك براءة النصر، فارجع من حيث لقيك كتابي و وجه

قحطبة بما معك يوافني به بالمواسم.»

فانصرف أبو مسلم إلى خراسان، و وجه قحطبة إلى الإمام فلمّا كانوا بنّسا.

عرض لهم صاحب مَسْلحة في قرية من قرى نسا فقال لهم:

- «من أنتم؟» قالوا:

- «أردنا الحجّ. فبلغنا عن الطريق شيء خفناه.»

فرفعهم إلى عاصم بن قيس الشامي، فسألهم عن خبرهم فأخبروه فقال: «ارتحلوا».

و أمر المفضل و كان على شرطته أن يُزعجهم فخلا أبو مسلم بالمفضل، فأجابه، و قال:

«ارتحلوا على مهل و لا تعجلوا».

و أقام عندهم حتى ارتحلوا. فقدم أبو مسلم مرو في أول يوم من شهر رمضان سنة تسع و عشرين و مائة. فدفع كتاب الإمام الى سليمان بن كثير. و كان فيه أن:

«أظهر دعوتك و لا تريص».

فنصبوا أبا مسلم و قالوا:

«رجل من أهل البيت».

و دعوا إلى طاعة بني العباس، و أرسلوا إلى من قُرِب منهم و من بُعِد [265] ممن أجابهم فأمرهم بإظهار أمرهم و الدعاء. فنزل أبو مسلم قرية من قرى خُزاعة يقال لها سيكيدنج^(١) و شيبان و ابن الكرماني يُقاتلان نصر بن سيار. فبث أبو مسلم دُعاته في الناس و ظهر أمره و قال الناس:

«قدِم رجل من بني هاشم».

فاتوه من كل وجه، و ظهر يوم الفطر في قرية خالد بن إبراهيم. فصلّى بالناس يوم الفطر القاسم بن مجاشع المري ثم ارتحل فنزل باللين و هي قرية لخُزاعة فوافاه في يوم واحد أهل ستين قرية.

فأقام إثنين و أربعين يوماً. و كان أول فتح أتى أبا مسلم من قبل موسى بن

١. كذا في الأصل: سيكيدنج (بالإهمال). في الطبري (٩: ١٩٥٢٩): سفيدنج، و في حواشيه صور كثيرة من الضبط و التصحيف و لعل الصواب ما في الطبري حيث تكرر الاسم في مواضع آتية فيه و في هذا النص أيضاً.

كعب في بيرو^(١) و تشاغل بقتل عاصم بن قيس ثم جاء فتح من قبل مرو
الرو.

و كان أبو مسلم وجه أبا الجهم ابن عطية إلى العلاء بن حريث بخوارزم
بإظهار الدعوة في شهر رمضان لخمس تبقى^(٢) من الشهر، فإن أعجلهم عدوهم
دون الوقت فعرضوا لهم بالأذى و المكروه، فقد حلّ لهم أن يدفعوا عن أنفسهم،
و أن يُظهروا السيوف و يجردوها من أغمادها و يجاهدوا أعداء الله، و إن شغلهم
عدوهم عن الوقت فلا حرج عليهم [266] أن يُظهروا بعد الوقت.

الظلّ و السحاب

فلما كان ليلة الخميس لخمس تبقى من شهر رمضان سنة تسع و عشرين و
مائة اعتقد^(٣) اللواء الذي بعث به الإمام الذي يدعى: الظلّ، على رمح طوله أربع
عشرة ذراعاً، و عقد الراية التي بعث بها الإمام التي تدعى: السحاب، على رمح
طوله ثلاثة عشر ذراعاً و هو يتلو: «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأَنَّهُمْ ظَلَمُوا و إِنْ أَرَادَ
اللهُ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدْ نَصَرَهُمْ»^(٤)

و لبس السواد هو و سليمان بن كثير و أخوه سليم و مواليه و من كان أجاب
الدعوة من أهل إسفيدنج^(٥) و أوقد النيران ليلته للشيعه و كانت العلامة، فتجمّعوا
له حين أصبحوا مُعَدِّين، و تأويل هذين الإسمين: الظلّ و السحاب، أن السحاب

١. انظر التعليق الذي مرّ.

٢. في الطبري (٩: ١٩٥٣): تبقيين.

٣. في مط: عقد.

٤. س ٢٢ الحج: ٣٩.

٥. كذا في الطبري (٩: ١٩٥٣) بالضبط و ما في الأصل كان مهملأ فأعجمناه حسب
الطبري. و الهمزة تحذف في المواضع الآتية من النص. و سقيذنج من قرى مرو (مراسد
الإطلاع).

يطبّق الأرض فكذاك دعوة ولد العباس تُطبّق الأرض، و تأويل الظلّ أنّ الأرض لا تخلو من الظلّ أبداً، فكذاك لا تخلو الأرض من خليفة عباسيّ أبداً الدهر. و قدّمت على أبي مسلم الدّعاة من أهل مرو بمن أجاب الدعوة فكان أولّ من قدّم عليه أهل التقادّم مع أبي الوضّاح في تسع مائة راجل و أربعة فرسان. و قدّم أهل السقاّدّم مع أبي القاسم مُحَرِّز بن إبراهيم في ألف و ثلاثمائة راجل و ستّة عشر فارساً، فجعل أهل التقادّم^(١) يُكَبِّرون من ناحيتهم [267] و أهل السقاّدّم يجيبونهم بالتكبير. فلم يزالوا كذلك حتّى دخلوا عسكر أبي مسلم بسيفيذنج^(٢) و ذلك يوم السبت من بعد ظهور أبي مسلم بيومين.

و أمر أبو مسلم أن يُرْمَ حصن سيفيذنج و تُحصَن و تُدرَّب سيفيذنج بالدروب. فلمّا حضر العيد من يوم الفطر بسيفيذنج أمر أبو مسلم سليمان بن كثير أن يُصَلّي به و بالشّيعه، و نصب له منبراً في العسكر، و أمره أن يبدأ بالصلاة قبل الخطبة، بغير أذان و لا إقامة. و كانت يومئذٍ تُبدأ بالخطبة بأذان ثمّ الصلاة بإقامة على رسم صلاة يوم الجمعة، فيخطبون على المنابر جلوساً في الجُمع و الأعياد. و أمر أبو مسلم سليمان بن كثير في الركعة الأولى أن يُكَبِّر ستّ تكبيرات تباعاً. ثمّ يقرأ و يركع السادسة^(٣) و يفتتح الخطبة بالتكبير ثمّ يختتمها بالقرآن، و كانت بنو أميّة تكبّر في الركعة الأولى أربع تكبيرات يوم العيد، و في الثانية ثلاث تكبيرات. فلمّا قضى سليمان بن كثير الخطبة و الصلاة انصرف أبو مسلم و الشّيعه إلى طعام قد أعدّه لهم أبو مسلم فطعموا مُستبشرين.

١. في مط و الطبري (٩: ١٩٥٥): السقاّدّم (في كلا الموضعين). و في حواشي الطبري: التقادّم.

٢. ضبط الاسم في الأصل بالذال و بالذال كليهما. فوحدنا الضبط على الذال المعجمة.
٣. في آ: و يركع بالسابعة. و يكبّر في الركعة الثانية خمس تكبيرات تباعاً، ثم يركع السادسة.

و كان أبو مسلم و هو في الخندق، إذا كتب إلى نصر بن سيار، يكتب:
«للأمير نصر» فلما قوى بمن اجتمع إليه [268] في خندقه من الشيعة بدأ بنفسه.
و كتب إلى نصر:

«أما بعد، فإن الله، تباركت أسماؤه و تعالى ذكره، عيّر قوماً فقال:
«و أقسموا بالله جهنم لئن جاءهم نذير لئلا يؤمنوا» أهدى من
إحدى الأمم، فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً، استكباراً في
الأرض و مكر السيئ، و لا يحق المكر السيئ إلا بأهله، فهل
يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ، فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا، و لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ
اللهِ تَحْوِيلًا»^(١)

فتعاضل نصر الكتاب، و أنه بدأ بنفسه و كسر له إحدى عينيه^(٢) و أطال الفكرة
ثم قال:

«هذا كتاب له أخوات»

و لما استقر بأبي مسلم معسكره بالماخوان^(٣) أمر مُحَرِّز بن إبراهيم أن
يخندق خندقاً بجيرنج^(٤) و يجمع إليه أصحابه و من نزع إليه من الشيعة فيقطع
مادة نصر بن سيار من مرور الرود و من بلغ من كور طخارستان. ففعل ذلك
مُحرز و اجتمع إليه في خندقه نحو من ألف رجل. فأمر أبو مسلم كامل بن مظفر

١. س ٣٥ الفاطر: ٤٢-٤٣.

٢. لعله من قولهم: كسر من طرفه و على طرفه: غض منه شيئاً.

٣. الماخوان: كذا في الأصل بفتح الخاء المعجمة. و في الطبري (٩: ١٩٥٦) بضمها. و
في حواشيه: المارخوان. في آ: ماجوان.

٤. كذا في الطبري أيضاً.

أن يوجّه رجلاً إلى خندق مُحَرَز بن إبراهيم لعرض من فيه و إحصاءهم في دفتر بأسماءهم و أسماء آبائهم و قراهم. فوجّه كامل حُمَيْدُ الأَزْرَق الكاتب، فأحصى في خندق مُحَرَز ثمانمائة رجل و أربعة رجال [269] و أسماء آبائهم و قراهم. فوجّه من أهل الكَفّ، فكان يُجلب له الغنم من هِراة إلى مرو، و من ربع خُرْفان^(١) و من رُبْع^(٢) السَقَاذِم. ظم يزل مُحَرَز مقيماً في خندقه حتّى دخل أبو مسلم حائط مرو و عطل الخندق بماخوان و إلى أن عسكر بباب سرخس يريد نيسابور فضمّ إليه مُحَرَزاً و أصحابه.

نصر يوجّه يزيد لمحاربة أبي مسلم

أول حرب وقعت بين العباسية و بني مروان

ثمّ إن نصر بن سيار وجّه مولى له يُقال له: يزيد،^(٣) في خيل عظيمة لمحاربة أبي مسلم، و ذلك بعد ثمانية عشر شهراً من ظهوره. فوجّه إليه أبو مسلم أبا نصر مالك بن الهيثم الخزاعي و معه مصعب بن قيس. فالتقوا بقرية تُدعى: آلين، فدعاهم مالك إلى الرضا من آل رسول الله صلّى الله عليه، فاستكبروا عن ذلك. فصافّهم مالك و هو في نحو من مائتين من أول النهار إلى وقت العصر. و قدّم على أبي مسلم، صالح بن سليمان الضبّي، و إبراهيم بن يزيد، و زياد بن عيسى، فوجههم إلى مالك بن الهيثم، فقدموا عليه مع العصر، فقوى بهم. فقال يزيد مولى نصر بن سيار لأصحابه:

«إن تركنا هؤلاء الليلة، أتنهم الأمداد، فاحملوا على القوم.»

ففعّلوا، فترجّل أبو نصر، و حضّ أصحابه، فاجتلدوا جِلاداً صادقاً، و صبر

١. في مط و الطبري (٩: ١٩٥٧): ٢: طرقان. في آ: خروان.

٢. الضبط من الأصل و في الطبري غير مضبوط.

٣. انظر الطبري ٩: ١٩٥٧.

الفريقان فقتل من شيعة [270] بنى مروان نفر و أسير جماعة. و حمل عبدالله الطائى على يزيد مولى نصر و هو عميد القوم، فأسره، و انهزم أصحابه. فوجه أبو نصر بالأسير مع عبدالله الطائى وعدة من أصحابه و معهم الأسرى و الرؤوس. و أقام أبو نصر فى معسكره، فقدم الوفد على أبى مسلم فى معسكره بسيفينج. فأمر أبو مسلم بالرؤوس فنصبت على باب الحائط الذى فى معسكره، و دفع يزيد و الأسرى إلى أبى إسحاق خالد بن عثمان، و أمره أن يعالج يزيد مولى نصر من جراحات كانت به و يحسن تعهده.

و كتب إلى أبى نصر مالك بالقدوم عليه. فلما اندمل يزيد مولى نصر من جراحاته دعاه أبو مسلم فقال:

- «إن شئت أن تقيم معنا و تدخل فى دعوتنا، فقد أرشدك الله، و إن كرهت فارجع إلى مولاك سالماً و أعطنا عهدك بالله ألا تحاربنا أبداً، و لا تكذب علينا، و أن تقول فينا ما رأيت.»

فاختار الرجوع إلى مولا. فخلّى له الطريق و قال أبو مسلم لأصحابه: - «إن هذا سيرد عنكم الورع و الصلاح فإننا عندهم على غير الإسلام.» و كذلك كانوا عندهم يرجفون عليهم بعبادة الأوثان و استحلال الدماء و الأموال [271] و الفروج. فلما قدم يزيد على نصر قال له:

- «لا مرحباً بك، و الله ما استبقاك القوم إلا ليتخذوك حجة علينا.» قال يزيد:

- «فهو و الله ما ظننت. و قد استحلفونى ألا أكذب عليهم. و أشهد: لقد رأيتهم يصلّون الصلاة الخمس لمواقيتها بأذان و إقامة، و يتلون القرآن و يذكرون الله كثيراً و يدعون إلى ولاية آل رسول الله صلّى الله عليه، و ما أحسب أمرهم إلا سيعلوا و يظهر.»

فهذه أوّل حرب كانت بين الشيعة العباسية و شيعة بنى مروان.

و قد رُوي في مبدأ خبر أبي مسلم رواية أخرى، و هي أن أبا مسلم لما قدم خراسان كان حديث السن، فلم يقبله سليمان بن كثير و تخوَّف ألا يقوى على أمرهم و خاف على نفسه و أصحابه فردّه.

احتجاج أبي داود

و كان أبو داود خالد بن إبراهيم غائباً وراء نهر بلخ. فلما انصرف و قدم مرو أقرأوه^(١) كتاب الإمام فسأل عن الرجل الذي وجهه فأخبروه أن سليمان بن كثير ردّه.

فأرسل إلى جميع النقباء فاجتمعوا في منزل عمران بن إسماعيل. فقال لهم أبو داود:

- «أتاكم كتاب الإمام إبراهيم فيمن وجهه إليكم فرددتموه، فما حجّتكم في ردّه؟»

فقال سليمان بن كثير:

- «لحدائث سنّه، و تخوَّفنا ألا [272] يقدر على القيام بهذا الأمر و أشفقنا على من دعوّنا إليه و على أنفسنا»
فقال أبو داود:

- «هل فيكم من يشك أن الله عزّ و جلّ، إختار محمداً صلى الله عليه، و انتخبه و اجتباّه، و بعثه برسالته إلى جميع خلقه؟» قالوا:
- «لا». قال:

- «أفتشكّون أن الله أنزل عليه كتابه فأتاه به الروح الأمين، أحلّ فيه حلاله، و

١. في الاصل: أقرؤه. طبطنها هكذا مع أن رسم «أقرؤه» متبع أيضاً.

حَرَمَ فِيهِ حَرَامُهُ وَ شَرَعَ [فِيهِ] ^(١) شَرَائِعَهُ وَ سَنَّ فِيهِ سُنَنَهُ وَ أَنْبَأَ فِيهِ بِمَا كَانَ قَبْلَهُ
وَ مَا هُوَ كَانَ كَائِنَ بَعْدَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟»

قَالُوا: «لَا». قَالَ:

«أَفْتَشْكُونَ أَنَّ اللَّهَ قَبَضَهُ إِلَيْهِ بَعْدَ مَا أَدَّى مَا ^(٢) عَلَيْهِ مِنْ رَسُولَةِ رَبِّهِ؟»

قَالُوا: «لَا». قَالَ:

«أَفْتَضَنُّونَ أَنَّ ذَلِكَ الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ لِيَقُومَنَا بِهِ رُفِعَ مَعَهُ أَوْ خَلَّفَهُ؟»

قَالُوا: «بَلْ خَلَّفَهُ». قَالَ:

«أَفْتَضَنُّونَهُ خَلَّفَهُ عِنْدَ غَيْرِ عَتْرَتِهِ وَ أَهْلَ بَيْتِهِ الْأَقْرَبَ فَالْأَقْرَبُ؟»

قَالُوا: «لَا». قَالَ:

«فَهَلْ فِيكُمْ مَنْ إِذَا رَأَى مِنْ هَذَا الْأَمْرِ إِقْبَالًا وَ رَأَى النَّاسَ مُجِيبِينَ إِلَيْهِ، بَدَأَ

لَهُ أَنْ يَصْرِفَ ذَلِكَ إِلَى نَفْسِهِ؟»

قَالُوا: «اللَّهُمَّ لَا، وَ كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟» قَالَ:

«لَسْتُ أَقُولُ إِنَّكُمْ فَعَلْتُمْ، وَ لَكِنِ الشَّيْطَانُ رَبَّمَا نَزَعَ النَّزْعَةَ فِيمَا يَكُونُ وَ

فِيمَا لَا يَكُونُ». قَالَ:

«فَهَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ بَدَأَ لَهُ [273] أَنْ يَصْرِفَ هَذَا الْأَمْرَ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ إِلَى

غَيْرِهِمْ مِنْ عَتْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ؟»

قَالُوا: «لَا». قَالَ:

«أَفْتَشْكُونَ فِي أَنَّهُمْ مَعْدِنَ الْعِلْمِ وَ أَصْحَابَ مِيرَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ؟» قَالُوا:

«اللَّهُمَّ لَا» قَالَ:

١. فِيهِ: زِيَادَةٌ مِنْ نَصِّ الطَّبْرِيِّ (٩: ١٩٦١).

٢. فِي مَط: عَمَّا.

- «فأراكم قد شككتكم في أمركم، ورددتم عليهم علمهم، ولو لم يعلموا أن هذا الرجل هو الذي ينبغي له أن يقوم بأمرهم لم يبعثوه إليكم و هو لا يتهم في موالاتهم و نصرتهم و القيام بحقهم».

ردّ أبي مسلم من قومس و تولية الأمر إياه

فبعثوا إلى أبي مسلم^(١) و ردّوه من قومس بقول أبي داود، و ولّوه أمرهم و سمعوا له و أطاعوا. فلم تزل تلك في نفس أبي مسلم على سليمان بن كثير و لم يزل يعرفها لأبي داود.

و أطاعت الشيعة من النقباء و غيرهم أمر أبي مسلم. فبثّ الدعاة في أقطار خراسان و دخل الناس أفواجا. و كتب إليه إبراهيم في إظهار دعوته و أن يوجّه إليه^(٢) يخطّبة بن شبيب و يحمل إليه ما اجتمع عنده من الأموال، فكان اجتمع عنده ثلاثمائة ألف و ستون ألف درهم، فاشترى بها متاع التجار من القوّه و المروى و الحرير و الفرند، و جعلها بعضها سبائك ذهب و فضّة و جعلها في الأقبية المحشوة و أشباهها. فبعث [274] جميع ذلك مع قحطبة حين اجتمعت القوافل و أمّن على ما أنفذه.

تحالفت عامّة قبائل العرب في خراسان على قتال أبي مسلم و في هذه السنة تحالفت عامّة من كان بخراسان من قبائل العرب على قتال أبي مسلم و ذلك حين كثر أتباع أبي مسلم و قوى أمره.

١. في الطبري (٩: ١٩٦٢): فبعثوا آل أبي مسلم.

٢. في مط: إليهم.

ذكر السبب في ذلك

لَمَّا ظَهَرَ أَبُو مُسْلِمٍ، سَارِعَ إِلَيْهِ النَّاسُ، وَجَعَلَ أَهْلُ مَرُو يَأْتُونَهُ لَا يَعْزِضُ لَهُمْ أَحَدٌ، وَكَانَ الْكُرْمَانِيُّ وَشَيْبَانُ لَا يَكْرَهُانِ أَمْرَ أَبِي مُسْلِمٍ لِأَنَّهُ دَعَا إِلَى خُلْعِ بَنِي مَرُوَانَ وَأَبُو مُسْلِمٍ فِي آلِينَ فِي خَبَاءٍ لَيْسَ لَهُ حَرَسٌ وَلَا حُجَّابٌ. فَعَظُمَ أَمْرُهُ عِنْدَ النَّاسِ وَقَالُوا:

- «ظَهَرَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ لَهُ حِلْمٌ وَوَقَارٌ وَعَلَيْهِ سَكِينَةٌ».

فَانْطَلَقَ عِنْدَ ذَلِكَ فَتِيَةٌ مِنْ أَهْلِ مَرُو نُسَّاكٍ، كَانُوا يَطْلُبُونَ الْفَقْهَ، فَأَتَوْا أَبَا مُسْلِمٍ فِي عَسْكَرِهِ. فَسَأَلُوهُ عَنْ نَسَبِهِ فَقَالَ:

- «خَبَّرَنِي خَيْرُ لَكُمْ مِنْ نَسَبِي».

وَسَأَلُوهُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنَ الْفَقْهِ فَقَالَ:

- «إِنَّ أَمْرَكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيِكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ هَذَا وَنَحْنُ فِي

شُغْلٍ^(١) فَاعْفُونَا لِنَتَوَقَّرَ^(٢) عَلَى مَا أَنْتُمْ أَحْوَجُ وَنَحْنُ إِلَيْهِ».

قَالُوا:

- «وَاللَّهِ مَا نَعْرِفُ لَكَ نَسَبًا وَلَا نَنْظُنُّكَ تَبْقَى إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى تُقْتَلَ [275] وَمَا

بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَتَفَرَّغَ لَكَ أَحَدُ هَذَيْنِ الْأَمِيرَيْنِ».

قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ:

- «بَلْ أَنَا أَقْتُلُهُمَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

وَرَجَعَ الْفَتِيَّةُ فَأَتَوْا نَصْرًا فَحَدَّثُوهُ. فَقَالَ:

- «جَزَاكُمْ اللَّهُ خَيْرًا مِثْلَكُمْ تَفَقَّدَ هَذَا وَعَرَفَهُ».

وَأَتَوْا شَيْبَانَ فَأَعْلَمُوهُ. فَقَالَ:

١. وَنَحْنُ إِلَى عَوْنِكُمْ أَحْوَجُ مِمَّا إِلَى مَسْأَلَتِكُمْ فَاعْفُونَا. (الطبري ٩: ١٩٦٥).

٢. فِي مَطٍّ: لِيَتَوَقَّى.

- «نحن قد أشجى بعضنا بعضاً».

فأرسل إليه نصر:

- «إن شئت فكُفَّ عني حتى أقاتله و إن شئت فجامعني^(١) على محربه حتى أقتله أو أنفيه، ثم نعود لأمرنا».

فهم شييان أن يفعل ذلك و ظهر في العسكر،^(٢) و أتت عيون أبي مسلم أبا مسلم فأخبروه. فقال سليمان لأبي مسلم:

- «ما هذا الأمر الذي بلغهم تكلمت عند أحد بشيء؟»

فأخبره بخبر الفتية فقال:

- «هذا إذا لذاك».

فكتبوا إلى علي بن الكرمانى: إنك موتور. قُتل أبوك و نحن نعلم أنك لست على رأى شييان، و إنما تقاتل لثأرك، فامنع شييان من صلح نصر.

فدخل على شييان فكلّمه و ثناه عن رأيه. فأرسل نصر إلى شييان:

- «إنك مغرور، و أيم الله إنى أرى هذا الأمر يتفاقم حتى تستصغرنى فى

جنبه».

فبينما هم فى أمرهم إذ بعث أبو مسلم النضر بن نعيم الضبى إلى هراة و عليها عيسى بن عقيل بن معقل الليثى، فطرده من هراة. فقدم عيسى بن عليّ على نصر منهزماً، [276] و غلب النضر على هراة، و غلب خازم بن خزيمة على مرو الرود، و قُتل عامل نصر بن سيار، و كتب بالفتح إلى أبي مسلم مع ابنه خزيمة بن خازم.

فقال يحيى بن نعيم بن هيرة الشيبانى:

١. فى مط: فجئ معى، بدل «جامعني». و الطبرى (٩: ١٩٦٦) كالأصل.

٢. و العبارة فى الطبرى: فهم شييان أن يفعل، فظهر ذلك فى العسكر (نفس الصفحة).

- «إختاروا إما أن تهلكوا أنتم قبل مُضَرَّ أو تهلك مُضَرَّ قبلكم.» قالوا:
- «و كيف ذلك؟» قال:

- «إنَّ هذا الرجل إنما ظهر منذ شهر و قد صار في عسكره مثل عسكركم.»
قالوا: «فما الرأي؟» قال:

- «صالحوا نصراً فإئكم إن صالحتموه قاتلوا نصراً و تركوكم، لأنَّ الأمر في
مُضَرَّ، و إن لم تصالحوا نصراً صالحوه و قاتلوكم ثم عادوا عليكم.»
قالوا: «فما الرأي؟» قال:

- «قدّموهم قبلكم و لو بساعة. فتقرّ أعينكم بقتلهم.»
فأرسل شيبان إلى نصر يدعو إلى المودعة فأجابه. و أرسل إليه سلم بن
أحوز، فكتب بينهم كتاباً و أتى به شيبان و عن يمينه ابن الكرمانى و عن يساره
يحيى بن نعيم. فقال سلم لابن الكرمانى:
- «يا أعور، ما أخلقك أن تكون الأعور الذى بلغنا أن هلاك مضر يكون على

يده.»

ثم توادعوا سنة، و كتبوا بينهم كتاباً، فبلغ أبا مسلم، فأرسل إلى شيبان:
- «إنّا نوادعك أشهراً.»

فتوادعا ثلاثة أشهر. فقال ابن الكرمانى:

- «فأنى و الله ما صالحت نصراً و إنما صالحه [277] شيبان و أنا لذلك كاره
و أنا موتور و لا أدع قتاله.»

فعاوده القتال و أبى شيبان أن يعينه و قال:

- «لا يحلّ الغدر.»

فأرسل ابن الكرمانى إلى أبى مسلم يستنصره على نصر بن سيار، فأقبل أبو

مسلم حتى نزل الماخوان^(١). فأرسل إلى ابن الكرمانى شبيل بن طهمان يعرفه
أتى قد أقبلت و أتى معك على نصر. فقال ابن الكرمانى لشبيل:
- «إنى أحب أن يلقانى أبو مسلم».

فأبلغه ذلك شبيل، فأقام أبو مسلم أربعة عشر يوماً، ثم سار إلى ابن الكرمانى
و خلف عسكره بالماخوان، فتلقاه عثمان الكرمانى فى خيل و سار معه حتى
دخل العسكر و أتى حجرة على، فوقف حتى أذن له. فدخل و سلم على على
بالإمرة و قد اتخذ على له منزلاً فى قصر لمخلد بن الحسن الأزدي فأقام
يومين ثم انصرف إلى عسكره بالماخوان و كان احتفر بها خندقاً و جعل له
بابين و وكل بكل باب ثقة و استعمل على الشرط أبا نصر مالك بن الهيثم، و
على الحرس أبا إسحاق خالد بن عثمان، و على ديوان الجند كامل بن مظفر و
يكنى أبا صالح، و على الرسائل أسلم بن صبيح، و على القضاء القاسم بن
مُجاشع النقيب.

فكان القاسم بن مُجاشع يصلى بأبى مسلم فى الخندق [278] الصلوات و
يقص القصص بعد العصر. فيذكر فضل بنى هاشم و معايب بنى أمية. و لم يزل
أبو مسلم كرجل من الشيعة فى الهيئة حتى أتاه عبدالله بن بسام بالأروقة و
الفساطيط و بآلة المطابخ^(٢) و المعالف للدواب و حياض الأدم للماء.

فاستعمل أبو مسلم داود بن كزاز على العبيد و أفردهم عن عسكره و احتفر
لهم خندقاً ثم أمر أبو مسلم كامل بن مظفر أن يعرض الجند فى الخندق
بأسماءهم و أسماء آبائهم و حلالهم و أن ينسبهم إلى القرى و يجعل ذلك فى
دفتر. ففعل، و بلغت عدتهم سبعة آلاف رجل. فأعطى كل رجل ثلاثة دراهم. ثم

١. الخاء مشكولة بالضم فى الطبرى (٩: ١٩٦٧) و هى مفتوحة فى الأصل فى أغلب
المواضع. فى آ: ماجوان.

٢. المطابخ: هذه الكلمة تكررت فى الأصل و مط.

أعطاهم بعد ذلك أربعة أربعة على يدى أبى صالح كامل^(١)

القبائل يضعون الحروب و يتفقون على محاربة أبى مسلم
ثم إن القبائل من مضر و ربيعة و قحطان تواعدوا على وضع الحروب و على
أن تجتمع كلمتهم على محاربة أبى مسلم. فإذا نفوه عن مرو نظروا فى أمر
أنفسهم و على ما يجتمعون عليه و كتبوا على أنفسهم بذلك كتاباً وثيقاً. و بلغ أبى
مسلم الخبر فأقطعه ذلك و أعظمه. فنظر أبو مسلم فى أمره، فإذا ماخوان سافلة
الماء. فتخزّف أن يقطع نصر بن سيار عنه الماء. فتحوّل إلى آلين قرية أبى
منصور [279] طلحة بن زريق النقيب، و خندق بالين خندقاً و جعل شربه و
شرب أهل آلين من نهر يُدعى الخرقان^(٢) لا يمكن قطعه عنهم.

و خرج^(٣) نصر بن سيار إليه فعسكر على نهر عيّاض و فرّق قواده حول أبى
مسلم ليواقعه. فكان أحد قواده أبو الذّيال فأنزل جنده بطوسان و كان عامّة
أهلها مع أبى مسلم فى الخندق فأذوا أهل طوسان و عسفوهم و ذبحوا بقرهم و
دجاجهم و حمامهم، و كلّفوهم الطعام و العلف. فشكت الشيعة ذلك إلى أبى
مسلم، فوجّه معهم خيلاً، فلقوا أبى الذّيال فهزموه و أصحابه و أسروا منهم
جماعة، فكساهم أبو مسلم و داوى جرحاهم و خلّى سبيلهم.
و فى هذه السنة قُتل جُديع بن على الكرمانى و صُلب.

ذكر مقتل جُديع الكرمانى و صلبه

قد ذكرنا مقتل الحارث بن سُرَيْج و أنّ الكرمانى هو الذى قتله. و لمّا قتله

١. فى آ: كامل بن مظفر.

٢. فى آ: الخرقان، بدل: الخرقان.

٣. فى آ: و خرج إليه.

خلصت له مرو و تنحى نصر بن سيار عنها إلى أبر شهر و قوى أمر الكرمانى فوجه نصر إليه سلم بن أحوز، فسار فى رابطة نصر و فرسانه حتى لقي الكرمانى، فوجد يحيى بن نعيم واقفاً [280] فى ألف رجل من ربيعة و محمد بين المثنى فى سبعمائة من فرسان الأزد و جماعة أخرى فى ألف من فتيانهم و الصغرى فى ألف من أبناء اليمن. فلما تواقفوا قال سلم بن أحوز لمحمد بن المثنى:

- «يا محمد، مَرَّ هذا الملاح بالخروج إلينا.»

فقال محمد لِسَلَم:

- «يا بن الفاعلة، لأبى علىّ تقول هذا؟»

و دلف القوم بعضهم إلى بعض، فاجتلدوا بالسيوف، و انهزم سلم بن أحوز، و قُتل من أصحابه خلق و قَدِم أصحاب نصر عليه فلولاً. فقال له عقيل:

- «يا نصر، شأمت العرب. فأما إذ صنعت ما صنعت فشمر عن ساقٍ وجد.»

فوجه عصمة بن عبدالله فوقف سلم بن أحوز فنادى:

- «يا محمد، لتعلمن أن السمك لا يغلب اللحم^(١).»

فقال محمد:

- «لتعلمن، فقف لنا إذا.»

و أمر محمد الصغرى فخرج إليه فى أهل اليمن. فاقتتلوا قتالاً شديداً و انهزم عصمة حتى أتى نصرأ و قد قُتل من أصحابه أربعمائة. ثم أرسل نصر مالك بن عمرو التميم فأقبل فى أصحابه فنادى:

- «يا بن المثنى، ابرز لى إن كنت رجلاً.»

١. فى الأصل و آ: اللحم (بالحاء المهملة) و ما أثبتناه هو من الطبرى (٩: ١٩٧١). و جاء فى حواشيه: و اللحم دابة من دواب الماء تشبه السبع يأكل السمك.

فبرز له فضربه التميمي على حبل عاتقه فلم يصنع شيئاً و ضربه محمد بن المثنى بعمود فشدخ رأسه. و التحم القتال فاقتتلوا قتالاً شديداً و انهزم أصحاب نصر و قد قُتل منهم سبعمائة رجل، و قد قُتل [281] من أصحاب الكرمانى ثلاثمائة رجل. فلم يزل الشرّ بينهم حتى خرجوا جميعاً إلى الخندقين فاقتتلوا قتالاً شديداً.

حيلة لأبى مسلم تمت له

فلما علِمَ أبو مسلم أنّ كلا الفريقين قد أثخن صاحبه و أنّه لا مدد لهم جعل يكتب الكتاب إلى شيبان، ثمّ يقول للرسول:
- «انطلق، فاجعل طريقك على المضريّة، فإنهم سيعرضون لك و يأخذون كتبك».

فكانوا يأخذونها فيجذّون فيها: إننى رأيت أهل اليمن لا وفاء لهم و لا خير فيهم فلا تثقن بهم و لا تطمئن إليهم فإننى أرجو أن يُريك الله فى اليمانية ما تُحبّ، و لئن بقيت لا أدعُ لهم شعراً و لا ظُفراً»
و يرسل رسولاً آخر فى طريق آخر فيه ذكر المضريّة بمثل ذلك حتى صار هوى الفريقين جميعاً معه. و جعل يكتب إلى نصر بن سيار و إلى الكرمانى:
- «إنّ الإمام قد وصّانى بكم، و لست أعدوا رأيّه فيكم».
و كتب إلى الكوّز بإظهار الأمر، فكان أوّل من سوّد أسيد^(١) بن عبد الله الخزاعى بنسّاً و نادى:

- «يا محمد، يا منصور».

و سوّد معه مقاتل بن الحكم و غيره، و سوّد أهل أبيورد و أهل مرو الرود.

١. أسيد: الضبط من الطبرى (٩: ١٩٧٢).

و أقبل أبو مسلم حتى نزل بين خندق نصر بن سيار و خندق جديع
الكرمانى و هابه الفريقان و كثر [282] أصحابه. و كتب نصر بن سيار إلى مروان
يُعلمه حال أبى مسلم، و كثرة من معه، و إظهاره أمره، و أنه يدعو إلى إبراهيم بن
محمد.

و كتب بأبيات شعر:

أرى خلل^(١) الرماد و ميض جمر
فإن النار بالعودين تذكى
فقلت من التعجب لئت شغري
فإن يك قومنا أمسوا رقاداً
و يوشك أن يكون له ضرام
و إن العزب أولها^(٢) الكلام
ألقا طأمية أم نيام
فقل هبوا، فقد حان القيام

و كتب إليه مروان:

«الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فأحسم الثؤلؤل قيلك.»

فقال نصر:

«أما صاحبكم فقد أعلمكم أن لا نصر عنده.»

فكتب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة يستمده و كتب إليه:

أبلغ يزيد و خير القول صدقه
إن خراسان أرض قد أصبت بها
فراخ عامين إلا أنها كثرت
وقد تبينت أن لا خير فى الكذب
بيناً لو أفرخ قد حدثت بالعجب
لما يطرن و قد سربلن بالزغب

١. فى الطبرى (٩: ١٩٧٣): بين الرماد. بدل: خلل: بين.

٢. فى الطبرى: مبدأها.

وإن^(١) يظن ولم يُحتَلْ لَهْنٌ بها يُلْهِنُ نيرانَ حربٍ أيما لَهَبٍ [283]

فقال يزيد:

«لا غلبة إلا بكثرة»^(٢) فليس عندى رجل.

ولما كتب نصر إلى مروان بخبيره و خبر أبي مسلم و ظهوره و قوّته، و أنّه يدعو إلى إبراهيم بن محمّد، ألقى^(٣) و رود كتاب نصر على مروان و قدوم رسول لأبي مسلم كان أرسله إلى إبراهيم بن محمّد و معه جواب إبراهيم عن كتاب لأبي مسلم إليه يلومه ألا يكون واثب نصراً و الكرمانى إذ أمكنه، و يأمره ألا يدع بخراسان متكلماً بالعربية إلا قتله.

فدفع الرسول الكتاب إلى مروان فكتب مروان إلى الوليد بن معاوية بن عبد الملك، و هو على دمشق، أن يكتب إلى عامل البلقاء، فيسير إلى كُراد و الحُميمة،^(٤) فليأخذ إبراهيم بن محمّد، فيشدّه وثاقاً و يبعث به فى حبلى.^(٥) فوجّه الوليد إلى عامل البلقاء فأتى إبراهيم و هو فى مسجد القرية فأخذه و كتفه و حمّله إلى الوليد، محمّله الوليد إلى مروان فحبسه فى السجن.

رجع الحديث إلى قصّة نصر و الكرمانى

و ما كان من قتل نصر الكرمانى و صلبه إيّاه

و أظهر أبو مسلم، لمّا تفاقم الأمر بين الكرمانى و بين نصر، أنّه مع الكرمانى،

١. هذا البيت ليس فى الطبرى.

٢. فى الأصل و آ؛ لا عليه إلا يكثر. و الظاهر أنّه تصحيف لما فى الطبرى (٩ : ١٩٧٤)؛ لا غلبة إلا بكثرة.

٣. فى الطبرى (٩ : ١٩٧٤)؛ فألقى الكتاب مروان.

٤. فى الطبرى (٩ : ١٩٧٥). كزر الحميمه. و فى حواشيه: كزار و الحُميمة. آ، كالاحصل.

٥. كذا فى الأصل؛ فى حبلى. و ما فى الطبرى (٩ : ١٩٧٥)؛ فى خيل.

فقبل ذلك الكرمانى، و انضم إليه أبو مسلم. فاشتد ذلك على نصر و أرسل إلى الكرمانى: [284]

- «ويلك لا تغتر، فوالله إننى لخائف عليك و على أصحابك منه، و لكن هلّم إلى الموادة فندخل مرو و نكتب بيننا كتاباً بالصلح.» و هو يريد أن يفرق بينه و بين أبى مسلم.

فدخل الكرمانى منزله و أقام أبو مسلم فى العسكر و خرج الكرمانى حتى وقف فى الرحبة فى مائة فارس و عليه قرطق^(١) خشكشويه^(٢) ثم أرسل إلى نصر:

- «اخرج لنكتب بيننا ذلك الكتاب.»

فأبصر نصر منه غيرة، فوجه إليه ابن الحارث بن سريج فى نحو ثلاثمائة فارس، فالتقوا فى الرحبة فاقتتلوا بها طويلاً. ثم إن الكرمانى طعن فى خاصرته فخر عن دابته و حماء أصحابه حتى جاءهم ما لا قبل لهم به، فقتل نصر الكرمانى و صلبه و صلب معه سمكة^(٣). فأقبل ابنه على و قد كان صار إلى أبى مسلم، فقاتله حتى أخرجه من دار الإمارة، فمال إلى بعض دور مرو، فأقبل أبو مسلم حتى دخل مرو، و أتاه على بن جديع فسلم عليه بالإمرة و أعلمه أنه معه على ما يريد من مساعدته و قال:

- «مرنى بأمرك.»
قال:

١. قرطق: كذا فى الأصل و آ و الطبرى (٩ : ١٩٧٥). القرطق و القرطق: هو تعريب «كرته»: القباء. (لسان العرب)

٢. خشكشويه: كذا فى الأصل. و ما فى آ مهمل فى ما قبل الأخير: و فى الطبرى (٩ : ١٩٧٥): خشكشونه.

٣. انظر الطبرى (٩ : ١٩٧٥).

- «أقم على ما أنت عليه حتى أمرك بأمرى».

و فى هذه السنة

غلب عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبى طالب

على [285] فارس.

ذكر السبب فى ذلك

لَمَّا هُزِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاوِيَةَ بِالْكُوفَةِ، شَخَّصَ إِلَى الْمَدَائِنِ فَبَايَعَهُ أَهْلُهَا وَ قَصَدَهُ قَوْمٌ مِنَ الْكُوفَةِ، فَخَرَجَ إِلَى الْجِبَالِ فَغَلَبَ عَلَيْهَا وَ عَلَى حُلُوانٍ وَ قَوْمِيسَ وَ الرِّىِّ وَ إِصْبَهَانَ.

وَ كَانَ مُحَارِبُ بْنُ مُوسَى مَوْلَى يَشْكُرُ عَظِيمَ الْقَدْرِ بِفَارِسٍ قَدْ تَمَكَّنَتْ لَهُ مَنْزِلَةٌ وَ رِئَاسَةٌ جَلِيلَةٌ. فَجَاءَ يَمْشَى فِي نَعْلَيْنِ إِلَى دَارِ الْإِمَارَةِ بِإِصْطَخَرَ، فَطَرَدَ الْعَامِلَ الَّذِى كَانَ بِهَا مِنْ جِهَةِ ابْنِ عَمْرِو، وَ قَالَ لِبَعْضِ الرُّؤَسَاءِ يُقَالُ لَهُ عُمَّارَةُ:

- «بَايَعَ النَّاسَ».

فَقَالَ أَهْلُ إِصْطَخَرَ:

- «عَلَى مَا تَبَايَعُ؟» قَالَ:

- «عَلَى مَا أَحْبَبْتُمْ وَ كَرِهْتُمْ».

فَبَايَعُوهُ لَابْنِ مُعَاوِيَةَ. وَ خَرَجَ مُحَارِبُ إِلَى كَرْمَانَ فَأَغَارَ عَلَيْهِمْ وَ أَصَابَ فِي غَارَتِهِ إِيلَاءَ ثَعْلَبَةَ بْنِ حَسَّانَ الْمَازَنِى فَاسْتَأَقَهَا وَ رَجَعَ. فَخَرَجَ ثَعْلَبَةُ فِي طَلَبِ إِيلِهِ وَ مَعَ ثَعْلَبَةَ مَوْلَى لَهُ. فَقَالَ لَهُ مَوْلَاهُ:

- «هَلْ لَكَ أَنْ تَفْتِكَ بِمُحَارِبٍ فَإِنْ شِئْتَ ضَرَبْتُهُ وَ كَفَيْتَنِى النَّاسَ. وَ إِنْ شِئْتَ

ضَرَبْتُهُ وَ كَفَيْتُكَ النَّاسَ».

قَالَ: «وَيْحَكَ، أَرَدْتُ أَنْ تُقْتَلَ وَ تَذْهَبَ الْإِيلُ؟»

وَ لَمْ يَلْقَ الرَّجُلَ. ثُمَّ دَخَلَ عَلَى مُحَارِبٍ، فَرَحَّبَ بِهِ وَ قَالَ:

- «حاجك»

قال: «أبلى».

قال: «نعم، لقد أخذت و ما أعرفها و قد عزلتها [286] فدونك إيلك»
فأخذها و قال لمولاه:

- «هذا خير أم ما أردت؟»

قال: «هذا خير، و ذلك كان أشقى».

فقال: «بمثل رأيك تزول النعم و تزول النفوس».

ثم إنَّ عبد الله بن معاوية قَوِيَ بفارس و أتاه الناس، بنوهاشم و غيرهم،
وجبى المال. و كان معه منصور بن جُمهور، و سليمان بن هشام بن عبد الملك،
و شيبان بن عبدالعزيز الخارجي. و ذلك قبل أن يصير إلى خراسان.
و لم يزل عبد الله بن معاوية بإصطخر حتَّى أتاه ابن ضبارة و قد حكينا أمره
و ما كان من هزيمة ابن معاوية و هرب شيبان و منصور بن جمهور و غيرهما.

موافاة أبي حمزة الخارجي

و فى هذه السنة وافى الموسم أبو حمزة الخارجي من قبل عبد الله بن يحيى
طالب الحق محكماً مظهر الخلف على مروان بن محمد.

مركز تحقيق تكملة علوم اسلامی

ذكر الخبر عن ذلك

لَمَّا كان تمام سنة تسع و عشرين و مائة لم يكن عند الناس خبر بعرفة^(١)
حتَّى طلعت أعلام و عمائم سود في رؤوس الرماح و هم سبعمائة ففرع الناس
منهم و قالوا لهم:

١. انظر الطبري (٩ : ١٩٨١).

- «ما لكم، ما حالكم؟»

فأخبروهم بخلافهم مروان و آل مروان و التبرؤ منهم. فراسلهم عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك، و هو يومئذ على مكة و المدينة، في الهدنة. فقالوا:

- «نحن [287] أَضُنُّ بِحُبِّنَا.»

و صالحهم على أنهم جميعاً آمنون بعضهم من بعض حتى ينفر الناس النفر الآخر و يصبحوا من الغد.

فوقفوا على حدة بعرفة، و دفع بالناس عبدالواحد. فلما كانوا بمنى نذموا عبدالواحد و قالوا له:

- «أخطأت لو حملت الحاج عليهم ما كانوا إلا أكلة رأس.»

و لما كان في النفر الأول نفر عبدالواحد و خلى مكة لأبى حمزة فدخلها بغير قتال و هجا الشعراء عبدالواحد و مضى إلى المدينة فضرب على الناس البعث وزادهم في العطاء عشرة عشرة.^(١)

ثم دخلت سنة ثلاثين و مائة

و فيها دخل أبو مسلم حائط مرو و نزل دار الإمارة

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك مصير علي بن جديع الكرمانى إليه و سبب مصير علي معه أن سليمان بن كثير كان يقول لعلي بن الكرمانى:

- «يقول لك أبو مسلم، أما تأنف من مصالحة نصر بن سيار و قد قتل أباك

بالأمس و صلبه، و ما كنت أحسبك تُصلّى مع نصر في مسجد واحد؟» [288]

فأدرك علياً الحفيظة، فرجع عن رأيه، و انتقض صلح العرب.

فبعث نصر بن سيار إلى أبي مسلم يلتمس منه أن يدخل مع مضر، وبيعة و قحطان إليه بمثل ذلك. فتراسلوا أياماً. فأمرهم أبو مسلم أن يقدم عليه و فُذُ الفريقين حتى يختار أحدهما. ففعلوا و أمر أبو مسلم الشيعة أن تختار بيعة و قحطان، فإنَّ السلطان في مضر و هم عمال مروان و هم قتلة^(١) يحيى بن زيد، فقدم الوفدان.

فكان في وفد مضر عقيل بن معقل، و عبیدالله بن عبد ربّه، في رجال منهم. و كان في وفد قحطان عثمان بن الكرمانى و محمد بن المشنى في رجال منهم. فلما دخلوا إلى أبي مسلم كان معه في البيت سبعون رجلاً من الشيعة و كان أبو مسلم كتب كتاباً يُقرأ على الشيعة ليختاروا أحد الفريقين. فلما فرغ من قراءة الكتاب، قام سليمان بن كثير فتكلّم و كان خطيباً مَفَوَّهاً فاختر عليّ بن الكرمانى و أصحابه ثمّ قام رجل بعد رجل من وجوه الشيعة فتكلّموا نحو كلام سليمان. ثمّ قام مزيد بن شقيق فقال:

«مُضِر قَتَلَةُ آلِ النَّبِيِّ و أعوان بنى أميّة و شيعة مروان، و دماؤنا في أعناقهم، و أموالنا في أيديهم، و نصر بن سيار عامل مروان على [289] خراسان يُنفذ أموره و يدعوه على منبره، و يسمّيه أمير المؤمنين، و نحن من ذلك براء، و قد اخترنا عليّ بن الكرمانى و أصحابه من قحطان و بيعة.»

فَضِجَ مَنْ كَانَ فِي الْبَيْتِ بِأَنَّ:
«الْقَوْلَ مَا قَالَ مَزِيدُ بْنُ شَقِيقٍ.»

فنهض وفد مضر عليهم الكآبة و الذلّة. و وجّه معهم أبو مسلم القاسم بن مجاشع في خيل حتى بلغوا مأمّتهم، و رجع وفد عليّ بن الكرمانى مسرورين منصورين.

١. في مط: قتلة.

و قال أبو مسلم للشيعة:

- «استعدّوا للشتاء. فقد أعفاكم الله من اجتماع كلمة العرب و صيّرهم إلى افتراق. و كان ذلك من الله قدراً مقدوراً.

ذكر السبب في دخوله حائط مرو

كان حائط مرو في يد نصر، لأنّه عامل خراسان. فأرسل عليّ بن الكرمانيّ إلى أبي مسلم أن:

- «ادخل الحائط من قبلك و أنا أدخل مع عشيرتي من قبلي فتغلب على الحائط.»

فأرسل إليه أبو مسلم:

- «إنّي لست آمن أن تجتمع يدك و يد نصر على محاربتى و لكن ادخل أنت فأنشِب^(١) الحرب بينك و بين أصحاب نصر بن سيّار.»

فدخل عليّ بن الكرمانيّ [290] فأنشِب الحرب. و بعث أبو مسلم. أبا عليّ شبل بن طهمان النقيب في خيل، فدخلوا الحائط، و بعثوا إلى أبي مسلم. أن: ادخل، فدخل أبو مسلم من خندق الماخوان و على مقدّمته أسيد بن عبد الله، و على ميعنته مالك بن الهيثم، و على ميسرته القاسم بن مجاشع. حتّى دخل الحائط و الفريقان يقتتلان. فأمرهما بالكفّ و هو يتلو من كتاب الله تعالى: «وَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَ هَذَا مِنْ عَدُوِّهِ»^(٢) و مضى أبو مسلم حتّى نزل قصر الإمارة الذي ينزله عمّال خراسان، و هرب نصر بن سيّار و صفت مرو لأبي مسلم. فأمر أبا منصور

١. آ: و اشب الحرب.

٢. س ٢٨ القصص: ١٥

طلحة بن زريق أن يأخذ البيعة على الناس من الهاشمية خاصة. و أبو منصور هذا أحد النقباء الإثني عشر الذين إختارهم محمد بن علي من السبعين الذين استجابوا له سنة ثلاث و مائة.

و كان مقوّمها، نبيلاً، فصيحاً، عالماً بحجج الهاشمية و كان أبوه حياً، يكنى أبا زينب، و كان شهد حرب عبدالرحمن بن الأشعث و صجّب المهلب بن أبي صفرة، فكان أبو مسلم يشاوره في الأمور، و يدعو بالكنية:
- «يا با طلحة ما تقول، و ما رأيك؟»

و كانت بيعته [291]:

- «أبايعكم على كتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه، و الطاعة للرضا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه، عليكم بذلك عهد الله و ميثاقه و الطلاق و العتاق و المشى إلى بيت الله عزّ و جلّ و على ألاّ تسألوا رزقاً و لا طعماً^(١) حتّى يبدأكم به و لا تكلم و إن كان عدوّ أحدكم تحت قدمه ألاّ يهتجوه إلاّ بأمر و لا تكلم.»

و لمّا حبس أبو مسلم سلّم بن أحوز، و يونس بن عبد ربه، و عقيل بن معقل، و أصحابهم، و شاور أبا طلحة فيهم، فقال له:
- «إجعل سوطك السيف و سجنك القبور.»

فأقدم عليهم أبو مسلم فقتلهم. و كانت عدّتهم أربعة و عشرين رجلاً صناديد. و يقال: إنّ أبا مسلم لمّا دخل دار الإمارة بمرو، أرسل إلى نصر مع لاهز بن

١. طعماً: في الأصل و آ و مط و الطبري (٩ : ١٩٨٩): «طعماً». و لعلّ الصواب ما في حواشي الطبري: «طعماً» كما أثبتناه.

قُرَيْظ، و قريش بن شقيق، و عبدالله بن البختری^(١)، يدعوهم إلى كتاب الله و الطاعة للرضا من آل محمد. فلمّا رأى نصر ما جاءه من اليمانية و الربيعة و العجم، و أنّه لا طاقة له بهم، أظهر قبول ما بعث به إليه على أن يأتيه فيبيّعه. فجعل يُريّتهم لما همّ به من الغدر و الهرب، إلى أن أمسى، فأمر أصحابه أن يخرجوا من ليلتهم فلم يتيشّر لهم الخروج في تلك الليلة. [292]

و قال له سلم بن أحوز

«إنّه لا يتيشّر لنا الخروج الليلة و لكن اخرج»^(٢) القابلة.

فلمّا كان صبح تلك الليلة، عبأ أبو مسلم كتائبه، فلم يزل في تعبّتها إلى بعد الظهر. و أرسل إلى نصر لاهز بن قُرَيْظ، و قريش بن شقيق، و عبدالله بن البختری، و عدّة من أعاجم الشيعة فدخلوا على نصر فقال لهم:

«ما أسرع ما عدتم؟»

فقال له لاهز بن قُرَيْظ: «لابدّ من ذلك.»

فقال نصر: «أمّا إذا كان لابدّ منه، فإنّي أتوضّأ و أخرج إليه، و أرسل إلى أبي مسلم، فإن كان هذا رأيه أتيتّه و نُعمى عين^(٣) و كرامة و أنا أتهدّي إلى أن يجيء رسولي.»

فقام نصر كأنّه يتوضّأ. فلمّا قام، قرأ لاهز هذه الآية: «يا موسى إنّ الملأ يأترون بك ليقتلوك فاخرج إنّي لك من الناصحين»^(٤). فدخل نصر حجّرتّه و معه تميم ابنه و الحكم بن ثُميلة و حاجبه فخرج من

١. البختری: في الأصل و آ و مط في هذا الموضع: البختری (بالحاء المهملة) و في موضع آت: البختری (بالخاء المعجمة) فرجّحنا الإعجام و فقا للطبري (٩ : ١٩٩٣).

٢. نخرج: تكملة زدناها عن الطبري (٩ : ١٩٩٣).

٣. في الطبري (٩ : ١٩٩٤): لعينه.

٤. س ٢٨ القصص: ٢٠.

خلف حجرته عند دخول وقت الصلاة حين أظلم الوقت و انطلقوا هُرَّاباً. فلَمَّا استبَاطَاه لاهز و أصحابه دخلوا منزله، فوجدوه قد هرب. فلَمَّا بلغ ذلك أبا مسلم سار إلى معسكر نصر فأخذ ثقات أصحابه و صنادير مُضر الذين كانوا في عسكر نصر فكتفهم، و كان فيمن أخذ سلم بن أحوز [293] و غيره، و استوثق منهم بالحديد و وُكِّلَ بهم حتَّى قتلهم كما حكينا قُبيل.

و مضى نصر حتَّى نزل سرخس فيمن اتَّبعه، و كانوا ثلاثة آلاف. و مضى أبو مسلم و عليّ بن جُديع في طلبه. فركضا ليلتهما حتَّى أصبحا في قرية تُدعى: نصرائته، فوجدوا نصراً قد خلَّف امراته المرزبانة فيها و نجا بنفسه. فرجع أبو مسلم و عليّ بن جُديع إلى مرو، فقال أبو مسلم للقوم الذين كان وجههم إلى نصر:

«ما الذي ارتاب به منكم؟»

قالوا: «لاندري.»

قال: «فهل تكلم أحد منكم؟»

قالوا: «لاندري.»

قال بعضهم:

«تلا لاهز: إن الملاء يأمرون بك ليقتلوك فاخرج.»^(١)

قال: «هذا الذي^(٢) دعاه إلى الهرب.»

ثم قال:

«يا لاهز، أتدغل في الدين؟»

ثم قدَّمه فضرب عنقه.

١. س ٢٨ القصص: ٢٠

٢. الذي: كذا في آ و مط و الطبري. ما في الأصل يشبه أن يكون: الذاني، الزاني؟

و في هذه السنة قُتل شيبان الحروري

ذكر الخبر عن مقتله و سببه

كان عليّ بن جُديع و شيبان مجتمعين على قتال نصر بن سيار، لمخالفة شيبان نصرأ. لأنّ شيبان خارجي و عليّ بن جُديع يخالف نصرأ، لأنّه يمانٍ و نصر مُضريّ، و لأنّ نصرأ قتل أباه و صلبه. فلمّا صالح عليّ بن الكرمانى أبا مسلم و فارق شيبان تنحى شيبان [294] عن مرو لأنّه علم أن لا طاقة له بأبي مسلم و عليّ بن جُديع مع تآلفهما و اجتماعهما على خلافه، و قد هرب نصر من مرو. فأرسل إليه أبو مسلم يدعوه إلى بيعته، فأرسل إليه شيبان:

«بل أنا أدعوك إلى بيعتي.»

فأرسل إليه أبو مسلم:

«إن لم تدخل في أمرنا، فارتحل عن منزلك.»

فأرسل شيبان إلى ابن الكرمانى يستنصره فأبى. فسار شيبان إلى سرخس، و اجتمع إليه جمع من بكر بن وائل. فبعث إليه أبو مسلم تسعة من الأزد فيهم المنتجع بن الزبير، يدعوه إلى المُسالمة. فأرسل شيبان إلى رُسل أبي مسلم فحبسهم. فكتب أبو مسلم إلى بَشام بن إبراهيم مولى بنى ليث يبيّره أن يسير إلى شيبان فيقاتله، ففعل، فهزمه بَشام و اتّبعه حتّى دخل المدينة، فقتل شيبان و عدّة من بكر بن وائل. فقبل لأبي مسلم:

«إنّ بَشام ثائر بأبيه و هو يقتل البريء و السقيم.»

فكتب إليه أبو مسلم، فقدم و استخلف على عسكره.

و لمّا قتل شيبان مرّ رجل من بكر بن وائل يقال له: خُفّاف،^(١) يرسل أبي

مسلم الذين كان حبسهم شيبان، فأخرجهم و قتلهم.

١. الضبط في الطبرى: خُفّاف (بفتح الخاء).

أبو مسلم يقتل ابني جديع الكرمانى

و فى هذه السنة قتل أبو مسلم علياً و عثمان ابني جديع الكرمانى. [295]

ذكر السبب فى قتله إياهما

كان السبب فى ذلك أن أبا مسلم وجّه أبا داود إلى بلخ و بها زياد بن عبدالرحمن القشيري فلما بلغه قصد أبي داود بلخ، خرج فى أهل بلخ و غيرها من كور طخارستان إلى الجوزجان، فلما دنا أبو داود منهم انصرفوا منهزمين إلى الترمذ.

و دخل أبو داود مدينة بلخ بمن معه، فكتب إليه أبو مسلم يأمره بالقدوم عليه، و وجّه مكانه يحيى بن نعيم. فخرج أبو داود و كاتب زياد بن عبدالرحمن يحيى بن نعيم بما دهم العرب من أبي مسلم و سألته أن تصير أيديهم واحدة فأجابته.

فرجع زياد بن عبدالرحمن القشيري، و مسلم بن عبدالرحمن بن مسلم الباهلى، و أهل بلخ و الترمذ، و ملوك طخارستان و ما خلف النهر و دونه. فنزل زياد و أصحابه على فرسخ من مدينة بلخ، و خرج إليه يحيى بن نعيم و من معه حتى اجتمعوا، فصارت كلمتهم واحدة مضرتهم يمانتهم و ريعتهم و من معهم من العجم على قتال المسودة، و جعلوا الولاية عليهم لمقاتل بن حيان النبطي كراهة أن تكون لواحد من الفرق الثلاث.

و كتب أبو مسلم إلى أبي داود [296] يأمره بالإنصراف. فانصرف أبو داود بمن كان معه حتى اجتمعوا على نهر الشرخيان^(١).

١. هنا فى الأصل: الشرخيان و فى الموضع الآتى: الشرخيان. مط: السرجان. فى الطبرى (٩ : ١٩٩٨): السرجنان و فى حواشيه عن بعض الأصول: السرخان فرجنا السين على الشين.

و كان زياد بن عبدالرحمن و أصحابه قد وجَّهوا أبا سعيد القرشي مسلحة فيما بين الفود^(١) و بين قرية يقال لها: بامديان،^(٢) لئلا يأتيهم أصحاب أبي داود من خلفهم.

ذكر اتفاق عجيب وقع على أصحاب زياد
حتى انهزموا و قتلهم أبو داود

لما اجتمع أبو داود و زياد و أصحابهما و اصطفوا للقتال أمين أبو سعيد القرشي أن يؤتي زياد و أصحابه من خلفهم، فرجع و كانت أعلام أبي سعيد و راياته سوداً. فلما خرج عليهم من سك الفود من وراءهم نظروا إلى الرايات السود، فظنوها كميناً لأبي داود، و كان القتال قد نشب بين الفريقين، فانهزم زياد و أصحابه و اتبعهم أبو داود، فوقع عامته أصحاب زياد في نهر السرخيان، و قُتل عامته رجالهم المتخلفين، و نزل أبو داود عسكرهم،^(٣) و حوى ما فيه و لم يتبعهم.

و أقام أبو داود يومه ذلك و من الغد، و لم يدخل بلخ و استصفى أموال من قُتل بالسرخستان و من هرب من العرب و غيرهم و استقامت بلخ لأبي داود. ثم كتب إليه أبو مسلم [297] يأمره بالقدوم عليه، و وجَّه النضر بن ضبيح المرئي على بلخ، و قدم أبو داود، فاجتمع رأي أبي داود و رأي أبي مسلم على أن يفرق بين علي و عثمان ابني الكرمانى. فبعث أبو مسلم عثمان عاملاً على بلخ فلما توجه إليها استخلف الفرافصة^(٤) بن ظهير على مدينة بلخ. و أقبلت

١. في الطبرى (١٩٩٨:٩): العود

٢. في الطبرى (١٩٩٨:٩): امديان.

٣. في الأصل: و عسكرهم. (بزياد الواو) و ما في آ، و الطبرى من دون واو.

٤. الفرافصة: كذا في الأصل و آ و الطبرى (٩ : ١٩٩٩). في مط: الفرافصة.

المضريّة من الترمذ عليهم مسلم بن عبد الرحمن الباهلي. فالتقوا مع أصحاب عثمان بن جُديع، فهزموا أصحاب عثمان و غلب على بلخ المضريّة، و أخرجوا الفرافصة، و بلغ الخبر عثمان بن جُديع و النضر بن صُبَيْح و هما بمرور الرود فأقبلا نحوهم. و بلغ أصحاب زياد بن عبد الرحمن فهربوا من تحت ليلتهم، فقصر النضر في طلبهم رجاء أن يفوتوا، وجَدَّ أصحاب عثمان حتّى لقوهم. فاقْتتلوا قتالاً شديداً، و انهزم أصحاب عثمان و أكثر فيهم القتل و مضت المضريّة إلى أصحابهم، و رجع أبو داود من مرو إلى بلخ، و سار أبو مسلم و معه عليّ بن جُديع إلى نيسابور، و اتفق رأي أبي مسلم و رأي أبي داود على أن يقتل أبو مسلم عليّاً و يقتل أبو داود عثمان في يوم واحد. فلَمَّا قَدِمَ أبو داود بلخ، بعث عثمان إلى الخُتَل فيمن معه [298] من أهل مرو و يمانية أهل بلخ و رعيّهم. فلَمَّا خرج من بلخ خرج أبو داود فاتبع الأثر فلحقه على شاطئ نهر بوخش^(١) من أرض الخُتَل فوثب أبو داود على عثمان و أصحابه، فحبسهم، ثمّ ضرب أعناقهم جميعاً.

و قتل أبو مسلم في ذلك اليوم عليّ بن جُديع، و قد كان أبو مسلم أمره أن يسمّى له خاصّته ليولّيههم و يأمر لهم بهوائز، فسماهم له فقتلهم جميعاً.

قدوم قحطبة بن شبيب على أبي مسلم
و في هذه السنة قَدِمَ قحطبة بن شبيب على أبي مسلم خراسان منصرفاً من عند إبراهيم بن محمّد، و معه لواء عقده له إبراهيم. فوجّهه أبو مسلم على مقدّمته، و ضمّ إليه الجيوش، و جعل إليه العزل و الولاية، و كتب إلى الجنود بالسمع له و الطاعة.

١. في مط: بوخش. و مكان العبارة في الطبري (٩: ٢٠٠٠) بياض.

فتوجّه قحطبة إلى نيسابور للقاء نصر. و كان أصحاب شيبان الحروري بعد قتله لحقوا بنصر و هو بنيسابور، و توجّه قحطبة في قواده، فأخذ جهور بن مرار و هو أحد القواد على ناحية بيورد، و أخذ القاسم بن مجاشع و هو أحد القواد على ناحية سرخس، و توجّه قحطبة نحو طوس و معه وجوه القواد كأبي عون و خالد بن برمك و خازم بن خزيمة [299] و عثمان بن نهيك و أمثالهم. فلقي من بطوس، فانهزموا، و دُفعوا إلى مضيق، فكان من مات منهم في الزحام أكثر ممّن قُتل و بلغ عدّة القتلى يومئذٍ بضعة عشر ألفاً.

و توجّه قحطبة إلى السودقان و هو معسكر تميم بن نصر و النابى. و كان قحطبة قد وجّه على مقدّمته أسيد بن عبدالله الخزاعي في ثلاثة آلاف رجل فسار إليه و تبعاً تميم و النابى لقتاله. و كتب أسيد إلى قحطبة يُعلمه ما أجمعوا عليه من قتاله و أنّه إن لم يُعجل القدوم عليه حاكمهم إلى الله، و أعلمه أنّهما في ثلاثين ألفاً من صناديد أهل خراسان و فرسانهم. فوجّه قحطبة مقاتل بن حكيم العكي في ألف و خالد بن برمك في ألف. فقدمّا عليه و قوى أسيد بهما، و بلغ ذلك تميماً النابى فكسرها.

ثمّ قدّم عليهم قحطبة بمن معه و عباً يمينته و يسرته ثمّ زحف إليهم و دعاهم إلى كتاب الله تعالى و سنة نبيّه و إلى الرضا من آل محمد صلى الله عليه، فلم يجيبوه. فأمر اليمين و اليسرة أن يحملوا. فاقتتلوا قتالاً شديداً، و قتل تميم بن نصر في المعركة، و قُتل منهم مقتلة عظيمة، و استبيح عسكرهم [300] و انهزم النابى فتحصّن في المدينة و أحاطت به الجنود، فنقبوا المدينة و دخلوها، فقتلوا النابى و من كان معه، و هرب عاصم بن عُمير و سالم بن راوية إلى نصر بن سيار بنيسابور، فأخبراه بقتل تميم و النابى و من كان معهما.

فصير قحطبة قبض ما في العسكر المهزوم إلى خالد بن برمك. و ارتحل نصر هارباً في أهل أبرشهر حتّى نزل قومس و تفرّق عنه أصحابه فسار إلى جرجان،

و بها نُباتة بن حنظلة من قبل يزيد بن عمر بن هُبيرة.

ذكر مقتل نُباتة بن حنظلة

كان يزيد بن عمر بن هُبيرة بعث نُباتة بن حنظلة الكلابي إلى نصر مدداً له في خيل و عُدّة و عتاد. فسار إلى إصبهان، ثم سار إلى الرى، و مضى إلى جرجان، و لم ينضمّ إلى نصر. و خندق نُباتة، و كان اذا وقع الخندق في دار قوم رشوه فأخّره^(١) حتّى صار خندقه نحواً من فرسخ.

و أقبل^(٢) قحطبة إلى جرجان في سنة ثلاثين و مائة و ذلك في ذى القعدة منها. و قد تعباً و جعل على مُقَدِّمته الحسن بن قحطبة. [301] و قال قحطبة: - «يا أهل خراسان، استبصروا فإنكم تسيرون إلى بقية قوم حرّقوا بيت الله.» و أقبل الحسن بن قحطبة حتّى نزل على تخوم خراسان، و أنفذ قوماً إلى مسلحة نُباتة و عليها رجل يُقال له: ذويب، فبيّتوهم و قتلوا ذويهاً و سبعين من أصحابه. ثم رجعوا إلى عسكر الحسن. و قدّم قحطبة فنزل بإزاء نُباتة، و كان أهل الشام في عُدّة لم ير الناس مثلها. فلمّا رأهم أهل خراسان هابوهم حتّى تكلموا بذلك، و بلغ ذلك قحطبة فقام خطيباً.

خطبة لقحطبة قوّت قلوب أصحابه
قام فقال:

- «يا أهل خراسان، إنّ هذه البلاد كانت لأبائكم الأولين، و كانوا

١. انظر الطبري (٩ : ٢٠٠٤) فهو كالأصل.

٢. في الأصل و مط: أرسل. و تحتها بخط ناعم: أقبل. في آ و الطبري (٩ : ٢٠٠٤): أقبل.

يُنصرون على أعداءهم، لعدلهم و حُسن سيرتهم. فلمَّا بذلوا و ظلموا سخط الله عليهم، فانتزع سلطانهم و سلَّط عليهم أذلَّ أُمَّة كانت في الأرض عندهم، فغلبوهم على بلادهم و استنكحوا نساءهم، و استرقَّوا أولادهم، و قتلوا آباءهم. فكانوا على ذلك يحكمون بالعدل و يوفون بالعهد و ينصرون المظلوم. ثمَّ بذلوا و غيَّروا و جاروا في الحكم و أخافوا أهل البرِّ و الدين من عترة رسول الله صَلَّى الله عليه. فسَلَّطكم الله عليهم لينتقم منهم بكم ليكونوا أشدَّ عقوبة لأنكم طلبتموهم بالثأر. و قد عهد إليَّ الإمام عليه السلام أنكم تلقونهم في مثل هذه العُدَّة فينصركم الله عليهم فتَهْزِمُونَهُمْ و تَقْتُلُونَهُمْ».

و كان قُرئ على قحطبة كتاب من أبي مسلم:
- «أما بعد فناهض عدوك بجِدٍّ، فإنَّ الله ناصرُك. فاذا ظهرت عليهم فأُتْخَن في القتْل.»

فالتقوا في متسهلٍ ذى الحِجَّة و اقتتلوا و صبر بعضهم لبعض. فقتل نُبَّاتة و انهزم أهل الشام فقتل منهم أكثر من عشرة آلاف و بُعث إلى أبي مسلم برأس نُبَّاتة و ابنه حَيَّة^(١) مرزوق^(٢) كاميور علوم ردي و كان من عجيب^(٣) ما شوهد في تلك الحرب أمر سالم بن راوية التميمي، و كان ممَّن هرب من أبي مسلم و خرج مع نصر، ثمَّ صار مع نُبَّاتة، فقاتل قحطبة بجرجان في هذه الواقعة، فلمَّا انهزم الناس بقي فثبت و قاتل وحده، فحمل عليه

١. كذا في الطبري (٩ : ٢٠٠٦): حَيَّة. و في مط: حبة.

٢. في مط: عظيم.

عبدالله الطائي و هو من الفرسان، فضربه سالم بن راوية على وجهه فأندر [303] عينه. ثم قاتلهم حتى اضطرّ إلى مسجد، فدخله و دخلوا عليه، فكان لا يشدّ في ناحية إلا كشفهم. فعطش فجعل ينادي

«شربة، فو الله لأنقنّ لهم شراً يومى هذا.»

فلم يقدر عليه أحد، حتى حرقوا عليه سقف المسجد، و رموه بالحجارة، حتى قتلوه، و جاءوا برأسه إلى قحطبة، و ليس في وجهه و لا رأسه مصحّ. فقال قحطبة و الناس:

«ما رأينا مثل هذا قط.»

وقعة قديد

و في هذه السنة كانت الوقعة بقديد بين أبي حمزة الخارجي و أهل المدينة.

ذكر الخبر عن ذلك

كنّا حكيماً أنّ عبدالواحد بن سليمان رجع إلى المدينة، و ضرب على البعوث، و استعمل عبدالعزيز بن عمرو بن عثمان على الناس، فخرجوا حتى نزلوا قديد و كانت الحياض هناك و هم قوم مغترّون ليسوا بأصحاب حرب فلم يرعهم إلا القوم قد خرجوا عليهم فقتلوه، و كانت المقتلة على قريش، كانوا أكثر الناس، و بهم كانت الشوكة.

و دخل أبو حمزة مدينة رسول الله صلى الله عليه، و هرب عبدالواحد [304] إلى الشام، فأحسن السيرة و خطب فذكر جور بني مروان و آل أميّة، و استمال الناس حتى سمعوه يقول في خطبته:

«يا أهل المدينة، من زنا فهو كافر و من سرق فهو كافر.»

ثم إنّ مروان انتخب من عسكره أربعة آلاف و استعمل عليهم ابن عطية و

أمره بالجد في المسير و أعطى كل رجل منهم مائة دينار، و فرساً عربياً و بغلاً لنقله، و أمرهم أن يقاتلهم فإذا ظفر مضى حتى يبلغ اليمن، و يقاتل عبدالله بن يحيى و من تبعه. فخرج حتى نزل بالمعلّى^(١). ثم سار إلى وادي القرى فلقبهم حمزة فقال حمزة:

« لا تقاتلوهم حتى تختبروهم. »

قال: فصاحوا بهم:

« ما تقولون في القرآن و العمل به؟ »

فصاح ابن عطية:

« و ما عليك يا فاجر؟ »

قالوا^(٢): « نحن مسلمون و لا نقاتلكم إلا ببيان، فأخبرونا عن القرآن و فرائضه. »

فصاحوا: « نضعه في بيوتنا ثم نقاتلكم. »

ثم سألوهم عن أشياء أجابوهم عنها بقبائح، إلى أن قالوا:

« فما تقولون في مال اليتيم؟ »

فصاح صائح:

« نأكل ماله و نفجر بأمه. »

فحينئذ قاتلوهم حتى أمسوا. ثم صاحوا:

« ويحك يا ابن عطية، إن الله جعل [305] الليل سكناً فاسكن نسكناً. »

فأبى. و قال لأصحابه:

« هذا و هن منهم فجدوا. »

١. المعلّى: كذا في الأصل و مط و آ. ما في الطبري (٩: ٢٠١٣) بالعلّاء، و في حواشيه: العلّاء، العراء.

٢. في الأصل و مط: قال.

ففعلوا حتّى قتلهم، و انهزم من انهزم منهم. فلما رجعوا إلى المدينة منهزمين تلقّاهم أهلها فقتلوهم.

مُضَى ابن عطية إلى مكة و اليمن

و مضى ابن عطية إلى مكة و استخلف على المدينة عروة بن الوليد^(١) بن محمّد بن عطية، ثمّ مضى من مكة إلى اليمن و استخلف على مكة ابن ماعز— رجل من أهل الشام— و بلغ عبدالله بن يحيى و هو بصنعاء مسيره فأقبل إليه بمن معه و قاتله فقتل عبدالله بن معاوية، و تفرّق أصحابه. و دخل ابن عطية صنعاء و بعث برأس عبدالله بن يحيى بن معاوية إلى مروان.

قتل قحطبة أهل جرجان

و فى هذه السنة قُتل قحطبة من أهل جرجان زهاء ثلاثين ألف رجل و ذلك أنّ أهل جرجان كان أجمع رأيهم بعد مقتل بُبَاة بن حنظلة على الخروج على قحطبة فبلغه ذلك، فدخل فاستعرضهم^(٢) فقتل منهم من ذكرت.

رجع الحديث إلى قصّة نصر

مع أبي مسلم و قحطبة

ولما بلغ نصر بن سيار، قتل بُبَاة و من قُتل من أهل جرجان و هو بقومس. ارتحل^(٣) [306] حتّى نزل خُوار الرى^(٤). و كتب أبو مسلم إلى زياد بن زرار

١. فى الطبرى (٩ : ٢٠١٤): الوليد بن عروة.

٢. كذا فى الأصل و آ و الطبرى (٩ : ٢٠١٦). فى مط: فاستعرضهم.

٣. تكرر «ارتحل» فى الأصل.

٤. خُوار: مدينة كبيرة من أعمال الرى، بينها و بين سمنان، تجوز القوافل فى وسطها.

القشيري بعده على نيسابور، وكتب إلى قحطبة يأمره أن يتبع نصراً فوجه قحطبة العكي على مقدمته و سار حتى نزل نيسابور فأقام قحطبة بها شهر رمضان و شوالاً، و نصر نازل بقرية من قومس. فكتب نصر إلى ابن هبيرة يستمده و يعظم الأمر عليه، فحبس ابن هبيرة رسله.

فكتب نصر إلى مروان:

«إني وجهت إلى ابن هبيرة بوجوه أهل خراسان ليُعلموه شدة الأمر عندنا و سألته المدد، فاحتبس رُسلِي و لم يُمدني بأحد، و إنما أنا بمنزلة من أخرج من حجرته إلى داره، ثم أخرج من داره إلى فناء داره، فإن أدركه من يُعينه فعسى أن يعود إلى داره، و إن أخرج إلى الطريق فلا بقيّة له.»

فكتب مروان إلى ابن هبيرة يأمره أن يمدّ نصراً، و أجاب نصراً يُعلمه ذلك. فكتب نصر إلى ابن هبيرة يسأله أن يعجل إليه الجند، فإني قد كذبتُ أهل خراسان حتى ما يُصدق أحد منهم لي قولاً فأمدني بعشرة آلاف^(١) قبل أن تُمدني بمائة ألف ثم لا تُغني شيئاً. [307]

ثم دخلت سنة إحدى و ثلاثين و مائة

و ارتحل نصر من قومس حتى نزل الخوار و أميرها أبوبكر العقيلي و كان قحطبة وجه ابنه الحسن إلى قومس ثم وجه قحطبة أبا كامل و أبا القاسم بن محرز بن إبراهيم و أبا العبّاس المروزي إلى الحسن في سبعمائة، فلما كانوا قريباً منه انحاز أبو كامل و ترك عسكره و أتى نصراً فصار معه، و أعلمه مكان الجند الذين خلفهم، فوجه نصر إليهم جنداً، فأتوهم و هم في حائط، فحصرهم

→ بينها و بين الرّى نحو عشرين فرسخاً و قد خرب أكثرها (مراسد الإطلاع).

١. في الأصل: بعشر ألف.

فَنَقَّبَ عَلَيْهِمْ فَهَرَبَ الْقَوْمُ وَ خَلَفُوا مَتَاعَهُمْ، فَأَخَذَهُ أَصْحَابُ نَصْرٍ، فَبَعَثَ بِهِ نَصْرٌ إِلَى ابْنِ هُبَيْرَةَ.

وَ كَانَ ابْنُ هُبَيْرَةَ قَدْ أَمَدَّ بِغُطَيْفٍ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ وَ قَدْ بَلَغَ الرَّيُّ فَعَرَضَ غُطَيْفٌ لَمَّا أَنْفَذَهُ نَصْرٌ وَ أَخَذَ الْكِتَابَ مِنْ رَسُولِ نَصْرٍ وَ الْمَتَاعَ وَ بَعَثَ بِهِ مَعَ صَاحِبِهِ إِلَى ابْنِ هُبَيْرَةَ، فَغَضِبَ نَصْرٌ وَ قَالَ:

«أَبَى يَتَلَعَّبُ ابْنُ هُبَيْرَةَ؟ أَيْشَغِبَ عَلَيَّ بَضْغَايِيسَ^(١) قَيْسٌ؟ أَمَا وَ اللَّهِ لَا أَدْعَتْهُ، فَلْيَعْرِفَنَّ أَنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ وَ لَا ابْنُهُ الَّذِي تَرَبَّضُ^(٢) لَهُ الْأَشْيَاءُ.»

وَ سَارَ نَصْرٌ نَحْوَ الرَّيِّ وَ عَلَى الرَّيِّ حَبِيبُ بْنُ بُدَيْلٍ النَّهْشَلِيُّ، فَلَمَّا بَلَغَ غُطَيْفًا قَرَبَ نَصْرٌ مِنَ الرَّيِّ خَرَجَ مُتَوَجِّهًا إِلَى هَمْذَانَ، وَ فِيهَا مَالِكُ بْنُ أَدْهَمَ بْنِ مُحَرَّرِ الْبَاهِلِيِّ، فَلَمَّا رَأَى غُطَيْفَ مَالِكًا فِي هَمْذَانَ عَدَلَ مِنْهَا إِلَى إِصْبَهَانَ، إِلَى عَامِرِ بْنِ ضَبَّارَةَ. [308]

وَ لَمْ يَلْتَقِ نَصْرٌ مَعَ غُطَيْفٍ، ثُمَّ مَرَضَ نَصْرٌ، وَ كَانَ يُحْمَلُ حِمْلًا وَ تَوَجَّهَ إِلَى هَمْذَانَ فَمَاتَ فِي الطَّرِيقِ.

وَ بَلَغَ الْحَسَنُ مَوْتَ نَصْرٍ، فَبَعَثَ خُزَيْمَةَ بْنَ خَازِمٍ إِلَى سَمْنَانَ، وَ أَقْبَلَ قَحْطَبَةَ مِنْ جَرَجَانَ، وَ قَدَّمَ أَمَامَهُ زِيَادُ بْنُ زُرَّارَةَ الْقُشَيْرِيَّ وَ كَانَ زِيَادٌ نَدِمَ عَلَى اتِّبَاعِ أَبِي مُسْلَمٍ، فَانْخَزَلَ عَنْ قَحْطَبَةَ وَ أَخَذَ طَرِيقَ إِصْبَهَانَ يَرِيدُ عَامِرَ بْنَ ضَبَّارَةَ، فَوَجَّهَ قَحْطَبَةَ خَلْفَهُ الْمُسَيَّبُ بْنُ زَهْرٍ، فَلَحِقَهُ مِنْ غَدِ الْعَصْرِ، فَقَاتَلَهُ وَ انْهَزَمَ زِيَادٌ، وَ قُتِلَ عَامَّةٌ مِنْ صَنْجَبَةٍ، وَ رَجَعَ الْمُسَيَّبُ إِلَى قَحْطَبَةَ. ثُمَّ سَارَ قَحْطَبَةُ إِلَى قَوْمِسَ، وَ بِهَا ابْنَةُ الْحَسَنِ، وَ قَدَّمَ خُزَيْمَةَ بْنَ خَازِمٍ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي كَانَ وَجْهَهُ فِيهِ الْحَسَنُ، وَ قَدَّمَ قَحْطَبَةَ ابْنَةَ الْحَسَنِ إِلَى الرَّيِّ، وَ بَلَغَ حَبِيبُ بْنُ بُدَيْلٍ النَّهْشَلِيُّ وَ

١. الضُّغْبُوسُ: وَلَدُ الثُّعْلَبِ. الرَّجُلُ الضَّعِيفُ.

٢. فِي الْأَصْلِ وَ آءُ تَرَبَّضَ. فِي مَطَّ وَ الطَّبْرَى (١٠ : ٢): تَرَبَّضَ. تَرَبَّضَ: تَرَبَّضَ.

من معه من أهل الشام مسير الحسن فخرجوا عن الرى، فقدمها الحسن و أقام حتى قدم أبوه، و كتب قحطبة إلى أبى مسلم بنزوله الرى.

تحوّل أبى مسلم من مرو إلى نيسابور

و فى هذه السنة تحوّل أبو مسلم من مرو إلى نيسابور، و ذلك لما ورد عليه كتاب قحطبة بنزوله الرى، و وجّه قحطبة ابنه الحسن بعد نزوله [309] الرى بثلاث إلى همدان. فلمّا توجه إليها خرج منها مالك بن أدهم فترك قوم من أصحاب مالك دواوينهم بعد أن بذلها لهم.

و سار مالك إلى نهاوند فيمن تبعه، و سار الحسن فنزل على أربعة فراسخ من المدينة، فأمدّه أبوه قحطبة بأبى الجهم بن عطية مولى باهلة فى سبعمائة و وصّاه أن يحاصر المدينة. فذهب حتى حاصرها.

و فى هذه السنة قُتل عامر بن ضَبارة و أُستبيح عسكره.

ذكر الخبر عن ذلك و سببه

كان سبب ذلك أنّ ضَبارة لمّا هزم عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر، تبعه إلى كرمان ليلحقه، و ورد على يزيد بن عمر بن هُبيرة مقتل نُباتة بن حنظلة بجرجان فكتب إلى عامر بن ضَبارة و إلى ابنه داود بن يزيد بن عمر أن يسيرا إلى قحطبة و كان بكرمان، فسار فى خمسين ألفاً حتى نزلوا إصبهان بمدينة جى، فكان يقال لعسكر ابن ضَبارة: عسكر العساكر.

فبعث قحطبة مقاتلاً و أبا حفص المهلبى و موسى بن عقيل و مالك بن طريف فى جماعة أمثالهم و عليهم [310] جميعاً العكّى، فسار حتى نزل قم. و بلغ ابن ضَبارة نزول الحسن على أهل نهاوند فأراد أن يأتهم مُغيثاً لهم، و بلغ الخبر العكّى فبعث إلى قحطبة يُعلمه و وجّه زهير بن محمّد إلى قاسان. و

خرج العكبي من قم و خلف بها طريف بن عجلان فكتب إليه يأمره أن يلبث بقم متلوماً حتى يقدم عليه. و أقبل قحطبة من الرزي و بلغه تلاقى طلائع العسكرين، فلماً لحق قحطبة بمقاتل بن حكيم العكبي، ضمته مع عسكره إلى عسكره و سار عامر بن ضبارة إليهم و ابينه و بين^(١) و عسكر قحطبة فرسخ. ثم نهّد إليه فالتقوا و كان قحطبة في عشرين ألفاً و ابن ضبارة^(٢) في مائة و خمسين ألفاً، فأمر قحطبة بمصحف، فنُصب على رُمح ثم نادى:

«يا أهل الشام، ندعوكم إلى ما في هذا المصحف.»

فشتموه و أفحشوا له في القول.

فقال قحطبة:

«احملوا على اسم الله.»

فحمل عليهم العكبي، فلم يكن بينهم كثير قتال حتى انهزم أهل الشام و قُتلوا قتلاً ذريعاً، و حووا عسكرهم فأصابوا شيئاً لا يُدرى ما عدده من السلاح و المتاع و الرقيق، و بعث بالفتح إلى ابنه الحسن. [311]

ذكر السبب في ذلك

و كان السبب في هزيمة ابن ضبارة أنه كان في خيل لا رجالة معه، و كان قحطبة معه خيل و رجالة فلماً رمى الرجالة الخيل بالنشاب، انهزم أصحاب ابن ضبارة، فنزل ابن ضبارة^(٣) في العسكر و نادى:

«إلى، إلى.»

فمضى أصحابه و طووه و قحطبة في أثرهم حتى انتهوا إلى ابن ضبارة فقتله.

١. تكملة من الطبري (١٠ : ٥) لا يستقيم المعنى بدونها.

٢. زاد في آ: على ما حكى.

٣. ضباره: الضبط في الطبري بضمّ الضاد و في الأصل بفتحها في كلّ المواضع.

و كان داود بن يزيد بن عمر بن هُبيرة فيمن انهزم. فسأل عامر عنه، فقيل:
انهزم. فقال:

«لعن الله شرنا منقلباً»

فقاتل حتى قُتل.

وقعة قحطبة بنهاوند

و في هذه السنة كانت وقعة قحطبة بنهاوند بمن كان لجأ إليها من جنود
مروان بن محمد.

ذكر الخبر عن هذه الوقعة

لَمَّا قُتِلَ ابْنُ ضَبَّارَةَ، وَوَرَدَ خَبْرُهُ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ قَحْطَبَةَ، كَبُرَ وَ كَبُرَ جُنْدُهُ.
فَقَالَ عَاصِمُ بْنُ عُمَيْرٍ:

«مَا صَاحَ هَوْلَاءُ إِلَّا بِقَتْلِ ابْنِ ضَبَّارَةَ، فَافْرَجُوا^(١) عَنِ الْحَسَنِ بْنِ قَحْطَبَةَ
قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ أَبُوهُ أَوْ مَدَدَ مِنْ قِبَلِهِ.» فَلَا تَقُومُونَ^(٢) لَهُ.
فَقَالَ الرَّجَالَةُ:

«تَخْرُجُونَ وَ أَنْتُمْ فَرَسَانِ عَلَى خِيُولٍ فَتَذْهَبُونَ وَ تَخْلُونَنَا.»

فَقَالَ لَهُمَ مَالِكُ بْنُ أَدِهْمٍ الْبَاهِلِيُّ [312]:

«كُتِبَ إِلَيَّ ابْنُ هُبَيْرَةَ وَ لَا أَبْرَحُ حَتَّى يَقْدَمَ عَلَيَّ.»

فَأَقَامُوا وَ أَقَامَ قَحْطَبَةُ بِأَصْبَهَانَ عَشْرِينَ يَوْمًا، ثُمَّ سَارَ حَتَّى قَدَّمَ عَلَى الْحَسَنِ
بِنَهَاوَنْدَ، فَحَصَرَهُمْ وَ دَعَاهُمْ إِلَى الْأَمَانِ فَأَبَوْا، فَوَضَعَ عَلَيْهِمُ الْمَجَانِيْقَ. فَلَمَّا اشْتَدَّ

١. في الأصل و آ؛ فافرجوا (بالحاء المهملة). في مط: فافرجوا. و ما في الطبري (١٠):

(٦): فافرجوا.

٢. في الأصل: يقومون. ما في آ مهمل في الأول. في مط و الطبري (١٠ : ٦): يقومون.

عليهم الأمر، طلب مالك الأمان لنفسه و لأهل الشام، و أهل خراسان لا يعلمون. فأعطاه الأمان فوفى لهم قحطبة و لم يقتل منهم أحداً و قتل من كان بنهاوند من أهل خراسان إلا الحكم بن ثابت بن أبي مسعر. و قتل من أهل خراسان أبا كامل، و حاتم بن الحارث بن سريج، و ابن نصر بن سيار، و عاصم بن عُمير، و عليّ بن عقيل، و بكهس بن بُديل، و رجلاً من ولد عمر بن الخطّاب يقال له: البختري. و يقال إنّ قحطبة كان أرسل إلى أهل خراسان بنهاوند يدعوهم إلى الخروج إليه و أعطاهم الأمان، فأبوا ذلك. ثمّ أرسل إلى أهل الشام بمثل ذلك، فقبلوا الأمان و بعثوا إلى قحطبة أن:

«اشغل أهل المدينة حتّى تفتح الباب و هم لا يشعرون.»
ففعّلوا ذلك.»

و شغل قحطبة أهل المدينة بالقتال ففتح أهل الشام الباب الذي كانوا عليه، فلمّا رأى أهل خراسان الذين فى المدينة خروج أهل الشام [313] سألوهم عن سبب خروجهم فقالوا:

«أخذنا الأمان لنا و لكم.»

فخرج رؤساء أهل خراسان، فدفع قحطبة كل رجل منهم إلى رجل من قوّة أهل خراسان، ثمّ أمر مناديه أن ينادى:

«من كان فى يده أسير ممّن خرج إلينا من المدينة فليضرب عنقه و ليأتنا برأسه.»

ففعّلوا فلم يبق أحد من الذين كانوا هربوا من أبى مسلم و صاروا فى ذلك الحصن إلا قُتل ما خلا أهل الشام، فإنّه خلّى سبيلهم و حلّفهم ألاّ يمالئوا عليه عدوّاً.

و وجّه قحطبة الحسن ابنه إلى مرج القلعة فقدّم الحسن خازم بن خزيمة إلى حلوان و عليها عبّيد الله بن العلاء الكندى، فهرب من حلوان و خلاها. و وجّه

قحطبة أبا عون عبد الملك بن يزيد الخراساني، و مالك بن طواف^(١) الخراساني في أربعة آلاف إلى شهرزور و بها عثمان بن سفيان على مقدمته عبدالله بن مروان، فقدم ابن عون و قاتل عثمان قتالاً شديداً ثم هرب عثمان و استباح ابن عون عسكره.

و لما بلغ مروان خبر ابن عون و هو بحرّان ارتحل و معه جنود الشام و الجزيرة و الموصل و حشرت معه بنو أمية أبناءهم، و سار مقبلاً حتى انتهى إلى الموصل. [314] ثم أخذ في حفر الخنادق من خندق إلى خندق حتى نزل الزاب الأكبر. و أقام ابن عون بشهرزور و فرض بها لخمسة آلاف رجل.

مسير قحطبة نحو ابن هبيرة

و في هذه السنة سار قحطبة نحو ابن هبيرة. و لما قدم على ابن هبيرة ابنه منهزماً من خلوان، خرج يزيد بن عمر بن هبيرة إلى قتال قحطبة في عدد كثير لا يحصى و كان مروان أمداً ابن هبيرة بحوثة بن سهيل الباهلي، فسار ابن هبيرة حتى نزل جلولا^(٢) الواقعة و خندق، فيقال: إنه احتفر الخندق^(٣) الذي كانت العجم الحفرتة أيام وقعة جلولا فأقام و أقبل قحطبة فارتفع إلى عكبرا^(٤)، و أجاز قحطبة دجلة و مضى حتى نزل دمعاً دون الأنبار و ارتحل ابن هبيرة بمن معه منصرفاً يبادر قحطبة إلى الكوفة حتى نزل فم الفرات في شريقه و قدّم حوثة في خمسة عشر ألفاً إلى الكوفة و قطع قحطبة الفرات من دمعاً حتى

١. طواف: كذا في الأصل و مط. في آ، طران. في الطبري (١٠ : ٩)؛ طريف. في حواشيه: طراف، طرافة.

٢. في الطبري (١٠ : ١٠)؛ بالمد: جلولا.

٣. زيادة في آ و الطبري (١٠ : ١٠).

٤. في الطبري: بالمد: عكبرا.

صار في غريته، ثم سار يريد الكوفة حتى انتهى إلى الموضع الذي فيه ابن هُبيرة. فيقال: إِنَّ حَوْثرة بن سهيل أشار على ابن هُبيرة و قال له: «إِنَّ قحطبة قد مضى إلى الكوفة، فاقصد أنت لخراسان و دعه و مروان، فَإِنَّكَ [315] تكسره و بالحرى أن يتبعك.»

فأبى و قال:

- «ما كنت لأدعه و الكوفة بل أبادره إليها.»

و قال قحطبة لأصحابه:

- «هل تعلمون طريقاً يُخرجنا إلى الكوفة لا يمرّ بابن هُبيرة؟»

فقال بعضهم:

- «نعم، تعبر تامراً من روستقباد و تلزم الجادة إلى بزرج سابور و عكبرا ثم

تعبر دجلة إلى أوانا.»

و يُقال: إِنَّه لما بلغ الفرات سأل:

- «هل هناك مخاضة؟»

فدّلوه عليها. فنزل قحطبة الجازية^(١) و قال:

- «صدقني الإمام، أخبرني أَنَّ النصر بهذا المكان.»

و أعطى الجند أرزاقهم، فردّ عليه كاتبه ستّة عشر ألف درهم من فضل

الدهرم و الدرهمين و أقل و أكثر فقال:

- «لا تزالون بخير ما كنتم على هذا.»

ووافته^(٢) مقدّمة خيول ابن هُبيرة فلما انتهى ابن هُبيرة إلى المخاضة اقتحم

في عدّة، فحملوا على أصحاب ابن هُبيرة حتى انهزموا و مضى حَوْثرة حتى

١. في مط: الحازنة.

٢. في آ: و وافته.

نزل قصر ابن هُبيرة، و أصبح أهل خراسان و قد فقدوا أميرهم فألقوا بأيديهم، و على الناس الحسن بن قحطبة.

و اختلف الناس في هلاك قحطبة، فزعم بعضهم أنه غرق، و ادّعى قتله غير واحد ممن كان وتره، زعم^(١) كل واحد أنه أصاب [316] فرصته منه في الماء فقتله.

فقال الناس:

«أيها الناس، من كان عنده عهد من قحطبة فليخبرنا به.»

فقال مقاتل بن مالك العكّي:

«سمعت قحطبة يقول: إن حدث بي حدث فالحسن أمير الناس.»

فبايع الناس حميد بن قحطبة للحسن أخيه، و أرسلوا إلى الحسن، فلحقه الرسول دون قرية شاه^(٢) فرجع الحسن فأعطاه أبو الجهم خاتم أبيه، و بايعه الناس. فقال الحسن:

«إن كان قحطبة قد مات فأنا ابن قحطبة.»

و كان أحد من ادّعى قتل قحطبة معن بن زائدة و يحيى بن حُصين. و قال قوم: وُجد قحطبة قتيلاً في جدول، و حرب بن سلم بن أحوز قتل إلى جنبه. فظنوا أن كل واحد منها قتل صاحبه.

و حكى عن قحطبة أنه قال:

«إذا قدمتم الكوفة فوزير الإمام أبو سلمة، فسلموا الأمر إليه.»

و رجع ابن هُبيرة إلى واسط بعد أن انهزم حوثة. و أمر الحسن بن قحطبة بإحصاء ما وُجد في عسكر ابن هُبيرة، و أمر بحمل الغنائم في السفن إلى الكوفة.

١. في آ: وزعم. (بزيادة الواو).

٢. كذا في الاصل و مط و آ: شاه. و ما في الطبري (١٥:١٠) شاهی.

و خرج محمد بن خالد بن يزيد السري بالكوفة و سوّد قبل أن يدخلها
الحسن بن قحطبة و ضبطها. [317]

ذكر الخبر عمّا كان من أمره و ضبطه الكوفة
إلى أن وصل الحسن

ظهر محمد بن خالد بالكوفة و سوّد و سار إلى القصر و على الكوفة يومئذ
زياد بن صالح الحارثي. فارتحل زياد و من معه من أهل الشام و خلّوا القصر،
فدخله محمد بن خالد فلمّا أصبح يوم الجمعة من غد يوم دخوله - و هو اليوم
الثاني من مهلك قحطبة - بلغه نزول حوثة و من معه مدينة ابن هُبيرة، و أنّه تهيّأ
للمسير إليه. فتفرّق عن محمد عامّة من معه حيث بلغهم ذلك، إلّا فرساناً من
أهل الشام من اليمن كانوا هربوا من مروان و مواليه.

و راسله^(١) أبو سلمة الخلال من غير أن يظهر له يأمره بالخروج من القصر
واللحاق بأسفل الفرات و أنّه يخاف عليه لقلّة من معه و كثرة من مع حوثة و
لم يبلغ واحداً منهما هلاك قحطبة، فأبى محمد بن خالد أن يفعل و تعالى النهار
فتهيّأ حوثة للمسير إلى محمد بن خالد حيث بلغه قلّة من معه و خذلان العامّة
إيّاه. فبينما محمد في القصر إذ أتاه بعض طلّاعه و قال:

« خيل قد جاءت من أهل الشام. »

فوجّه إليهم عدّة من مواليه، فأقاموا بباب دار عمر بن سعد [318] إذ طلعت
رايات أهل الشام فتهيّأوا لقتالهم فنادى أهل الشام:

« نحن بجيلة و فينا مليح بن خلف البجلي جئنا لندخل في طاعة الأمير

محمد. »

١. في آ. و أرسله. و العبارة في الطبري (١٠ : ١٩): و أرسل إليه أبو سلمة الخلال.

فتركوهم و دخلوا ثم جاءت خيل أعظم من تلك فيها جهم بن الأصفر الكلبى. ثم جاءت خيل أعظم منها مع رجل من آل بَحْدَل^(١) فلما رأى ذلك حوثة من صنيع أصحابه ارتحل نحو واسط بمن معه. و كتب محمد بن خالد من ليلته إلى قحطبة و هو لا يعلم بهلاكه يعلمه أن قد ظفر بالكوفة، و عجل به مع فارس، فقدم على الحسن بن قحطبة فقرأه على الناس. ثم ارتحل إلى الكوفة، و أقام محمد بالكوفة الجمعة و السبت و الأحد، و صبحه الحسن يوم الإثنين، فأتوا أبا سلمة و هو فى بنى مسلمة^(٢) فاستخرجوه، فعسكر بالنخيلة يومين، ثم ارتحل إلى حمّام أعين. و وجه الحسن بن قحطبة إلى واسط لقتال ابن هُبيرة. و كان أبو سلمة يُعرف بوزير آل محمد حتى اتهم.

حسن بن قحطبة يوجه إلى قتال ابن هُبيرة

و لما وجه الحسن بن قحطبة إلى قتال ابن هُبيرة ضمّ إليه ستّة عشر قائدا منهم خازم بن خزيمة و مقاتل العكّى، و خفاف بن منصور، و أشباهم من الوجوه و وجه حميد بن قحطبة إلى المدائن فى قوادة، و بعث خالد بن برمك [319] إلى دير قنّى^(٣) و بعث شراجيل إلى عين التمر، و وجه بسّام بن إبراهيم بن بسّام إلى الأهواز. و بها عبد الواحد بن عمر بن هُبيرة. و بعث مع حفص بن سبيع إلى سفيان بن معاوية بهذه على البصرة. و تقدّم إليهم بإظهار دعوة بنى العباس و يدعو إلى الإمام القائم منهم.

١. فى مط: مجدل. فى آ: محدل (بالإهمال). فى الأصل و الطبرى (١٩ : ١٠): بَحْدَل.

٢. فى الطبرى: سلمة. و فى حواشيه: مسلمة.

٣. قنّى: الضبط من الطبرى (١٠ : ٢١).

فأما بسام فإنه لما أتى الأهواز خرج منها عبد الواحد إلى البصرة. و أما سفيان فإنه لما قدم عليه الكتاب و العهد قاتله سلم بن قتيبة و لم يسلم له، و كان مبدأ قتاله إتياء أن سفيان كتب إليه يأمره بالتحول عن دار الإمارة و يخبره بما أتاه من رأى أبي سلمة، فامتنع سلم و حشد إليه سفيان^(١) اليمانية و حلفاءهم من ربيعة و غيرها، و جنح إليه قائد من قواد ابن هبيرة كان بعثه مدداً لسلم في ألفي رجل فأجمع السير إلى سلم بن قتيبة فاستعدّ سلم له و حشد من قدر عليه من قيس و مضر و موالى بنى أمية و أشياعهم. و سارت بنو أمية الذين بالبصرة إلى نصره فقدم - سفيان في صفر، فأتى المربد سلم، فوقف منه في سوق الإبل، و وجه الخيول في سكك البصرة للقاء [320] من وجه إليه سفيان. و نادى:

«من جاء برأس فله خمسمائة، و من جاء بأسير فله ألف درهم.»

و مضى ابن سفيان و اسمه معاوية في ربيعة خاصة، فلقبه خيل^(٢) من تسميم في سكة فطعن رجل [منهم] فرس معاوية، فشبّ به وصرعه. و نزل إليه آخر فقتله و حمل رأسه إلى سلم بن قتيبة فأعطاه عشرة آلاف درهم فانكسر سفيان لقتل ابنه، فانهزم و من معه و خرج من فوره هو و أهل بيته حتّى أنوا القصر الأبيض فنزلوه، ثم ارتحلوا منه إلى كسكر. و تغلب على البصرة سلم، ثم أتاه كتاب ابن هبيرة أن يصير إلى الأهواز، و تغلب بالبصرة جماعة بقوا فيها أياماً يسيرة. و قام أبو العباس السفاح فولّاه سفيان بن معاوية.

١. في مط: ابنه سفيان اليمانية.

٢. خيل: كذا في الأصل. في مط: في خيل. في الطبري (١٠ : ٢٢): رجل.

تجارب العصر العباسي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

خلافة أبي العباس السفاح

و في هذه السنة بويح لأبي العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب. ليلة الجمعة ثلاث عشرة مضت من شهر ربيع الآخر، و قيل كان ذلك سنة اثنتين و ثلاثين و مائة.

ذكر الخبر عن خلافة أبي العباس و سببها

كان بدء ذلك - فيما ذكر - أنَّ رسول الله صلى الله عليه أعلم العباس عمه أنَّ الخلافة [321] تؤول إلى ولده. فلم يزل ولده يتوقعون ذلك و يستدأولون أخباراً بينهم و يسمون محمد بن علي: أبا الأملاك. و لما خالف ابن الأشعث و كتب الحجاج إلى عبد الملك أرسل عبد الملك إلى خالد بن يزيد فأخبره فقال: أما إذا كان الفتق من سجستان فليس عليك بأس. إنما كنا نتخوف لو كان من خراسان.

و كان محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ينتظر أوقاتاً معلومة عنده و ينتظر الأمر لولده و لا يسمي أحداً و كنا أخبرنا خبر محمد بن علي و خبر

١. سنة ١٣٢.

٢. في الطبري (١٠ : ٢٣): عن رسول الله (ص).

الدعاة الذين وجههم إلى خراسان. ثم مات محمد بن عليّ و جعل وصيّه من بعده إبراهيم بن محمد^(١) ابنه، فبعث إبراهيم أبا سلمة حفص بن سليمان مولى الشيبع و كتب معه إلى النقباء بخراسان، فقبلوا كتبه إلى أن قام بأمرهم أبو مسلم. ثم كان من وقوع كتاب إبراهيم إلى أبي مسلم في يد مروان ما كان، و قد ذكرناه. فوجه إليه مروان و هو بالحميمة، فأخذه و حبسه.

فحكى أن عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان قال لمروان بن محمد:

«هل تتهمنى؟»

قال: «لا.»

قال: «أيحطك مصاهرة إبراهيم بن محمد بن عليّ؟»

قال: «لا.»

قال: «فإني أرى أمره تبيغ^(٢) فأنكحه و أنكح إليه، فإن ظهر [322] كنت

أعلقت بينك و بينه سبباً لا يريبك^(٣) معه و إن كفيته لم يشنك صهره.»

فقال: «ويحك لو علمته صاحب ذاك سبقت إليه و لكن ليس بصاحبه.»

فذكر أن إبراهيم حين أخذ ليمضى به إلى مروان نعى نفسه إلى أهل بيته حين شيعوه، و أمرهم بالمسير إلى الكوفة مع أخيه أبي العباس عبدالله بن محمد بن عليّ و أوصى إلى أبي العباس أخيه، و جعله الخليفة من بعده، و تقدّم إلى الباقيين بالسمع له و الطاعة.

فشخص أبو العباس عند ذلك و من معه من أهل بيته حتى قدموا الكوفة في صفر. فأنزلهم أبو سلمة دار الوليد بن سعد مولى بني هاشم في بني أود. و كتم أمرهم من جميع القواد و الشيعة نحواً من أربعين ليلة.

١. سقط من آ: بن محمد.

٢. آ: قد نبغ. مط: ينبع. في الطبري (١٠: ٢٦): تبيغ. تبغ: حاج.

٣. في الأصل و مط: لا يريبك. آ: مهملة لا تقرأ. في الطبري (١٠: ٢٦): لا ترتبك.

و أراد أبو سلمة فيما ذكر تحويل الأمر إلى آل أبي طالب لما بلغه موت إبراهيم بن محمد. فأتى أبا سلمة أبو الجهم و قال له:

- «ما فعل الإمام؟»

قال: «لم يقدم بعد.»

ثم عاوده أبو الجهم و ألح عليه في السؤال. قال:

- «قد أكثرت و ليس هذا زمان خروجه.»

فلقى أبو حميد خادماً لأبي العباس يقال له: سابق الخوارزمي. فسأله عن أصحابه [323] فأخبره أنهم بالكوفة، و أن أبا سلمة أمرهم أن يختفوا. فجاء به إلى أبي الجهم فأخبروه خبرهم فشرح أبو الجهم أبا حميد مع سابق، حتى عرف منزلهم بالكوفة ثم رجع و معه إبراهيم بن سلمة فأخبر أبا الجهم عن منزلهم و نزول الإمام في بني أود، و شكك أنه أرسل الإمام حين قدموا إلى أبي سلمة يسأله مائة دينار لأجرة الحملين، فلم يفعل. فحمل أبو الجهم و أبو حميد على يد إبراهيم مائتي دينار إلى الإمام، ثم مضوا إلى أبي سلمة و سألوه عن الإمام فقال:

- «ليس هذا وقت خروجه، واسط بعد ما فتحت.»

فاجتمع الشيعة على أن يلقوا الإمام و ائتمروا بينهم و قالوا:

- «قد شاع في العسكر أن مروان قد قتل إبراهيم و أن أخاه أبا العباس هو الخليفة من بعده.»

و مشى القواد و الشيعة تلك الليلة ثم تسللوا من الغد، فمضى جماعة منهم

إلى الإمام و بلغ أبا سلمة و أتى القوم أبا العباس فقالوا:

- «أيكم عبدالله بن محمد بن الحارثية؟»

قالوا: «هذا.»

فسلموا عليه بالخلافة، و رجع أبو الجهم و موسى بن كعب و أقام الباقون

عند الإمام. فأرسل أبو سلمة [324] إلى أبي الجهم:

«أين كنت ركبت؟»

قال: «ركبت إلى إمامي.»

فحينئذ ركب أبو سلمة إليهم. فأرسل أبو الجهم إلى أبي حميد: أن أبا سلمة قد أتاكم فلا يدخلن على الإمام إلا وحده.

فلما انتهى إليهم أبو سلمة منعه أن يدخل معه أحد. فدخل وحده و سلم بالخلافة على أبي العباس.

و خرج أبو العباس على بردون أبلق يوم الجمعة، فصلّى بالناس.

فيقال: إن أبا سلمة لما سلم على أبي العباس بالخلافة قال له أبو حميد:

«على رغم أنفك، يا ماصّ بظر أمه^(١)».

فقال أبو العباس:

«مه.»

أبو العباس يريد أن يجعلها شوري بين ولد عليّ و العباس

و روى من عدة وجوه أن أبا العباس السفاح قدم هو و أهله سرّاً على أبي

سلمة الخلال بالكوفة فستر أمرهم و عزم على أن يجعلها شوري بين ولد عليّ

و العباس حتى يختاروا منهم من أرادوا. ثم قال:

«أخاف ألا يتفقوا.»

فعزم أن يعدل بالأمر إلى ولد الحسين أو الحسن عليهم السلام. فكتب إلى

ثلاثة نفر^(٢) منهم جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين و عمر بن عليّ بن

١. انظر الطبري (١ : ٢٨).

٢. كذا في الأصل. في آ: مائة نفر.

الحسين بن عليّ و عبدالله بن الحسن بن الحسن بن عليّ عليهم السلام. و وجه بكتبهم مع رجل من مواليتهم من ساكني الكوفة. فبدأ بجعفر بن محمد فلقيه ليلاً فأعلمه أنّه رسول [325] أبي سلمة و أنّ معه كتاباً إليه. فقال:

«و ما أنا و أبو سلمة؟ هو شيعة لغيري.»

فقال الرسول: «تقرأ الكتاب و تجيب بما رأيت.»

فقال جعفر لخادمه: «قرّب السراج منّي.»

فقرّبه فوضع عليه كتاب أبي سلمة فأحرقه.

قال: «ألا تجيبه؟»

قال: «قد رأيت الجواب.»

ثمّ أتى عبدالله بن الحسن، فقرأ كتابه و ركب إلى جعفر بن محمد. فقال له جعفر:

«أمر جاء بك يا با محمد؟ لو أعلمتني لجئتك.»

قال: «و أيّ أمر؟ هو ممّا يجلّ عن الوصف.»

قال: «و ما هو؟»

قال: «هذا كتاب أبي سلمة يدعوني إلى الخلافة ويراني أحقّ الناس به. و قد جاء به شيعتنا من خراسان.»

فقال له جعفر عليه السلام:

«و متى صاروا شيعتك؟ أنت وجهت أبا مسلم إلى خراسان و أمرته بلبس

السواد. هل تعرف أحداً منهم باسمه و نسبه؟ كيف يكونون شيعتك و أنت لا

تعرف أحداً منهم و لا يعرفونك؟»

فقال عبدالله:

«ما هذا الكلام منك إلا لشيء.»

فقال له جعفر:

«قد علم الله أنني أوجب النصح على نفسي لكل مسلم و كيف أدخره عندك فلا تُمنين نفسك إلا الأباطيل فإن هذه الدولة تتم لهم و ما هي لأحد من ولد أبي طالب. و قد جاءني ما جاءك، فلم أجب إلا [326] بما ستعرف خبره.»
فانصرف غير راضٍ بما قاله.

و أما عمر بن علي بن الحسين فإنه ردّ الكتاب و قال:
«ما أعرف كاتبه.»^(١)

و أبطأ أمر أبي سلمة على أبي العباس و من معه. فخرج أصحاب له يطوفون بالكوفة فلقي حميد بن قحطبة و محمد بن صول رجلاً من مواليتهم فعرفاه. إنه كان يحمل كتب محمد بن علي و إبراهيم بن محمد إليهما. فسألاه عن الخبر و أعلمهما أن القوم قد قدموا منذ أيام و أنهم في سرداب يُعرف بيني أود، فصار إلى الموضع و سلما عليهم و قالوا:

«أيكما عبد الله؟»

فقال أبو العباس و أبو جعفر:

«كلنا عبد الله.»

فقالا: *فترتحتقات كاتبتور علوم ردي*

«أيكما ابن الحارثية؟»

فقال أبو العباس: «أنا.»

فقالا: «السلام عليك يا أمير المؤمنين.»

و دنوا منه فبايعاه، و أخرجاهم إلى المسجد الجامع فصعد أبو العباس المنبر،

فحصر، فصعد عمّه داود بن عليّ، و قام دونه بمرقاة، و خطب^(١) خطبته المشهورة.

أول خطبة خطبها أبو العباس السفّاح

و لما صعد أبو العباس المنبر حين يؤيع له بالخلافة قام في أعلاه، فقال:

«الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه فكّرّمه و شرفه و اختاره لنا، و أيدنا به، و جعلنا [327] أهله و كهفه و حصنه، و القوّام به و الدّائمين عنه و الناصرين له، و ألزّمتنا كلمة التقوى، و جعلنا أحقّ بها و أهلها، خصّنا برحم رسول الله صلى الله عليه و قرابته، و أنشأنا من آباءه و أنبتنا من شجرته و اشتقّنا من نبعته و جعله من أنفسنا عزيزاً عليه ما عنتنا حريصاً علينا بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً و أنزلنا من الإسلام و أهله بالموضع الرفيع و أنزل بذلك كتاباً يُتلى فقال تبارك و تعالى: إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يُطهّرکم تطهيراً^(٢). و قال: اقُلْ لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى^(٣). و قال: و أنذر عشيرتک الأقربين^(٤). و قال: و ما أفاء الله

١. في آ: فقال: «إنّ أمير المؤمنين يكره أن يتقدّم قوله فعله..... [غير مقروء] حسبكم بكتاب الله فيكم و ابن عمّ نبيّكم خليفة عليكم، قسماً برّاً ما أريد به غير الله، ما قام هذا المقام بعد رسول الله صلى الله عليه و سلّم أحقّ به من عليّ بن أبي طالب و منه، فليظنّ ظأنكم و ليهمس هامسكم، و السلام.»

٢. س ٣٣ الأحزاب: ٣٣.

٣. س ٤٢ السورى: ٢٣.

٤. س ٢٦ الشعراء: ٢١٤.

على رسوله من أهل القرى فله و للرسول و لذى القُربى^(١).
فأعلمهم جلّ و عزّ فضلنا، و أوجب عليهم حقّنا و مودّتنا، و أبجل
من الفئء و الغنيمة نصيبنا، تكرمة علينا و فضلاً علينا، و الله ذو
الفضل العظيم.»

ثمّ ذكر جور بنى أميّة و ظلمهم و وعد الناس من نفسه خيراً و قال فى آخر
كلامه:

– «و قد زدّكم فى أعطياتكم مائة درهم فاستعدّوا فإنّى أنا السفّاح
المبيع و الشائر المبير.

و كان موعوكاً فاشتدّ به الوعك، فجلس على المنبر. [328]
و صعد داود بن عليّ، فقام دونه على مراقى و قال:

– «الحمد لله شكراً شكراً، الذى أهلك عدوّنا و أصار إلينا ميراثنا
من نبينا محمّد صلى الله عليه.

«أنها الناس، الآن أقشعت حنادس الدنيا، و انكشف غطاؤها، و
أشرقّت أرضها و سماؤها، و طلعت الشمس من مطلعها، و بزغ
القمر من ميزغه، و أخذ القوس باريها و عاد السهم إلى منزعه و
رجع الحقّ فى نصابه فى أهل بيته أهل الرأفة و الرحمة بكم و
العطف عليكم.

«أيها الناس، إنا و الله ما خرجنا في هذا الأمر لتكثر لجيناً و لا ذهباً و لا لتحفر نهراً أو نبني قصراً و إنما أخرجنا الأنفة من ابتزازهم حقنا، و الغضب لبني عمنا و ما كرثنا من أمورنا و بهظنا^(١) من شؤونكم^(٢)»

ثم وعد الناس خيراً و قال:

- «أيها الناس، إن أمير المؤمنين - نصره الله نصراً عزيزاً - إنما قطعه عن استتمام الكلام شدة الوعك، فادعوا الله لأمر المؤمنين بالعافية.»

فعج له الناس بالدعاء. ثم قال:

- «أيها الناس، إني ما صعد منبركم هذا خليفة^(٣) بعد رسول الله صلى الله عليه إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب و أمير المؤمنين هذا - و أشار بيده إلى أبي العباس^(٤) - و اعلموا أن هذا الأمر فينا

١. الضبط في كلا الفعلين من الأصل و يؤيده الطبري (١٠: ٣١).

٢. وزاد في آ: «.. يظن عدو الله أن لن يقدر عليه حين أرخى له في زمامه، حتى عثر في خطامه. فالآن عاد الحق إلى مقره، و رجع إلى أهل بيت نبيكم. إنا و الله ما زلنا مظلومين مقهورين حتى أناخ الله كذا. و لعله: أتاح الله لنا و لمواليها و شيعتنا من أهل خراسان، و رب هذه البنية لا يظلم منكم أحد.

٣. من هنا إلى «و أمير المؤمنين هذا» ساقط من آ.

٤. و زاد في آ: و إن الكلام بعد الإفحام كالإشراق بعد الظلام و قد يغرب البيان و يحتقم

[329] ليس بخارج منا حتى نسلّمه إلى عيسى بن مريم عليه

السلام.»

ثم نزل داود بن عليّ، و نزل أبو العباس حتى دخل القصر، و أجلس أبا جعفر أخاه يأخذ البيعة على الناس في المسجد، فلم يزل يأخذها حتى صلى بهم العصر، ثم صلى بهم المغرب و جنّهم الليل، فدخل.

و ذكر^(١) أنّ داود بن عليّ و ابنه كانا بالعراق أوبغيها، فخرجا يريدان الشّراة، فلقيهما أبو العباس و معه أخوه أبو جعفر و معهما عبدالله بن عليّ، و عيسى بن موسى، و صالح و عبد الصمد، و إسماعيل، و عبدالله بنو عليّ، و يحيى بن محمّد، و عبد الوهاب و محمّد ابنا إبراهيم، و موسى بن داود، و يحيى بن جعفر بن تمام بن العباس، و نفر من مواليتهم بدومة الجندل. فقال لهم داود: «أين تريدون و ما قصّتكم؟»

فقصّ عليه أبو العباس قصّتهم و أنّهم يريدون الكوفة ليظهروا بها و يُظهروا أمرهم.

فقال له داود:

«يا أبا العباس، تأتي الكوفة و شيخ بني مروان بحرّان - يعني مروان بن محمّد - و هو مظلّ^(٢) على العراق في أهل الشام و الجزيرة و شيخ العرب

→ الصواب، و أنّما اللسان بضعة من الانسان، يعز بفتوره (؟) إذا بكّل، و يثوب بانسباط إذا ارتجل، إنّنا لا ننطق أشراً، و لا نسكت حسراً، بل ننطق مرشدين، و نسكت معنبرين. و بعد فإنّا أمراء القول، فينا و شحت اعراقه، و إلينا تعطف أغصانه، و علينا تهزّأت شمرد، فنجنّي منها ما احلولى وعذب، و نترك منه ما املوح و خبث، و من يجد مقامنا مقام، و أيا منا أيا منا أيا...»

١. انظر الطبري (١٠: ٣٣)

٢. مظلّ: كذا في الأصل و مط. في آ و الطبري (١٠: ٣٣) مظل (باطاء المهملات).

يزيد بن عمر بن هُبيرة بالعراق في حلبة العرب.

فقال له أبو العباس:

«يا عمّ، مَنْ أَحَبَّ الْحَيَاةَ ذَلَّ.»

ثمّ تمثّل بقول الأعشى. [330]

فما ميتةٌ إن متُّها غيرَ عاجزٍ بِعَارٍ إِذَا مَا غَالَتِ النَّفْسُ غَوْلُهَا

فالتفت داود إلى ابنه موسى فقال:

«صدق والله ابن عمّك، ارجع بنا معه نعش أعرّاء أو نموت كراماً.»

فرجعوا معه. و كان عيسى بن موسى إذا ذكر خروجهم من الحميمة يريدون

الكوفة يقول:

«إِنَّ رَكْباً أَرْبَعَةَ عَشَرَ خَرَجُوا مِنْ دَارِهِمْ وَ أَهْلِيهِمْ يَطْلُبُونَ مَا طَلَبْنَا^(١)

لِعَظِيمَةٍ هَمَمِهِمْ، كَبِيرَةً أَنْفُسِهِمْ، شَدِيدَةً قُلُوبِهِمْ.»

و خرج^(٢) أبو العباس بحمّام أعين في عسكر أبي سلمة فنزل معه في

حجّرتة و حاجب أبي العباس عُبيدُ الله بن بَسّام و استخلف على الكوفة و

أرضيها داود بن عليّ و بعث عمّه عبد الله بن عليّ إلى أبي عَوْن و بعث ابن أخيه

عيسى بن موسى إلى الحسن بن قحطبة و هو يومئذٍ بواسط مُحاصِرُ ابن هُبيرة،

و بعث يحيى بن جعفر بن تَمّام بن العباس إلى حميد بن قحطبة بالمدائن، و

بعث أبا اليقظان عثمان بن عروة بن محمّد بن عَمّار بن ياسر إلى بَسّام بن

إبراهيم بن بَسّام بالأهواز، و بعث سلمة بن عمرو بن عثمان إلى مالك بن

طَوّاف^(٣).

١. في الطبري (٣٤: ١٠): مطالبنا و يعظم همّهم.

٢. انظر الطبري (٣٧: ١٠).

٣. في الطبري (٣٧: ١٠): طريف. في آ: طَوّاف. في مط: طوف.

و أقام أبو العباس في العسكر شهراً، ثم ارتحل فنزل المدينة الهاشمية في قصر الإمارة^(١)، وقد كان تنكر لأبي سلمة قبل [331] تحوُّله حتَّى عُرف بذلك. و في هذه السنة هُزم مروان بن محمَّد.

هزيمة مروان بن محمد

ذكر الخبر عن هذه الواقعة و سببها

كان أبو عَوْن ووجهه قحطبة إلى شهرزور و بها عثمان بن سعيد من قبل مروان فقتله أبو عَوْن و أقام بناحية الموصل و بلغ ذلك مروان، فأقبل من حرَّان حتَّى سار إلى الموصل فنزل على الزاب و حفر خندقاً، فسار إليه أبو عَوْن، فنزل الزاب، و وجهه أبو سلمة إليه مدداً و عدَّة من القوَّاد. فلما ظهر أبو العباس، بعث إليه أيضاً عدَّة من القوَّاد و مدداً آخرين.

ثمَّ قال أبو العباس:

- «من يسير إلى مروان من أهل بيتي؟»

فقال عبد الله بن عليّ:

- «أنا.» فقال:

- «سِرْ على بركة الله.»

فسار عبد الله بن عليّ حتَّى قدم على أبي عَوْن فتحوَّل له أبو عَوْن عن شُراذه و خلاه له بما فيه. فسأل عبد الله بن عليّ عن مخاضة فدلَّ عليها بالزاب، فأمر عُيينة بن موسى فعبّر في خمسة آلاف، و انتهى إلى عسكر مروان، فقاتلهم حتَّى أمسوا، و رُفعت لهم النيران فتحاجزوا، فرجع عُيينة إلى عسكر عبد الله بن عليّ، فأصبح مروان فعقد جسراً، و سرح ابنه عبد الله و قال له:

١. في الطبري (١٠: ٣٧): قصر الكوفة.

- «إمض [332] حتّى تكون أسفل من عسكر ابن على».

و بعث إليه من ورائه من يشغله، ففعل ذلك و بعث عبدالله بن عليّ المخارق بن عقّان فى أربعة آلاف حتّى نزل على خمسة أميال من عسكر عبدالله بن مروان. فبعث عبدالله بن مروان الوليد بن معاوية، و سار إليه مروان فقال مروان لمّا التقى العسكران لعبد العزيز بن عمر بن عبدالعزيز:

- «إن زالت الشمس اليوم فلم يقاتلونا، كنّا الذين ندفعها إلى عيسى بن مريم، و إن قاتلونا قبل الزوال فإنّا لله و إنّنا إليه راجعون».

و أرسل مروان إلى عبدالله بن عليّ يسأله المواجهة فقال عبدالله:

- «كذب ابن زريق، لا تزول الشمس حتّى أوطئه الخيل إن شاء الله».

فقال مروان لأهل الشام:

- «لا تبدأوهم».

و جعل ينظر إلى الشمس. فحمل الوليد بن معاوية بن مروان و هو ختن^(١) مروان على ابنته. فغضب و شتمه و تمّم الوليد حملته، فهزم أبا عون فانحاز إلى عبدالله بن عليّ. فقال موسى بن كعب:

- «مرّ الناس أن ينزلوا».

فَنُودى:

- «الأرض، الأرض».

فَنَزَلَ الناس و أشرعوا الرماح و جثوا على الركب فحمل أهل الشام كأنهم جبال حديد، و مالوا على أصحاب عبدالله بن عليّ كأنهم سحابة فصبروا لهم على حالهم. [333] فقال^(٢):

١. ختنه: تزوّج إليه و صاهره.

٢. كذا فى الأصل. فى آ: فيقال. فى مط: فقيّل.

- «إن مروان كان لا يدبر شيئاً إلا عرض فيه خلل وفساد» حتى قال:
 - «أخرجوا إلى الناس الأموال»
 فأخرجت و قال للناس:
 - «اصبروا و قاتلوا، و هذه الأموال لكم»
 فجعل ناس يصيرون من ذلك المال فأرسل إليه:
 - «إن الناس قد مالوا إلى هذا المال، و لا نأمنهم أن يذهبوا به»
 فأرسل إلى ابنه عبدالله أن:
 - «سير إلى مؤخر عسكرك، فمن مرّ بك و معه شيء من المال فاقتله و
 امنعهم»
 فمال عبدالله برايته و تبعه أصحابه. فقال الناس:
 - «الهزيمة» فانهزموا.

قتل ابراهيم محمد و ما قالوه في سبب قتله

و في هذه السنة كان قتل ابراهيم بن محمد بن عبدالله بن عليّ بن العباس. و
 قد اختلف الناس فيه فقال بعضهم: لم يقتل و لكن مات في السجن بالطاعون. و
 قيل: لما انهزم مروان بالزاب عاد إلى حرّان، فاستعرض أهل السجن، فوجدهم
 قد هلكوا و قتل خليفة مروان بعضهم. فأطلق مروان من بقى منهم، و كان
 ابراهيم الإمام ممّن هلك. و يقال: بل هدم مروان عليه بيتاً فقتله. و حكى بعض
 خدم ابراهيم ممّن كان يخدمه في محبسه قال: كان معه في الحبس عبدالله بن
 عمر بن عبدالعزيز و شراحيل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك [334] فخصّ
 بين ابراهيم و شراحيل، و كانا يتزاوران، فأتاه رسول من شراحيل يوماً بلبن فقال:
 - «يقول لك أخوك إني شربت من هذا اللبن فاستطبتته، فأحببت أن تشرب

منه»

فتناولوه، فشرب منه فتوصّب من ساعته و تكسّر جسده. و كان يوماً يأتي فيه شراحيل، فأبطأ عليه.

فأرسل إليه: «جُعِلَتْ فداك قد أبطأت فما حبسك؟»

فأرسل إليه: «إِنِّي لَمَّا شربت اللبن الذي أرسلت به إِلَيَّ أخلفني.»

فأتاه شراحيل مذعوراً و قال:

«لا والله الذي لا إله إلا هو، ما شربت اليوم لبناً ولا أرسلت به إليك فإنّا لله

و إنّنا إليه راجعون، أحتيل لك والله.»

قال: فما بات إلا ليلته و أصبح من الغد ميّثاً.^(١)

و في هذه السنة قُتل مروان بن محمّد.

ذكر الخبر عن مقتل مروان و ما عومل به

في طريقه و هو هارب و مالقى من أصحابه

حكى أبو هاشم مغلّد بن محمّد قال: لَمَّا هُزِم مروان من الزاب كنت في

عسكره، و كان معه مائة و عشرون ألفاً، و كان عبدالله بن عليّ في عشرين

ألفاً، فلَمَّا انهزم مروان سار إلى الموصل و عليها هشام بن عمرو و بشر بن

خُزيمة، فقطعا الجسر و منعاه.

فناداهم [335] أهل الشام:

«هذا مروان.»

قالوا: «كذبتم، أمير المؤمنين لا يفرّ.»

فسار إلى بلد فعبر دجلة، ثم أتى دمشق و خلف بها الوليد بن معاوية، و قال:

«قاتلهم حتّى يجتمع أهل الشام.»

ومضى مروان إلى فلسطين فنزل نهر أبي فطرس و قد غلب على فلسطين
الحكم بن ضبعان الجذامي وسود. فأرسل مروان إلى عبدالله بن يزيد بن روح
بن زنباع فأجازه و كتب أبو العباس إلى عبدالله بن عليّ يأمره باتباع مروان.
فسار عبدالله إلى الموصل فتلقاه هشام بن عمرو، و بشر بن خزيمة قد سود
في أهل الموصل، و فتحوا له المدينة، و ولي الموصل ابن صول. ثم سار إلى
حرّان، فهدم الدار التي حبس فيها إبراهيم بن محمد. ثم سار من حرّان إلى منبج
وقد سودوا، فنزل مدينة منبج و قدم عليه أبو حميد المروروذي، و بعث إليه
أهل قنسرين ببيعتهم كما أتاه به عنهم أبو أميّة. و قدم عليه عبد الصمد بن عليّ
أمده به أبو العباس في أربعة آلاف فأقام يومين بعد قدوم عبد الصمد. ثم سار
إلى قنسرين فأتاها و قد سود أهلها و أقام يومين. ثم سار حتّى نزل حمص و
أقام بها حتّى بايع أهلها. ثم سار إلى بعلبك فأقام يومين ثم ارتحل [336] فنزل
مزة قرية من قرى دمشق، و قدّم عليه صالح بن عليّ مدداً فنزل مرج عكبراء
في ثمانية آلاف، و فرّق أصحابه على أبواب دمشق و حاصروها و البلقاء، و
تعصّب الناس بالمدينة و قتل بعضهم بعضاً، و قتلوا الوليد، و فتحوا المدينة سنة
إثنتين و ثلاثين و مائة.

و كان أول من صعد السور من باب الشرقي عبدالله الطائي و من قبل باب
الصغير بسام بن إبراهيم فقتل بها ثلاث ساعات. ثم أمر بالكفّ.
و أقام عبدالله بن عليّ بدمشق ثمانية عشر يوماً. ثم سار يريد فلسطين فنزل
بهم الكُشوة^(١)، و وجّه منها يحيى بن جعفر الهاشمي إلى المدينة ثم ارتحل إلى
الأردن، فأتوه و قد سودوا. ثم سار إلى مرج الروم ثم أتى نهر أبي فطرس.
و قد هرب مروان فأقام بفلسطين و جاءه كتاب أبي العباس أن وجّه صالح

١. في الطبري (٢٨: ١٠): نهر الكسوة.

بن عليّ في طلب مروان. فسار صالح بن عليّ من نهر أبي فطرس و معه ابن قنّان و عامر بن إسماعيل و أبو عَون. فقدمَ أبا عون و عليّ^(١) مقدّمته و سار فنزل الرملة، ثمّ سار فنزل ساحل البحر و جمع صالح بن عليّ السفن و تجهّز يريد مروان و هو بالقرما، فسار [337] على الساحل و السفن حذاءه في البحر، حتّى نزل العريش، و بلغ مروان، فأحرق ما كان حوله من علف و طعام، و هرب.

و مضى صالح بن عليّ، فنزل النيل، ثمّ سار حتّى نزل الصعيد. و بلغه أن خيلاً لمروان بالساحل يحرقون الأعلاف، فوجّه إليهم قوّاداً فأخذوا رجالاً و قدّموا بهم على صالح و هو بالفسطاط، فعبر مروان النيل و قطع الجسر و حرق ما حوله. و مضى صالح يتبعه فالتقى هو و خيل لمروان على النيل، فاقتتلوا، فهزمهم صالح، ثمّ مضى إلى خليج فصادف عليه خيلاً لمروان فأصاب منهم طرفاً و هزمهم ثمّ ارتحل فنزل موضعاً يقال له ذات الساحل. و قدّم أبا عون و معه شعبة بن كثير المازني، فلقوا خيلاً لمروان فهزموهم فأسروا منهم رجالاً، فقتلوا بعضهم و استحيوا بعضاً و سألوهم عن مروان، فقالوا:

«إن آمتمونا دللناكم على مكانه.»

فآمنوهم، فأخبروهم به. و ساروا فوجدوه نازلاً في كنيسة بُوصير، و وافوه في آخر الليل، فهرب الجند و خرج إليهم مروان في نفر يسير، فأحاطوا به فقتلوه.

اتفاقٌ عجيب

و من عجيب الأمور التي جرت [338] هناك أن أبا عون عامر بن إسماعيل

١. في الأصل: و عليّ، و في مط: عليّ (بدون الواو).

تحدث فقال: لقينا مروان ببوصير و نحن في جماعة يسيرة، فشددوا علينا فانضوينا إلى نخيل، ولو يعلمون بقلتنا لأهلكونا، فقلت لأصحابي: - «إن أصبحنا فرأونا و نحن نفر يسير لم ينبج منا أحد.»

و ذكرت قول بكير بن ماهان:

- «أنت والله تقتل مروان، كأتى أسمعك تقول: دهيد يا جوائكان^(١)»

فكسرت جفن سيفي و كسر أصحابي جفون سيوفهم ، قلت: دهيد يا جوائكان، فكأناها نار صبت عليهم، فانهزموا.

و حمل رجل على مروان فضربه بسيفه فقتله.

و كتب عامر بن إسماعيل إلى صالح بن علي فكتب صالح بن علي إلى أمير المؤمنين أبي العباس:

- «إنا اتبعنا عدو الله الجعدى حتى ألجأناه إلى أرض عدو الله شبيهه فرعون، فقتله^(٢) بأرضه.»

و بعث صالح برأسه مع يزيد بن هانيء، و كان على شرطة أبي العباس يوم الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة اثنتين و ثلاثين و مائة.

و رجع صالح إلى القسطنطين ثم انصرف إلى الشام فدفع الغنائم إلى أبي عون، و السلاح و الأموال و الرقيق إلى أبي الفضل ابن دينار، و خلف أبا عون على مصر، و قتل مروان و هو ابن ثيف و ستين سنة و اختلف [339] الناس فى النيف، فلذلك لم أثبتة.

فكانت ولايته من حين بويج إلى أن قتل خمس سنين و عشرة أشهر و ستة عشر يوماً.

١. انظر الطبرى (٥٠: ١٠).

٢. فى الأصل و مط: فقتله. و ما صدحنه يؤيده الطبرى (٥٠: ١٠).

و كانت أمّه أمة لإبراهيم بن الأشتر، أصابها محمد بن مروان بن الحكم يوم قُتل ابن الأشتر، فأخذها من ثقله و هي نس،^(١) فولدت مروان علي فراشه. و لما بُويع أبو العباس دخل عليه ابن عياش المنتوف فقال: «الحمد لله الذي أبدلنا بحمار الجزيزة و ابن أمة النخع، ابن عم رسول الله و ابن عبدالمطلب.»

و في هذه السنة خلع أبو الورد أبا العباس بقنسرين، فبيض و بيضوا معه.

ذكر الخبر في تبيض أبي الورد

و انتقاض تلك النواحي كلّها و ما آل إليه أمرهم

كان سبب ذلك أنّ أبا الورد و اسمه متجزأة بن الكوثر بن زُفر بن الحارث الكلابي كان من أصحاب مروان و فرسانه و قواده، فلما هزم مروان و أبو الورد بقنسرين قدامها عبد الله بن علي، فبايعه فدخل فيما دخل فيه الناس من الطاعة و كان ولد مسلمة بن عبد الملك مجاورين له ببالس و الناعورة، فقديم بالس قائد من قواد عبد الله بن علي [340] من الأزاذ مردية^(٢) في مائة و خمسين فارساً، فتمرض لنساء مسلمة بن عبد الملك و عبث بولد مسلمة، فشكا بعضهم ذلك إلى أبي الورد و ذكره الحقّ و الحرمة فخرج من مزرعة له تُعرف بخُساف في عدّة من أهل بيته حتّى هجم على ذلك القائد و هو نازل حصن مسلمة، فقاتله حتّى قتله و من معه، و أظهر التبييض و الخلع، و دعا أهل قنسرين إلى ذلك، فتسارعوا إليه و بيضوا بأجمعهم و عبد الله بن علي مشغول، بحرب ابن حبيب

١. في الأصل و آ: نس. في مط: نسر. في الطبري (٥١: ١٠): و هي تتنّيق.

٢. كذا في الأصل و آ: أزاذ مردية. في الطبري (٥٢: ١٠): أزار مردين. و في حواشي الطبري عن المقدسي: أزار: هزار.

بن مِرَّة في أيلة بأرض البلقاء و البشتية^(١) و حوران.

و كان قد لقيه عبدالله بن علي في جموعه فقاتله. و كان بينه و بينهم و قعات و كان من قوَّاد مروان و فرسانه، و كان سبب تبييضه الخوف على نفسه و قومه فبايعته قيس و غيرهم ممَّن يليهم من أهل تلك الكُور. فلما بلغ عبدالله بن علي تبيض أهل قنسرين دعا حبيب بن مِرَّة إلى الصلح نصالحه و آمنه و من معه، و خرج متوجَّهاً نحو قنسرين للقاء أبي الورد، فمَرَّ بدمشق، فخلف عليها أبا غانم عبدالحميد بن ربيعي في أربعة آلاف رجل من جنده، و كان بدمشق يومئذٍ امرأة عبدالله بن علي أم البنين بنت محمد بن عبدالمطلب النوفلية و أمهات الأولاد [341] لعبدالله بن علي و ثقل له، فلما قدم حمص في وجهه انتقض عليه بعده أهل دمشق، فبيضوا و نهضوا مع عثمان بن عبدالله بن سُراقة الأزدي، فنهضوا إلى أبي غانم و من معه فقاتلوه و هزموه، و قتلوا من أصحابه مقتلة عظيمة، و انتهبوا ما كان عبدالله بن علي خلفه من ثقله و متاعه ولم يعرضوا لأهله، و بيض أهل دمشق و استجمعوا على الخلاف.

و مضى عبدالله بن علي و قد كان تجمَّع مع أبي الورد جماعة من أهل قنسرين و كاتبوا من يليهم من أهل حمص و تدمر، فقدم منهم ألوف و عليهم أبو محمد بن عبدالله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، فرأسوا عليهم أبا محمد و دعوا إليه و قالوا:

«هو السقياني الذي كان يُذكر».

و هم نحو من أربعين ألفاً.

فلما دنا منهم عبدالله بن علي، و أبو محمد مُعسكر^(٢) بجماعتهم في مرج

١. كذا في الأصل و الطبري (١٠: ٥٢).

٢. في الأصل و مط و الطبري (١٠: ٥٣): فمسكر.

يُقال له: مَرَج الأخرم، و أبو الورد المتولَّى لأمر العسكر و هو صاحب القتال و الوقائع، وجَّه عبدالله بن عليّ أخاه عبدالصمد بن عليّ في زهاء عشرة آلاف فارس، فناهضهم أبو الورد و لقيهم بين العسكرين و استحرَّ القتل في الفريقين، و ثبت القوم حتَّى انهزم [342] عبدالصمد و من معه. و قُتل منهم يومئذٍ ألف. و أقبل عبدالله حيث أتاه عبدالصمد و معه حُميد بن قحطبة و جماعة من معه من القوَّاد، فالتقوا و اقتتلوا ثانية بمرج الأخرم قتالاً شديداً فانكشف منهم جماعة ممَّن كان مع عبدالله، ثمَّ ثابوا، و ثبت لهم عبدالله و حُميد بن قحطبة فهزموهم و ثبت أبو الورد في نحو من خمسمائة من أهل بيته و قومه فقتلوا جميعاً، و هرب أبو محمَّد و من معه حتَّى لحقوا بتدمر.

و آمن عبدالله أهل قنسرين، و سوَّدوا و بايعوا. ثمَّ انصرف راجعاً إلى أهل دمشق لما كان من تبييضهم عليه و توثبهم على أبي غانم. فلمَّا دنا من دمشق، هرب الناس و تفرَّقوا ولم يكن بينهم وقعة فأمن عبدالله أهلها و بايعوه، ولم يأخذهم بما كان منهم^(١).

و أمَّا أبو محمَّد فلم يزل متغيِّباً، ولحق بأرض الحجاز و بلغ زياد بن عبيد الله الحارثي عامل أبي جعفر على المدينة مكانه الذي تغيب فيه، فوجَّه إليه خيلاً فقاتلوه حتَّى قُتل و أخذوا إثنين له، فبعث بهما إلى أبي جعفر، و هو يومئذٍ أمير المؤمنين فأمر بتخليئة سبيلهما و آمنهما.

و في هذه السنة بيّض^(٢) أهل الجزيرة و خلعوا أبا العباس [343]

ذكر الخبر عن ذلك

كان الناس يظنون ببيعة المسوَّدة أنَّها تردُّ عليهم سنَّة الصدر الأوَّل، فلمَّا رأوا

١. في آ: بينهم.

٢. في مط: نهض.

سيرتهم شبيهة بسيرة من تقدّمهم، ثمّ هجم عليهم عسكر غريب منهم، لهم معرّات و أطماع فيهم تبرّموبهم، فلمّا خرج أبو الورد لما ذكرنا، غيرة و حميّة على نساء مسلمة، انتقض الناس من كل ناحية، و كان بحرّان يومئذٍ موسى بن كعب في ثلاثة آلاف من الجند، صاحب عبدالله بن عليّ، و سار إليه الناس مبيّضين من كل وجه، فحاصروه و من معه، و أمرهم متشتت ليس عليهم رأس يجمعهم و قدم على بقيّة^(١) ذلك إسحاق بن مسلم من أرمنيّه كان شخص عنها حين بلغته هزيمة مروان فرأسته جنود الجزيرة حتّى حاصر موسى بن كعب. فوجّه أبو العبّاس أخاه أبا جعفر بمن معه من الجنود التي كانت بواسط محاصرة ابن هُبيرة، فمضى حتّى مرّ بقرقيسيا و أهلها مبيّضون قد غلقوا أبوابها دونهم، ثمّ قدّم مدينة الرقة و هم على مثل ذلك، و بها بكّار بن مسلم، فمضى نحو حرّان، و رحل إسحاق بن مسلم إلى الرّها^(٢) في سنة ثلاث و ثلاثين [344] و مائة، و خرج موسى بن كعب فيمن معه من مدينة حرّان فلقوا أبا جعفر، و قدّم بكّار على أخيه إسحاق^(٣) مسلم بن عقيل.

فوجّهه إلى رجل من الحرورية يُقال له: بُريكة، و هو في جماعة ربيعة، فصمد له أبو جعفر، فقاتلوه قتالاً شديداً و قتل بُريكة، و انصرف بكّار إلى أخيه بالرّها فخلفه إسحاق بها، ومضى شمشاط^(٤)، فخذق على عسكره، و أقبل أبو جعفر حتّى قاتله بكّار بالرّها فكانت بينهم وقعت.

و كتب أبو العبّاس إلى عبدالله بن عليّ في المسير بجنوده إلى إسحاق بشميشاط، فأقبل حتّى نزل عليه و هم في ستّين ألفاً من أهل الجزيرة جميعاً. و

١. بقية: كذا في آ و مط. و هي مهملة في الأصل. في الطبري (١٠: ٥٦): تقيّة.

٢. الكلمة مقصورة في الأصل و ممدودة في الطبري (١٠: ٥٧) و بضمّ الرّاء في كليهما.

٣. إسحاق: أضفناه من الطبري (١٠: ٥٧) و هو غير موجود في الأصل و آ و مط.

٤. في الأصل: شمشاط. في الطبري (١٠: ٧٥): سمشاط (بالإهمال).

بينهما الفرات و أقبل أبو جعفر من الرها، فكاتبهم إسحاق و طلب الصلح فأبوا، فطلب الأمان فأجابوه. و كتبوا إلى أبي العباس فأمرهم أن يؤمنوه و من معه، فكتبوا بينهم كتاباً و وثقوا له فيه، فخرج أبو إسحاق إلى أبي جعفر و تمّ الصلح، و كان مع أبي جعفر، ينزل معه منزلة كبيرة، و أثره على جميع أصحابه.

و كان إسحاق بن مسلم العقيلي حيث حاصره أبو جعفر يقول:

- «فى عنقى بيعة و لست أدعها حتى أعلم أن صاحبها قد مات أو قُتل.»

فأرسل إليه أبو جعفر:

- «إن مروان قد قُتل.» فقال:

- «حتى أتيقن.» [345] ثمّ لما طلب الصلح قال:

- «قد أيقنت أن مروان قد قُتل.»

و ولّى أبو العباس أبا جعفر الجزيرة و أرمينية و آذربيجان، ولم يزل عليها حتى استخلف.

و فى هذه السنة شخص أبو جعفر إلى خراسان لاستطلاع رأى أبى مسلم فى قتل أبى سلمة حفص بن سليمان الذى يقال له: وزير آل محمد.

ذكر السبب فى مسير أبى جعفر

و ما كان من أمره و أمر أبى مسلم

قد ذكرنا تنكّر أبى العباس لأبى سلمة و ما كان همّه به، فحكى أبو جعفر قال:

لما ظهر أبو العباس سمرنا ذات ليلة فذكرنا صنع أبى سلمة فقال رجل منا:

- «ما يُدريكم لعل ما صنع أبو سلمة كان عن رأى أبى مسلم؟»

فلم ينطق منا أحد. فقال أمير المؤمنين أبو العباس:

- «لئن كان هذا عن رأى أبى مسلم إنا بعرض^(١) بلاء، إلا أن يدفعه الله عنا.»

١. كذا فى الأصل. فى الطبرى (١٠: ٥٨): ليعرض البلاء (بالعين المعجمة).

فأشار عليه داود بن عليّ بأن يكتب إلى أبي مسلم ما همّ به من الغشّ و ما عامله به من القبيح و ما يتخوّفه منه، ففعل فأجاب أبو مسلم: «إن كان أمير المؤمنين قد اطلع على ذلك منه فليقتله.» - «فقال داود بن عليّ لأبن العباس:

- «لا تفعل يا أمير المؤمنين، فإنّ [346] أبا مسلم يحتجّ بها و كذلك أهل خراسان الذين معك و حاله فيهم حاله، و لكن ابعث إلى أبي مسلم من يعرف نيّته و يطلع على سريره، ثمّ تكلفه أن يبعث هو إلى أبي سلمة من يقتله.» قال أبو جعفر: فأرسل إلى أبو العباس و قال:

- «ما ترى؟» فقلت:

- «الرأى رأيك.» قال:

- «إنّه ليس أحد أخصّ بأبي مسلم منك. فاخرج إليه حتّى تعلم ما رأيه فليس يخفى عليك لو قد لقيته، فإن كان عن رأيه صدر أبو سلمة احتلنا لأنفسنا، و إن لم يكن عن رأيه طابت أنفسنا.» فخرجتُ على وجل شديد، فلمّا انتهيت إلى الرىّ إذا صاحب أبي سلمة قد أتاه كتاب أبي مسلم:

- «إنّه بلغنى أن عبد الله بن محمّد قد توجه إليك، فإذا قدّم فأشخصه ساعة يقدّم عليك.» فقرأنى كتابه و أمرنى بالرحيل. فأزددت وجلًا و خرجت من الرىّ و أنا خائف حذر، فسرت، فلمّا كنت بنيسابور إذا عاملها قد أتانى بكتاب أبي مسلم:

- «إذا قدّم عليك أبو جعفر^(١) فأشخصه، ولا تدعه يقيم، فإنّ أرضك أرض خوارج ولا آمن عليه.»

١. فى آ: عبد الله بن محمد.

فطابت نفسي و قلت: أراه يُعْنَى بأمرى، فسرت.
 فلمّا كنت من مرو على فرسخين، تلقّاني أبو مسلم في الناس، فلمّا دنا منّي
 نزل و أقبل يمشى إليّ حتّى قبّل [347] يدي فقلت:
 - «اركب».

فركب و دخلت مرو فنزلت داراً أفردّها لي، و مكثت ثلاثة أيّام لا يسألني
 عن شيء، ثمّ قال لي في اليوم الرابع:
 - «ما أقدمك؟»
 فأخبرته. قال:

- «فإني قد كاتبته أمير المؤمنين في ذلك» فقلت:
 - «إنّ أمير المؤمنين يحبّ أن تلي منه ما ترى»
 فقال:

- «سمعاً و طاعة».

ثمّ دعا مرار بن أنس الضبّي فقال:
 - «انطلق إلى الكوفة فاقتل أبا سلمة حيث لقيته و انته^(١) في ذلك إلى رأى
 الإمام».

فقدم الكوفة، و كان أبو سلمة يسمّر عند أبي العباس، فقعده في طريقه،
 فلمّا خرج قتله، و قالوا: قتلته الخوارج. فقال سليمان بن المهاجر:

إنّ الوزير وزير آل محمّد أودى فمن يشناك كان وزيراً

و كان يقال لأبي سلمة: وزير آل محمّد، ولأبي مسلم: أمين آل محمّد.

١. كذا في الأصل و الطبري (٥٩: ١٠). في مط: دأبته. في آ: و آيته.

فحكى عن سالم قال: صحبت أبا جعفر من الرى إلى خراسان، و كنت حاجبه، فكان أبو مسلم يأتيه فينزل على الباب و يجلس فى الدهليز و يقول لى:

- «استأذن لى عليه».

فغضب أبو جعفر على و قال:

- «ويلك إذا رأيته، فافتح له الباب و قل له يدخل على دأبه».

فلما رأيته [348] مقبلاً قلت لأبى مسلم: إنه قال كذا و كذا، و فتحت له الباب. قال:

- «نعم و إن قال، أعلمه و استأذن لى عليه».

و فى هذه السنة وجه أبو العباس أخاه أبا جعفر لحرب يزيد بن عمر بن هبيرة بواسط.

ذكر آراء أشيربها على ابن هبيرة فخالفها

لما انهزم ابن هبيرة و تفرق عنه الناس، خلف على أنقاله قوماً، فذهبوا بتلك الأموال. فقال له حوثة:

- «أين تذهب و قد قُتل صاحبهم - يعنى قحطبة - امض إلى الكوفة فمعك

جند كثير، فقاتلهم حتى تقتل أو تنظر».

فقال: «بل أتى واسطاً فأنظر و استعد».

فقال له: «إنك ما تزيد على أن تمكث من نفسك حتى تضعف و تقتل».

و قال له يحيى بن حسن:

- «إنك لا تأتى مروان بشيء أحب إليه من هذه الجنود، فالزم الفرات حتى

تقدم عليه، و إياك و واسطاً فتصير فى حصار، فليس بعد الحصار إلا القتل».

فأبى، لأنه كان يخاف مروان و ذاك أنه كان يكتب إليه فى الأمر فخالفه،

فخافه، فأتى واسطاً^(١) و تحصن و سرح إليه أبو سلمة الحسن بن قسحطبة،
فخندق [349] الحسن، و نزل بين الفرات و دجلة، فكانت بينهم وقائع.

ثم وجه أبو العباس أخاه أبا جعفر لحرب ابن هبيرة، و كتب إلى الحسن:
- «إن أمر الجند إليك ولكنني أحببت أن يكون أخي حاضراً».

فلما قدم أبو جعفر واسطاً تحوّل له الحسن عن حجرته فقاتلهم أبو نصر
مالك الخزاعي يوماً، فخرج إليه أهل واسط و حاربوه. ثم انهزم أهل الشام و قد
أكمنوا معن بن زائدة و غيره، فلما جازهم أهل خراسان خرجوا عليهم، فقتلوا
منهم. فترجل أبو نصر، و اقتتلوا عند الخنادق و رفعت لهم النيران و ابن هبيرة
على برج باب الخلّالين، فبقوا يقتتلون ما شاء الله من الليل.

و سرح ابن هبيرة إلى معن: أن انصرف، فانصرف. فلما طال عليهم الحصار
جاءهم قتل مروان فطلبوا الصلح. و كان ابن هبيرة قد همّ أن يدعو إلى محمد
بن عبد الله بن حسن بن حسن، فكتب إليه، و أبطأ عليه الجواب.

وجرت السفراء بينه و بين أبي جعفر في الصلح حتى جعل له أماناً و كتب
به كتاباً مكث يشاور فيه العلماء أربعين يوماً حتى رضيه، ثم أنفذه إلى أبي
جعفر فأنفذه أبو جعفر إلى أبي العباس فأمره بإمضائه.

و كان أبو العباس لا يقطع أمراً دون أبي مسلم. و كان أبو الجهم عيناً لأبي
مسلم على أبي العباس يكتب إليه بأخباره. فكتب أبو مسلم إلى أبي العباس:
- «إن الطريق السهل إذا أقيمت فيه الحجارة فسد، ولا والله، ما صلح ملك فيه
ابن هبيرة».

و خرج ابن هبيرة إلى أبي جعفر في ألف و ثلاثمائة من البخاريّة^(٢)، فأراد

١. في الطبري (١٠: ٦٢): واسط.

٢. في مط: النجارية. و الطبري (١٠: ٦٧) مثل الأصل.

أن يدخل الحجرة بدايته، فقام إليه سلام بن سليم فقال:
- «مرحباً بك أبا خالد، إنزل راشداً.» و قد أطاف بالحجرة نحو من عشرة
الآف من أهل خراسان.

فنزل، و أجلسه على و سادة، ثم دعا له بالقواد فدخلوا. ثم قال سلام:
- «ادخل أبا خالد.»

فقال: «أنا و من معي؟»

فقال: «إنما استأذنت لك وحدك.»

فقام و دخل، فوضعت له و سادة فجلس عليها وحدته ساعة، ثم قام. ثم
مكث يقيم عنه يوماً و يأتيه يوماً في خمسمائة فارس و ثلاثمائة راجل. فقال
يزيد بن حاتم:

- «أيها الأمير، إن ابن هبيرة ليأتي فيتضعع له العسكر، وما نقص من
سلطانه شيء.»

فقال أبو جعفر لسلام:

- «قل لا ابن هبيرة يدع هذه الجماعة و يأتيها في حاشيته.»

فقال له ذلك سلام، فتغير وجهه و جاء في نحو من ثلاثين من حاشيته. فقال
[351] له سلام:

- «كأنك تأتيها مباهاياً!»

فقال: «إن أمرتمونا أن نمشي إليكم مشينا.»

فقال: «ما أردنا بك استخفافاً، ولكن نظراً لك.»

فكان بعد ذلك يأتي في ثلاثة نفر.

فقال: إن ابن هبيرة كلم يوماً أبا جعفر فقال:

- «يا هناه»^(١) ثم قال:

١. و زاد في الطبري (١٠: ٦٨): «أويا أيها المرء.»

- «إيه لله أنت.» ثم رجع فقال: «أيها الأمير، إنَّ عهدي بكلام الناس مثل ما خاطبتك به قريب فسبقني لسانى إلى العادة ولم أرد.»
- «فتبسّم أبو جعفر و قال:
- «صدقت.»

و ألحّ أبو العباس على أبى جعفر فى قتل ابن هُبيرة و هو يراجعهُ حتّى كتب إليه:

- «والله لتقتلنّه أو لأرسلنّ إليه من يخرجهُ من حجرك^(١) و يتولّى قتله.»
فتقدّم أبو جعفر بختم بيوت الأموال، ثمّ بعث إلى وجوه من معه، فلمّا حضروا نزعَت سيوفهم و كُتفوا. ثمّ أرسل إلى ابن هُبيرة:
- «إنّا نريد حمل المال.» فقال ابن هُبيرة لحاجبه:
- «يا با عثمان، انطلق فدُلّهم عليه.»

فوكّلوا بكل بيت نفرًا ثمّ جعلوا ينظرون فى نواحي الدار و مع ابن هُبيرة ابنه داود و كاتبه و حاجبه وعدّة من مواليه و بُنّى له صغير فى حجره، فجعل ينكر نظرهم، و قال:

- «أقسم بالله، إنّ فى وجوه القوم لشراً.»
فأقبلوا نحوه، فقام حاجبه فى وجوهم [352] فقال:

- «وراءكم!»
فضربه الهيثم بن شعبة على حبل عاتقه فصرعه و قاتل ابنه داود، فقتل و قُتل مواليه، و نجّى ابن هُبيرة الصبيّ من حجره و قال:
- «دونكم هذا الصبيّ.»

١. كذا فى الأصل. ما فى آ: مهمل. فى مط: حجر له. فى الطبرى (١٥: ٦٨): من حجر ك.

و خَرَّ ساجداً، فقتل و هو ساجد.

ومضوا برؤوسهم إلى أبي جعفر، فنادى بالأمان للناس. و قال أبو عطاء
السندی يرثيه:

ألا إنَّ عينا لم تَجُدْ يومَ واسطٍ عليك بجارى دمعها لَسَجَسودُ
عشيّة قام النائحات و شُقِّقت جُيوبُ بِأيدى ماتمٍ و خُدودُ
فإن تُمسِ^(١) مهجور الفناء فرّما أقام به سعد الوفود وفودُ
و إنك لم تَبْعُدْ على متعهّدٍ بلى كُلِّ مَنْ تحت الترابِ بعيدُ

و قال منقذ بن عبد الرحمن الهاللي يرثيه:

مَنَعَ العزاء حرارة الصدرِ و الحزنُ عَقْدَ عزيمة الصبرِ
أفنى الحُماءَ الغرَّ أن عرضت دونَ الوفاءِ حِبائِلُ القدرِ
مالت حمائلُ أمرهم بفتى مثلِ النجومِ حَفَقْنَ بالبدرِ
عالي بسنعيهم فقلت له مهلاً^(٢) أتيت بصيحة الحشرِ [353]
مَنَ للمناير بعد هلكهم أو مَن يَشْدُ^(٣) مَكَارِمُ الفخرِ
قَتَلَى بدجلة ما يَجَنُّهُم إلا عُبابُ زواخرِ البحرِ

و فى هذه السنة وجّه أبو العباس عمّه عيسى بن على فارس، و كان
عليها محمّد بن الأشعث من قبيل أبى مسلم، فهمّ بعيسى فحدّره ثقاته و قالوا له:

١. فى الأصل: نمس. والتصحيح من آ و الطبرى (١٥: ٧٠). فى مط: يمس.

٢. فى آ و الطبرى: هلاً.

٣. فى الطبرى: يسد.

- «هذا لا يسوغ لك.» فقال:

- «بلنى، أمرنى أبو مسلم ألا يقدم على أحد يدعى الولاية من غيره إلا ضربت عنقه.»

ثم ارتدع عن ذلك، و استدعى عيسى فاستحلفه بالأيمان المحرّجة، ألا يعلو منبراً ولا يتقلّد سيفاً إلا فى جهاد. فلم يل عيسى بعد ذلك عملاً ولا تقلّد سيفاً إلا فى غزوة.

ثم استعمل بعد ذلك أبو العباس إسماعيل بن على والياً على فارس.

ثم دخلت سنة ثلاث و ثلاثين و مائة

و فيها قتل داود بن على من وجد من بنى أميّة بمكة و المدينة.

و فيها مات داود بن على بالمدينة.

و فيها خرج شريك بن شيخ المهرى على أبى مسلم بخراسان ببخارى و قال:

- «ما على هذا اتبعنا آل محمّد، على أن تُسفك الدماء، و يُعمل بغير الحقّ.»

و تبعه على رأيه أكثر من ثلاثين ألفاً. [354] فوجّه إليه أبو مسلم زياد بن

صالح فقاتله و قتله.

و خرج جماعة على أبى مسلم فقتلهم. ولم يجر فى حروبهم ما تستفاد منه

تجربة، بل كان جميع ذلك يجرى بحسب الجَدِّ^(١) و الإقبال فتركنا ذكرها إذ

كانت أسماراً فقط.

ثم دخلت سنة أربع و ثلاثين و مائة

و فيها خالف بشام بن إبراهيم بن بشام و خلع، و كان من فرسان أهل

خراسان، فوجه إليه أبو العباس خازم بن خزيمة فناجزه القتال، وانهزم بسام، واستبيح عسكره وطلبهم خازم إلى أن قُتل أكثرهم، ثم انصرف من وجهه، فمرّ في قرية فيها قوم من أخوال أبي العباس عدد هم خمسة و ثلاثون رجلاً من بنى عبد المُدان، و هناك مواليتهم و غيرهم، فلم يُسلم عليهم، فلمّا جاز شتموه لشيء كان في قلوبهم عليه، فكّر راجعاً، فسألهم عمّا بلغه من نزول المغيرة بهم، و كان من قواد بسام. فقالوا:

«مرّ بنا رجل مجتاز لا نعرفه، فأقام في قريتنا ليلة ثم خرج عنها.»

فقال لهم:

«أنتم أخوال أمير المؤمنين، و يأتاكم عدوّه فيأمن في قريتكم فهلاً اجتمعتم فأخذتموه؟»

فأغلظوا له الجواب، فأمر بهم، فضربت أعناقهم جميعاً، و هُدمت دورهم و نُهبَت أموالهم. [355]

ثم انصرف إلى أبي العباس، و بلغ ما كان من فعل خازم اليمانية، فأعظموا ذلك واجتمعت كلمتهم. فدخل زياد بن عبدالله الحارثي على أبي العباس مع عبيد الله بن الربيع الحارثي و عثمان بن نهيك و أمثالهم فقالوا:

«يا أمير المؤمنين، إنّ خازماً اجتراً عليك بأمر لم يكن أقرب ولد أبيك ليجتري عليك به من قتل أخوالك الذين قطعوا البلاد إليك معترّين بك، طالبين معروفك، حتّى إذا صاروا إلى جوارك و دارك وثب عليهم خازم، فضرب أعناقهم، و هدم دورهم، و نهب أموالهم، و أخرب ضياعهم، بلا حدثٍ أحدثوه.»
فهمّ بقتل خازم، فبلغ ذلك موسى بن كعب و أبا الجهم بن عطية، فدخلا عليه و فتّاه^(١) عن رأيه. قالوا:

١. فتّاه القدر: سكّن غليانها. فتّاه الغضب: سكّن حدّته. ما في الأصل: و فتّاه.

«نعيذك بالله يا أمير المؤمنين من الإصغاء إلى من يحملك على قتل خازم مع طاعته و سابقته و غنائه و هو يحتمل لك ما صنع لكيت و كيت، فإن كنت لابد مُجمِعاً على قتله فلا تتول ذلك بنفسك، و عرّضه من المباحث لما إن قُتل فيه كنت قد بلغت منه الذي أردت، و إن ظفر كان ظفره لك.»

و أشاروا عليه بأن يوجهه إلى عُمان و بها الجُلندي^(١) و الخوارج معه و إلى الخوارج الذين [356] بجزيرة ابن كاوان مع شيبان بن عبد العزيز اليشكري فأمر أبو العباس بتوجيهه مع سبعمائة رجل، و كتب إلى سليمان بن عليّ و هو على البصرة، بحملهم في السفن إلى جزيرة ابن كاوان و عُمان. فشنّخص إلى هناك مع ابنه خزيمة، فأوقع بمن فيها من الخوارج و غلب على ما قرب منها من البلدان و قتل شيبان الخارجي.

ذكر السبب في ذلك و الحيلة التي تمّت له عليهم

أما في أوّل مقدّمه، فإنه لما أرسى إلى ساحل عُمان لقبيهم الجلندي و أصحابه، فاقتتلوا قتالاً شديداً و كثر القتل في أصحاب خازم، و قُتل أخ له من أمّه مع تسعين رجلاً. ثمّ أشار عليه رجل ممّن كان وقع إلى تلك الناحية أن يجعلوا على أطراف أسّتهم المشاقة و يروّوها النفط و يشعلوا فيها النيران، ثمّ يمشوا بها حتّى يضرّموها في بيوت أصحاب الجلندي، و كانت من خشب. فلمّا فعل ذلك، و أضرمّت بيوتهم بالنيران و شغلوا بها و بمن فيها من أولادهم و أهاليهم، شدّ عليهم خازم و أصحابه، فوضعوا فيهم السيوف و هم غير ممتنعين، و قُتل [357] الجلندي فيمن قُتل، و بلغ عدّة من قُتل عشرة آلاف.

و بعث خازم برؤوسهم إلى البصرة، و بعث منها إلى أبي العباس، و أقام خازم

١. الجُلندي؛ و الضبط من الطبري، (١٠: ٧٧).

شهرًا حتّى أتاه كتاب أبى العباس بإقفاله، فقفلوا.

وفى هذه السنة وجّه أبو العباس موسى بن كعب إلى الهند^(١) لقتال منصور بن جمهور وفرض له ثلاثة آلاف رجل من العرب فشخص حتّى ورد السند، فلقى منصور بن جمهور فى اثنى عشر ألفاً، فهزمه، فمضى و مات عطشاً فى الرمال. وفى هذه السنة تحوّل أبو العباس من الجزيرة إلى الأنبار، و فيها ضُرب المنار من الكوفة إلى مكّة و الأميال.

ثمّ دخلت سنة خمس و ثلاثين و مائة
ولم يجر فيها شيء يُستفاد منه تجربة فى جملة ما انتهى إلينا.

ثمّ دخلت سنة ست و ثلاثين و مائة
قدوم أبى مسلم العراق من خراسان
و فيها قدم أبو مسلم العراق من خراسان. و كان استأذن أبا العباس فى
القدوم عليه و فى الحجّ بعد ذلك. فأذن له، و توجه إلى أبى العباس [358] فى
جماعة عظيمة من أهل خراسان و من معه من غيرهم، فكتب إليه أن:
- «أقدم فى خمسمائة من الجند».

فكتب إليه أبو مسلم:
- «إني قد وترت الناس و لست آمن على نفسى».
فكتب إليه أن:

- «أقبل فى ألف، فإنما أنت فى سلطان أهلك و دولتك، و طريق مكّة لا
يحتمل العسكر».

و كان في ثمانية آلاف، ففرّقهم بالرئ، و قدم بالأموال والخزائن، فتركها بالرئ، و جمع أموال الجبل، و شخص منها في ألف، فلمّا قرب تلقاه القوّاد والناس حتّى دخل على أبي العباس، فأعظمه و أكرمه ثمّ استاذن في الحجّ، فقال:

«لولا أنّ أبا جعفر يحجّ لا ستعملناك على الموت.»

و كان ما بين أبي جعفر و أبي مسلم متباعدًا، لأنّ أبا العباس لمّا صفت له الأمور، بعث أبا جعفر إلى خراسان بعهد أبي مسلم على خراسان و بالبيعة لأبي العباس و لأبي جعفر من بعده. فبايع له أبو مسلم و أهل خراسان، فأقام أبو جعفر إلى أن أحكم أمره، فجرى عليه من أبي مسلم استخفاف، فلمّا عاد شكاه إلى أخيه، فلمّا قدّم أبو مسلم هذه القدمة للحجّ قال أبو جعفر لأبي العباس:

«يا أمير المؤمنين، أطعني و اقتل أبا مسلم، فوالله إنّ [359] في^(١) رأسه لغدرة.»

قال: «يا أخى^(٢)، قد عرفت بلاءه و ما كان منه.»

فقال أبو جعفر: «يا أمير المؤمنين، إنّما كان بدولتنا، والله لو بعثت سنّوراً لقام مقامه و بلغ ما بلغ.»

فقال أبو العباس: «كيف تقتله؟»

قال: «إذا دخل عليك و حادثته و أقبل عليك، دخلت فتغلّطه فضرّيته من خلفه ضربة أتيت بها على نفسه.»

فقال أبو العباس: «فكيف بأصحابه الذين يؤثرونه على دينهم و دنياهم؟»

قال: «يؤول ذلك كلّهُ إلى ما تريد و علىّ إصلاحه.»

١. في الأصل: لفي. (بلام التأكيد).

٢. ما في الأصل: يا خي.

قال: «عزمت عليك إلا كفت عن هذا الحديث.»

قال: «أخاف والله إن لم تنغذه اليوم أن يتعشاك غداً.»

قال: «دونكه.»^(١)

فلما دخل أبو مسلم على أبي العباس، بعث أبو العباس خصيًا له، فقال له:

«إذهب فانظر ما يصنع أبو جعفر.»

فأتاه فوجده محتبياً بسيفه.

فقال للخصي: «أجالس أمير المؤمنين؟»

قال: «إنه قد تهيأ للجلوس.»

ثم رجع الخصي إلى أبي العباس فأخبره بما رأى منه فردّه إلى أبي جعفر و

قال:

«قل له: الأمر الذي عزمت عليه لا تُفذه.»

فكف أبو جعفر.

و في هذه السنة حجّ بالناس أبو جعفر المنصور و حجّ معه أبو مسلم.
و فيها توفي أبو العباس أمير المؤمنين بالأنبار لثلاث عشرة [360] خلت من
ذى الحجة، و كانت وفاته فيما قيل بالبجدرى. و كانت سنّه ثلاثاً^(٢) و ثلاثين
سنة، و كانت ولايته من لدن قتل مروان إلى أن توفي أربع سنين، و من لدن
بُويج بالخلافة إلى أن مات أربع سنين و ثمانية أشهر. و كان طويلاً أبيض أفتى
الأنف حسن الوجه و اللحية ذا شعرة جعدة و أمّه ربيعة بنت عبد الله^(٣) بن
عبد المّدان بن الحارثي و كان وزيره أبو الجهم بن عطية.

١. في الطبري (٨٦:١٠) فدونكه، أنت أعلم.

٢. في الأصل: ثلاث.

٣. في الطبري (٨٨:١٠): عبيد الله بن عبد الله بن عبد المّدان الديّان الحارثي.

خلافة أبي جعفر المنصور

بيعة الناس لأبي جعفر بأمر من أبي العباس حين حضرته الوفاة
و لما حضرته الوفاة أمر الناس بالبيعة لعبد الله بن محمد أبي جعفر، فبايع
الناس بالأنبار، و قام بأمر الناس عيسى بن موسى و أرسل عيسى بن موسى
إلى أبي جعفر و هو بمكة رسولا بموت أبي العباس و بالبيعة له، فلما أتاه
الكتاب كتب إلى أبي مسلم:

«العجل العجل فقد حدث أمر.»

و كان بينه و بن أبي مسلم منزل أبداً، فجاءه أبو مسلم، فلما جلس إليه ألقى
إليه الكتاب فبكى و استرجع، ثم نظر أبو مسلم إلى أبي جعفر و قد جزع جزعاً
شديداً، فقال:

«ما هذا الجزع و قد أتتك الخلافة؟» قال:

«أتخوف شرَّ عبد الله بن عليّ و شيعته.» قال:

«لا تخفه فأنا أكفيك أمره إن شاء الله. إنما عامّة جنده و من معه أهل

خراسان [361] و هم لا يعصونني.»

فسرى عن أبي جعفر، و بايع له أبو مسلم و بايع الناس، و أقبلوا حتّى وردا
الكوفة.

و فى هذه السنة بعث عيسى بن عليّ و أبو الجهم إلى عبد الله بن عليّ

بيعته^(١) المنصور فبايع لنفسه و أبي بيعه المنصور.

ثم دخلت سنة سبع و ثلاثين و مائة

عبد الله بن عليّ يدعو إلى نفسه

كان نفذ إلى عبد الله بن عليّ أبو غسان واسمه يزيد بن زياد، و هو حاجب أبي العباس بأمر أبي العباس قبيل موته ليبايع أبا جعفر، و كان عبد الله قد أدرب متوجّهاً إلى الروم، فلما قدم عليه أبو غسان جمع أصحابه و نادى مناديه:
- «الصلاة جامعة».

و اجتمع إليه القوّاد و الجند فقرأ عليهم الكتاب بوفاة أبي العباس و دعا الناس إلى نفسه و أخبرهم أنّ أبا العباس حين أراد أن يوجّه الجنود إلى مروان بن محمد دعا بني أبيه و أرادهم على المسير إلى مروان و قال:
- «من انتدب منكم فسار إليه فهو وليّ عهدي فلم ينتدب له غيري».
و على هذا خرجت من عنده و قتلت من قتلت.

فقام أبو غانم الطائفي و خفاف المروروذي في عدّة قوّاد فشهدوا [362] له بذلك، فبايعه أبو غانم و خفاف^(٢) و أبو الأصبغ و تتابع القوّاد عليه فيهم حميد بن قحطبة و غيره من أهل خراسان و الشام و الجزيرة، فلما فرغ من البيعة ارتحل فنزل حرّان و فيها مقاتل العكي، و كان أبو جعفر استخلفه لما قدم على أبي العباس، فلم يُجبه فتحصن منه فأقام عليه حتّى استنزله من حصنه فقتله، و سرح أبو جعفر لقتال عبد الله بن عليّ أبا مسلم، فلما بلغ عبد الله إقبال أبي مسلم أقام بحرّان، و جمع إليه الجنود و السلاح، و خندق، و أعدّ الطعام و

١. كذا في الأصل: بيعته. في آ و الطبري (٩١:١٠): بيعته.

٢. في الطبري (٩٣:١٠): خفاف الجرجاني.

الأعلاف و ما يُصلحه. و مضى أبو مسلم لم يتخلف عنه أحد من القواد، و بعث على مقدمته مالك بن الهيثم الخزاعي و كان معه الحسن و حميد ابنا قحطبة، و كان حميد فارق عبدالله بن عليّ لأنّه أخافه و أراد قتله.

و كان أبو مسلم استخلف على خراسان خالد بن إبراهيم أبا داود، و كان عبدالله بن عليّ خشي ألا يناصره أهل خراسان، فقتل منهم نحواً من سبعة عشر ألفاً ضروب القتل.

و كتب لحميد بن قحطبة كتاباً وجهه إلى حلب و عليها زُفر بن عاصم و في الكتاب:

«إذا ورد عليك حميد بن قحطبة فاضرب عنقه.»

فسار حميد، ثمّ فكر في كتابه فلم يرَ من الصواب [363] له أن يوصله ولم يقرأه، ففك الطومار و قرأه، فلمّا عرف ما فيه دعا قوماً من خاصّته، فأفشى إليهم أمره و شاورهم و قال:

«من أراد أن ينجو ويهرب فليسرّ معي فإنّي أريد أن آخذ طريق العراق، و من لم يحمل نفسه على السير فلا يفشينّ سرّي وليذهب حيث أحبّ.»

واتّبعه قوم و فوز بهم و نجا.

و لمّا وافى أبو مسلم مكان عبدالله بن عليّ و هو بنصيبين يخندق لم يعرض له و أخذ طريق الشام و كتب إلى عبدالله:

«إنّي لم أؤمر بقتالك ولم أوجه له ولكن أمير المؤمنين ولّاني الشام و أنا أريدها.» فقال من كان مع عبدالله:

«كيف نقيم معك و هذا يأتي بلادنا و فيها حرماننا فيقتل من قدر عليه من رجالنا و يسبي ذراريّنا؟ ولكنّا نخرج إلى بلادنا فنمنعه و نقاتله إن قاتلنا.»

فقال لهم عبدالله بن عليّ:

«إنّه والله ما يريد الشام، و ما وجهه إلّا إلى قتالكم، ولئن أقمتهم ليأتينكم.»

فلم تطب أنفسهم. فأبوا إلا المسير إلى الشام.

و كان أبو مسلم قد عسكر قريباً منه فارتحل عبدالله بن عليّ متوجّها نحو الشام. و تحوّل أبو مسلم حتّى نزل في معسكر عبدالله بن عليّ [364] في موضعه و عوّر ما كان حوله من المياه وألقى فيها الجيف، و بلغ عبدالله بن عليّ ذلك فقال لأصحابه:

«ألم أقل لكم؟»

ثمّ أقبل عبدالله فلم يجد غير موضع عسكر أبي مسلم الذي كان به فاقتتلوا ستّة أشهر.

فحكى من شهد مع أبي مسلم هذه الحرب: أنّه لما كان بعد ستّة أشهر التقينا فحمل علينا أصحاب عبدالله، فصدّمونا صدمة أزالونا عن مواقعنا وانصرفوا. وشدّ علينا عبدالصمد في خيل مجرّدة فقتلوا منّا قوماً، ثمّ رجعوا، ثمّ تجمّعوا ورموا بأنفسهم علينا، فأزالوا صفّنا، و جلنا جولة، فقلت لأبي مسلم:

«لو حرّكت دابّتي حتّى أشرف على هذا التلّ فأصيح بالناس، فقد انهزموا.»

قال: «افعل.»

قال، قلت: «و أنت أيضاً، لو حرّكت دابّتك معي.»

فقال: «إنّ أهل الجبّ لا يعطفون دوابّهم في مثل هذه الحال. ناد: يا أهل خراسان، ارجعوا، فإنّ العاقبة للمتّقين.»

ففعلت، فتراجع الناس وارتجز أبو مسلم:

مَنْ كَانَ يَنْوِي أَهْلَهُ فَلَا رَجْعَ فَرَّ مِنَ الْمَوْتِ وَ فِي الْمَوْتِ وَقَعَ

و قد كان عمّل لأبي مسلم عريش، فكان يجلس فيه^(١) إذا التقى الناس

١. في الطبري (٩٧:١٠): عليه.

فينظر إلى القتال، فإن رأى خلافاً في الميمنة و الميسرة، أرسل إلى صاحبها:
- «إن في ناحيتك انتشاراً فاتق^(١) الله لانوثى [365] من قبلك، افعل كذا، قدّم
خيلك إلى موضع كذا، تأخّر إلى موضع كذا.»

فإنما رسله تختلف برأيه إليهم حتّى ينصرف بعضهم عن بعض.
فلما كان يوم التقوا، فاقتلوا قتالاً.

فلما رأى ذلك أبو مسلم مكر بهم، فأرسل إلى الحسن بن قحطبة، و كان
على ميمنته، أن:

- «أعر ميمنتك وضّم أكثرها إلى الميسرة، وليكن في الميمنة حماة أصحابك
و أشداؤهم.»

فلما رأى ذلك أهل الشام أعروا ميسرتهم و انضموا إلى ميمنتهم بازاء ميسرة
أبي مسلم.

ثم أرسل أبو مسلم إلى الحسن أن:

- «مر أهل القلب فليحملوا مع من بقى في الميمنة على ميسرة أهل الشام.»
قال: فحملوا عليهم فحطموهم، و جال أهل القلب و الميمنة و ركبهم أهل
خراسان فكانت الهزيمة.

فحكى ابن سُرّاقة الأزدي قال: كنت مع عبدالله بن عليّ، فقال لى:

- «يا سُرّاقة ما ترى؟»

قلت: «أرى أن تصير و تقاتل فإنّ الفرار قبيح بمثلك حتّى تقتل و قد^(٢) عبته

على مروان.»

قلت: «قبّح الله مروان، جزع من الموت ففرّ.»

١. في آ: بدون «الله». في الطبرى (٩٧:١٠): فاتق ألا توتى.

٢. كذا في الأصل: و قد. في الطبرى (٩٨:١٠): و قبل.

فقال: «بل أتى العراق.»

قلت: «فأنى معك.»

فانهزم مع الناس و تركوا عسكرهم فاحتواه أبو مسلم، و كتب إلى أبي جعفر بالفتح. فأرسل أبو جعفر أبا الخصيب مولاة يحصى ما أصابوا في [366] عسكر عبدالله بن عليّ، فغضب من ذلك أبو مسلم، ولم يُظهر غضبه.

فأمّا عبدالله بن عليّ فإنه أتى سليمان بن عليّ بالبصرة، و أمّا عبدالصمد فقدم الكوفة، فاستأمن له عيسى بن موسى، فأمنه أبو جعفر و أمر أبو مسلم الناس بالكفّ، فلم يقتل أحداً بعد الهزيمة، و بقي عبدالله بن عليّ متوارياً عند سليمان زماناً.

و في هذه السنة قُتل أبو مسلم

حكى مسلم بن المغيرة: أنه كان مع الحسن بن قحطبة بأرمينية، فلما وُجّه أبو مسلم إلى الشام، كتب أبو جعفر إلى الحسن أن يوافيه و يسير معه. فقدمنا^(١) على أبي مسلم و هو بالموصل، فأقام أياماً، فلما أراد أن يسير استأذنته في المصير إلى العراق و قلت:

«أنتم تسيرون إلى القتال، و ليس بك إلى حاجة.»

قال: «نعم، لكن أعلمني إذا أردت الخروج.»

قلت: «نعم.»

فتهيأت، فلما فرغت أعلمته و قلت:

«أتيتك مؤدّعاً.»

قال: «قف بالباب حتّى أخرج إليك.»

١. انظر الطبري (٩٩:١٠، ١٠١:١٠).

فخرجت فوقفت، فخرج و قال:

- «أريد أن ألقى إليك شيئاً لتبلغه أبا أيوب، و لولا ثقتي بك^(١) لم أخبرك، فأبلغ أبا أيوب أنني قد ارتبت بأبي مسلم منذ قدمت عليه. إنه يأتيه الكتاب من أمير المؤمنين فيقرأه ثم يلوى شذقه ويرمي بالكتاب إلى أبي نصر مالك بن الهيثم فيقرأه [367] ثم يضحكان ويستهنئان به.»

قلت: «نعم.»

و مضيت عنه، فلما لقيت أبا أيوب و أنا أرى أنني قد أتيت به بشيء أخبرته،^(٢) ضحك و قال:

- «نحن لأبي مسلم أشدّ تهمة منا لعبد الله بن عليّ، إلا أنا نرجو واحدة: نعلم أن أهل خراسان لا يحبّون عبد الله و قد قتل منهم من قتل.»

ذكر مقتل أبي مسلم صاحب الدولة و سبب ذلك

لما ظفر أبو مسلم بعسكر عبد الله بن عليّ، بعث أبو جعفر يقطين بن موسى و أمره بإحصاء ما في العسكر، فلما قدم عليه، و كان يسمّيه: يك دين، قال له أبو مسلم:

- «يا يك دين، أمين على الدماء خائن في الأموال.»

و شتم أبا جعفر، فأبلغه يقطين ذلك.

و أقبل أبو مسلم من الجزيرة مجمعا على الخلاف، و خرج من وجهه معارضا يريد خراسان، و خرج أبو جعفر من الأنبار إلى المدائن، و كتب إلى أبي مسلم في المصير إليه.

١. في مط: و لولا تقرّبك.

٢. انظر الطبري (١٠١: ١٠٠).

فكتب أبو مسلم و هو على الرواح إلى طريق حلوان:

- «إِنَّه لم يبق لأُمير المؤمنين - أَكرمه الله - عدوٌّ إِلَّا مَكَّنَّه الله منه. و قد كُنَّا نرَوِي عن ملوك آل ساسان أَنَّ أَخوف ما يكون الوزراء إِذا سكنت الدهماء، فنحن نأفرون من قريك حريصون على [368] الوفاء بعدك ما وفيت، حريون بالسمع و الطاعة لك، غير أَنَّها من بعيد حيث تقارنها السلامة، فَإِنَّ أَرْضَاكَ ذَلِكَ فَإِنَّا كَأَخْسَ^(١) عبيدك، و إِن أَيْتَ إِلَّا أَن تعطى نفسك إرادتها، نقضتُ ما أَيْرمتُ من عهدك ضناً بنفسى.»

فلَمَّا وصل الكتاب إلى المنصور، كتب إلى أبى مسلم:

«قد فهمت كتابك، وليست صفتك صفة أولئك الوزراء الغششة ملوكهم الذين يَتَمَنُّون اضطراب حبل الدولة لكثرة جرائمهم، فَإِنما راحتهم فى انتشار نظام الجماعة. فلمَ سَوَّيت نفسك بهم و أنت فى طاعتك و مناصحتك و اضطلاعك بما حُمِّلْتَ من أعباء هذا الأمر على ما أنت به، و ليس مع الشريعة التى أَوْحشت^(٢) منك سمع ولا طاعة. و قد حُمِّلَ إليك أمير المؤمنين عيسى بن موسى رسالة لتسكن إليها إِن أَصغيت، و أَسأل الله أَن يحول بين الشيطان و نزعاته و بينك، فَإِنَّه لم يجد باباً يفسد به نيتك أوكد عنده و أقرب

١. فى الطبرى (١٠: ١٠٤): كأحسن.

٢. فى الطبرى (١٠: ١٠٢): أَوْجبت، بدل «أَوْحشت».

من ظنّه^(١) من الباب الذي فتحه عليك.

و أمر أبو جعفر عيسى بن موسى و من حضره:
 - «اكتبوا إليه تُعظمون أمره و تشكرون ما كان منه و تسألونه أن يتم ما كان
 [369] منه و عليه من الطاعة و تحذرونه عاقبة الغدر و تأمرونه بالرجوع إلى
 أمير المؤمنين و أن يلتبس رضاه.»
 و دعا أبا حميد ثم قال له:

- «كلّم أبا مسلم بألّين ما تكلم به أحداً، و منه، و أعلمه أنّي رافعه
 و صانع به مالم يصنعه أحد بأحد إن هو راجع^(٢) ما أُحِبُّ فإن أبي
 أن يرجع فقل له: يقول لك أمير المؤمنين نُفَيْتُ من العباس، و أنا
 برىء من محمّد صلى الله عليه إن مضيت مشاقاً ولم تأتني إن
 وكلت أمرك إلى أحد سواي، و إن لم أَلِ طلبك و قتالك إلا بنفسى،
 ولو خضت البحر لخضته، ولو اقتحمت النار لا قتحمتها، حتّى
 أقتلك أو أموت قبل ذلك. ولا تقولن هذا الكلام حتّى تأيس من
 رجوعه، ولا تطمع منه فى خير.»

فسار أبو حميد فى ناس من أصحابه ممّن يشق بهم حتّى دخل على أبي
 مسلم، فدفع إليه الكتاب، ثم قال:
 - «إنّ الناس يُبلّغونك عن أمير المؤمنين مالم يقله، و خلاف ما عليه رأيه

١. فى الطبرى (١٠٢: ١٠٠): من ظنّه. فى حواشيه عن الأصول: من ظنّه.

٢. الضبط من الطبرى (١٠٥: ١٠٠).

فيك، حسداً و بغياً. يريدون إزالة هذه النعمة و تغييرها فلا تفسد ما كان منك.
و كلمه بأشبهاء هذا و قال له:

«يا أبا مسلم، إنك لم تنزل أمين آل محمد، يعرفك بذلك الناس [370] و ما
ذخر الله لك من الأجر عنده أعظم ممّا أنت فيه من دنياك، فلا تحبط أجرک ولا
يستهوئک الشيطان.»

قال له أبو مسلم:

«متى كنت تكلمنى بهذا الكلام.»

و أقبل على أبى نصر مالك بن الهيثم. فقال:

«يا مالك، ألا تسمع؟»

ذكر أراء أشير بها على أبى مسلم فخالفها

قال: «لا تسمع قوله ولا يهولئك هذا منه فلعمري لقد صدقت ما هذا بكلامه
فامض لأمرک ولا ترجع، فوالله لقد وقع فى نفسه منك شيء لا يأمنک معه أبداً.»
فقال للرسول: «قوموا.»

فنهضوا. فأرسل أبو مسلم إلى نيزك و قال:

«يا نيزك، إننى والله ما رأيت طويلاً أعقل منك، فما ترى؟ فقد جاءت هذه

الكتب و قد قال القوم ما قالوا.» قال:

«لا أرى أن تأتیه و أرى أن تأتى الرئ فتقيم بها فتصير ما بين خراسان و

الرئ لك و هم جندك لا يخالفك أحد، فإن استقام لك استقيمت و إن أبى كنت
فى جندك، و كانت خراسان من وراءك، فرأيت رأيك.»

فدعا أبا حميد فقال:

«ارجع إلى صاحبك، فليس من رأى أن آتیه.»

قال: «قد أعتزمت على خلافه.»

قال: «نعم».

قال: «لا تفعل».

قال: «ما أريد أن ألقاه».

فلما أنيسه من الرجوع | 371 | قال له ما أمره به أبو جعفر، فوجم طويلاً ثم قال:

- «قم».

فكسره ذلك القول و رعبه.

و كان أبو جعفر قد كتب إلى أبي داود و هو خليفة أبي مسلم على خراسان حين اتهم أبا مسلم:

- «إنَّ لك إمرة خراسان ما بقيت».

فكتب أبو داود إلى أبي مسلم:

- «إنَّك لم تخرج لمعصية خلفاء الله و أهل بيت نبيِّنا صلَّى الله عليه، فلا تخالفنَّ إمامك ولا ترجعنَّ إلَّا بإذنه».

فوفاه كتابه على تلك الحال، فزاده رعباً و همّاً. و أرسل إلى أبي حميد و أبي مالك فقال لهما:

- «إنِّي قد كنت معترماً على المضى إلى خراسان ثم رأيت أن أوجه أبا إسحاق إلى أمير المؤمنين فباتيني برأيه فأثقه ممَّن أثق به»

فوجهه، فلما قدم أبو إسحاق تلقاه بنو هاشم بكل ما يحبُّ، و قال له أبو جعفر:

- «اصرفه عن وجهه، ولك ولاية خراسان».

و أجازته، فرجع أبو إسحاق إلى أبي مسلم فقال له:

- «ما أنكرتُ شيئاً، رأيتهم معظمين لحقِّك، يرون لك ما يرون لأنفسهم».

ثم أشار عليه بأن يرجع إلى أمير المؤمنين فيعتذر إليه ممّا كان منه^(١).
فأجمع أبو مسلم على ذلك، فقال له نيزك:
- «قد أجمعت على الرجوع؟»
قال: «نعم.» و تمثّل:

ما للرجال مع القضاء محالة ذهب القضاء بحيلة الأقبوام [379]

و قال: «أما إذا عزمت على هذا، فاحفظ عني واحدة خار الله لك، إذا دخلت عليه فاقتله، ثم بايع لمن شئت، فإنّ الناس لا يخالفونك.»
و كتب أبو مسلم إلى أبي جعفر يخبره أنّه ينصرف إليه.
قالوا: فقال أبو أيّوب: فدخلت على أبي جعفر و هو في خباء شعر بالروميّة جالساً على مُصلّى بعد العصر، و بين يديه كتاب أبي مسلم، فرمى به إليّ، فقرأته، ثم قال:

- «والله لئن ملأت عيني منه لأقتلنه.»

فقلت في نفسي: إنّ الله و إنّا إليه راجعون. طلبت الكتابة حتّى إذا بلغت غايتها، فصرت كاتباً للخليفة وقع هذا بين الناس، والله ما أرى أنّه إن قُتل يرضى أصحابه بقتله، ولا يدعون هذا حيّاً ولا أحداً ممن يتصل بهم.
و امتنع منّي النوم.

ثم قلت: لعلّ الرجل يقدم و هو آمن، فإن كان آمناً فعسى أن تنال^(٢) ما تريد و إن قدم و هو حذر لم تقدر عليه. فلو التمسّت حيلة.»

١. في الأصل: منك. و ما أثبتناه يؤيده السياق و الطبري (١٠: ١٠٨).

٢. في الطبري (١٠: ١٠٨): ينال. و كذلك باقى الأفعال، في هذه العبارة، فهي كلّها بصيغة الغائب. و آ كالاصل: تنال. المتكلم يخاطب نفسه.

ذكر حيلة احتال بها أبو أيوب المورياني
على أبي مسلم حتى ترك التحرز

قال أبو أيوب:

فأرسلت إلى سلمة بن سعيد بن جابر و كان يأنس به أبو مسلم فقلت:
- «هل عندك شكر؟»

قال: «نعم».

قلت: «إن وليتك ولاية تصيب منها ما يصيب صاحب العراق [373] تدخل
معك أخى حاتم بن أبي سليمان؟»

قال: «نعم».

قلت: - و أردت أن يطمع ولا ينكر منه شيئاً: - و تجعل له النصف؟»

قال: «نعم».

قلت: «إن كسكر كالت عاماً أوّل كذا و كذا، و فيها العامّ أضعاف ما كان عام
أوّل،^(١) فإن دفعتُ إليك بقبالتها التي كانت عاماً أوّل أو بالأمانة أصبت ما تضيق
به ذرعاً؟»

قال: «فكيف لي بهذا؟»

قلت: «تأتى أبا مسلم فتلقاه و تكلمه و تسأله أن يجعل فيما يرفع من
حوائجه أن تؤلاها أنت بما كانت في العام الأول، فإن أمير المؤمنين يريد أن
يوليّه إذا قدم ما وراء بابه و يريح نفسه».

قال: «فكيف لي في لقاءه و من لي به؟»

قلت: «أنا».

و دخلت على أبي جعفر، فحدّثته الحديث كلّهُ فلم أخرم منه شيئاً. قال:

١. كذا في الأصل و الطبري (١٠: ١٠٩).

- «فادع سلمة.»

فدعوته. فقال له أبو جعفر:

- «إنَّ أبا أيوب استأذن لك أفتحبُّ أن تلقى أبا مسلم؟»

قال: «نعم»

قال: «فقد أذنت لك فأقرئه السلام و أعلمه تشوَّقنا إليه.»

قال: فخرج سلمة حتَّى لقي أبا مسلم. فقال له:

- «إنَّ لى حاجة.»

ثم قصَّ عليه حديث كسكر. و قال له،

- «أمير المؤمنين أحسن الناس فيك رأياً.»

فطابت نفسه و كان قبل ذلك كئيباً، فلَمَّا قدم عليه من سلمة ما قدم، سُرِّي

عنه و صدَّقه. [374] فلَمَّا دنا أبو مسلم من المدائن أمر أمير المؤمنين الناس،

فتلقَّوه. فلَمَّا كان عشية قدم، دخلتُ على أمير المؤمنين فقلت:

- «هذا الرجل يدخل العشية، فما تريد أن تصنع؟»

قال: «أريد أن أقتله حين أنظر إليه.»

قلت:

- «أنشدك الله، إنَّه يدخل معه الناس، و قد علموا ما صنع، فإن دخل عليك

ولم يخرج لم آمن البلاء، ولكن إذا دخل عليك فأذن له حتَّى ينصرف، فإذا غدا عليك رأيت رأيك.»

و ما أردتُ إلَّا دفعه بها، و ما ذاك إلَّا من خوفى عليه و علينا جميعاً من

أصحاب أبي مسلم.

فدخل عليه من عشية، و سلَّم وقام قائماً بين يديه، فقال:

- «انصرف يا عبد الرحمن، فأرح نفسك و ادخل الحمام فإنَّ للسفر قشفاً، ثمَّ

أغدُ عليّ.»

فانصرف أبو مسلم، و انصرف الناس، فافتري^(١) عليّ أمير المؤمنين حين خرج أبو مسلم و قال:

«متى أقدر على مثل هذه الحال منه التي رأيته قائماً على رجله ولا أدري ما يحدث في ليلتي.»

فانصرف، فلما أصبحت غدوت عليه، فلما رآني قال:
«يا بن اللخناء، لا مرحباً بك، والله ما غمضت الليلة.»
ثم شتمني حتى خفت أن يقتلني. ثم قال:
«ادع لي عثمان بن نهيك.»

فدعوته. فقال:

«يا عثمان، كيف [375] بلاء أمير المؤمنين عندك؟»
قال: «يا أمير المؤمنين، إنما أنا عبدك، والله لو أمرتني أن أتكئ على سيفي حتى يخرج من ظهري، لفعلت.»

قال: «كيف أنت إن أمرتك بقتل أبي مسلم؟»
فوجم ساعة لا يتكلم. فقلت:
«مالك لا تتكلم؟»
فقال قولة ضعيفة: «أقتله.»

قال: «انطلق، فجيئني بأربعة من وجوه الحرس جلداء^(٢)»
فمضى. فلما كان عند الرواق ناداه:

«يا عثمان، ارجع.» فرجع.

قال: «اجلس.» فجلس.

١. كذا في الطبري (١١٠:١٠) فافتري.

٢. في الطبري (١١٠:١٠) جلد.

قال: «أرسل إلى من تثق به من الحرس، فليحضر منهم أربعة.»
فقال لوصيف له:

- «انطلق، فادع شبيب بن واج، وادع أبا حنيفة.»

حتى عدّ أربعة، فدخلوا فقال لهم أمير المؤمنين نحو ما قال لعثمان، فقالوا:
- «نقتله.»

قال: «كونوا خلف الرواق، فإذا صفقت، فاخرجوا إليه، فاقتلوه.»
ثم أرسل إلى أبي مسلم رسلاً، بعضهم على إثر بعض، فقالوا:
- «قد ركب.»

وأتاه وصيف فقال له:

- «إنه أتى عيسى بن موسى.»

فقلت: «يا أمير المؤمنين، ألا أخرج فأطوف العسكر فأنظر ما يقول الناس،
هل ظن أحد ظناً أو تكلم أحد بشيء؟»
قال: «بلى.»

فخرجت، و تلقاني أبو مسلم داخلاً، فتيّسّم، و سلّمت عليه، و دخل، و
رجعت، فإذا هو منبطح لم يُنتظره رجوعي^(١). و دخل أبو الجهم، فلمّا راه
مقتولاً قال:

- «إنا لله و إنا إليه راجعون.»

فأقبلت على أبي الجهم فقلت له:

- «أمرته بقتله حين خالف، حتى إذا قُتل قلت هذه المقالة.»
فنبهت رجلاً عاقلاً^(٢) فتكلّم بكلام أصلح ما كان منه.

١. كذا في الأصل انظر الطبري (١١١:١٠).

٢. كذا في الأصل و آ: عاقلاً. في مط: غافراً. في الطبري (١١١:١٠): غافلاً. و في
حواشيد: عاقلاً.

قال: «يا أمير المؤمنين، ألا أردّ الناس؟»

قال: «بلى.»

قال: «فأمزّ بمتاع يحوّل لك إلى رواق آخر من أرواقك هذه.»
فأمر بفرش، فأخرجت كأنه يريد أن يُهيأ له رواق آخر. فخرج أبو الجهم و
قال:

- «انصرفوا فإنّ الأمير يريد أن يقيّل عند أمير المؤمنين.»

و رأوا المتاع يُنقل، فظنّوه صادقاً، فانصرفوا، ولما دخل أبو مسلم قال له:

- «أخبرني عن نصلين^(١) أصبتهما في متاع عبد الله بن عليّ.»

قال: «هذا أحد هما الذي عليّ.»

قال: «أرنيه.»

فانتضاه، فناوله، فهزّه أبو جعفر، ثمّ وضعه تحت فراشه، و أقبل عليه يعاّتيه
ويعدّد ذنوبه. فقال:

- «أخبرني عن كتابك إلى أبي العباس تنهاه عن الموات^(٢)، أردت أن تعلّمنا
الدين؟»

قال: «ظننت أنّه لا يحلّ، و كان كتب إليّ فيه، فأجبتّه بما عندي.»

قال: «فأخبرني عن تقدمك إتيّ في طريق مكّة.»

قال: «كرهت أن تجتمع على الماء، فيضّر ذلك بالناس، فتقدّمت توطئة و
التماس المرفق.»

فقال: «فقولك حين أتاك الخبر بموت أبي العباس لمن أشار عليك أن
تنصرف [377] إلى أن نقدم قنرى رأينا فمضيت، فلا أنت أقمت حتّى ألحقك،

١. النصّل في أحد معانيه: السيف.

٢. انظر الطبري (١٠: ١١٣).

ولا أنت رجعت إليّ.»

قال: «منعني من ذلك ما أخبرتك به من طلب المرفق للناس، و قلت يقدم الكوفة و ليس عليه مني خلاف.»

قال: «فجارية عبد الله بن عليّ، أردت أن تتخذها؟»

قال: «لا، ولكنني خفت ضياعها فحملتها في قبة و وكلت بها من يحفظها.»

قال: «فمراغمتك إياي و الخروج إلى خراسان.»

قال: «خفت أن يكون قد دخلك شيء مني، فقلت آتى خراسان و أكتب بعذري و إلى ذاك ما قد ذهب ما في نفسك عليّ.»

قال: «فلم قتلت سليمان بن كثير مع أثره في دعوتنا و هو أحد نقباءنا^(١)»

قال: «إنما أراد الخلاف فقتلته.»

قال: «تقتله و حاله عندنا حاله بتهمة لم تتحققها؟»

ثم قال: «ألست الكاتب إليّ تبدأ بنفسك، و الكاتب إليّ تخطب أمينة بنت عليّ و تزعم أنك ابن سليط بن عبد الله بن عباس؟»

فقال أبو مسلم: «يا أمير المؤمنين، لا تتحفظ عليّ أمثال هذه بعد بلاتني و ما كان مني.»

و كان أبو مسلم قتل في دولته و حروبه ستمائة ألف انسان صبراً.

فقال له: «يا بن الحبيشة، و الله لو كانت أمة مكانك لأجزأت، إنما عملت ما عملت -»

بريحتنا و في دولتنا، ولو كان ذلك إليك [378] ما قطعت فتيلاً.

ثم قال أبو جعفر:

- «إنك لتزيدني بكلامك و احتجاجك غيظاً.»

١. كذا في الأصل و آ و الطبري (١١٤، ١٠): نقباءنا. في مط: ثقاتنا.

وصفّق بيده، و كانت العلامة بينه و بين الحرس^(١)، فخرجوا عليه و ضربوه حتّى قتلوه و أدرج فى بساط و أمر أبو جعفر لأصحابه بمال، و نثر دراهم لبقية جنده فاشتغلوا بها، ورمى إليهم برأسه.

ثمّ دعا أبو جعفر بأبى إسحاق صاحب حرس أبى مسلم، فقال:
- «أقسم بالله لئن قطعوا طنباً من أطنا بى لأضربنّ عنقك ثمّ لأجاهدّهم». فخرج إليهم أبو إسحاق و هم يشغبون فقال:
- «انصرفوا يا كلاب».

و كان أبو مسلم خلف أبا نصر فى ثقله و قال:
- «أقم حتّى يأتيك كتابى».

قال:

- «فاجعل بينى و بينك علامة أعرفها و أثق بكتابك معها».

قال:

- «إن أتاك كتابى مختوماً بنصف خاتمى، فأنا كتبته و إن أتاك بهتّمى كلّه فلم أكتبه، و لم أختمه».

فلما دنا من المدائن، تلقّاه رجل من قوّاده، فسلم عليه و قال:
- «أطعنى و ارجع، فإنّه إن قدر عليك قتلك».

قال: «أما وقد قربت من القوم، فإننى أكره الرجوع».

و كتب أبو جعفر كتاباً عن لسان أبى مسلم إلى أبى نصر يأمره بحمل ثقله و ما خلف عنده، و أن يقدم، و ختم الكتاب بخاتم أبى مسلم، فلما رأى أبو نصر نقش الخاتم تامّاً علم [379] أنّ أبا مسلم لم يكتب به. قال:
- «أفعلتموها؟»

و انحدر إلى همذان و هو يريد خراسان.

فكتب أبو جعفر بعده. على شهرزور، و وجه إليه رسولاً بالعهد، فاتاه خبره بعد نفوذ الرسول بالعهد أنه قد توجه إلى خراسان.

و كتب إلى زهير بن التركى و هو على همذان:

«إن مرّ بك أبو نصر، فاحبسه.»

ثم كتب إليه كتاباً آخر:

«إن كنت أخذت أبا نصر فاقتله.»

و قدم صاحب العهد بالكتاب فوصلت الكتب إلى زهير و أبو نصر بهمذان، فأخذه و حبسه، ثم خلّاه لهواه فيه، و احتج بأن كتاب العهد سبق إلى فخلّيت سبيله.

و فى هذه السنة ولّى أبو جعفر أبا داود خالد بن إبراهيم خراسان، و كتب إليه بعده.

خروج سنباذ طلباً بشار أبى مسلم

و فيها خرج سنباذ بخراسان يطلب بدم أبى مسلم و كان هذا الرجل مجوسياً، و أظهر غضباً لقتل أبى مسلم، فطلب بشاره، و كثر أتباعه فتسمّى بغيروز اصهبند، و غلب على نيسابور، و قومس، و الرى، و قبض خزائن أبى مسلم التى خلفها، فوجه إليه أبو جعفر، جهّور بن مرّار^(١) العجليّ فى عشرة آلاف، فالتقوا بين همذان و الرى، فهزم سنباذ و قُتل من أصحابه نحو من ستين ألفاً [380] و سُببت ذراريهم و نساؤهم، ثم قُتل سنباذ بين طبرستان و قومس. فكان بين خروجه إلى يوم قُتل سبعون ليلة.

١. فى مط: مران.

خروج ملبّد

و في هذه السنة خرج ملبّد بن حرملة الشيباني فحكّم بناحية الجزيرة فخرج إليه ألف رجل من روابط الجزيرة، فقتلهم ملبّد و هزمهم، ثمّ سار إليه روابط الموصل فهزمهم، ثمّ سار إليه يزيد بن حاتم المهلبى فهزمه ملبّد بعد قتال شديد و قتل ذريع. ثمّ وجّه إليه أبو جعفر المهلهل بن صفوان فى نُخب البجند فهزمهم ملبّد، واستباح عسكرهم ثمّ خرج إليه نزار فى عدّة من قوّاد خراسان، فقتله ملبّد و هزم أصحابه. ثمّ وجّه إليه زياد بن مشكان فى جمع كثير فهزمهم ملبّد. ثمّ وجّه صالح بن صبيح فى عسكر كثيف وعدّة من صناديد فهزمهم الملّبّد. ثمّ سار إليه حميد بن قحطبة فلقية الملّبّد فهزمه، و تحصّن حميد منه و أعطاه مائة ألف درهم على أن يكفّ عنه.

ثمّ دخلت سنة ثمان و ثلاثين و مائة

حوادث عدة

و فيها دخل قسطنطين ملك الروم ملطية عنوة فقهر أهلها و ملك سورها [381] و هدمه ثمّ عفى عمّن فيها.

و فيها غزا العبّاس بن محمّد بن علىّ بن عبد الله بن العبّاس مع صالح بن علىّ، فوصله صالح بأربعين ألف دينار و خرج معهم عيسى بن علىّ، فوصله أيضاً بأربعين ألف دينار فبقي صالح بن علىّ ما كا صاحب الروم هدم من ملطية.

و فى هذه السنة خلع جهور بن مرّار^(١) العجلي المنصور و كان سبب ذلك أنّ جهوراً لما هزم سبباز و حوى ما فى عسكره و فى جملته خزائن أبى مسلم،

خاف فخلع، فأنفذ إليه المنصور محمد بن الأشعث الخزاعي، فلقبه فقاتله قتالاً شديداً، فهزم جهور و قُتل من أصحابه خلق كثير و هرب جهور^(١) إلى آذربيجان فأخذ بعد ذلك باسفيذوا.

و في هذه السنة قتل الملبّد الخارجي قتله خازم بن خزيمة بعد قتال شديد و حروب كثيرة لا تُستفاد من ذكرها تجربة.

ثم دخلت سنة تسع و ثلاثين و مائة^(٢)

عبدالرحمن يصير إلى الأندلس

و في هذه السنة صار عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان إلى الأندلس فملكه أهلها أمرهم، فولّده وولاتها إلى اليوم.

و فيها عزل سليمان بن عليّ [382] عن البصرة، و وُلّي سفيان بن معاوية، فتواري عبدالله بن عليّ و أصحابه فبعث أبو جعفر إلى سليمان و عيسى ابني عليّ و كتب إليهما في إشخاص عبدالله بن عليّ و عزم عليهما أن يفعلا ذلك ولا يؤخّراه، و أعطاهما من الأمان لعبدالله ما رضىاه و وثقا به، و جرى في ذلك ما سنذكره إن شاء الله.

ثم استحثّهما بالخروج بعبدالله و بعامة قوّاده و خواصّ أصحابه فخرجوا بعبدالله والجماعة التي التمسها حتّى قدموا على المنصور فلمّا دخل سليمان و عيسى على المنصور سألاه في عبدالله بن عليّ و أعلماه حضوره، فأنعم لهما و شغلهم بالحديث.

و قد كان هيئاً لعبدالله محبساً في قصره، و أمر أن يُصرف إليه بعد دخول

١. كذا في الطبري (١٠: ١٢٢) أيضاً: جهور. في مط: جمهور.

٢. في آ: تسع و ستين و مائة. و هو سهو.

سليمان و عيسى، ففعل ذلك به، ثم نهض أبو جعفر من مجلسه و قال لسليمان و عيسى:

«سارعا بعبدا لله»

فلما خرجا، افتقدا عبدا لله بن عليّ من المجلس الذي خلفاه فيه، فعلما أن قد حُبِس، فانصرفا راجعين إلى أبي جعفر، فحيل بينهما و بين الوصول إليه، و أخذت عند ذلك سيوف من حضر من أصحاب عبدا لله بن عليّ من عواتقهم و حُبِسوا. [383]

ثم دخلت سنة أربعين و مائة

هلاك أبي داود عامل خراسان

فمما جرى فيها هلاك أبي داود خالد بن إبراهيم عامل خراسان لخطيئة أخطأها على نفسه، و ذلك أن ناساً من جنده ثاروا به ليلاً و هو نازل بباب كُشمهان^(١) من مدينة مرو حتّى وصلوا إلى المنزل الذي هو فيه فأشرف أبو داود من الحائط، و جعل ينادي أصحابه ليعرفوا صوته، و وطئ حرف آجرة خارجة عن الحائط، فانكسرت الآجرة و وقع على سُترة أمامها فانكسر ظهره و مات. و قام عصام صاحب شرطة أبي داود بخلافته حتّى قدم عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي

مركز توثيق و کتب و اسناد

ثم دخلت سنة إحدى و أربعين و مائة

فمما جرى في هذه السنة أمر الرونديّة و ما كان من أبي جعفر في أمرهم.

١. في الطبري (١٠: ١٢٨): كُشماهن. في آ: كشميهن. و كشميهن قرية كانت عظيمة من قرى مرو في آخر عملها على طرف البرية لمن يقصد أمل جيحون، خرّبها الرمل (مرا صد الاطلاع).

ذكر أخبار الرونديّة و خروجهم و مقتلهم

الرونديّة قوم كانوا من أهل خراسان على رأى أبى مسلم صاحب ديموه بنى هاشم، يقولون بتناسخ الأرواح، و يزعمون أنّ روح آدم فى عثمان بن نهيك و أنّ جبريل هو الهيثم بن معاوية. [384] و أنّ ربهم الذى يطعمهم و يسقيهم هو أبو جعفر المنصور، و يعدّدون أرواح قوم مضوا فيدّعون أنّها الآن منتقلة فى أجساد آخرين^(١) هم فلان و فلان، ولا تزال تنتقل فى كلّ زمان إلى أجساد قوم فتعاقب فيها أوتثاب.

و كانوا أتوا قصر المنصور فجعلوا يطوفون به و يقولون:

«هذا قصر ربّنا.»

فحكى أبوبكر الهذلى قال: إننى لواقف بباب أمير المؤمنين إذ طلع فقال لى رجل إلى جانبى:

«هذا ربّ العزّة، هذا الذى يرزقنا و يطعمنا ويسقينا.»

فلما رجع أمير المؤمنين و دخل الناس و دخلت و خلا وجهه قلت له:

«سمعت اليوم عجبا.»

و حدّثته، فنكت فى الأرض و قال:

«يا هذلى، يدخلهم الله عزّ و جلّ النار فى طاعتنا و يقتلهم أحبّ إلينا من

أن يدخلهم الجنّة بمعصيتنا.»

قال: و أتوا قصر المنصور للطواف حتى شاع خبرهم فأرسل المنصور إلى

رؤساء هم فحبس منهم مائتين فغضب أصحابهم و قالوا:

«علام حبسوا؟»

و أمر المنصور ألاّ يجتمعوا، فأعدّوا نعشا و حملوا السرير و ليس فى النعش

١. فى الأصل: اجساد آخر.

أحد. ثم مرّوا في المدينة الهاشمية بالكوفة حتّى صاروا على باب السجن، فأخرجوا أصحابهم. و قصدوا نحو المنصور يريدونه [385] و هم يومئذ ستمائة رجل، فتنادى الناس، و غلّقت أبواب المدينة، فلم يدخل أحد فخرج المنصور من القصر ماشياً ولم يكن في القصر دابة، فجعل بعد ذلك يرتبط فرساً يكون في دار الخليفة معه في قصره.

ولمّا خرج المنصور أتى بدابة فركبها و هو يريدهم. و جاء معن بن زائدة و انتهى إلى المنصور و قال:

«أنشدك الله يا أمير المؤمنين إلّا رجعت فأنك تكفى».

و جاء أبو نصر مالك بن الهيثم فوقف على باب القصر و قال:

«أنا اليوم بواب».

و نُودي في السوق، فرموهم و قاتلوهم حتّى أثنى عليهم و فُتح بابا المدينة فدخل الناس و جاء خازم بن خزيمة على فرس محذوف فقال:

«يا أمير المؤمنين، أقتلهم؟»

قال: «نعم».

فحمل عليهم حتّى ألجأهم إلى حائط، ثم كروا على خازم، حتّى كشفوه و أصحابه ثم كزّ عليهم فاخبطوهم إلى حائط المدينة و قال للهيثم بن شعبة:

«إذا كروا علينا فاسبقهم إلى الحائط، و إذا رجعوا فاقتلهم».

فحملوا على خازم فاخبطوه و صار الهيثم بن شعبة من وراءهم فقتلوا جميعاً. و جاءهم يومئذ عثمان بن نهيك و كلمهم، فرموه، فرجع، فرموه بنشابة وقعت بين كتفيه فمضى أياً و مات.

و أبلى يومئذ برزين^(١) بن المصمغان ملك [386] دنباوند. و كان خالف أخاه

١. في آ: برزين الجمعان و هو تصحيف. في الطبري (١٠: ١٣٠): ابرويز المصمغان.

و قدم على أبي جعفر، فأكرمه و أجرى عليه رزقاً، فلما كان يومئذ أتى المنصور فكفر له ثم قال:

«أقاتل هؤلاء؟»

قال له: «نعم.»

فقاتلهم. فكان إذا ضرب رجلاً فصرعه تأخر عنه، فلما قتلوا و صلى المنصور دعا بالعشاء و قال:

«اطلبوا معن بن زائدة.»

و أمسك عن الطعام حتى جاء معن، فقال لقثم:

«تحول إلى هذا الموضع.»

و أجلس معناً مكان قثم.

فلما فرغوا من العشاء قال لعيسى بن علي:

«يا يا العباس، أسمعت بأسد الرجال؟»

قال: «نعم.»

قال: «لورأيت معناً علمت أنه من تلك الآساد.»

قال معن: «والله يا أمير المؤمنين، لقد أتيتك و إنني لوجل القلب، فلما رأيت ما عندك من الاستهانة بهم و شدة الإقدام عليهم، و رأيت أمراً لم أره من خلق في

حرب، شد ذلك من قلبي و حملني على ما رأيت مني.»

قال الفضل بن الربيع: حدثني أبي قال: سمعت المنصور يقول:

المنصور يتحدث عن ثلاث خطيئات

«أخطأت ثلاثة خطيئات وقى الله شرها: قتلت أبا مسلم و أنا في خرق و

من حولي يقدم طاعته على طاعتي و يؤثرها، ولو هتكت الخرق لذهبت

ضياًعاً، و خرجت يوم الروندية، ولو أصابني سهم غرب لذهبت ضياًعاً، و

خرجت إلى الشام ولو اختلف سيفان [387] بالعراق ذهب الخلاقه ضياعاً»
و في هذه السنة خلع عبد الجبار بن عبد الرحمن عامل أبي جعفر على
خراسان.

ذكر الخبر عن خلع عبد الجبار و ما آل إليه أمره
بلغ المنصور أن عبد الجبار يقتل رؤساء أهل خراسان و كاتبه بعض قواده
بكتاب فيه: قد نفل الأديم^(١). فقال لكتابه أبي أيوب الخوري:
- «إن عبد الجبار قد أفنى شيعتنا، و ما فعل هذا إلا و هو يريد أن يخلع.»
فقال له:

- «ما أيسر حيلته؟ اكتب إليه: إنك تريد غزو الروم فيوجه إليك الجنود من
خراسان و عليهم فرسانهم و وجوههم، فإذا خرجوا منها فابعث إليه من شئت
فليس به امتناع.»

فكتب إليه بذلك، فأجابه:

- «إن الترك قد جاشت، و إن فرقت الجنود ذهب خراسان.»

فألقي الكتاب إلى أبي أيوب و قال له:

- «ما ترى؟» قال:

- «قد أمكنك من قياده، اكتب إليه: أن خراسان أهم إلى من غيرها، و أنا
موجه إليك الجنود من قبلي. ثم وجه إليه الجنود ليكونوا بخراسان، فإن هم
بخلع، أخذوا بعنقه.»

فلما ورد على عبد الجبار هذا الكتاب، كتب إليه:

- «إن خراسان [388] لم تكن قط أسوأ حالاً منها في هذا العام، و إن دخلها

١. قد نفل الأديم: انظر الطبري (١٠: ١٣٤).

الجنود هلكوا لضيق ما هم فيه من غلاء السعر.»
 فلما أتاه الكتاب ألقاه إلى أبي أيوب فقال له:
 - «قد أبدى صفحته، و قد خلع، فلا تناظره.»

فوجه إليه محمداً ابنه و قدّم لحربه خازم بن خزيمه، ثمّ شخص محمداً المهدى، فنزل نيسابور و توجه خزيمه بن خازم إلى عبد الجبار، و بلغ ذلك أهل مرو الروذ فقاتلوه و جاهدوا فيه حتّى هرب و توارى. ثمّ طلبوه حتّى أخذوه أسيراً. فلما قدم خازم أتاه ابنه^(١) فألبسه خازم مدرعة صوفٍ و حمله على بعير و جعل وجهه من قبل عجز البعير حتّى انتهى به إلى المنصور و معه ولده و أصحابه، فبسط عليهم العذاب حتّى استخرج منه ما قدر عليه من الأموال. ثمّ أمر المسيّب بقطع يدي عبد الجبار و رجله و ضرب عنقه، ففعل المسيّب و أمر المنصور بتسيير ولده إلى ذلك و هى جزيرة بناحية اليمن.

فتح طبرستان

ولما وجه المنصور محمداً المهدى إلى قتال عبد الجبار بن عبد الرحمن، فكفى المهدى أمر عبد الجبار بمن حاربه كره المنصور أن تبطل نفقاته التى أنفقت على المهدى [٣٨٩] و جنوده. فكتب إليه: أن يغزو طبرستان و ينزل الرى و يوجه أبا الخصيب و خازم بن خزيمه و الجنود إلى الإصهبند، و الإصهبند كان يومئذٍ متحارباً للمصمغان ملك دنباوند معسكراً بإزاءه. فبلغه أن الجنود دخلت بلاده و أن أبا الخصيب دخل سارية، فسأ المصمغان ذلك، و قال للإصهبند:

- «متى صاروا إليك، صاروا إلى.»

١. به: الزيادة من الطبرى (١٣٥:١٠).

فأجمعا على محاربة المسلمين. و انصرف الإصبيهد إلى بلاده. فحارب المسلمين و طالت الحروب. فأشار يرزین^(١) أخو المصمغان على المنصور بتوجيه عمر بن العلاء، و كان يرزین قد عرف عمر أيام رستقباد^(٢) و أيام الرونديّة و قال:

«يا أمير المؤمنين، إنَّ عمر أعلم الناس ببلاد طبرستان فوجَّهه». و عمر بن العلاء هو الذي يقول فيه بشار:

فقل للخليفة إن جئته نصيحاً ولا خير في المتَّهم
إذا أيقظتك حروبُ العدى فسنبه لها عُمرأ ثمَّ نَم
فتى لا ينام على دِمنَةٍ ولا يشربُ الماء إلا يَدُم

فوجَّه المنصور و ضمَّ إليه خزيمه بن خازم^(٣) فدخل الرويان و فتحها و أخذ [390] قلعة الطاق و ما فيها.

و طالت الحرب و ألحَّ خزيمه على القتال، ففتح طبرستان و قتل منهم فأكثر. و صار الإصبيهد إلى قلعته و طلب الأمان على أن يسلم القلعة بما فيها من ذخائره. فكتب بذلك المهديّ إلى أبي جعفر، فوجَّه أبو جعفر بصالح صاحب المصلّى وعدّة معه، فأحصوا ما في الحصن ثمَّ انصرفوا. و بدا للإصبيهد، فدخل بلاد جيلان من الديلم، فمات بها، و أخذت ابنته، فهي أمّ إبراهيم بن العباس بن محمّد، و صمدت الجيوش للمصمغان، فظفروا به وبالبحرّية أمّ منصور بن

١. في الطبري (١: ١٣٦): في الطبري: أبر.

٢. في الطبري: (١٠: ١٣٧): سنباذ، بدل رستقباد. في حواشيه: رستقباد.

٣. كذا في الأصل و مط و آ: خزيم بن خازم. في الطبري (١٠: ١٣٧): خازم بن خزيمه.

المهديّ و بصير^(١) أمّ عليّ بن ريطة بنت المصمغان فهذا فتح طبرستان الأوّل.

ثمّ دخلت سنة اثنتين و أربعين و مائة

و فيها نقض إصبيهد طبرستان، العهد بينه و بين المسلمين، و قتل من كان
بيلاده من المسلمين فبلغ ذلك المنصور، فوجّه خازم بن خزيمة و روح بن
حاتم، و أبا الخصيب مولى أبي جعفر فقاتلوهم حتّى طال عليهم. فاحتال أبو
الخصيب في ذلك و قال لأصحابه:

«اضربوني و احلقوا رأسي ولحيتي.»

ففعّلوا ذلك به، و لحق بالإصبيهد صاحب [391] الحصن و قال:

«إنّه ركب منّي ما ترى بتهمة ألحقوها بي وظنّوا أنّ هواي معك.»

و أخبره أنّه اليوم معه و أنّه يدلّه على عورة العسكر. فقبل منه الإصبيهد
ذلك و جعله في خاصّته و ألطفه و وكلّ به من يتعرّف أخباره فصبر، ولم يزل
يظهر طاعته و نصيحته حتّى وثق به و تمكّن ممّا أراد. فراسل أصحابه بل
كاتبتهم في نشابة و واعدتهم أن يفتح لهم الباب يوماً بعينه. ففعل، فدخلوا و قتلوا
من فيها و سبوا الذراريّ و ظفروا ببيت الإصبيهد و بشكّلة^(٢) أمّ إبراهيم بن
المهديّ و هي بنت كاتب المصمغان، و مصّى الإصبيهد خاتماً له فيه سمّ، فقتل
نفسه.

مركز تحقيق كاپيتول علوم اسلامی

و دخلت سنة ثلاث و أربعين و مائة

و لم يجر فيها ما تستفاد منه تجربة.

١. في الأصل: صمير؛ في مط: قمصير. و مافى آ: مهمل. في الطبري (١٣٧:١٠): صمر.

٢. الضبط من الطبري (١٤٠:١٠).

و دخلت سنة أربع و أربعين و مائة

محمد و إبراهيم يهتمان المنصور

و فيها أهتمّ أبا جعفر المنصور أمر محمد و إبراهيم ابني عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام.

و كانا قد تخلّفا عنه عام حجّ في حياة أخيه ولم يحضرا مع من حضر من بني هاشم.

و كان يُقال: إنّ أبا جعفر كان بايع محمد بن عبد الله ليلة تشاور بنو هاشم [392] بمكة فيمن يعتقدون له الخلافة و ذلك حين اضطرب أمر بني مروان. فلما كان بعد ذلك، و استخلف أبو جعفر لم تكن له همّة إلّا طلب محمد، و المسألة عنه و عن أخيه فسأل عنهما بني هاشم رجلاً رجلاً يُخْلِيهم، فیسألهم، فيقولون:

- «يا أمير المؤمنين، قد علم أنّك عرفته يطلب هذا الشأن قبل اليوم. فهو يخافك على نفسه و هو لا يريد لك خلافاً ولا يُحبّ لك معصية و ما أشبه هذا من الكلام، إلّا حسن بن زيد فإنه أخبره خبره و قال: والله ما آمن وثوبه عليك، فإنه ممّن لا يغفل عنك، فرّ رأيك»

فأيقظ من لا ينام، و أخذ في تتبعه، و دعا بزياد بن عبيد الله و كان خليفة محمد بن خالد القسريّ على المدينة، فبحث عن أمر محمد، و سأل عنه و عن أخيه فقال زياد:

- «ما يهتمّك من أمرهما، أنا آتيك بهما».

فرّده و ضمّته محمد بن إبراهيم.

و كان يحيى بن خالد بن برمك يقول: اشترى أبو جعفر رقيقاً من رقيق الأعراب، ثمّ أعطى الرجل البعير و البعيرين، و ربّما أعطى الرجل الذود و فرّقهم في طلب محمد في ظهر المدينة، فكان الرجل منهم يرد الساء كالمازّ و كالضالّ

و يُنْقَرُونَ^(١) عنه و يتحسسون. [393]

و ممّا احتال به أبو جعفر حتّى وقف

على أخبارهم

كان عمر بن حفص أوفد و فداً من السند منهم عقبة بن سلم، فدخلوا على أبي جعفر، فلمّا قضا حوائجهم فأرادوا النهوض و نهضوا، استردّ عقبة، فأجلسه ثم قال:

«من أنت؟»

قال: «رجل من جند أمير المؤمنين و خدمه، صحبت عمر بن حفص.»

قال: «ما اسمك؟»

قال: «عقبة بن سلم بن نافع.»

قال: «ممن أنت؟»

قال: «من الأزد، من بنى هُناة^(٢).»

قال: «إني لأرى لك هيئة و موضعاً و إني لأريدك لأمر أنا به معنى لم أزل

أرتاد له رجلاً عسى أن تكونه إن كفيّتيه رفعتك.»

فقال: «أرجو أن أصدق ظنّ أمير المؤمنين فيّ.»

قال: «فأخف شخصك و استر أمرك، و أتى في يوم كذا و كذا، في وقت كذا

و كذا.»

فأتاه في ذلك الوقت، فقال له:

«إنّ بنى عمّنا هولاء قد أبوا إلّا كيداً لملكنا و اغتيالاً له، و لهم شيعة

١. في آ: فينقرون عنه و يتجسسون. في مط: فينقرون. في الطبري (١٤٥: ١٠) فينقرون

عنه و ويتجسسون. و ما في الأصل بالحاء المهملة.

٢. في الأصل و آ: هناة (من دون مدّ) في الطبري (١٤٦: ١٠): هناة (هناة).

بخراسان بقرية كذا، يكاتبونهم و يرسلون إليهم بصدقات أموالهم و الطاف بلادهم، فأخرج بكتبي^(١) مع الطاف و عين حتى تأتيهم متكرراً بكتاب تكتبه عن أهل هذه القرية ثم تسير ناحيتهم، فإن كانوا نزعوا عن رأيهم [394] فأحبب والله بهم و أقرب، و إن كانوا على رأيهم علمت ذلك و كنت على حذر فأشخص حتى تلقى عبدالله بن حسن متقشفاً فإن جبهك و هو فاعل فاصبر و عاوده، فإن عاد فاصبر حتى يأنس بك ويلين لك ناحيته فإذا ظهر لك ما قبله^(٢) فأعجل على.

فشخص حتى قدم على عبدالله بن حسن فلقيه بالكتاب فأنكره و نهره و قال:

- «ما أعرف هؤلاء القوم».

فلم ينصرف و يعود إليه حتى قبل كتابه^(٣) و أطفاه و أنس به، فسأله عقبه الجواب، فقال:

- «أما الكتاب، فإنني لا أكتب إلى أحد ولكن أنت كتابي إليهم، فأقريهم السلام و أخبرهم أن ابني خارجان لوقت كذا و كذا».

قال: فشخص عقبه حتى قدم على أبي جعفر فأخبره الخبر و بأشياء كان ينتظرها منه. فقال له أبو جعفر:

- «إنني أريد الحج فإذا صرت بمكان كذا و كذا لقيني بنو حسن فيهم عبدالله فأنا مبعثله و رافع^(٤) مجلسه وداع بالغداء، فإذا فرغنا من طعامنا، فلاحظتك فأمثل بين يديه، فإنه سيصرف بصره عنك، فذر حتى تغمز ظهره بإيهام رجلك

١. بكتبي: كذا في الأصل و آ. و مط. في الطبري (١٠: ١٤٦): بكسي.

٢. في الطبري (١: ١٤٦): ما في قلبه.

٣. كذا في الطبري (١٠: ١٤٦) أيضاً: كتابه.

٤. في الأصل: و أرفع. في آ: و رافع.

حتى تملأ عينه منك ثم حسبك و إياك أن يراك مادام يأكل.»
 فخرج حتى إذا ترفع في البلاد لقيه بنو حسن فأجلس عبدالله [395] إلى
 جانبه ثم دعا بالغداء فأصابوا منه ثم أمر به فرفع فأقبل على عبدالله فقال:
 - «يا با محمد قد علمت ما أعطيتني من العقود و الموائيق ألا تبغيني سوءاً
 ولا تكيد لي سلطاناً.»

قال: «فأنا على ذلك يا أمير المؤمنين.»

قال: فلحظ أبو جعفر عقبة، فاستدار حتى قام بين يدي عبدالله فأعرض
 عنه، ثم استدار حتى قام من وراء ظهره، فغمزه بإصبعه فرفع رأسه فملأ عينه
 منه، ثم وثب حتى جثا بين يدي أبي جعفر فقال:
 - «أقلني يا أمير المؤمنين أقالك الله.»

قال: «لا أقالني الله إن أقلتك.» و أمر بحبسه.

فحكى أبو حنين قال: دخلت على عبدالله بن حسن و هو محبوس، فقال:
 - «هل حدث اليوم خبر؟» قلت:

«نعم، قد أمر ببيع متاعك و رقيقك، ولا أرى أحداً يقدم على شرائه.»

فقال: «ويحك يا با حنين، والله لو خرج بي وبيناتي مسترقين لا شترينا.»

فشخص أبو جعفر، و بقي عبدالله بن الحسن في الحبس ثلاث سنين.

و كان أخوه محمد و أصحابه أجمعوا على اغتيال أبي جعفر في سنة أربعين
 لما حج، و قال لهم الأشر عبدالله بن محمد بن عبدالله:
 - «أنا أكفيكموه.»

فقال محمد: «لا و الله لا أقتله أبداً غيلة حتى أدعوه.»

فنقض أمرهم ذلك، [396] و ما كانوا أجمعوا عليه.

و كان دخل معهم قائد من قواد أبي جعفر من أهل خراسان، فسم بهم
 إسماعيل بن جعفر بن محمد الأعرج، فأرسل المنصور في طلب القائد فلم يظفر

به و أفلت مع غلام له بمال فأتى محمّداً به فقسّمه بين أصحابه.

و كان السبب في ذلك

أنّ أبا جعفر أنفذ عيناً له و كتب معه كتباً على ألسن الشيعة بعلامات لهم وقف عليها يذكرون موالاتهم و حُسن طاعتهم و معه مال، فقدم الرجل المدينة، فدخل على عبدالله بن حسن بن حسن فسأله عن محمّد و أعطاه العلامات، فذكر له أنّه في جبل جُهيّنة و قال:

- «امرر في طريقك بعليّ بن الحسن، الرجل الصالح الذي يدعى الأغرّ، فإنّه يرشدك».

فأتاه فأرشده. و كان لأبي جعفر كاتب على سرّره، و كان متشيعاً، فكتب إلى عبدالله بن الحسن بأمر ذلك العين و ما بُعث له. فقدم الكتاب على عبدالله بن الحسن، فارتاع و بعث أبا هيثار^(١) إلى عليّ بن الحسن و إلى محمّد يحذّرهما الرجل، فخرج أبو هيثار حتّى نزل بعليّ بن الحسن، فسأله عن الرجل فأخبره: أن قد أرشده.

قال أبو هيثار: فجئت محمّداً في موضعه [397] الذي هو به فإذا هو جالس في كهف مع قوم، و الرجل معهم أعلاهم صوتاً و أشدّهم انبساطاً، فلمّا رآني ظهر عليه بعض التكرّه، و جلست مع القوم، فتحدّثت مليّاً، ثمّ أصغيت إلى محمّد فقلت:

- «إنّ لي حاجة».

فنهض، و نهضت معه، فأخبرته خبر الرجل. فاسترجع و قال:

- «فما الرأي؟»

١. في الطبري (١٥٧:١٠): هبار (بالباء الموحدة).

فقلت: «إحدى ثلاث أيها شئت فافعل.»

قال: «و ماهى؟»

قلت: «تدعنى حتى أقتل الرجل.»

قال: «سبحان الله، ما أقرب دماً إلّا وأنا مكره، أو ماذا؟»

قلت: «توقّره حديداً أو تنقله حيث انتقلت.»

قال: «وهل بنا فراغ له مع الخوف والإعجال؟ أو ماذا؟»

قلت: «تشدّه و تضعه عند بعض أهل ثقتك من جُهيّنة.»

قال: «هذا إذا.»

فرجعنا و قد نذر الرجل، فهرب فقلت:

- «فأين الرجل؟»

قالوا: «قام بركوة فاصطبّ ماءً، ثمّ توارى بهذا الظّرِبِ^(١) يتوضّأ.»

قال: فجُلّنا فى الجبل و ما حوله، فكأنّ الأرض إلّامت عليه. و كان سعى

على قدميه حتّى شرع على الطريق، فمَرَّ به أعراب معهم حمول إلى المدينة،

فقال لبعضهم:

- «فترغ هذه الغرارة فأدخلنيها أكن عدلاً لصاحبها و لك كذا و كذا.»

قال: «نعم.»

ففرغها، و حملها إلى المدينة. ثمّ قدم [398] على أبى جعفر فأخبره الخبر

كلّه و عمى عن إسم أبى هيثار و كنيته و علّق و برأ. فكتب أبو جعفر فى طلب و

بر المزنّى فُحمل إليه رجل يُدعى و برأ فسأله عن قصّة محمّد و ما حكى عنه

العين، فحلف أنّه ما يعرف من ذلك شيئاً فأمر به، فضرب سبعمائة سوط و

حُبِس حتّى مات.

١. كذا فى الطبرى (١٥٧:١٠). فى آ: الطرف.

من غريب الحكايات

فمن الحكايات الغريبة في ذلك الوقت أنَّ المنصور كان عنده قوم يتكهنون فيخبرونه بموضع محمّد. فكتب بعض أصحاب محمّد مَن كان يتشيع و يصحب أبا جعفر:

« لا تقيمَنَّ في موضعك إلّا قدر ما يسير إليك البريد من العراق.

فكان يقال لأبي جعفر: نرى محمّداً ببلاد فيها الأترج و الأعناب. فيكون بالمدينة و ينتقل، ثمّ يرونه بالبيضاء و هي من وراء الغابة على عشرين ميلاً و هي لأشجع، فيكتب إليها، فيقال له: قد خرج. ثمّ يقال له: إنه ببلاد الجبال و القِلات^(١)، فيطلبه فيقال: خرج، ثمّ يقال له: هو ببلاد الحبّ و القطران، فيقول: هذه بلاد رضوى، فيطلبه ولا يجده.

و كان الناس يقولون: عند أبي جعفر مرآة ينظر فيها فيعلم الغيب منها، و يُكثرون من الأحاديث، [399] ولا يشكّون في أنَّ أبا جعفر يطلع الغيب و يعلمون لذلك خرافات مختلفة من أخبار الجنّ و المرأة التي ذكرتها.

ولمّا طلب محمّد في شعاب رضوى من جبل جهينة بخيل و رجال، فزع محمّد و كان هناك، فأحضر شداً فأفلت. و كان له ابن صغير ولد في خوفه ذلك و كان مع جارية له فهو من الجبل فتقطع. فقال محمّد:

منخرق السربال يشكو الوجي تنكبّه أطراف مَرٍ حِدا
شَرْدُهُ الخوفُ فأزرى به كذاك من يكره حَرَّ الجِلاد
قد كان في الموت له راحة والموت حَتْمٌ في رِقَابِ العباد

و قال محمّد: لمّا ظهر، بينا أنا بالحرّة مصعداً و منحدرأ، إذا أنا بخيل أبي

١. جمع قلت، و هو النقرة تكون في الجبل يستنقع فيه الماء. (مراسد الإطلاع).

جعفر و رجاله و عليهم رباح بن عثمان يطلبني فعدلت إلى بئر فوقفت بين
قرنيها أستقي، فلقيني رباح صفحاً فقال:

«قاتله الله أعرابياً، ما أحسن ذراعه.»

و حكى بعضى أصحاب محمد قال: غدوت يوماً مع محمد و عليه قميص
غليظ و رداء قُرْبَى مفتول، فخرجنا من موضع كان فيه، و ذكره، حتى إذا كان
قريباً التفت فإذا رباح فى جماعة أصحابه ركبان فقلت:

«إنا لله [400] و إنا إليه راجعون. هذا رباح.»

فقال غير مكترث:

«إمضه.»

فمضيت و ما تُقْلَنِي رجلاى، و تنحى هو عن الطريق، فجلس و جعل ظهره
مما يلي الطريق و سدّل هُذب رداءه على وجهه و كان جسيماً، فلما حاذاه
رباح قال لأصحابه:

«إمرأة رأيتنا فاستحيث.»

فأعرض و مضى.

أخذ جماعة بنى حسن

ولمّا أعيى المنصور محمد و إبراهيم تقدّم بأخذ جماعة بنى حسن بن حسن
فأخذ رباح، و كان والى المدينة، حسن بن حسن بن حسن^(١)، و إبراهيم أخاه،
و حسن بن جعفر بن حسن، و سليمان بن عبد الله ابنى داود بن حسن بن
حسن، و عباس بن حسن بن حسن بن حسن، و كان صغيراً، فقالت أمّه عائشة
بنت طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر:

- «دعوني أشمّه».

و كان أخذ من باب داره. قالوا:

- «لا والله ما كنت حيّة».

و حبس معهم موسى بن عبدالله و عليّ بن محمّد بن عبدالله، و حُمِلوا إلى أبي جعفر، و كان محمّد أتى أمّه هند و قال:

- «إني قد حملت أبي و عمومتى ما لا طاقة لهم به، و قد هممت أن أضع يديّ في أيديهم، فعسى أن يخلّي عنهم».

فتنكرت ولبست أظماراً، ثم جاءت السجن، فعرفها بعضهم فقام إليها فأخبرته عن محمّد فقالوا:

- «كلّا بل نصبر فإننا نرجو أن يفتح الله له خيراً، قولي له ليدع إلى أمره، و ليجد فيه فإن فرجنا بيد الله».

فانصرفت و تمّ محمّد على بغيته.

و كان [401] محمّد و إبراهيم يرسلان أباهما و يستأذنانه في الخروج فيقول:

- «لا تعجلا إن منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين فلن يمنعكما أن تموتا كريمين».



مركز تحقيق التراث
رأس محمّد بن عبدالله يبعث إلى خراسان

و وردت على المنصور كتب عمّاله بخراسان أنّ أهل خراسان قد تقاعسوا عنّا و طال عليهم أمر محمّد بن عبدالله فأمر أبو جعفر بمحمّد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان، فضربت عنقه، و بعث برأسه إلى خراسان، و حلف أنّه رأس محمّد بن عبدالله. و كان المنصور قد ضربه بالسوط قبل ذلك و عذّبه. و كان جميلاً وضيئاً، فأمر المنصور أن يدخل عليه حين قدّم به، و كان عليه قميص و

إزار وثوب رقيق تحت قميصه، فلما وقف قال:

- «إيها يا ديوث!»

قال محمد: «سبحان الله، والله لقد عرفتني بغير ذلك صغيراً وكبيراً.»

قال: «فممن حملت ابنتك وكانت تحت إبراهيم بن عبد الله بن حسن، وقد أعطيتني الأيمان بالطلاق والعناق ألا تغشني ولا تمالي على عدوي ثم أنت تدخل على ابنتك مختضبة متعطرة ثم تراها حاملاً يعجبك حملها، فأنت بين أن تكون حائثاً أو ديوثاً، وأيم الله إنني لأهم برجمها.»

فقال محمد:

- «أما أيما فهي عليّ إن كنت دخلت لك في أمر غش علمته. وأما ما رميت به هذه الجارية فإن الله قد أكرمها عن ذلك بولادة [402] رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكنني قد ظننت حين ظهر حملها أن زوجها ألم بها على حين غفلة منا.»

فأحفظ المنصور كلامه وأمر بشق ثيابه فشق قميصه عن إزاره فأشف عن عورته ثم أمر به فضرب خمسين ومائة سوط فبلغت منه كل مبلغ وأبو جعفر يفترى عليه ولا يكتفى فأصاب سوط منها وجهه فقال:

- «ويحك، اكفف عن وجهي فإن له حرمة برسول الله صلى الله عليه وآله.»

قال: فأعزى أبو جعفر بأن يقول للجلاد:

- «الرأس، الرأس.»

فضرب على رأسه نحو من ثلاثين فكان السوط ينثنى فيصيب وجهه فأصاب بعضها إحدى عينيه فندرت ثم أخرج في ساجور^(١) شد في عنقه وقيود في رجله حتى رُد إلى أصحابه.

١. في الطبري (١٠: ١٧٦): في ساجور من خشب.

و كان أول ما حصل في قلب أبي جعفر منه أن رياحاً قال له يوماً:
 - «يا أمير المؤمنين، أما أهل خراسان فشيعةك و أنصارك و أما أهل العراق
 فشيعة آل أبي طالب، و أما أهل الشام فوالله ما علىّ عندهم إلا كافر و ما
 يعتدون بأحد من ولده ولكن أخاهم محمد بن عبدالله بن عمرو لو دعا أهل
 الشام ما تخلف عنه منهم أحد.»

فوقعت في نفس أبي جعفر إلى أن حجّ، فكان من أمره ما كان.

بنى على الديباج و هو حيّ

و كان [403] محمد بن إبراهيم بن حسن بن حسن يقال له الديباج. فلمّا
 أدخل على أبي جعفر، نظر إليه و قال:

- «أنت الديباج؟»

قال: «نعم.»

قال: «أما والله لا قتلنك قتلة ما قتلها أحد من أهل بيتك.»
 ثم أمر بإسطوانة مبنية فعرّقت و أمر حتّى أدخل فيها ثم بنى عليه و هو
 حيّ.

و كان محمد هذا ممّن يختلف إليه الناس ينظرون إلى حسنه.
 ثم إنّ أبا جعفر المنصور كان يسقى واحداً بعد واحد فماتوا جميعاً إلا ثلاثة
 نفر: فأما عبدالله بن حسن فاختلف فيه فقال قوم قُتل و قال آخرون بل دسّ
 إليه المنصور من أخبره أنّ محمداً ابنه قد ظهر فقتل، فانصدع قلبه فمات.

و دخلت سنة خمس و أربعين و مائة

ظهر محمد بن عبدالله من المذار

و فيها ظهر محمد بن عبدالله من المذار في مائتين و خمسين رجلاً، و جاء

حتى استبطن السوق و أتى السجن فدقه و أخرج من كان فيه. و قيل إن عبيد الله بن عمر، و ابن أبي ذيب و عبد الحميد بن جعفر دخلوا على محمد قبل خروجه و قالوا:

- «ما تنتظر بالخروج، والله ما نجد في هذه الأمة أشأم^(١) عليها [404] منك، ما يمنعك أن تخرج وحدك.»

فلما خرج أقبل إلى الدار فامتنعت عليه فجعل يقول لأصحابه:

- «لا تقتلوا و اقصدوا^(٢) باب المقصورة.»

فأتوها و حرّقوا الباب، فلم يستطع أحد أن يجتاز فوضع رزام مولى القسريّ ترسه على النار، ثمّ تخطى عليه، فصنع الناس ما صنع، و دخلوا فأفلت قوم و أخذ قوم و تعلّق رياح في مشرفة^(٣) في دار مروان و أمر بدرجها فهُدمت فصعدوا إليه فأنزلوه و حبسوه في دار مروان مع أخيه عباس بن عثمان. و كان محمد بن خالد القسريّ و ابن أخيه النذير بن يزيد و رزام في الحبس فأخرجهم محمد و أمر النذير بالاستيثاق من رياح و أصحابه فقال رزام للنذير:

- «دعني و إياه فقد رأيت عذابه لي.»

قال: «شأنك به.»

وقام ليخرج، فتعلّق بثوبه رياح و ضرع إليه و قال له:

- «يا با قيس، قد كنت أفعل بكم ما أفعل و أنا بسؤددكم عالم.»

فقال له النذير:

- «فعلت ما كنت أهله، و نفعل مانحن أهله.» و خرج فتناوله رزام فلم يزل

[405] رياح يطلب إليه حتى كفّ و قال:

١. في مط: أشار، بدل «أشأم».

٢. في مط: لا تقصدوا و اطلبوا.

٣. في آ: مشرفة، في الطبري (١٠: ١٩٦): مشربة.

- «والله إن كنت لبطراً عند القدرة لثيماً عند البليّة». ولما صعد محمد المنبر حمد الله و أثني عليه ثم قال:

- «أما بعد، أيها الناس، فإنه كان من أمر هذه الطاغية عدوّ الله أبي جعفر مالم يخف عليكم من بنائه القبّة الخضراء التي بناها معاندةً لله في ملكه و تصغيراً لكعبة الله الحرام، و إنّ أحقّ الناس بالقيام في هذا الدين أبناء المهاجرين الأولين و الأنصار المواسين. - اللهم إنهم قد أحلّوا حرامك و حرّموا حلالك و آمنوا من أخفت و أخافوا من آمنت.

- اللهم فأحصهم عدداً و اقتلهم بديداً ولا تغادر منهم أحداً. - «أيها الناس، إني والله ما خرجت بين أظهركم و أنتم عندي أهل قوّة و لا شدّة، ولكنّي اخترتكم لنفسي، والله ما جئت هذه و في الأرض مصر يُعبد الله فيه إلّا و قد أخذ لي^(١)»

و نزل ثم استعمل على المدينة عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير و على قضاءها عبد العزيز بن المطّلب المخزومي [406] و على ديوان العطاء عبد الله بن جعفر بن المنصور بن مخرمة و على الشرط أبا القلّس عثمان بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب. و أرسل محمد إلى إسماعيل بن عبد الله بن جعفر، و كان قد بلغ عمراً طويلاً، فدعاه إلى البيعة له، فقال:

- «يا بن أخي، أنت والله مقتول، فكيف أبايعك؟» فارتدع الناس قليلاً.

١. زاد في الطبري (١٠: ١٩٧): فيه البيعة.

و حُكي عن محمد بن خالد القسريّ، قال:

«لَمَّا ظَهَرَ مُحَمَّدٌ وَأَنَا مَحْبُوسٌ أَطْلَقْنِي، وَلَمَّا سَمِعْتَ دَعْوَتَهُ الَّتِي دَعَا إِلَيْهَا عَلَى الْمَنْبَرِ قُلْتَ: هَذِهِ دَعْوَةُ حَقٍّ وَاللَّهِ لِأَبْلَيْنِ فِيهَا بِلَاءٌ حَسَنًا. فَقُلْتَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّكَ قَدْ خَرَجْتَ بِهَذَا الْبَلَدِ وَاللَّهِ لَوْ وَقَفَ عَلَى نَقَبٍ مِنْ أَتْقَابِهِ مَاتَ أَهْلُهُ جَوْعًا وَعَطَشًا فَانْهَضَ مَعِيَ فَإِنَّمَا هِيَ عَشْرٌ حَتَّى أَضْرِبَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ سَيْفٍ.»

فَأَبَى عَلِيٌّ. فَإِنِّي لَعِنْدَهُ يَوْمًا إِذْ قَالَ:

«مَا وَجَدْنَا مِنْ خُرِّ الْمَتَاعِ أَجُودَ مِنْ شَيْءٍ وَجَدْنَاهُ عِنْدَ ابْنِ أَبِي فُرُوهَ خَتْنِ أَبِي الْخَصِيبِ وَكَانَ اتْتَهَبَهُ.»

قَالَ: فَقُلْتَ فِي نَفْسِي: أَلَا أَرَاكَ قَدْ أَبْصَرْتَ خُرِّ الْمَتَاعِ؟ فَكُتِبَتْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَأَخْبَرْتَهُ بِقَلَّةِ مَنْ مَعَهُ، فَعُطِفَ عَلَيَّ فَحَبَسَنِي حَتَّى أَطْلَقْنِي عِيسَى بْنُ مُوسَى بَعْدَ قَتْلِهِ إِثَّاهُ.

وَكَانَ مُحَمَّدٌ آدَمَ شَدِيدَ الْأَدَمَةِ، أَدْلَمَ جَسِيمًا عَظِيمًا، وَكَانَ يُلَقَّبُ الْقَارِي [407] مِنْ أَدَمَتِهِ حَتَّى كَانَ يُسَمِّيهِ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدًا.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ زِيَادٍ بْنُ عَنبَسَةَ: كَانَ مُحَمَّدٌ عَظِيمَ الْخَلْقِ مَا رَأَيْتُهُ رَقَا الْمَنْبَرِ قَطًّا إِلَّا سَمِعْتَ تَقَعُّعَهُ مِنْ تَحْتِهِ وَإِنِّي لِبِمَكَانِي ذَلِكَ.

وَتَحَدَّثَتْ جَمَاعَةُ حُضُرِهِ: أَنَّ مُحَمَّدًا خَطَبَ يَوْمًا فَاعْتَرَضَ فِي حَلْقِهِ بَلْغَمٌ فَتَنَحَّنَحْ، فَذَهَبَ ثُمَّ عَادَ فَتَنَحَّنَحْ فَذَهَبَ، ثُمَّ عَادَ فَتَنَحَّنَحْ، وَنَظَرَ فَلَمْ يَرِ مَوْضِعًا فَرَمَى بِنَخَامَتِهِ سَقْفَ الْمَسْجِدِ فَالْصَقَهَا بِهِ. وَلَمَّا خَرَجَ مُحَمَّدٌ جَزَعَ أَبُو جَعْفَرٍ وَاشْفَقَ مِنْهُ فَجَعَلَ الْحَارِثِيُّ الْمَنْجَمُ يَقُولُ لَهُ:

«يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا يَجْزِعُكَ مِنْهُ؟ فَوَاللَّهِ لَوْ مَلَكَ الْأَرْضَ مَا لَبِثَ إِلَّا تَسْعِينَ يَوْمًا.»

وَلَمَّا ظَهَرَ مُحَمَّدٌ وَإِبْرَاهِيمُ ابْنَا عَبْدِ اللَّهِ أَرْسَلَ أَبُو جَعْفَرٍ إِلَى عَمِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

على و هو محبوس، و قال: إنه لذو رأى، فاستشاره. و قال:
- «إن هذا الرجل قد خرج فإن كان عندك رأى فأشر به.»
فقال:

- «إن المحبوس محبوس الرأى، فأخرجنى يخرج رأى.»
فأرسل إليه أبو جعفر:

- «لو جاءنى حتى يضرب بابى ما أخرجتك، فأنا خير لك منه و هو ملك
أهل بيتك.»
فأرسل إليه عبدالله:

- «إرتحل الساعة حتى تأتى الكوفة فاجثم على أكبادهم [408] فإنهم شيعة
هذا البيت و أنصارهم. ثم احققها بالمسالح فمن خرج منها أو أتاها فاضرب
عنقه، ثم ابعث إلى سلم بن قتيبة ينحدر عليك - و كان بالرئ - و اكتب إلى أهل
الشام فمرهم أن يوجهوا إليك أهل البأس و النجدة ما يحمل البريد، فأحسن
جوائزهم، و وجههم مع سلم.»

ثم قال لرسل أبى جعفر و هم أخوته:

- «ويحكم إن البخل قد قتله فمؤوه فليخرج الأموال وليعط الأجناد فإن
غلب فما أوشك ما يعود إليه ماله، و إن غلب لم يقدم صاحبه على درهم.»

مركز تحقيق كتاب تاريخ علوم اسلامی

رسائل بين محمد بن عبدالله و أبى جعفر

و تحدت محمد بن يحيى قال: نسخت هذه الرسائل من محمد بن بشير، و
كان يصححها، و حدثنها غير واحد من كتاب العراق، و كانوا يصححونها.
قالوا: وردت رسالة لمحمد على أبى جعفر، فقال أبو أيوب الخوزي كاتبه:
- «دعنى أجبه عنها.»

فقال: «لا، إذا تقارعنا على الأحساب فدعنى و إياه.»

و كتب إليه: (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة أبي جعفر المنصور إلى محمد بن عبد الله

«من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين، إلى محمد بن عبد الله. إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض [409] فساداً أن يُقتلوا أو يُصلبوا أو تُقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم. (٢)»

«ولك على الله وعهده وميثاقه و ذمته و ذمة رسوله عليه السلام، إن تبت و رجعت من قبل أن أقدر عليك أن أومنك و جميع ولدك و إخوتك و أهل بيتك و من اتبعكم على دماءكم و أموالكم و أسوؤكم ما أصبت من دم أو مال، و أعطيك ألف ألف، و ما سألت من الحوائج، و أنزلك من البلاد حيث شئت، و أن أطلق من في حبسي من أهل بيتك و أن أومن كل من جاءك أو بايعك و اتبعك، أو دخل في شيء من أمرك، ثم لا أتبع أحداً منهم بشيء كان منه أبداً فإن أردت أن توثق لنفسك فوجه إلى بمن أحببت يأخذ لك مني الأمان و العهد والميثاق و ما تثق به.»

١. انظر الطبري ٢٠٨: ١٠.

٢. س ٥ المائدة: ٢٣.

و كتب على العنوان من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين، إلى محمد بن عبد الله.
فكتب إليه محمد بن عبد الله:

جواب محمد بن عبد الله

- «من عبد الله المهدي [410] محمد بن عبد الله إني عبد الله بن محمد: طسم، تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبأ موسى و فرعون بالحق لقوم يؤمنون، إن فرعون علا في الأرض و جعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم - إلى قوله - و جنودهما منهم ما كانوا يحذرون^(١) و أنا أعرض عليك من الأمان مثل ما عرضت عليّ، فإن الحق حقنا، و إنما ادّعيتم هذا بنا و خرجتم له بشيعتنا و حظيتم بفضلنا، و إن أبانا عليّاً كان الوصي و كان الإمام و كيف ورثتم ولايته و ولده أحياء.

- «ثم قد علمت أنه لم يطلب هذا الأمر أحد له مثل نسبنا و شرفنا و حالنا و شرف آبائنا. لسنا من أبناء اللعناء ولا الطرداء ولا الطلقاء و ليس يمت أحد من بني هاشم بمثل الذي نمت به من القرابة والسابقة و الفضل، فإننا بنو أم رسول الله صلى الله عليه فاطمة بنت عمرو في الجاهلية و بنو ابنته فاطمة في الإسلام دونكم. إن الله اختارنا و اختار لنا، فوالدنا من النبيين محمد صلى الله عليه و سلم أفضلهم و من السلف أولهم إسلاماً عليّ و من الأزواج أفضلهن [411] خديجة الطاهرة و أول من صلى القبلة و من البنات خيرهن فاطمة سيّدة نساء أهل الجنة و من المولودين

فى الأسلام حسن و حسين سيّدا شباب أهل الجنّة و إنّ هاشماً
ولد عليّاً مرتين، و إنّ عبدالمطلب ولد حسناً مرتين و إنّ رسول
الله صلّى الله عليه و سلّم ولدنى مرتين من قبل حسن و حسين،
فأتى أوسط بنى هاشم نسباً، و أصرحهم أباً، لم تُعرق فى العجم،
ولم تتازع فى أمّهات الأولاد، فما زال الله يختار لى الآباء و
الأمّهات فى الجاهلية و الاسلام، حتّى اختار لى فى النار. فأنا ابن
أرفع الناس درجة فى الجنّة، و ابن أهونهم عذاباً فى النار، و أنا
ابن خير الأخيار، و ابن خير الأشرار، و ابن خير أهل الجنّة و ابن
خير أهل النار.

- «و لك الله، إن دخلت فى طاعتى و أجببت دعوتى، أن أومنك
على نفسك و مالك وعلى كلّ أمر أحدثته إلّا حداً من حدود الله
أو حقاً لمسلم أو معاهد، فقد علمت ما يلزمك من ذلك و أنا أولى
بالأمر منك و أوفى بالعهد لأنك أعطيتنى من العهد 412 | و الأمان
ما أعطيت رجلاً قبلى، فأى الأمانات تُعطينى أمان ابن هبيرة، أم
أمان عمك عبد الله بن على، أم أمان أبى مسلم!»

فكتب إليه أبو جعفر

- «بسم الله الرحمن الرحيم أمّا بعد، فقد بلغنى كلامك، و قرأت
كتابك، فإذا جُلّ فخرك بقرابة النساء تُضللّ به الجفّة و الغوغاء،
ولم يجعل الله النساء كالعمومة و الآباء، ولا كالعصبية و الأولياء
لأنّ الله جعل العمّ أباً و بدأ به فى كتابه على الوالدة الدنيا ولو كان
اختيار الله لهن على قدر قرابتهن كانت آمنة أقربهنّ رحماً و
أعظمهنّ حقاً أوّل من يدخل الجنّة غداً، ولكن اختيار الله لخلقه

على علمه الماضي فيهم و اصطفاؤه لهم.

«و أمّا ما ذكرت من فاطمة أم^(١) أبي طالب و ولادتها، فإنّ الله لم يرزق أحداً من ولدها الإسلام لا ابنةً ولا ابناً، ولو أنّ أحداً من ولدها رُزق الإسلام بالقربة رزقه عبد الله بن عبد المطلب أولاهم بكلّ خير في الدنيا و الآخرة، ولكنّ الأمر إلى الله [413] يختار لدينه من يشاء و هو أعلم بالمهتدين و لقد بعث الله محمداً صلى الله عليه و له عمومة أربعة، فأنزل الله: و أنذر عشيرتك الأقربين^(٢)، فدعاهم و أنذرهم، فأجاب إثنان أحدهما أبى، و أبى إثنان أحدهما أبوك فقطع الله و لا يتهما منه و لم يجعل بينه و بينهما إلاّ ولا ذمةً ولا ميراثاً.

- «وزعمت أنّك ابن خير أهل النار، و أنّك ابن خير الأشرار، و ابن أخفّ أهل النار عذاباً و ليس في الكفر بالله صغير ولا في عذاب الله خفيف ولا يسير، و ليس في الشرّ خيار ولا ينبغي لمؤمن يؤمن بالله أن يفخر بالنار. و سترد فتعلم و سيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون^(٣).

- «و أمّا ما فخرت به من فاطمة أمّ عليّ، فإنّ هاشماً ولده مرتين و من فاطمة أمّ حسن و أنّ عبد المطلب ولده مرتين، و أنّ النّبي صلى الله عليه و سلّم و لدك مرتين، فخير الأوّلين و الآخرين رسول الله، صلى الله عليه و سلّم، لم يلد هاشم إلاّ مرة واحدة ولا عبد المطلب إلاّ مرّة.

١. في آ: بنت أبي طالب

٢. س ٢٦ الشعراء: ٢١٤

٣. س ٢٦ الشعراء. آيه: ٢٢٧

- «وز عمت أنك أوسط [414] بنى هاشم نسباً و أصرحهم أباً و أنه لم تلدك العجم، ولا تُعرق فيك أمّهات الأولاد فقد رأيتك فخرت على بنى هاشم طراً، فانظر ويحك أين أنت من الله غداً، فإنك قد تعدّيت طورك و فخرت على من هو خير منك نفساً و أباً و أولاً و آخرأ إبراهيم بن رسول الله، صلى الله عليه و على والده، و ما خيار بنى أبيك خاصّة و أهل الفضل منهم إلّا بنو أمّهات الأولاد ما ولد فيكم بعد وفاة رسول الله، صلى الله عليه، أفضل من على بن الحسين و هو لأمّ ولد، و لهو خير من جدك حسن بن حسن و ما كان فيكم بعده مثل ابنه محمّد بن على و جدّته أمّ ولد، و لهو خير من أبيك، ولا مثل ابنه جعفر، و جدّته أمّ ولد، و لهو خير منك.

- «و أمّا قولك إنكم بنو رسول الله، صلى الله عليه، فإن الله عزّ و جلّ قال فى كتابه: ما كان محمّد أباً أحد من رجالكم^(١) ولكنكم بنو ابنته و إنّها لقراة قريبة ولكنّها لا تحوز الميراث ولا ترث الولاية ولا تجوز لها الإمامة و كيف تُورث بها و لقد طلبها أبوك بكل وجه فأخرجها جهاراً و مرّضها سرّاً و دفنها ليلاً، فأبى الناس إلّا [415] الشيخين و تفضيلهما. و لقد جاءت السّنة التى لا خلاف فيها بين المسلمين أنّ الجدّ أباً الأمّ و الخال و الخالة لا يرثون ولا يورثون.

- «و أمّا ما فخرت به من على و سابقته، فقد حضرت رسول الله، صلى الله عليه، عليه الوفاة فأمر غيره بالصلاة، ثم أخذ الناس رجلاً

بعد رجل ولم يأخذه، وكان في الستة، فتركوه كلهم دفعا لها عنها، ولم يروا له حقاً.

- «أمّا عبد الرحمن فقدّم عليه عثمان، و قُتل عثمان و هوله متهم، و قاتله طلحة والزبير، و أبى سعد بيعته، و أغلق دونه بابه. ثمّ بايع معاوية بعده، ثمّ طلبها بكل وجه فقاتل عليها و تفرّق عنه أصحابه و شكّ فيه شيعة قبل الحكومة. ثمّ حكم حكمين رضى بهما، و أعطاهما عهده و ميثاقه، فاجتمعا على خلعه.

- «ثمّ كان حسن فباعها من معاوية بخرق و دراهم، ولحق بالحجاز، و أسلم شيعة بيد معاوية، و دفع الأمر إلى غير أهله، و أخذ مالا من غير ولاته ولا حيله، فإن كان لكم فيه شيء فقد بعتموه، و أخذتم ثمنه.

- «ثمّ خرج [416] عمك حسين بن عليّ على ابن مرجانة فكان الناس معه عليه حتّى قتلوه، و أتوا برأسه. ثمّ خرجتم على بنى أميّة فقتلوكم و صلبوكم على جذوع النخل، و أحرقوكم بالنيران، و نفوكم من البلدان، حتّى قُتل يحيى بن زيد بخراسان، ثمّ قتلوا رجالكم و أسروا الصبية و النساء، و حملوهم بلا و طاء في المحامل، كالسبي المجلوب إلى الشام، حتّى خرجنا عليهم و طلبنا ثأركم، و أدركنا بدمائكم فأورثناكم أرضهم و ديارهم، فاتخذت ذلك علينا حجة، و ظننت أنا إنّما ذكرنا أباك و فضلناه للتقدمة مثاله على حمزه و العباس و جعفر، و ليس ذلك كما ظننت، ولكن خرج هؤلاء من الدنيا سالمين متسلّما منهم مجتمعاً عليهم بالفضل و ابتلى أبوك بالقتال و الحرب فكانت بنو أميّة تلغنه كما يلغى الكفرة في الصلاة المكتوبة، فاحتججنا له و ذكرناهم فضله، و عنفناهم، و

ظلمناهم فيما نالوا منه.

« ولقد علمت أن مكرمتنا في الجاهلية سقاية الحجيج الأعظم [417] وولاية بئر زمزم، فصارت للعبّاس من بين اخوته فنازعنا فيها أبوك، فقضى لنا عليه عمر، فلم نزل نليها في الجاهلية والإسلام. ولقد قحط أهل المدينة فلم يتوسل عمر إلى ربّه ولم يتقرّب إليه إلاّ بأينا حتّى نعشهم الله و سقاهم الغيث به، و أبوك حاضر لم يتوسل به. ولقد علمت أنّه لم يبق أحد من بنى عبدالمطلب بعد النبيّ، صلّى الله عليه، غيره و كان وارثه من عمومته، ثمّ طلب هذا الأمر غير واحد من بنى هاشم فلم ينله إلاّ ولده فالسقاية سقايته، و ميراث النبيّ صلّى الله عليه، له و الخلافة في ولده فلم يبق شرف ولا فضل في جاهلية ولا إسلام في دنيا ولا آخرة إلاّ والعبّاس وارثه و مورثه.

« و أمّا ما ذكرت من بدر، فإنّ الإسلام جاء والعبّاس يمون آل أبي طالب و عياله و ينفق عليهم للأزمة التي أصابته، ولو لا أنّ العبّاس أخرج إلى بدر كارهاً لمات طالب و عقیل جوعاً وللحسا^(١) جفان عتبة و شيبه، و لكنّه كان من المطعمين، فأذهب الله عنهم [418] العار والسبّة، و كفاكم المؤونة و النفقة. ثمّ فدى عقیلاً يوم بدر، فكيف تفخر علينا و قد علناكم في الكفر، و فديناكم من الأسر، و حزننا عليكم مكارم الآباء، و ورثنا دونكم خاتم الأنبياء، و طلبنا بثأركم، و أدركنا منه ما عجزتم عنه، ولم تدركوه لأنفسكم، و السلام عليك و رحمة الله.»

١. كذا في الطبري (٢١٤: ١٠٠)؛ للحسا جفان.

عيسى بن موسى يُندب لقتال محمد
و ندب أبو جعفر عيسى بن موسى لقتال محمد و قال:
- «لأبالي أيهما قتل صاحبه».

و ضمّ إليه أربعة آلاف من الجند. و كان أبو جعفر دعا جعفر بن حنظلة
البهرائي^(١) و كان أبرص طوالاً أعلم الناس بالحروب، و قد شهد مع مروان
حروبه. فقال له:

- «يا جعفر، قد ظهر محمد فما عندك؟»

قال: «و أين ظهر؟»

قال: «بالمدينة».

قال: «فاحمد الله، ظهر حيث لا مال ولا رجال ولا سلاح ولا كراع. إبعث
مولي لك تشق به حتى ينزل بوادي القرى فيمنعه ميرة الشام فيموت مكانه
جوعاً».

ففعل و لما دنا عيسى بن موسى حفر محمد خندق النبي، صلى الله عليه،
الذي كان حفره للأحزاب، و ركب إليه و عليه قباء أبيض و منطقة [419] و
ركب معه الناس، فلما أتى الموضع نزل فيه، فبدأ هو فحفر بيده فأخرج لبننة من
خندق رسول الله، صلى الله عليه، فكبر و كبر الناس معه و قالوا:

- «أبشروا بالنصر، هذا خندق جدك رسول الله صلى الله عليه».

و يقال: إنه اجتمع مع محمد جمع لم ير أكثر منه، حتى قال عثمان بن محمد
الزبيري:

- «إني لأحسبنا كنّا مائة ألف».

فلما قرب عيسى خطبنا فقال:

١. كذا في الأصل: البهرائي. في الطبري (٢٢٣:١٠) و آ: الطبراني، و مهمل ما في مط.

- «أيها الناس، إن هذا الرجل قد قرب منكم في عدد و عُدَّة، وقد حَلَلْتكم من بيعتي، فمن أحبَّ المقام فليقم و من أحبَّ الإِنصراف فليَنصرَف.»
 فتسلَّلوا حتَّى بقي في شِردمة ليست بالكثيرة.
 و حُكي أن محمداً دعا الغاضريَّ فقال له:
 - «أنا أعطيك سلاحاً فهل تقاتل معي به؟»
 قال: «نعم، إن أعطيتني^(١) رمحاً أطعنهم به و هم بالأعوص.»
 قال الغاضري: ثمَّ قال لي:
 - «ما تنتظر؟»

قلت: «ما أهون عليك، أبقاك الله، أن أُقتل و يمرّوا بي فيقال والله كان لبادناً.»
 قال: «ويحك، قد بيّض أهل الشام و أهل العراق و أهل خراسان.»
 قلت: «اجعل الدنيا زُبدة و أنا في مثل صوفة الدواة ما ينفعني، | 420 | هذا عيسى بن موسى بالأعوص.»

و كان وجّه أبو جعفر مع عيسى بن موسى بابن الأصمّ ينزله المنازل، فلما قدِموا نزلوا على ميل من مسجد رسول الله، صلّى الله عليه، فقال ابن الأصمّ:
 - «إنّ الخيل لا عمل لها مع الرّجالة، و إني أخاف إن كشفوكم أن يدخلوا عسكريكم.»

فرفعهم إلى سقاية سليمان بن عبد الملك بالجرف و هي على أربعة أميال من المدينة و قال:

- «لا يهرول الرجل أكثر من ميلين أو ثلاثة حتّى تأخذه الخيل.»
 فتحدّث محمّد بن أبي الكرام بن عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن جعفر قال:
 أرسلني عيسى لما قرب من المدينة بأمانه إلى محمّد. فقال محمّد:

١. في مط: أطعني، بدل «أعطيتني».

- «علام تقاتلوننى و تستحلّون دمي؟ و إنما أنا رجل فرّ من أن يُقتل».
قال: قُلت:

- «القوم يدعونكم إلى الأمان، فإن أبيت إلّا قتالهم قاتلوك على ما قاتل عليه
خير آبائك على طلحة و الزبير على نكث بيعتهم و كيد مُلكهم و السعى عليهم».
فبلغ ذلك أبا جعفر، فقال لى:

- «بعدُ والله ما سرّنى أنّك قلت له غير ذلك و أنّ لى ملك كذا».
و بقى عيسى ثلاثة أيّام [421] يبرز بنفسه و يدعو أهل المدينة إلى الأمان و
يقول:

- «نحن إخوانكم مسلمون فلا تُهريقوا بيننا الدماء، ادخلوا فى الأمان و
اخرجوا من المدينة و أنتم آمنون، و خلّوا بيننا و بين صاحبنا».
فيشتمونه الشتيمة القبيحة حتّى حارب اليوم الثالث.

فلقى أبو القلمس محمّد بن عثمان أخا أسد بن المرزبان بسوق الحطّابين،
فاجتلدا بسيفيهما حتّى تقطعا، ثمّ تراجعا إلى مواقفهما و أخذ أخو أسد سيفاً و
أخذ أبو القلمس أثقيّة، فوضعا على قربوس سرجه وسترها بدروعده، ثمّ
تعاودا، فلمّا تدانيا قام أبو القلمس فى ركابيه، ثمّ ضرب بها صدره و صرعه و
نزل فاحتزّ رأسه.

و بدر رجل من أهل المدينة مولى لآل الزبير يدعى القاسم بن وائل، فدعا
للبراز فبرز له رجل لم أر أكمل عدّة منه، فلمّا رآه ابن وائل انصرف عنه. قال:
فوجد أصحاب محمّد من ذلك و جداً شديداً. فإثنا لعلّى ذلك إذ^(١) سمعت حفيف
رجل ورائى، فالتفت فإذا أبو القلمس، فسمعتة يقول:

- «لئن الله أمّ السفهاء إن ترك هذا اجترأ علينا و إن خرج [422] رجل خرج

١. فى مط: أن، بدل «إذ».

إلى أمر عيسى ألا يكون من شأنه.»

ثم برز له فقتله و كان الرجل هزار مرد، و ضربه أبو القلّس على حبل عاتقه و قال:

- «خُذْهَا و أنا ابن الفاروق.»

فسمعت رجلاً من أصحاب عيسى يصيح به:

- «قتلت خيراً من ألف فاروق.»

ثم قال عيسى لحميد بن قحطبة:

- «تقدّم.»

فتقدّم في مائة كلّهم راجل غيره معهم القسّى والنشّاب و الترسّة، فلم يلبثوا أن زحفوا إلى جدار دون الخندق عليه أناس من أصحاب محمّد، فكشفوهم ووقفوا عند الجدار، و أرسل حميد إلى عيسى أن يهدم الجدار. قال:

- «فأرسل إلى فعلة.»

فأرسلهم فهدموه و انتهوا إلى الخندق، فأرسل إلى عيسى:

- «إنا قد انتهينا إلى الخندق.»

فأرسل إليه عيسى أن:

- «اطرح حقائب الإبل في الخندق.»

و أمر بيباي دار سعد بن مسعود التي في الثنية فطرحا على الخندق فجازت الخيل، فالتقوا عند منابع^(١) خشرم و اقتتلوا إلى العصر، و انصرف محمّد يومئذ قبل الظهر حتّى جاء إلى دار مروان فاغتسل و تحنّط ثم خرج، [423] فدنا منه عبد الله بن جعفر فقال له:

- «بأبي أنت، إنه والله ما لك بما رأيت طاقة، و ما معك أحد يصدق القتال،

١. الرابع مهمل في الأصل و آ و مط. في الطبري (١٠: ٢٤٠): مفاتيح.

فأخرج الساعة حتّى تلحق بمكة فإن بها الحسن بن معاوية و معه جَلْدٌ^(١)
أصحابك.»

فقال:

- «يا أبا جعفر، والله لو خرجت لقتل أهل المدينة حتّى لا يبقى بها صافر،
ولست أرجع حتّى أقتل أو أغلب، و أنت فى حلّ منى وسعة، فاذهب حيث
شئت.»

قال: فخرجت معه حتّى جاء إلى دار ابن مسعود فى سوق الظّهر، و ركضت
فأخذت على الزياتين، و مضى إلى الثنية و قتل أصحابه بالنشاب، وجاءت
العصر فصلى.

قال: فرأيت محمّداً راكباً و إلى جانبه ابن حضير يناشده الله إلّا مضى إلى
البصرة أو غيرها و محمّد يقول:

- «والله لا يبتلون بى مرّتين، ولكن اذهب حيث شئت فأنت فى حلّ.»

قال ابن حضير:

- «و أين المذهب عنك؟»

ثم مضى، فأحرق الديوان و قتل رياحاً ثم لحقه بالثنية و قاتل بين يديه
حتّى قُتل. و كان ابن حضير ذبح رياحاً ولم يجهز عليه، فجعل يضرب برأسه
الجدار حتّى مات [424] أقبح ميتة.

ثم صلى محمّد العصر، و نزل عن دابّته و كسر غمد سيفه، ولم يبق معه أحد
إلّا و كسروا أغماد سيوفهم، ثم أقبل على ابن حضير فقال:

- «أحرق الديوان؟»

١. كذا فى الأصل و آ: جلد. فى مط: جلة. فى الطبرى (١٠: ٢٢١): جلة، و فى حواشيه: جلد،
جل.

قلت: «نعم. خفت أن يؤخذ الناس عليه.»

قال: «أصبت.» ثم حمل.

قال أزهري: فحدثني أخوای قالاً: هزمت يومئذ أصحاب عيسى مرتين أو ثلاثاً، و لكننا لم نكن نعرف الهزيمة. ولقد سمعنا يزيد بن معاوية بن عبد الله بن جعفر يقول:

«و قد هزمتناهم، ويل أمه فتحاً لو كان له رجال.»

فبينما هم كذلك، إذ صعد رجل إلى ظهر سلع و معه رمح قد نصب عليه رأس رجل متصلاً بحلقومه و كبده و أعفاج بطنه، فرأيت منظرًا هائلًا و دُعر منه الناس والأعاريب فأجفلت هاربة حتى أسهلت وعلا الرجل الجبل، و نادى أصحابه رطانة لهم بالفارسية: كوهبان^(١)، فصعد إليه أصحابه حتى علوا سلماً فنصبوا عليه راية سوداء، ثم انصبوا إلى المدينة فدخلوها.

و أمرت أسماء بنت حسن بن عبد الله بن عبيد الله [425] بن عباس بن عبد المطلب، و كانت تحت عبيد الله بن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بخمار أسود فنُصب على منارة مسجد رسول الله، صلى الله عليه، فلمّا رأى ذلك أصحاب محمد تتادوا:

«دُخلت المدينة، دُخلت المدينة.»

و هربوا. و بلغ الناس الذين تتادوا^(٢) دخول الناس من ناحية سلع. فقال الناس الذين مع محمد:

«لكل قوم جبل يعصمهم و لنا جبل لا نؤتى إلا منه.»

١. كذا في الأصل. كوهبان. ما في آ و مط: مهمل. في الطبري (١٠: ٢٤٤): كوهبان أيضاً. و في حواشيه: كوهيان.

٢. في الأصل و مط: تدوا. والتصحيح اقتراح منّا، و العبارة لا توجد في الطبري (١٠: ٢٤٤).

و كان ابن حضير يحمل راجلاً، و يخالط العدو، فكانت الخراسانية إذا نظروا إلى ابن حضير تنادوا بينهم:

- «خضير آمد، خضير آمد.»

فيتضعضعون إلى أن خالط الناس مرة فضرب ضارب على أليته فحلها، فرجع إلى أصحابه فشق ثوباً، ثم عصبها بظهره، و رجع فضارب حتى ضرب على حجاج عينه وخر، فابتدره القوم فحزوا رأسه. و أقبل محمد راجلاً فجعل يقاتل على جيافته فضربه رجل على أذنه اليمنى فبرك لركبته و تعاودا عليه و صاح حميد بن قحطبة:

- «لا تقتلوه.» فكفوا.

و جاء حميد فاحتز رأسه.

و حكى [426] أخو الفضل بن سليمان النميري قال: كنا مع محمد قد أطفنا به و كان قد أطاف بنا أربعون ألفاً أو أكثر، و كانوا حولنا كالحرّة السوداء، فقلنا له:

- «لو حملت لا تفرجوا عنك.»

فقال: «إن أمير القوم لا يحمل، إنه إن حمل لم تكن بقيّة.»

حتى أصاب ابن حضير ما أصابه فحمل و التقوا عليه فقتلوه.

قال أبو الحجاج الحمّال: كنت يوماً قائماً على رأس أبي جعفر و هو يسألني عن مخرج محمد إذ أتاه الخبر أن عيسى هُزم، و كان متكئاً، فجلس فضرب بقضيب معه مصلاًه و قال:

- «كلاً، فأين لعب صبياتنا بها على المنابر و مشورة النساء ما أنى لذلك بعد.»^(١)

١. انظر الطبري (٢٥٠:١٠). و في حواشي الطبري عن الأصول: «ما أتى كذلك بعد».

و لما قُتل محمد هجم الناس على دور المدينة فقتل خلق كثير إلى أن قُتل أبو الشدائد وجيء برأسه فاستعظم من كان عند عيسى ذلك و استرجعوا، ثم قالوا:

- «ما بقي بالمدينة أحد بعد قتل هذا».

فأمر عيسى بالوية ففرقها على باب باب من أبواب العباسيين و أهل الفقه ممن عرفهم و قال: ليناد المنادي:

- «من دخل تحت لواء منها أو دخل داراً من هذه الدور فهو آمن».

- «من جاءنا برأس ضربنا رأسه» [427]

فتحدث عيسى قال: حدثتني أم حسين بنت عبد الله بن محمد بن علي بن الحسين قالت: قلت لعلي جعفر بن محمد:

- «أبي^(١) فديتك ما أمر محمد هذا؟»

قال: «فتنة يقتل محمد^(٢) بن عبد الله عند بيت رومي و يقتل أخوه إبراهيم بالعراق و حوافر فرسه في ماء».

و حُمل رأس محمد إلى أبي جعفر و هو بالكوفة، فأمر فطيف به في طبق أبيض.

و تحدث الحسن بن زيد قال: غدوت يوماً على أبي جعفر فإذا هو قد أمر بعمل دكان ثم أقام عليه جلاداً و أتى بعلي بن المطلب بن عبد الله بن حنطب^(٣) فأمر به فضرب خمسمائة سوط، ثم أتى بعبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الله بن مطيع، فأمر به فجلد خمسمائة سوط، فما تحرك واحد منهما فأقبل علي و قال لي:

١. كذا في الأصل: أبي. في آ: أني. في الطبري (١٠: ٢٥٤): أني

٢. والعبارة في الطبري (١٠: ٢٥٤): «قال: فتنته يقتل فيها محمد...».

٣. الحرف الثاني مهمل في الأصل و مط. و التصحيح يوافق الطبري (١٠: ٢٦٤) و في حواشي الطبري: جنطب.

- «هل رأيت أصبر من هذين قط؟ والله إننا لنؤتى بالذين قاسوا غلظ المعيشة وكثها فما يصبرون هذا الصبر و هولاء أهل الخفض والكن و النعمة.»
قال: فقلت:

- «يا أمير المؤمنين، هولاء قومك أهل الشرف و القدر.»

فأعرض عني و قال:

- «أبيت إلا العصيّة.»

فلما كان بعد أيام أعاد عبد العزيز بن إبراهيم ليضربه، فقال:

- «يا أمير المؤمنين، الله، الله فينا، فو الله إنني لمكبّ على وجهي منذ [428]

أربعين ليلة، ما صليت لله صلاة.»

- «أنتم صنعتُم ذلك بأنفسكم.» قال:

- «فأين العفو يا أمير المؤمنين؟» قال:

- «فالعفو إذا.»

ثم خلّى سبيله.

و في هذه السنة ثارت السودان بالمدينة و كان و اليها عبد الله بن الربيع.

ذكر خبر وثوب السودان بالمدينة

والسبب الذي هيّج ذلك

و كان رياح بن عثمان استعمل أبا بكر بن أبي سبرة على صدقة قوم، فلما خرج محمّد صار إليه أبو بكر بما كان جبيّ وشمّر معه، فلما قدم عيسى و هزم محمّد استخلف كثير بن حصين على المدينة، فأخذ كثير أبا بكر بن أبي سبرة، فضربه سبعين سوطاً و قيّده وحبسه، ثم قدم عبد الله بن الربيع والياً من قبل أبي جعفر المنصور، فكان الجند ينازعون التجار و يتعدّون عليهم، فاجتمعوا إلى أميرهم ابن الربيع، فشكوا ذلك إليه، فنهزم و شتمهم، فطمع فيهم الجند إلى أن

صاروا يأخذون من بين أيديهم الشيء فلا يعطونهم الثمن، ولا ينكر عبد الله بن الربيع ذلك، فجاء يوماً رجل من الجند، فاشترى من جزّارٍ لحماً يوم الجمعة ثمّ أبى أن [429] يعطيه ثمنه و شهر عليه السيف، فخرج عليه الجزّار من تحت الوضم بشفرة فطعن بها خاصرته فخر عن دابته و اعتوره الجزّارون فقتلوه. و تنادى السودان على الجند وهم يروحون إلى الجمعة فقتلوهم بالعمد في كل ناحية، ولم يزلوا على ذلك حتّى أمسوا، فلما كان الغد هرب ابن الربيع، و نفخ السودان في بوق لهم. فذكر أهل المدينة أنّه كان الأسود في بعض عمله يسمع نفخ البوق، فيصغى له حتّى يتيقّنه، ثمّ يوحش بما في يده و يؤمّ نحو الصوت حتّى يأتيه، فلما اجتمعوا غدوا على ابن الربيع، فخرج إليهم والناس في الجمعة فأعجلوه عن الصلاة واستطردوا له حتّى أتى السوق، فمّر بخمسة من المساكين يسألون في الطريق، فحمل عليهم يمن معه حتّى قتلوههم، ثمّ مرّ بأصبية^(١) على سطح فاستنزلهم و آمنهم، فلما نزلوا ضرب أعناقهم، ثمّ وقف عند الحنّاطين و حمل عليه السودان فأجلى هارباً و اتبعوه حتّى صاروا إلى البقيع و رهقوه، فنثر لهم دراهم فشغلوا بها، و مضى على وجهه حتّى نزل بطن نخل على [430] ليلتين من المدينة و رؤساء السودان ويتوا^(٢) و حذيا و عنقود، و لما هزموا ابن الربيع وقع السودان في طعام و أمتعة لأبى جعفر المنصور، فانتهبوه و أغاروا على دار مروان و فيها طعام و أشياء للجند، فانتهبوه و باعوا الحمل من الدقيق بدرهمين و راوية الزيت بأربعة دراهم، و قتلوا الجند فهابوهم حتّى إن كان الفارس ليلقى الأسود و ما على الأسود إلا خرقتان على عورته فيولّى الفارس دبره احتقاراً له، ثمّ ما يلبث أن يعود بعمود من عمد السوق التى بقرب منه

١. انظر الطبرى (٢٦٧:١٠).

٢. مهمل ما في الأصل هنا و معجم في الموطن الآتى. و ما في الطبرى (٢٦٧:١٠): وثيق.

فيقتله به. فكانوا يقولون:

- «ما هولاء إلا شياطين.» يعنون السودان.

ثم مضى السودان حتى أخرجوا أبا بكر بن أبي سبرة، فخطب الناس و دعاهم إلى الطاعة وصلى بالناس، ثم أرسل إلى محمد بن عمران و محمد بن عبد العزيز فاجتمعوا عنده فقال:

- «أنشدكم الله و هذه البلية التي وقعت، فوالله لئن ثبتت علينا عند أمير المؤمنين بعد الفعلة الأولى إنه لاصطلام البلد و أهله، و هولاء العبيد في السوق بأجمعهم، فأنشدكم الله إلا ذهبتم إليهم و كلمتموهم في الرجعة و الفيئة إلى طاعتكم، فإنهم لانظام [431] لهم ولم يقوموا بدعوة و إنما هم قوم أخرجتهم الحمية.»

فذهبوا إلى العبيد و كلموهم فقالوا:

- «مرحباً بكم يا موالينا، والله ما قمنا إلا أنفاً لكم ممّا عمل بكم، فأيدينا في أيديكم و أمرنا إليكم.»

فأقبلوا بهم إلى المسجد، فقالوا:

- «أيها الناس، إنه قد وقع الأمر بما ترون، و نعلم أنّهم لا يبقون علينا، فدعونا نشفيكم و أنفسنا.»

فأيينا. ولم نزل بهم حتى تفرّقوا، و قيل لويتوا^(١) و خليفته يعقل^(٢) الجزار:

- «إلى من تعهدنا وبتوا؟»

قال: «إلى أربعة من بني هاشم و أربعة من قريش و أربعة من الأنصار و أربعة من الموالى. ثم الأمر شورى.»

١. ما في آ و مط: لوثبوا. في الطبري (١٠: ٢٦٧): وثيق

٢. يعقل: اسم الخليفة.

فقال ابن عمران:

- «إِسْأَلِ الذِي وَلَآكَ أَمْرُنَا أَنْ يَرْزُقَنَا عَدْلَكَ وَ يَعْطِفَ بِقَلْبِكَ عَلَيْنَا.»

قال: «فَقَدْ وَلَّيْتِهِ اللَّهُ.»

فَلَمَّا حَضَرَتِ الْعِشَاءُ الْآخِرَةُ، وَ قَدْ ثَابَ النَّاسُ وَ اجْتَمَعَ الْقُرَشِيُّونَ فِي الْمَقْصُورَةِ، وَ أَقَامَ الصَّلَاةَ الْمُؤَذَّنَ. قَالَ الْمُؤَذِّنُ لِلْقُرَشِيِّينَ:

- «مَنْ يَصَلِّي مِنْكُمْ بِالنَّاسِ؟»

فَلَمْ يَجِبْهُ أَحَدٌ، فَقَالَ:

- «أَلَا تَسْمَعُونَ؟»

فَلَمْ يَجِيبُوهُ، فَقَالَ:

- «يَا بَنَ عِمْرَانَ، وَ يَا فَلَانَ.»

فَلَمْ يَجِبْهُ أَحَدٌ، فَقَامَ الْأَصْبَغُ^(١) بَنَ سَفْيَانَ [432] بَنَ عَاصِمِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ

مِرْوَانَ، فَقَالَ:

- «أَنَا أَصَلِّي.»

فَقَامَ فِي الْمَقَامِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ:

- «اسْتَوُوا.»

فَلَمَّا اسْتَوَتْ الصَّفُوفُ، أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ وَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ:

- «أَلَا تَسْمَعُونَ، أَنَا أَصْبَغُ^(٢) بَنَ سَفْيَانَ بَنَ عَاصِمِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مِرْوَانَ،

أَصَلِّي بِالنَّاسِ عَلَى طَاعَةِ أَبِي جَعْفَرٍ.»

فَرَدَّدَ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ كَبَّرَ فَصَلَّى، ثُمَّ اجْتَمَعَ الْقُرَشِيُّونَ، فَرَكِبُوا إِلَى ابْنِ الرَّبِيعِ، وَ هُوَ بَنَخْلٌ، فَنَاشَدُوهُ اللَّهُ إِلَّا رَجَعَ إِلَى عَمَلِهِ فَيَأْبَى، فَخَلَا بِهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ

١. مَا فِي الْأَصْلِ مَهْمَلٌ فِي الْآخِرِ. مَا فِي آ. وَ الطَّبْرِي (١٠: ٢٧٠): الْأَصْبَغُ (بِالْغَيْنِ الْمَعْجَمَةِ).

٢. كَذَا فِي الْأَصْلِ. مَا فِي آ. الْأَصْبَغُ.

ولم يزل به حتى سكن و رجع فهدأ الناس.
و في هذه السنة أسست مدينة بغداد و هي التي تُدعى مدينة المنصور.

ذكر السبب في بناء أبي جعفر بغداد

لما ثارت الروندية بأبي جعفر في مدينته التي تسمى الهاشمية التي بناها إلى جنب الكوفة و المدينة التي سماها الرصافة، كره سكانها ولم يأمن أهلها، فأراد أن يبعد، فتردد بين الموصل و جرجرايا، و اختار موضع بغداد، و قال: هذا موضع معسكر صالح، هذه دجلة، ليس بيننا و بين الصين شيء [433] يأتينا فيها كل ما في البحر و تأتينا الميرة من الجزيرة و أرمينية و ما حول ذلك^(١). فنزل و ضرب عسكره على الصراة و خط المدينة، و وكل بكل ربع قائداً. و كان الناس أشاروا عليه بموضع قريب من بارما، و ذكروا له عنه غداء و طبيباً فخرج إليه بنفسه حتى نظر إليه و بات فيه فرآه موضعاً طيباً. فدعا جماعة من أصحابه و قال لهم:

«ما رأيكم في هذا الموضع؟»

فقالوا: «ما رأينا مثله، و هو طيب صالح موافق.»

فقال: «صدقتم، هو كذا و لكنه لا يحمل الجند و الناس و الجماعات، و إنما أريد موضعاً يرتفق به الناس و يوافقهم مع موافقته لي، و لا تغلوا^(٢) عليهم الأسعار، فإنني إن أقمت في موضع لا يجلب إليه في البر و البحر غلت الأسعار و قلت المادّة، فاشتدّت المؤونة و شق ذلك على الناس.»

ثم عاد إلى موضع بغداد، و أحضر جماعة من سكان القرى التي حوالها و

١. هنا زيادة في مط كالاتي: و هذا الفرات يجيء فيه كل شيء بالشام و الرقة و ما حول ذلك.

٢. في الأصل: لا تغلوا.

صاحب بغداد فيهم فسألهم عن مواضعهم و كيف هي في الحرّ و البرد و الأمطار و الوحول و البقّ والهوامّ [434] فأخبره كلّ واحد بما عنده. فوجّه من قبله رجالاً حصفاً فبات كلّ رجل منهم في قرية منها، ثمّ تنخّر^(١) أخبارهم و اختيارهم فاجتمعوا على صاحب بغداد.

فيحكى أنّ الراهب الذي كان قريباً من بغداد قال لأبي جعفر:
- «إنّ الذي يبني هاهنا مدينة إسمه مقلّص». فقال أبو جعفر:
- «فأنا والله كنت أدعى في حدائتي مقلّصاً ثمّ انقطعت عني».

و وجّه المنصور في حشر الصنّاع و الفعلة من الشام و الموصل و أهل الجبل و من الكوفة و البصرة و سائر المدن و أمر باختيار قوم من أهل الأمانة و العدالة و الفقه و المعرفة، فكان ممّن أحضر الحجاج بن أرطاة و أبو حنيفة النعمان بن ثابت، و أمر بخطّ المدينة و حفر الأساسات، و ضرب اللبن و طبخ الآجر، فبدئ بذلك سنة خمس و أربعين و مائة ثمّ خُطّت له بالرماد، فدار عليها و على سورها و سككها و خنادقها، فلمّا فعل ذلك مراراً، أمر أن يجعل على تلك الخطوط من الرماد [435] حبّ القطن ويُصب عليه النفط، فنظر إليها والنار تشتعل فيها، ففهمها وعرف رسمها و أمر بحفر أساسها و بناءها و إحكام الأساس. و أمر أن يُجعل عرض السور من أسفله خمسين ذراعاً و قدّر أعلاه عشرين ذراعاً، و جعل في البناء حوائر^(٢) قصب مكان الخشب في كلّ طوفة فلمّا بلغ الحائط مقدار قامّة أتاه خروج محمّد فقطع البناء.

و كان المنصور قد أرضى أصحاب القرى و المزارع، أمّا مدينته و هي بغداد فكانت لستين رجلاً، فأعطاهم العوض عنها و أرضاهم. و أمّا ما كانت حوالها،

١. انظر الطبري (١٠: ٢٧٢).

٢. الحائرة: الهزيلة. ما في الطبري (١٠: ٢٧٨): جوائز.

فكانت قرى متصلة فأقطعها قواده و اشتروها، ثم اشترى الناس.
و قال المنصور: يُكتب إلى مصر بقطع المادّة عن الحرّمين مادام بها محمّد،
فإنّما هم في مثل حرجة إذا انقطعت عنهم المير، و أمر بالكتاب إلى الجزيرة و
غيرها أن يمدّ الكوفة بالرجال، و كتب إلى العباس بن محمّد، و كان على
الجزيرة، أن يمدّه في كلّ يوم بما قدر عليه من الرجال، و كذلك كتب إلى أمراء
الشام و قال:

«لو ورد [436] عليّ في كلّ يوم رجل واحد من كل واحد منكم لكثرت
به من معي و إن بلغ الخبر الكذاب كسره ذلك.»

و في هذه السنة ظهر^(١) إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن أخو محمّد
بالبصرة فحارب المنصور.

ذكر الخبر عن مخرجه

و سبب ذلك و عن مقتله

لما قبض أبو جعفر على عبد الله بن حسن أشفق محمّد و إبراهيم فافترقا و
تواريا و تقلّب إبراهيم في البلدان.

فحكى إبراهيم لبعض أصحابه قال:

«اشتدّ الطلب لي و أنا بالموصل، فاضطرّني الزمان حتّى دخلت و جلست
على موائد أبي جعفر و ذاك أنّه كان قدمها و طلبني فتحيّرت و لفظتني الأرض
و جعلت لا أجد مساعداً، و دُعِيَ الناس إلى غدائه، و دخلت فيمن دخل، و
الطرق مشحونة بمن تطلبني، فجلست و أكلت، ثمّ خرجت و قد كفّ الطلب.

١. في مط: خرج. انظر الطبري (١٠: ٢٨٢).

و تحدّث عبدالله بن محمد البوّاب قال: أمر أبو جعفر ببناء، قنطرة الصّراة العتيقة ثمّ خرج ينظر إليها، فوقعت عينه على إبراهيم وخنس إبراهيم فذهب [437] في الناس، فأتى فامياً^(١) فلجأ إليه، فأصعبه غرفة له، و جدّ أبو جعفر في طلبه، و وضع المراسد، فنشب إبراهيم بمكانه و طلبه أبو جعفر أشدّ ما يكون من الطلب، و كان مع إبراهيم رجل من بنى العمّ، فتحدّث العمّي هذا قال: قلت لإبراهيم:

«قد نزل ما ترى ولا بدّ من التفرير و الدخول تحت المخاطرة.»

قال: «فأنت و ذلك.»

قال: فأقبلت إلى الربيع فسألته الإذن، قال:

«و من أنت»

قال: «سفيان العمّي.»

فأدخله على أبي جعفر، و كان أبو جعفر يعرفه بصحبة إبراهيم، فلمّا راه شتمه فقال:

«يا أمير المؤمنين، أنا أهل لما تقول، غير أنّي أتيتك نازعاً تائباً ولك عندي

كلّ ما تحبّ إن أعطيتني ما أسألك.»

قال: «و مالي عندك؟»

قال: «أتيتك بإبراهيم، إنّني قد بلوته و أهل بيته فلم أجد فيهم خيراً، فمالي عندك إن فعلت؟»

قال: «كلّ ما تشاء، فأين إبراهيم؟»

قال: «دخل بغداد أوهو داخلها عن قريب، فإنّي تركته بعدسى^(٢) فاكتب لي

١. في الطبري (١٠: ٢٨٥): فامياً (بالتشديد).

٢. في مط: بعد شيء، و ما في الطبري (١٠: ٢٨٦): يوافق الأصل.

جوازاً و لغلّام لى و قرانق و احملى على البريد.»

فكتب له جوازاً و ضمّ إليه جنداً و قال:

«هذا ألف دينار فاستعِنْ به.»

قال: «لا حاجة لى فيه كلّه.»

فأخذ ثلاثمائة دينار. و أقبل [438] حتّى أتى إبراهيم و هو فى غرفة عليه

مدرعة صوف زىّ العبيد، فصاح به:

«قم يا فلان.»

فوثب كالفرع، و جعل يأمره وينهاه حتّى قدّم المدائن، فمنعه صاحب القنطرة

فدفع إليه جوازه.

قال: «فأين غلامك؟»

قال: «هذا.»

فلما نظر فى وجهه قال:

«والله ما هذا بغلام و إنّه لإبراهيم، ولكن اذهب راشداً.»

فأطلقهما و هرب^(١) و ركبا سفينة حتّى قدما البصرة فجعل يأتى بهم الدار لها

بابان فيقعد العشرة منهم على أحد البابين و يقول:

«لا تبرحوا حتّى آتيكم.»

ثمّ يدخل الدار فيخرج من الباب الآخر ويتركهم، حتّى فرّق الجند عن نفسه

و بقى وحده و اختفى حتّى بلغ سفيان بن معاوية، وهو على البصرة، خبر الجند،

فأرسل إليهم فجمعهم فطلب العمى فأعجزه.

و حكى الحسن بن حبيب الديلى^(٢) قال: كان إبراهيم مختفياً عندى على

١. انظر الطبرى (١٠: ٢٨٦).

٢. كذا فى الأصل و آ. فى مط: الديلمى. و الكلمة غير موجودة فى الطبرى (١٠: ٢٨٨).

شاطئ دجيل في ناحية مدينة الأهواز و كان محمد بن حصين يطلبه فقال يوماً:
 إن أمير المؤمنين كتب إليّ يخبرني أنّ المنجمين يخبرونه أنّ إبراهيم نازل في
 جزيرة بين نهرين [439] و قد اعتزمت أن أطلبه غداً في المدينة لعلّ
 أمير المؤمنين يعنى بين دجيل و المسرقان.

قال: فأتيت إبراهيم و قلت:

«أنت غداً مطلوب في هذه الناحية.»

قال: فأقمت معه يومى، فلما غشيني الليل خرجت به حتّى أنزلته في دشت
 أربك دون الكث و رجعت من ليلتي، فأقمت أنتظر محمداً أن يغدو في طلبه
 فلم يفعل، فتصرّم النهار كلّهُ و طقلت الشمس فخرجت حتّى جئت إبراهيم
 فأقبلت به فوافينا المدينة مع العشاء الآخرة، و نحن على حمارين، فلما دخلنا
 المدينة فصرنا عند الجبل المقطوع لقينا أوائل خيل ابن حصين، فرمى إبراهيم
 بنفسه عن حمارة و تباعد و جلس يبول، وطوتنى الخيل فلم يعرج على أحد
 منهم حتّى صرت إلى ابن حصين، فقال لى:

«أبا محمد، من أين في هذا الوقت؟»

قلت: «إني تمسّيت عند بعض أهلى.»

فقال: «ألا أرسل معك من يبلغك؟»

قلت: «لا، قد قربت من أهلى.»

فمضى يطلب، و توجهت على سننى حتّى انقطع آخر أصحابه، ثم كررت
 راجعاً إلى إبراهيم، و التمسّت [440] حمارة حتّى وجدته فركب و انطلقنا فبتنا
 في أهلنا فقال إبراهيم:

«تعلم و الله لقد بليت البارحة دماً، فأرسل من ينظر.»

فأتيت الموضع فوجدته قد بال دماً.

و قال أبو جعفر: ما زال يظهر أمر إبراهيم لى حتّى اشتملت عليه طفوف البصرة.

و حصل إبراهيم بالبصرة، فدعا الناس، و استجاب له خلق، و استتر في بني راسب. و كان سفيان بن معاوية عامل المنصور يومئذٍ على البصرة قد مالاً إبراهيم بن عبدالله على أمره فلا ينصح لصاحبه. فتحدث جماعة من أشياخ البصرة أنهم شهدوا دفيف بن أسد^(١) مولى يزيد بن حاتم أتى سفيان بن معاوية قبل خروج إبراهيم بليلة فقال:

- «إدفع إليّ فوارس، آتكَ بإبراهيم و برأسه.»

قال: «أو ما لك عمل؟ إذهب إلى عملك.»

فخرج دفيف من ليلته، فلاحق يزيد بن حاتم بمصر.

و قال عدّة من الأزد: إنّ جابر بن حمّاد كان على شرطة سفيان، فأتاه قبل

خروج سفيان بيوم و قال:

- «إنّى مررت في مقبرة بني يشكر، فصّيحوا بي ورموني بالحجارة.»

فقال له:

- «أما كان لك طريق آخر؟»

فمّر سفيان بعد [441] قتل إبراهيم و انقضاء تلك الأيام بأبي جعفر المنصور

في سفينة له و أبو جعفر مشرف من قصره، فقال:

- «إنّ هذا سفيان؟»

قالوا: «نعم.»

قال: «والله للعجب كيف يُفلتني^(٢) هذا ابن الفاعلة؟»

و كان المنصور أنفذ قائدين كبيرين مع أصحابهما إلى سفيان مدداً له، فلمّا

قدما عليه صيّرهما بالقرب منه، فلمّا واعده إبراهيم الخروج أرسل إليهما

١. في الطبري (٢٩٧:١٠): دفيف بن راشد.

٢. كذا في الأصل: يُفلتني. في آ: يقتلني.

فاحتبسهما عنده تلك الليلة حتى خرج، فأحاط به وبهما فأخذهم و قيّد سفيان و حبسه في القصر يُرى أبا جعفر أنه برىء من التهم.

و كان أبو جعفر المنصور يبعث إلى سفيان كلّ يوم قوماً إلى البصرة فجعلوا يتزيدون و يردون، فأشفق إبراهيم أن يكثرُوا بها، فظهر و بلغ جعفرأ و محمداً ابني سليمان بن عليّ، و كانا يومئذٍ بالبصرة، مصير إبراهيم إلى دار الإمارة و حبسه سفيان، فأقبلا فيما قال غير واحد في ستمائة من الرجال و الفرسان يريدانه^(١) فوجه إليهما المضاء بن القاسم في ثمانية عشر فارساً و ثلاثين راجلاً، فهزمهم المضاء، و لحق محمداً رجل من [442] أصحاب المضاء، فطعنه في فخذه و نادى منادى إبراهيم:

« لا تتبعوا مدبراً.»

و أصاب إبراهيم في بيت المال ألفي ألف درهم، فقوى بذلك و فرض لكلّ رجل خمسين خمسين و وجه إبراهيم بن المغيرة إلى الأهواز في نحو مائتي رجل، و عامل الأهواز يومئذٍ من قبل أبي جعفر محمّد بن الحصين، فلمّا بلغه دثو المغيرة خرج إليه في أربعة آلاف، فالتقوا على ميل من قصبه الأهواز بموضع يقال له: دشت أرك، فأنكشف ابن حصين و أصحابه، و دخل المغيرة الأهواز. و يقال إن أصحاب ابن حصين قد كانوا و اطأوا إبراهيم. و وجه إبراهيم إلى فارس^(٢) عمرو بن شدّاد عاملاً عليها.

فلمّا قرب من فارس بلغ إسماعيل بن عليّ، و كان عاملاً عليها من قبل أبي جعفر^(٣) و معه أخوه عبد الصمد بن عليّ إقبال عمرو بن شدّاد فبادرا إلى دارا بمجرد فتحصّنا بها و كانا بإصطخر و صارت فارس و الأهواز و البصرة في

١. في آ: يريد ابنه.

٢. في مط و آ: فارس بن عمرو. و هو خطأ.

٣. في آ: أبي جعفر المنصور.

سلطان إبراهيم.

و لما ظهر محمد بالمدينة، أرسل أبو جعفر إلى جعفر بن حنظلة، و كان ذا رأى، فقال:

- «هات رأيك.»

قال: «وجه الأجناد إلى البصرة.»

فقال: «انصرف حتى أرسل إليك.»

و قال أبو جعفر:

- «اختبل والله [443] جعفر، أسأله عن المدينة فيجيبني عن البصرة.»

فلما صار إبراهيم إلى البصرة قال^(١):

- «إياها خفت، بادره بالجنود.» قال:

- «و كيف خفت البصرة؟»

قال: «لأنّ محمداً ظهر بالمدينة، و ليسوا بأهل حرب، بحشبهم أن يقيموا شأن أنفسهم، و أهل الكوفة تحت قدمك، و أهل الشام أعداء آل أبي طالب، فلم يبق إلا البصرة.»

و لما^(٢) شخص جعفر و محمد ابنا سليمان من البصرة، أرسلوا إلى أبي جعفر و أخبراه خبرهما فقال أبو جعفر:

- «و الله ما أدري كيف أصنع، و الله ما في عسكري إلا ألفا رجل، فرقت

جندى، فمع المهدي بالري ثلاثون ألفاً، و مع محمد بن الأشعث بإفريقية أربعون

ألفاً، و الباكون مع عيسى بن موسى، و الله لئن سلمت من هذه لا يفارق عسكري

ثلاثون ألفاً.

١. والعبارة في آ: فلما صار إبراهيم إلى البصرة أرسل إليه و قال: صار إبراهيم إلى البصرة و قال:

٢. انظر الطبري (١٠: ٣٠٤).

و قال عبدالله بن راشد: ما كان في عسكر أبي جعفر كبير أحد، ما هم إلا سودان و ناس يسير. و كان يأمر بالخطب فيحزم، ثم يوقد بالليل فيراه الرائي فيحسب هناك ناساً، و ما هي إلا نار تُضرم، و ليس عندها أحد.

و كتب أبو جعفر إلى عيسى بن موسى و هو بالمدينة:

- «إذا قرأت كتابي فأقبل ودع [444] ما أنت فيه.»

فلم ينشب أن قدم، فوجهه على الناس، و كتب إلى سلم بن قتيبة، فقدم عليه من الرى، فضمه إلى جعفر بن سليمان.

فحكى سلم بن قتيبة قال: لما دخلت على أبي جعفر قال لي:

- «خرج ابنا عبدالله بن حسن، فاعمد لإبراهيم ولا يروعتك جمعه، فوالله إنهما لجملا بنى هاشم المقتولان جميعاً، فابسط يدك، وثق بما أعلمتك، و ستذكر مقاتلي لك.»

قال: فوالله ما هو إلا أن قُتل إبراهيم، ففعلت أذكّر مقاتله فأعجب.

و كتب المنصور إلى المهدي و هو يومئذ بالرى يأمره بتوجيه خازم بن خزيمة إلى الأهواز، فوجهه المهدي في أربعة آلاف من الجند، فصار إليها و حارب بها المغيرة بن الفز، فهزم المغيرة و انصرف المغيرة إلى البصرة و دخل خازم الأهواز فأباحها ثلاثاً.

و حكى السندى قال: كنت وصيفاً أيام حرب محمد، فكنت أقوم على رأس المنصور بالمدينة، فرأيت لما كثف أمر إبراهيم و غلظ، أقام على مصلى تيناً و خمسين ليلة، ينام عليه، و يجلس عليه، و عليه جبة ملوثة قد اتسخ جيبها و ما تحت لحيته منها ما غير الجبة و لا هجر [445] المصلى حتى فتح الله عليه، إلا أنه كان إذا ظهر للناس على الجبة بالسواد و قعد على فراشه، فإذا بطن عاد إلى هيئته.

قال: فأنته ريسانة^(١) في تلك الأيام و قد أهديت إليه امرأتان من المدينة، إحداهما فاطمة بنت محمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله، والأخرى أمة الكريم^(٢) بنت عبد الله من ولد خالد بن أسيد بن أبي العيص فلم ينظر إليهما، فقالت:

«يا أمير المؤمنين، إن هاتين المرأتين قد خبثت أنفسهما و ساءت ظنونهما لما ظهر من جفائك بهما.»
فانتهرها و قال:

«ليست هذه الأيام من أيام النساء، لا سبيل إليهما حتى أعلم: رأس إبراهيم لي، أو رأسي لإبراهيم.»
فهذه كانت عزيمة أبي جعفر.

فأما إبراهيم فذكر أبو عبيدة أن يونس الحرمي كان يقول: قدم هذا يريد إبراهيم و هو يقصد إزالة ملك، فألته بنت عمرو بن سلمة عما جاء له، و كان إبراهيم تزوج بعد مقدمه البصرة بـهـكـنـة بنت عمر بن سلمة. و كانت تأتيه في مصبغاتها و ألوان ثيابها.

و ورد كتاب من جعفر و محمد ابني سليمان يُعلمانه خروجهما عن البصرة، و كان كتابهما في قطعة جراب، ولم يقدر [446] على شيء يكتبان فيه غير ذلك، فلما وصل الكتاب إليه، فرأى قطعة جراب بيد الرسول قال:

«خلع و الله أهل البصرة مع إبراهيم.»

ثم قرأ الكتاب و دعا بعبد الرحمن الخثلي و بأبي يعقوب ختن مالك بن الهيثم، فوجههما في خيل كثيفة إليهما و أمرهما أن يحبساهما حيث لقياهما، و

١. كذا في الطبري (٣٥٦:١٠): ريسانة. و في حواشيه: ريسانة.

٢. كذا في الأصل. و في الطبري (٣٥٦:١٠) أم الكريم، و في حواشيه: ابنة الكريم. في آ أيضاً: أمة الكريم.

أن يعسكرا معهما، و يسمعا و يطيعا لهما. و كتب إليهما يعجزهما و يضعفهما و يوتخهما على طمع إبراهيم في الخروج إلى مصرهما فيه و استتار خبره عنهما حتى ظهر. و كتب في آخر كتابه:

أبلغ بنى هاشم عني مغللةً فاستيقظوا إن هذا فعل نؤام
تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتبقى مريض المستنفر الحامى

قال جعفر بن ربيعة: قال الحجاج: لقد دخلت على المنصور في ذلك اليوم مسلماً، و ما أظنه يقدر على رد السلام لتتابع الفتوق و الخروق عليه، و للعساكر المحيطة به، و لمائة ألف سيف كامنة له بالكوفة بإزاء [447] عسكره ينتظرون به صيحة واحدة فيثبون، فوجدته صقراً أحوزياً مشمراً قد قام إلى ما نزل به من النوائب يعركها و يمرسها، فقام بها و لم تقعد به نفسه.

ذكر آراء أشير بها على إبراهيم
بن عبد الله

لما وجّه أبو جعفر عيسى بن موسى إلى إبراهيم، كان معه خمسة عشر ألفاً، و جعل على مقدمته حميد بن قحطبة في ثلاثة آلاف. فأراد إبراهيم الشخص نحو أبي جعفر، فدخل إليه جماعة من قواده، فقالوا له: «إِنَّكَ قد ظهرت على أهل البصرة و الأهواز و فارس و واسط، فأقم بمكانك و وجّه الأجناد، فإن هُزم لك جند أمددتهم بجند، فخيّف مكانك و اتقاك عدوك و جيب الأموال و ثبتت و طأنتك، ثم^(١) رأيك بعد.»

١. كذا في آ أيضاً: ثم.

فقال له المشائيم الكوفيون:

- «أصلحك الله، إنَّ بالكوفة رجالاً لو قد رأوك ماتوا دونك، و إن لم يروك
قعدت بهم أسباب شتى، و الرأى أن تخرج.»
فقال له آخر:

- «إنَّ هذه بلادى و بلاد [448] قومى و أنا أعلم بها، فلا تقصد عيسى بن
موسى و معه هذه العساكر التى ضُمَّت إليه، ولكن دعنى أسلك بك طريقاً لا
يشعر بك أبو جعفر إلّا و أنت معه بالكوفة.»
فأبى عليه. قال:

- «فإنّا معشر ربيعة أصحاب بيات، فدعنى أبيت أصحاب عيسى.» قال:
«إننى أكره البيات.»
فقال له هُريم:

- «أصلحك الله، إنَّك غير ظاهر على هذا الرجل حتّى تأخذ الكوفة، و إن
صارت لك مع تحصّنه بها لم تقم له بعدها قائمة، ولى بعد بها أهيل، فدعنى أسر
إليها مختفياً فأدعو إليك فى السرّ، ثمّ أجهز، فإنّ القوم إن سمعوا داعياً أجابوه، و
إن سمع أبو جعفر الهيعة بأرجاء الكوفة و ليس معه رجال، لم يردّ وجهه شيئاً
دون حلوان.»

فأقبل على بشير الرّجال. فقال:

- «ما ترى يا با محمّد؟»

فقال: «إنّا لو وثقنا بالذى يصف لكان رأياً، ولكنّا لا نأمن. أن يجيبك طائفة
منهم فيرسل إليهم أبو جعفر خيلاً فتطأ البرىء و النّطف و الصغير و الكبير،
فتكون قد تعرّضت لمأثم، ولم تبلغ منه ما أمّلت.»
قال هُريم: فقلت لبشير:

- «أفخرجت حين [449] خرجت لقتال أبى جعفر و أصحابه و أنت تتوقّى

قتل الصغير و الضعيف و المرأة و الرجل، أو ليس قد كان رسول الله، صلى الله عليه، يوجه السرية فيقاتل فيكون في ذلك نحو ما كرهت؟»
فقال: «إن أولئك كانوا مشركين، و إن هؤلاء أهل ملتنا و دعوتنا و قبلتنا، حكمهم غير حكم أولئك.»

فاتبع إبراهيم رآيه، و سار حتى نزل باخمرى^(١) فلما نزلها أرسل إليه سلم بن قتيبة حكيم بن عبد الكريم:

«أنت قد أصحرت و مثلك أنفس به على الموت، فخذق على نفسك حتى لا تؤتى إلا من مأتى واحد، فإن أنت لم تفعل فقد أعرى أبو جعفر عسكره فتخفف^(٢) في طائفة حتى تأتيه فتأخذ بقفاه.»

فدعا إبراهيم أصحابه، فعرض ذلك عليهم فقالوا:
«نخذق على أنفسنا و نحن ظاهرون عليهم؟ لا والله لا نفعل.»
قال: «فأتيه.»

قالوا: «ولم، و هو في أيدينا متى ما أردناه؟»
فقال لى إبراهيم:
«قد سمعت.»

قال حكيم: فانصرفت و قد تحققت ضعفه باستسلامه لأصحابه.
و حكى إبراهيم بن سلم عن أخيه قال: حدثنى أبى قال: التقينا [450] مع عيسى بن موسى، فخرجت من بين صفهم و قلت لإبراهيم:
«إن الصف إذا انهزم بعضه تداعى فلم يكن له نظام، فاجعلهم كراديس، فإن انهزم كردوس ثبت كردوس.»

١. فى الأصل هنا: با حمزى، و فى موطن آخر: با خمري. فى مط و الطبرى (١٠: ٣١١):
باخمري. و ما فى آ مهمل.
٢. و ما فى الأصل و مط مهمل فى الثالث.

فتنادوا^(١):

- «لا، إلا قتال أهل الإسلام، يريد قوله: إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً»^(٢).

و قال المضاء: لما نزلنا باخمرى أتيت إبراهيم فقلت:

- «إن هولاء مصبحوك بما يسد عليك مغرب الشمس من السلاح و الكراع، و إنما معك رجال عراة من أهل البصرة، فدعني أبيته فو الله لأشتن جموعه». فقال، «إني أكره القتل».

فقلت: «تريد الملك و تكره القتل!»

فالتقوا بباخمرى^(٣) و هي على ستة عشر فرسخاً من الكوفة، فاقتتلوا بها قتالاً شديداً، و انهزم حميد بن قحطبة، و كان على مقدمة عيسى، و انهزم الناس معه، فعرض لهم عيسى ينا شدهم الله و الطاعة، فلا يلوون و يمرّون منهزمين. و أقبل حميد بن قحطبة منهزماً، فقال له عيسى بن موسى:

- «يا حميد، الله، الله و الطاعة».

قال: «لا طاعة في الهزيمة» [١٤٥١]

و مرّ الناس كلهم، فلم يبق مع عيسى أحد، و ثبت عيسى فلم ينهزم، و كان يحفظ وصية لأبي جعفر، و هو أنه لما أراد توجيهه، قال عيسى: قال لي المنصور: إن هولاء الخبيثاء يعني المنجمين يزعمون أنك لاقى الرجل، و أن لك جولة حين تلقاه، ثم يفى^(٤) إليك أصحابك و تكون العاقبة لك.

١. في الأصل: فتنادى. في آ و الطبرى (٣١٢:١٠): فتنادوا.

٢. ٦١ الصف: ٤

٣. باخمرى (بالراء): موضع بين الكوفة و واسط، و هو إلى الكوفة أقرب، به قبر إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن، قتله بها أصحاب المنصور (مراصد الإطلاع).

٤. ما في الأصل مهمل و بدون همزة. في مط: تفى. و في آ: يفى و ما في الطبرى

فكان كما قال لم يبق معي إلا ثلاثة.

فأقبل عليّ مولى لى و قال:

«جُعِلَتْ فداءك علام تقيم و قد ذهب أصحابك؟»

فقلت: «لا والله، لا ينظر أهل بيتى إلى وجهى أبداً و قد انهزمت عن عدوهم،

فو الله ما كان عندي أكثر من أن أقول لمن مربى ممّن أعرف من المنهزمة:

اقرأوا أهل بيتى منى السلام و قولوا لهم: إني لم أجِد فداء لكم أفديكم به أعزّ

عليّ من نفسى و قد بذلتها دونكم.»

قال: فو الله إنّنا لعلّى ذلك منهزمون مايلوى أحد على أحد.»

و كان إبراهيم قد مخر ماء ليكون قتاله من وجه واحد و قيل بل كان مخره

آل طلحة.

ذكر اتفاق غريب سيّئ اتّفق على إبراهيم

بعد أن ظفر حتّى هزم و قتل [452]

حكى إسحاق بن عيسى بن عليّ قال: سمعت عيسى بن موسى يومئذ يقول

لأبى: والله يا أبا العباس لو لا ابننا سليمان يومئذ لا فتضحنا، و ذاك أنّ من صنع

الله كان لنا أنّ أصحابنا لما انهزموا اعترض لهم نهر ذوثنيتين مرتفعتين، فحالتا

بينهم و بين الوثوب ولم يجدوا مخاضة، فكروا راجعين بأجمعهم على عرض

النهر، فظنّ القوم أنّها كرة فانهزموا و تبعهم ابننا سليمان و معها مواليه.

و نظر إليه أصحابنا و رأوا هزيمة الأعداء بين يديه، فكروا بأجمعهم.

و أقبل حميد بن قحطبة نحو إبراهيم لا يرجع على شيء، حتّى خالط القوم

و جعل يرسل بالرؤوس إلى عيسى حتّى كثرت الرؤوس إلى أن أتى برأس معه

جماعة كثيرة و ضجة و صياح فقالوا:

- «رأس إبراهيم»-

فدعا عيسى بن موسى ابن أبي الكرام الجعفرى فأراه إيّاه، فقال:

- «ليس به»-

و جعلوا يقتلون يومهم ذلك. فذكر عبدالحميد: أنّه سأل أبا صلاية:

- «كيف قتل إبراهيم؟»-

فقال: اسمعه ممّن نظر إليه، و عاينه. كان واقفاً على دابّته ينظر إلى أصحاب عيسى قد ولّوا وانهزموا بأجمعهم، و نكص عيسى دابّته القهقرى و أصحابه يقتلونهم ولم يبق [453] لهم بقيّة، حتّى رأيت قوماً ينصرفون و يكرّون ليسوا بشيء. و كان على إبراهيم قباء زرد فأذاه الحرّ، فحلّ أزرار قبائه، فسال الزرد حتّى حسر لبّته، و أنّه نشابة عائرة فأصابته لبّته فرأيته اعتنق فرسه وكرّ راجعاً فأطافت به الزيدية و أصحابه يحمونه، فرأى حميد بن قحطبة اجتماعهم، فأنكره و قال لأصحابه:

- «شدّوا على تلك الجماعة حتّى تزيلوهم عن موضعهم و تعلموا ما اجتمعوا

عليه»-

فشدّوا عليهم و قاتلوهم أشدّ قتال حتّى أفرجوههم عن إبراهيم، فحزّوا رأسه و أتوا به عيسى، فأراه ابن أبي الكرام الجعفرى فقال:

- «نعم، هذا رأسه» فنزل عيسى إلى الأرض فسجد و بعث به إلى أبي

جعفر.

و ذكر أنّ أوائل المنهزمين من أصحاب عيسى دخلوا الكوفة و تأخّر أبو

جعفر فقال لحاجبه:

- «لا تكشفن ذلك و أعدد على كلّ باب من أبواب المدينة إبلاً و دوابّ، فإن

أتينا من ناحية، صرنا إلى الناحية الأخرى»-

فَسُئِلَ سَلَمُ بْنُ فَرْقَدٍ حَاجِبُهُ:

- «إِلَى أَيْنَ أَرَادَ أَبُو جَعْفَرٍ يَذْهَبُ لَوْ دَهَمَهُ أَمْرٌ؟»

قَالَ: «كَانَ عَزَمَ عَلَى إِيْتِيَانِ الرَّيِّ» [454]

فَبَلَغَنِي ^(١) أَنَّ نَبِيخْتَ الْمُنْجَمِ دَخَلَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ، فَقَالَ لَهُ:

- «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، الظَّفَرُ لَكَ، وَتَسْتَقْتُلُ إِبْرَاهِيمَ.»

فَلَمْ يَقْبَلْ ذَلِكَ مِنْهُ. فَقَالَ لَهُ:

- «إِحْبِسْنِي عِنْدَكَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَمَا قُلْتَ فَاقْتُلْنِي.»

فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ الْخَبَرُ بِهَزِيمَةِ إِبْرَاهِيمَ، فَتَمَثَّلَ بَيْتَ مَعْمَرٍ ^(٢) الْبَارِقِيِّ:

فَأَلَقْتَ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمَسَافِرُ

وَأَقْطَعَ نَبِيخْتَ أَلْفَى جَرِيبَ بَنَهْرٍ جَوَّارٍ.

رَأَسَ إِبْرَاهِيمَ بَيْنَ يَدَيْ أَبِي جَعْفَرٍ وَمَا جَرَى إِذَاكَ

وَيُقَالُ: إِنَّ أَبَا جَعْفَرٍ لَمَّا أَتَى بِرَأْسِ إِبْرَاهِيمَ فَوَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ، بَكَى، ثُمَّ قَالَ:

- «أَمَّا وَ اللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ كَارِهًا لِهَذَا، وَلَكِنِّي ابْتَلَيْتُ بِكَ، وَابْتَلَيْتُ بِي.»

وَحَكِيٌّ صَالِحٌ، مَوْلَى الْمَنْصُورِ: أَنَّ الْمَنْصُورَ لَمَّا أَتَى بِرَأْسِ إِبْرَاهِيمَ بَنَ

عَبْدَ اللَّهِ، وَضَعَهُ ^(٣) بَيْنَ يَدَيْهِ، وَجَلَسَ مَجْلِسًا عَامًّا، وَأَذِنَ لِلنَّاسِ، وَكَانَ الدَّخَلُ

يَدْخُلُ فَيَسْلُمُ وَيَتَنَاوَلُ إِبْرَاهِيمَ فَيَسِيءُ فِيهِ الْقَوْلَ، وَيَذْكُرُ مِنْهُ الْقَبِيحَ التَّمَاسَ

رَضَى أَبِي جَعْفَرٍ، وَأَبُو جَعْفَرٍ مَمْسُوكٌ مُتَغَيِّرُ لَوْنِهِ، حَتَّى دَخَلَ جَعْفَرُ بْنُ حَنْظَلَةَ

١. انظر الطبري (٣١٧:١٠)

٢. في الطبري (٣١٧:١٠) المعمر. و في حواشيه: معمر.

٣. في الأصل: و وضعه.

البهرائي، فوقف فسلم ثم قال:

- «عظم الله أجرك يا أمير المؤمنين في ابن عمك، وغفر له ما فرط فيه من حقك.»

فأسفر^(١) لون أبي جعفر فأقبل [455] عليه وقال:

- «أبا خالد، ها هنا، مرحباً وأهلاً.»

فعلم الناس أن ذلك وقع منه، فدخلوا فقالوا مثل ما قال جعفر.

ثم دخلت سنة ست و أربعين و مائة

معاودة بناء بغداد

لما فرغ المنصور من أمر إبراهيم و محمد، عاود بناء بغداد و إتمامه. و كان خالد بن برمك خط المدينة و أشار بها. و احتاج المنصور إلى الآلات و الأنقاض لأن ما كان جمعه قبل ذلك من ساج و غيره أحرقه مولى له يقال له أسلم، و ذلك حين بلغه أن إبراهيم هزم أبا جعفر.

فقال أبو جعفر لخالد:

- «ما ترى في نقض بناء كسرى بالمدائن و حمل نقضه إلى مدينتي هذه؟»

فقال له خالد:

- «ما أرى ذلك يا أمير المؤمنين.»

قال: «ولم؟»

قال: «لأنه علم من أعلام الإسلام يستدل به الناظر على أنه لم يكن ليزال مثل أصحابه عنه بأمر دنيا، وإنما هو أمر دين، و مع هذا، يا أمير المؤمنين، فإن

١. كذا في الأصل و آ؛ فأسفر. في مط و الطبري (٣١٨:١٠)؛ فاصفر. أسفر الوجه، حسن و أشرق.

فيه مصلّى علىّ بن أبى طالب عليه السلام.»

قال: «هيهات يا خالد، أبيت إلا الميل إلى أصحابك العجم.»

و أمر أن ينقض القصر الأبيض. فنقض ناحية منه و نُظر في مقدار [456] ما يلزمهم من النفقة للنقض و الحمل، فوجدوا ذلك أكثر من الجديد لو عمل، فرفع ذلك إلى المنصور، فدعا بخالد، فأعلمه ذلك وقال:

«ما ترى؟»

قال: «يا أمير المؤمنين، قد كنت أرى قبل ألا تفعل، فأما إذ بدأت، فأرى أن تُتَمَّ و تهدمه حتى تلحق بقواعده لئلا يُقال: عجزت عن هدم ما بناه غيرك.» فأعرض المنصور عنه، و أمر ألا يُهدم.

و كان اللبن الذى لبنه المنصور، اللبنة منها ذراع فى ذراع، و قد وُزنت لبنة منها بعد ما تهدّم السور و كانت لبنة مكتوب عليها بمغرة^(١)؛ وزنها مائة و سبعة عشر رطلاً، فلما وُزنت وُجدت على ما كان مكتوباً عليها من الوزن.

و لما استتم المنصور بناءها قدم عليه بطريق من البطارقة وافداً، فأمر الربيع أن يطوّف به فى المدينة و ما حولها ليرى العمران و البناء، فطاف به الربيع، فلما انصرف قال:

«كيف رأيت؟»

و قد كان أوصد إلى السور و قباب الأبواب،

فقال: «رأيت بناءً حسناً، إلا أنّى رأيت أعداءك معك فى مدينتك.»

قال: «فمن هم؟»

قال: «السوقة.»

فأضبّ عليها أبو جعفر، فلما انصرف البطريق أمر بإخراج السوق من

المدينة. و يقال: إنَّ السبب كان [457] في إخراج التجَّار من المدينة إلى الكرخ و ما قرب منها أنه قيل لأبي جعفر: إنَّ الغرياء و غيرهم يبيتون فيها ولا يؤمن أن تكون فيهم جواسيس أو تُفتح أبواب المدينة ليلاً لموضع السوق، فأمر بإخراج السوق من المدينة و جعلها للشرط و الحرس. و بنى للتجَّار باب الكرخ، و باب الشام، و طاق الحرَّاني، و باب الشعير، و باب المحوّل. و لما طاف أبو جعفر مدينته و أبنيتها استحسّن الجميع و استنظفه، غير أنّه استكثر النفقة، و كان مبلغ ذلك على ما وُجد في خزائن المنصور و دواوينه أنّه أنفق على مدينة السلام و مسجد جامعها^(١) و قصر الذهب و الأسواق و الفُصْلان و الخنادق و قبابها و أبوابها أربعة ألف^(٢) درهم و ثمانمائة درهم و ثلاثة و ثلاثون درهماً، و مبلغها من الفلوس مائة ألف^(٣) فلس و ثلاثة و عشرون ألف فلس، و ذلك أنَّ الأستاذين البنَّائين كان الرجل منهم يعمل يومه بقيراط فضّة، والروز جارين^(٤) بحَبَّتَيْن إلى الثلاث حَبَّات، و ذلك لرخص الأسعار و عوز الفضة، لأنَّ المنصور حصَّل الأموال في خزائنه. [458]

ثمَّ دخلت سنة سبع و أربعين و مائة
و في هذه السنة، كان مهلك عبد الله بن عليّ عمّ أبي جعفر.

مركز تحقيق كالمبيوتر علوم إسلامي
ذكر السبب في ذلك

حجَّ أبو جعفر سنة سبع، بعد تقدّمته المهديّ عليّ عيسى بن موسى و سنذكر

١. كذا في الأصل و آ: و مسجد جامعها. في الطبري (٣٢٦:١٠): و جامعها.

٢. في الطبري: آلاف الف.

٣. في الطبري: ألف ألف. آ و مط و الأصل في كلا الموضعين: أربعة آلاف درهم.

٤. في الطبري: والروز كاري.

ذلك فيما بعد، و كان عزل عيسى بن موسى عن الكوفة و أرضها، و ولى مكانه محمد بن سليمان بن عليّ، و استدعاه و دفع إليه عبد الله بن عليّ سرّاً فى جوف الليل ثمّ قال له:

- «يا عيسى، إنّ هذا أراد أن يُزيل النعمة عنّي و عنك، و أنت ولىّ عهدى بعد المهديّ و الخلافة صائرة إليك، فخذهُ إليك و اقتله، و إياك أن تخور أو تضعف فتنقض عليّ أمرى الذى دبرْتُ.»

ثمّ مضى لوجهه من الحجّ، و كتب إليه من طريقه ثلاث مرات يسأله ما فعل فى الأمر الذى أوعز إليه، فكان يكتب إليه: قد أنفذت ما أمرت به، فلم يشكّ أبو جعفر فى أنّه قتل عبد الله بن عليّ.

و كان عيسى حين دفعه إليه، ستره، و دعا كاتبه يونس بن فروة، فقال له:

- «إنّ هذا الرجل دفع إلّى عمّته، و أمرنى فيه بكذا.»

فقال [459] له:

- «أراد أن يقتلك و يقتله، إنّهُ أمرك بقتله سرّاً، ثمّ يدّعيه عليك علانية، ثمّ يُقيدك به.»

قال: «فما الرأى؟»

قال: «أن تستره فى منزلك ولا تُطلع على أمره أحداً فإن طلبه منك علانية دفعته إليه علانية ولا تدفعه إليه سرّاً أبداً.»

ففعل ذلك عيسى، و قدّم المنصور و دسّ على عمومته من يحركهم على مسألته هبة عبد الله بن عليّ لهم، و أطعمهم فى أنّه سيفعل. فجاءوا إليه و كلّموه و رفقوا و ذكروا له الرحم، فقال:

- «نعم، عليّ بعيسى بن موسى.»

فأتاه، فقال:

- «يا عيسى، قد علمت أنّى دفعت إليك عمّى و عمّك عبد الله بن عليّ قبل

خروجي إلى الحجّ و أمرتك أن يكون في منزلك.»

قال: «قد فعلت ذلك.»

قال: «فقد كلّمني فيه عمومته، فرأيت الصفح عنه و تخلية سبيله، فأتتبه.»

قال: «يا أمير المؤمنين، ألم تأمرني بقتله؟ فقتلته.»

قال: «لا، ما أمرتك بقتله، إنّما أمرتك بحبسه عندك.»

قال: «قد أمرتني بقتله.»

فقال له المنصور:

- «كذبت.»

ثمّ قال لعمومته:

- «إنّ هذا قد أقرّ لكم بقتل أخيك، وادّعى أنّي أمرته بذلك [460] و قد

كذب.»

قالوا: «فادفعه إلينا فإنّا نُقيده به.»

قال: «شأنكم به.»

فأخرجوه إلى الرحبة. فاجتمع الناس، و شهر الأمر، فقام أحدهم فشهر سيفه

و تقدّم إلى عيسى ليضربه، فقال له عيسى:

- «أفاعل أنت؟»

قال: «إي والله.»

قال: «فلا تعجلوا، فإنّ عمّي حيّ، ردّوني إلى أمير المؤمنين.»

فردّوه إليه. فقال:

- «إنّما أردت بقتله أن تقتلني، هذا عمّك حيّ سوى، إن أمرتني بدفعه إليك

دفعته.»

قال: «أئتنا به.»

فأتاه به، فجعله في بيت، و كان من أمره ما كان من سقوط البيت عليه،

فمات و هو ابن اثنتين و خمسين سنة.

حوار بين المنصور و ابن عياش

فحكى أن المنصور ركب يوماً بعد موت عبدالله بن عليّ، و معه ابن عياش المنتوف،^(١) فقال له و هو يحادثه:

«هل تعرف ثلاثة خلفاء مبدأ أسمائهم العين قتلوا ثلاثة ادّعوا الخلافة مبدأ أسمائهم العين؟» قال:

«لا أعرف إلا ما تقول العامة أن علياً قتل عثمان و كذبوا، و عبد الملك بن مروان قتل عبدالله بن الزبير و عبدالرحمن بن الأشعث، و سقط البيت على عبدالله بن عليّ.»

فقال له المنصور:

«فسقط البيت على عبدالله بن عليّ، فأنا ما ذنبى؟»
قال: «ما قلت إن لك ذنباً.»

و في هذه السنة خلع [461] المنصور عيسى بن موسى

و بايع لابنه المهديّ

و جعله وليّ عهده بعد المهديّ

ذكر الخبر عن ذلك و الحيلة فيه

كان أبو جعفر أقرّ عيسى على ما كان أبو العباس ولأه، و كان له مكرماً
مبجلاً إلى أن عزم على تقديم المهديّ في الخلافة عليه فلمّا عزم المنصور على

١. ما في الأصل مهمل. في آ: المنتوف. في مط: ابن عباس المنتوق. في الطبري (٣٣١:١٥): ابن عياش.

ذلك كلم عيسى بن موسى في تقديم ابنه المهدي عليه برقيق الكلام و لطيفه فقال عيسى:

- «يا أمير المؤمنين، فكيف بالآيمان و الموائيق التي علي و على المسلمين لي من الطلاق و العتق و غير ذلك من مؤكّد الآيمان، ليس إلى ذلك سبيل يا أمير المؤمنين.»

فلما رأى أبو جعفر ذلك باعده بعض المباحدة، و قصر به في منزلته، فكان يؤذن لعيسى بعد جماعة، و يجلس دون منزلته، وكان مرتبته عن يمين أبي جعفر. ثم يخلط عليه في أمثال هذه الأشياء، و عيسى صامت لا يتشكى ولا يستغيث^(١). ثم صار إلى أغلظ من ذلك فكان يكون في المجلس و معه بعض ولده فيسمع الحفر في أصل الحائط و يخاف أن يخز عليه، و ينتثر عليه التراب و ربما [462] نظر إلى الخشبة من سقف المجلس الذي يجلس فيه قد حفر عن أحد طرفيها فيسقط التراب على قنسوته و ثيابه، فيأمر من معه من ولده بالتحول و يقوم هو إلى الصلاة، ثم يأتيه الإذن فيقوم بهيئته و التراب عليه لا ينفذه، فإذا رآه المنصور قال له:

- «يا عيسى، ما يدخل على أحد بمثل هيأتك من كثرة النبار و التراب عليك، أفكل هذا من الشارع؟»

فيقول:

- «أحسب ذلك يا أمير المؤمنين.»

و إنما يكلمه بذلك يستطعمه أن يشكو إليه شيئاً، فلا يشكو.

و كان المنصور قد أرسل إليه في بعض أحواله بعض ما يتلفه من السموم، أو دسه إليه بحضرته، فنهض من المجلس، فقال له المنصور:

١. في الطبري (٣٣٢: ١٠): لا يعتب. في حواشيه: لا يستغيث (كالأصل).

- «إلى أين؟»

قال: «أجد غمراً»

قال: «ففي الدار إذا»

قال: «الذي أجده أشد من أن أقيم معه في الدار»

و نهض فصار إلى حرّاقته،^(١) و نهض المنصور في أثره متفرّعاً إلى الحرّاقة، فاستأذنه عيسى في المصير إلى الكوفة، فقال:

- «بل تقيم، فتعالج ها هنا»

فأبى و ألح حتّى أذن له و كان الذي حداه على ذلك طبيبه بختيشوع فإنه قال له:

- «أنت مسموم، و والله ما أجتري على معالجتك بالحضرة» [463]

فاستأذنه، فأذن له، و بلغت العلّة بعيسى كلّ مبلغ حتّى تمعّط^(٢) شعره، ثم أفاق. و يقال إن عيسى إنّما كان يمتنع على أبى جعفر لأنّه كان يريّض الأمر لابنه موسى، فبعث أبو جعفر إلى موسى من يخوّفه على نفسه و على أبيه، فقال موسى:

- «إنّى قد أرى ما يُسام أبى من إخراج هذا الأمر من عنقه و تصييره للمهدى، و قد نُصبت عليه وجوه الحتوف من السمّ مرّة و بهدم الحيطان مرّة، و بضروب الإهانات، و ليس يعطى على هذا شيئاً، ولكن ها هنا وجه واحد لعلّه يعطى عليه إن أعطى، و إلّا فلا» قال له الواسطة بينه و بين أبى جعفر:

- «و ما هو؟»

قال: «إنّما أقوله إذا أمنت على نفسى، و إنّما هو روحى اجعله فى يده، ولا بدّ

١. الحرّاقة: السفينة فيها مرامى نيران يُرمى بها العدو.

٢. تمعّط الشعر: سمط من داءٍ عرض له.

لى ممّا أثق به و أطمئنّ إليه.»

فأعطاه كلّ ما أحبّ من ذلك، فقال:

- «يقبل عليه أمير المؤمنين و أنا شاهده، فيقول له: يا عيسى، إني قد علمت أنّك لست تظنّ بهذا الأمر عن المهدىّ لنفسك لتعالى سنّك، و إنّما تظنّ به لمكان ابنك، أفترى أنّي أدع ابنك يبقى بعدك؟ كلاّ والله، و لا تخنّ عليه و أنت تنظر إليه حتّى تياس | 464 | منه ثمّ يأمر بي، فإمّا خنّقت، و إمّا شهر على سيف، فإنّ أجاب إلى شيء فعسى أن يفعل في ذلك الوقت، و إلّا فلا.» فقال له:

- «جزاك الله خيراً، فديت أباك بنفسك، نعم الرأى رأيت، و نعم المسلك سلكت.»

ثمّ أتى أبا جعفر فأخبره، فجزّئ موسى خيراً و قال:

- «قد والله أحسن و أجمل، و سأفعل ما أشار به، و يسره الله بعاقبة ذلك إن شاء الله.»

فلمّا اجتمعوا أقبل المنصور على عيسى بن موسى و قال:

- «يا عيسى إني لا أجهل مذهبك الذي تضره ولا مذك الذي تجرى إليه في الأمر الذي سألتك، إنّما تريد^(١) هذا الأمر لا بنك هذا المشؤوم عليك و على نفسه، أما والله لأعجلنّ لك فيه ما يسوءك. يا ربيع، اخنق موسى بحمائله حتّى تأتى على نفسه.»

و قد كان واطاً الربيع على الرفق به. فضمّ الربيع حمائله على عنقه فجعل يخنقه خنقاً رويداً و موسى يصيح:

- «الله، الله فيّ يا أمير المؤمنين و في دمي، فو الله إني لبعيد ممّا تظنّ بي، و ما

١. في الأصل: يريد. في آ: تريد، و هو الصحيح.

يبالى عيسى أن تقتلنى و له بضعة عشر ذكراً كلهم عنده^(١) مثلى أو يتقدمنى.»
و هو يقول:

«اشدد يا ربيع أثت على نفسه.»

و الربيع يوهم [465] أنه يريد تلفه و هو يراخى خفافه و موسى يصيح
صياح من بلغت نفسه التراقى.
فلما رأى عيسى ذلك قال:

«يا أمير المؤمنين، والله ما ظننت الأمر يبلغ منك هذا كله، فخر بالكف عنده،
فإنى لم أكن لأرجع إلى أهلى و قد قُتل بسبب هذا الأمر عبد من عبيدى،
فكيف بولدى، فما أنا ذا أشهدك أن نسائى طوالق و مماليكى أحرار، و ما أملك
فى سبيل الله، يصرف ذلك فيمن رأيت يا أمير المؤمنين و هذه يدى بالسبيعة
للمهدى.»

فأخذ بيعته على ما أحب ثم قال له:

«يا باموسى، إنك قد قضيت حاجتى هذه كارهاً، ولى حاجة أحب أن
تقضيها فتغسل بها ما فى نفسى من الحاجة الأولى.»

قال: «و ما هى يا أمير المؤمنين؟»

قال: «تجعل الأمر من بعد المهدى لنفسك.»

قال: «ما كنت لأدخل فيها بعد إذ خرجت منها.»

فلم يدعه هو و من حضره من أهل بيته حتى قال:

«و أمير المؤمنين أعلم.»

فقال بعض أهل الكوفة و قد مرّ به^(٢) عيسى فى مواكبه:

١. فى الأصل: عندى. فى آ و الطبرى (٣٣٧:١٠): عنده و هو صحيح.

٢. فى الأصل: بى. فى آ: به. و فى الطبرى (٣٣٨:١٠): عليه.

- «هذا الذي كان غداً فصار بعد غدٍ».

قول آخر في وجه خلع المنصور عيسى

و قد قيل في وجه خلع المنصور عيسى قول آخر^(١). و ذلك أنهم ذكروا [466] أن عيسى لما امتنع أن يجيب المنصور إلى ما أراد و أعياه الأمر، بعث إلى خالد بن برمك فقال له:

- «كلمه يا خالد، فقد اشتدَّ امتناعه و إن كانت عندك حيلة فيه فاذكرها، فقد ضلَّ عنا وجه الرأي فيه».

قال: «نعم، يا أمير المؤمنين، تضمَّ إلى ثلاثين رجلاً من كبار الشيعة ممَّن تختاره».

فركب خالد و ركبوا معه، فصاروا إلى عيسى، فأبلغوه رسالة أبي جعفر، فقال:

- «ما كنت لأخلع نفسي و قد جعل الله لي الأمر».

فأداره خالد بكلَّ وجه من وجوه الطمع والحذر، فأبى عليه، فخرج خالد عنه و خرج الشيعة بعده، فقال لهم^(٢) خالد:

- «ما عندكم في أمره؟»

قالوا: «نبليخ أمير المؤمنين رسالته و نخبره ما كان منك و منه».

قال: «لا، و لكننا نخبر أمير المؤمنين أنه أجاب و تشهد عليه إن أنكره».

فقالوا: «نفعل».

فقال لهم:

١. انظر الطبري (١٠: ٣٤٥).

٢. زيادة من آ.

- «ذا هو الصواب، و أبلغ لأمير المؤمنين فيما حاول و أراد.»
 قال: فصاروا إلى أبي جعفر و خالد معهم، فأعلموه أنه قد أجاب فأخرج
 التوقيع بالبيعة للمهديّ. و كتب بذلك إلى الآفاق.
 قال: و أتى عيسى بن [467] موسى لمّا بلغه الخبر أبا جعفر منكراً لما ادّعى
 عليه من الإجابة إلى تقديم المهديّ على نفسه و ذكره الله فيما همّ به، فدعاهم
 أبو جعفر، فسألهم، فقالوا:

- «نشهد عليه أنه قد أجاب و ليس له أن يراجع^(١).»
 فأمضى أبو جعفر الأمر و شكر لخالد ما كان منه.
 و كان المهديّ يعرف ذلك و يصف جزالة الرأي منه فيه.
 ولمّا رأى عيسى الأمر يتمّ، راسل المنصور و قال:
 - «يا أمير المؤمنين، أما و قد أبيتُ، فاجعل لرضاي فيه نصيباً.»
 فوجّه إليه خالد بن برمك فقرّر أمره على عشرة آلاف ألف درهم له، و
 ثلاثمائة ألف درهم بين أولاده، و سبعمائة ألف لنسائه.
 و حضر عيسى مجلس المنصور، و حضر معه جماعة الوجوه والأشراف
 والجنود فتكلّم عيسى و قال:
 - «اشهدوا أنّي خلعت نفسي ممّا كان إلى من ولاية العهد، و سلّمته للمهديّ
 محمّد بن أمير المؤمنين، و قدّمته على نفسي.»
 فقال له أبو عبد الله كاتب المهديّ:
 - «ليس هكذا أعزّ الله الأمير، ولكن قل ذلك بحقه و صدقه و أخبر بما
 رغبت فيه و أعطيته.»

قال: «نعم، بعث نصيبي من ولاية العهد [468] من عبد الله أمير المؤمنين،

١. كذا في الأصل و آ: يراجع. في الطبري (١٠: ٣٤٦): يرجع. و في حواشيه: يراجع.

لابنه محمد المهدي بن أمير المؤمنين، بعشرة آلاف ألف و ثلاثمائة ألف لولدي و سبعمائة ألف لنسائي - وسمّاهم واحداً و واحداً - بطيب من نفسى و حبّ لتصييرها إليه، لأنّه أولى بها و ليس لى يحقّ^(١) التقدمة قليل ولا كثير فما ادّعيته بعد يومى هذا منها فإننى مبطل لا حقّ لى فيه، و لا دعوى و لا طلبية». و كان ربما ترك الشىء بعد الشىء فيوقّفه عليه أبو عبيد الله حتى كُتب الكتاب و خُتم و شهد عليه الشهود.

و دخلت سنة ثمانٍ و أربعين و مائة
ولم يجر فيها شىء ممّا بلغنا تُستفاد منه تجربة.

و دخلت سنة تسع و أربعين و مائة
ولم يجر فيها شىء يُكتب و تُستفاد منه تجربة.

و دخلت سنة خمسين و مائة

فمما جرى فيها^(٢) خروج اشتادسييس فى أهل هرات و بادغيس و سجستان و غيرها من الكور بخراسان. فكان فيما ذكر، فى زهاء ثلاثمائة ألف مقاتل، فغلبوا على عامة خراسان. و خرج إليهم جماعة أهل بلدان و أمراء فهزمهم [469] و قتلهم. فوجّه المنصور خازم بن خزيمة إلى المهديّ، فولّاه المهديّ محاربة اشتادسييس و ضمّ إليه القواد.

و كان المهديّ يومئذٍ بنيسابور و كان كاتب المهديّ أبو عبيد الله و وزيره

١. فى الأصل: بحقّ و ما فى آ و مط مهمل. والعبارة فى الطبرى (٣٥١:١٠): و ليس فيها حقّ التقدمة.

٢. انظر الطبرى (٣٥٤:١٠).

يوهن أمر خازم، و يخرج الكتب إلى خازم و غيره من القواد بالأمر والنهي.

حيلة خازم في ذلك

فاعتلّ خازم و هو في عسكره يشرب الدواء، ثمّ ركب البريد حتّى قدم على المهديّ و أبو عبيد الله يظنّه في المعسكر ولا يعرف خبره. فلما قدم خازم نيسابور و دخل على المهديّ، استخلاه، فدخل أبو عبيد الله، فأمسك خازم فقال المهديّ:

«لا عيق^(١) عليك من معاوية، فقل ما بدالك.»

فأبى خازم أن يخبره أو يكلمه، حتّى قام أبو عبيد الله. فلما خلا به شكّا إليه^(٢) أبا عبيد الله معاوية و أخبره بعصبيته و تعامله و ما كانت ترد من كتبه عليه و على من قبله من القواد، و ما صاروا إليه بذلك من الفساد و التأمّر بأنفسهم و الاستبداد بآرائهم و قلّة السمع و الطاعة، و أنّ أمر الحرب لا يستقيم إلّا برأس ولا يكون [470] في عسكره لواء يخفق على رأس أحد إلّا لوائه أو لواء هو عقده. و أعلمه أنّه غير راجع إلى قتال استادسيس^(٣) إلّا بتفويض الأمر إليه و إعفائه من معاوية أبي عبيد الله، و أن يسمع منه أو يداخله فيما يدبره، و أن يكتب إليهم بالسمع والطاعة له.

فأجابه المهديّ إلى كلّ ما سأل، فانصرف خازم إلى عسكره، فعمل برأيه و حلّ لواء من رأى حلّ لوائه من القواد، و عقد لمن أراد، و ضمّ إليه من كان انهزم من الجند و جعلهم حشواً يكثر بهم من معه في أخريات الناس، ولم يقدّ

١. في الأصل و آ و مط: لا عين. في الطبري (٣٥٥:١٠): لا عيق عليك من أبي عبيد

الله. و في حواشيه: لا عين لا غبن.

٢. و في الطبري (٣٥٥:١٠): شكّا إليه أمر معاوية بن عبيد الله.

٣. في الطبري (٣٥٥:١٠): استادسيس.

مهم لما في قلوبهم من روعة الهزيمة.

و كان من ضمّ إليه من هذه الطبقة اثنين و عشرين ألفاً، ثم انتخب ستة آلاف من الجند فضّمهم إلى اثني عشر ألفاً كانوا معه متخيّرين، و كان بكّار بن مسلم العقيلي فيمن انتخب ثم تبعاً للقتال و خندق و جعل بكّاراً على مقدّمته و سعى لميمنتها و ميسرته و ساقتها من ارتضاهم. ثم سار إلى موضع اختاره، فنزله و خندق عليه، و أدخل خندقه جميع ما أراد، و أدخل إليه جميع أصحابه، و جعل له أربعة أبواب و جعل على كلّ [471] باب منها من أصحابه الذين انتخب و هم أربعة آلاف و جعل مع صاحب مقدّمته، و هو بكّار، ألفين تكملة لثمانية عشر ألفاً.

فأقبل الأعداء معهم المرور و الزبل^(١) و الفؤوس يريدون دفن الخندق ثم الهجوم عليهم. فأتوا الخندق من قبل بكّار بن مسلم، فشذّوا عليه شدة لم تكن لأصحاب بكّار نهاية دون أن انهزموا، حتّى دخلوا عليهم الخندق، فلما رأى ذلك بكّار رمى بنفسه، فترجّل على باب الخندق، ثم نادى أصحابه:

«يا بني الفواجر، أمن قبلي يؤتى المسلمون؟»

فترجّل معه من عشيرته و أهله نحو من خمسين رجلاً، فمنعوا بابهم حتّى أجلوا الناس عنه، و أقبل إلى الباب الذي كان عليه خازم رجل كان مع استاد سيس^(٢) من أهل سجستان يقال له الحرّيش و هو الذي كان يدبّر أمرهم.

حيلة لخازم حتّى هزم عدوّه

فلما رآه خازم مقبلاً بعث إلى الهيثم بن شعبة و هو في الميمنة أن:

«أخرج من بابك الذي أنت عليه، فخذ غير الطريق الذي يوصلك إلى الباب

١. في آ: المروز و الزمل. ما في الطبري (١٠: ٣٥٦): كالأصل.

٢. ما في الأصل: مهمل.

الذى عليه [472] بكار، فإن القوم قد شغلوا بالقتال و بالإقبال علينا، فإذا علوت فجزت مبلغ أبصارهم فأتهم من خلفهم.»
و قد كانوا فى تلك الأيام يتوقعون قدوم أبى عون و عمر بن سلم بن قتيبة من طخارستان.

و بعث خازم إلى بكار بن مسلم:

- «إذا رأيت رايات الهيثم بن شعبة قد جاءتك من خلف فكبروا و قولوا: قد جاء أهل طخارستان.»

ففعل ذلك الهيثم و خرج خازم فى القلب على الحريش السجستاني فاجتلدوا بالسيوف جلاداً شديداً و صبر بعضهم لبعض فبينما هم على تلك الحال إذ نظروا إلى أعلام الهيثم و أصحابه فتنادوا فيما بينهم:
- «جاء أهل طخارستان.»

فلما نظر أصحاب الحريش إلى تلك الأعلام و نظر من كان بإزاء بكار بن مسلم إليها شدّ عليهم^(١) أصحاب خازم فكشفوهم و لقيهم أصحاب الهيثم فطعنوهم بالرماح و رموهم بالنشاب و خرج عليهم أصحاب الميسرة و بكار بن مسلم و أصحابه من ناحيتهم، فهزموهم و وضعوا فيهم السيوف فقتلهم المسلمون و أكثروا. فكان من قتل منهم فى تلك المعركة نحواً من سبعين ألفاً، و أسروا أربعة عشر ألفاً ولجأ اشتادسيس^(٢) إلى جبل فى عدّة من أصحابه يسيرة. [473] فقدّم خازم الأربعة عشر ألف فضرب أعناقهم.

و سار إلى المكان الذى لجأ إليه اشتادسيس من الجبل فحصره حتّى نزلوا على حكم أبى عون. و كان أبو عون قدم بعد الواقعة، و قالوا:

١. فى مط: عليه.

٢. اشتادسيس. مهمل فى الأصل فى كل الأمكنة إلّا هنا فهو هنا معجم فى الثانى و إعجام الياء من الطبرى.

- «لا نرضى إلا بأبي عون».

فرضى خازم و أعطاهم النزول على حكم أبي عون، فلمّا نزلوا أمر أبو عون أن يوثق اشتادسيس و بنوه و أهل بيته بالحديد و أن يُعتق الباقون و هم ثلاثون ألفاً، فأنفذ ذلك خازم من حكم أبي عون.
و كتب خازم بالفتح إلى المهديّ، و كتب به المهديّ إلى المنصور.

ثم دخلت سنة إحدى و خمسين و مائة
و فيها بنى المنصور الرصافة في الجانب الشرقيّ من بغداد^(١) لا يسه المهديّ.

ذكر السبب في ذلك

إنصرف المهديّ من خراسان إلى بغداد و شغبت الرونديّة و حاربوه على باب الذهب، فدخل قُثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس، على المنصور و هو يومئذ شيخ كبير مقدّم عند القوم، فقال له أبو جعفر:
- «أما ترى ما نحن فيه من التيات الجند علينا [474] قد خفت أن تجتمع كلمتهم فيخرج هذا الأمر عنا، فما ترى؟»
قال:

- «يا أمير المؤمنين، عندي في هذا رأى إن أنا أظهرته لك فسد، و إن تركتني أمضيه صلحت لك خلافتك و هابك جندك.»
قال له: «أفتمضى في خلافتي أمراً لا تعلمنى ما هو؟»
فقال: «إن كنت عندك متهماً على دولتك فلا تشاورنى، و إن كنت مأموناً عليها فدعنى أمضى رأى.»

١. بغداد؛ هو في الأصل بالذال المعجمة حيناً و بالمهمله أحياناً كثيرة.

قال له: «فأمضه».

قال: فأنصرف قُثم إلى منزله، فدعا غلاماً له فقال:

«إذا كان غداً فتقدمني فاجلس في دار أمير المؤمنين، فإذا رأيته قد دخلت و توسّطت أصحاب المراتب، فخذ بعنان بغلتي، و استوقفني و استحلفني بحق رسول الله صلى الله عليه و حق العباس و حق أمير المؤمنين، لمّا وقفت لك، و سمعت مسألتك، و أجبت عنها، فإني أنتهرك و أغلظ لك القول، فلا يهولئك ذلك مني، و عاودني بالمسألة، فإني سأشتمك فلا يهولئك، و عاودني القول و المسألة، فإني سأضربك بالسوط فلا يشقّ ذلك عليك، و قل لي:

«أيّ الحيين أشرف، اليمن أم مضر؟»

فإذا أجبتك فغلّ عنان بغلتي و أنت حرّ».

قال: فغدا الغلام، فجلس حيث أمره به مولاه [475] من دار الخليفة، فلما جاء الشيخ فعل الغلام ما أمره به، و فعل المولى ما كان قال له و قال:

«أيّ الحيين أشرف، اليمن أم مضر؟»

فقال له قُثم:

«مضر، منها رسول الله صلى الله عليه و فيها كتاب الله، و فيها بيت الله، و

منها خليفة الله».

قال: فامتعضت اليمن إذ لم يذكر لها شيئاً من شرفها. فقال قائد من قوادر أهل اليمن لغلامه:

«قم، فخذ بعنان بغلة الشيخ فاكبجها كبجاً عنيفاً تطأ من^(١) منه».

ففعل الغلام ما أمر به مولاه حتّى كاد يعقها^(٢) على عراقبيها فامتعضت من

١. في الطبري (٣٦٦: ١٠) تطأ من به منه.

٢. كذا في الأصل و الطبري (٣٦٦: ١٠): يعقها. في مط: يعقها (بتقديم العين).

ذلك مضر فقالت:

- «أيفعل هذا بشيخنا؟»

فأمر رجل منهم غلامه فقال:

- «اقطع يد العبد.»

فقام إلى غلام اليماني فقطع يده فنفر الحيان و ضرب قثم بغلته، فدخل على أبي جعفر، و افترق الجند، و صارت مضر فرقة و اليمن فرقة و ربيعة فرقة و الخراسانية فرقة. فقال قثم:

- «قد فرقت بين جندك و جعلتهم أحزاباً كلّ حزب منهم يخاف أن يحدث حدثاً عليك فتضربه بالحزب الآخر، و قد بقي عليك في التدبير بقيّة.»
قال: «و ماهي؟»

قال: «اعبر بابنك، فابن له في ذلك الجانب قصرًا، و حوّل معه من جيشك قوماً، فيصير [476] ذلك بلداً، و هذا بلداً، فإن فسد عليك أهل هذا الجانب، ضربتهم بأهل ذلك الجانب، و إن فسدت عليك مضر، ضربتها بمن أطاعك من اليمن و ربيعة و الخراسانية، و إن فسدت عليك اليمن، ضربتها بمن أطاعك من مضر و غيرها.»

فقبل رأيه و مشورته، فاستوى له ملكه، و كان [ذلك]^(١) السبب في بناء الجانب الشرقي و هي الرصافة أولاً و إقطاع القوادر هناك.

ثم دخلت سنة اثنتين و خمسين [و مائة]^(٢)

و لم يجر فيها ما تستفاد منه تجربة.

١. ما بين المعقوفتين أضفناها من الطبري (١٠: ٣٦٧).

٢. أضفناها عن آ و مط و الطبري (١٠: ٣٦٩).

و دخلت ستا ثلاث و أربع او خمسين و مائة: (١)
ولم يجر فيها أيضاً شيء تستفاد منه تجربة.

ثم دخلت سنة خمس و خمسين و مائة

و فيها بنى المنصور مدينة الرافقة، و وجّه ابنه المهدى لبنائها، فبناها على
[بناء] (٢) مدينة بغداد فى أبوابها و فصولها و رحابها و شوارعها و خندق أبو
جعفر على الكوفة و البصرة. و جعل ما أنفق على ذلك من أموال أهلها.
فيحكى: أنه لما أراد بناء سور الكوفة و حفر الخندق لها، أمر بقسمة خمسة
دراهم (٣) خمسة دراهم على أهل الكوفة، و أراد بذلك علم عددهم، فلما عرف
عددهم أمر بجبايتهم أربعين درهماً من كلّ إنسان، [477] فجبوا (٤). ثم أمر
بإنفاق ذلك على سور الكوفة و حفر الخندق لها، فقال شاعرهم:

يألقوم (٥) مآلقينا من أمير المؤمنين
قسم الخمسة فينا و جباناً الأربعينا

عزل أسيد عن الجزيرة

و فيها عزل المنصور يزيد بن أسيد عن الجزيرة و ولّاه أخاه العباس بن
محمد، فشكا يزيد إلى أبى العباس فقال:

١. أضفناها عن آ و مط و الطبرى (١٠: ٣٦٧)

٢. تكلمة من الطبرى (١٠: ٣٧٣)

٣. فى الأصل و آ: درهم فى كلا الموضعين.

٤. الضبط من الأصل.

٥. فى الطبرى (١٠: ٣٧٤): تقومى.

- «يا أمير المؤمنين، إن أخاك أساء عزلي وشتي عرضي»
فقال له المنصور:

- «اجمع بين إحساني إليك وإساءة أخى يعتدلا»
فقال يزيد:

- «يا أمير المؤمنين، إذا كان إحسانكم جزاءً بإساءتكم، كانت طاعتنا لكم
تفضلاً منا عليكم».

و دخلت سنتا ستّ و سبع و خمسين و مائة
ولم يجر فيهما ما تستفاد منه تجربة.

ثم دخلت سنة ثمان و خمسين و مائة
و فيها غضب المنصور على محمد بن إبراهيم بن محمد بن عليّ و كان أمير
مكة.

غضب المنصور على محمد بن إبراهيم
و كان السبب في ذلك أنّ المنصور كتب إليه يأمره بحبس رجل من آل أبي
طالب و بحبس الثوري و ابن جريح و عبّاد بن كثير، فحبسهم^(١)
و كان له ستار بالليل فلما كان وقت سمره [478] أبلس و أكبّ على
الأرض ينظر إليها ولم ينطق بحرف، حتّى تفرّقوا. قال: فدنوت منه فقلت:
- «قد رأيت مابك، فما لك؟»
قال:

١. وزاد في الطبري (١٠: ٣٨٥): فأطلقهم بغير إذن أبي جعفر.

- «عمدت إلى ذى رحم برسول الله، صلى الله عليه، فحبسته، و إلى عيون من عيون المسلمين فحبستهم و يقدم أمير المؤمنين السنة، فلا أدري ما يكون، و لعله أن يأمر بقتلهم فيقوى سلطانه و أهلك ديني.»

قال: فقلت: «فتصنع ماذا؟»

قال: «أوثر الله، و أطلق القوم، اذهب إلى إبلى فخذ راحلة منها، وخذ خمسين ديناراً، فأت بها الطالبي، فأقرئه السلام و قل له: ابن عمك يسألك أن تحله من ترويعه إياك، و تركب هذه الراحلة و تأخذ هذه النفقة.»

قال: فلما أحس بي، جعل يتعوذ بالله من شري، فلما أبلغته الرسالة قال:

- «هو في حل ولا حاجة بي إلى النفقة ولا إلى الراحلة.»

قال: فقلت له:

- «إن أطيب لنفسه أن تأخذ.» ففعل.

ثم جئت إلى ابن جريح و إلى سفيان و عبّاد فأبلغتهم ما قال، قالوا:

- «هو في حل.»

قال: قلت لهم:

- «لا يظهرون أحد منكم مادام المنصور مقيماً.»

فلما قرب المنصور، وجهني محمد بن إبراهيم بالطاف، فلما أخبر المنصور أن رسول محمد بن إبراهيم قدم، أمر بالإبل فضربت وجوها. فلما صار إلى بشر ميمون لقيه محمد بن إبراهيم [479] فلما أخبر بذلك أمر بدوابه فضربت وجوها، فعدل محمد فكان يسير في ناحية، و عدل بأبي جعفر عن الطريق في الشق الأيسر فأنىخ به، و محمد واقف قبالة و معه طبيب له، فلما ركب أبو جعفر و سار، أمر محمد الطبيب، فمضى إلى مناخ أبي جعفر فرأى نجوه، فقال لمحمد:

- «رأيت نجو رجل لا تطول به الحياة.»

فلما دخل مكة لم يلبث أن مات، و سلم محمد.
ولما مات المنصور، وكان ذلك لسبب خلون من ذي الحجة، كتبه الربيع، و
أحضر أهل بيته و ذوى الأسنان منهم، ثم أحضر عامتهم، و أخذ بيعتهم
للمهدي، ثم لعيسى بن موسى من بعده. فلما فرغ من بيعتهم، دعا بالقواد حتى
بايعوا. ولم يتكلم أحد إلا على بن عيسى بن ماهان، فإنه أبى عند ذكر عيسى
بن موسى أن يبايع، فلطمه محمد بن سليمان و أمصه^(١) و قال:
«من هذا العليج؟»

و هم بضرب عنقه، فبايع، ثم تتابع الناس بالبيعة.
وتوفى وله نيف وستون سنة، و اختلف في النيف، و كانت ولايته اثنتين و
عشرين سنة.

ذكر بعض سير المنصور [480]

ذكر الفضل بن الربيع حكاية عن أبيه قال: بينا أنا قائم بين يدي المنصور إذ
أتى بخارجي قد هزم له جيوشاً، فأقامه ليضرب عنقه، ثم اقتحمته عينه فقال:
«يا بن الفاعلة، مثلك يهزم الجيوش؟» فقال له الخارجى:
«ويلك، سوءة لك، بينى وبينك أمس السيف والقتل، و اليوم القذف و
السب، ما كان يؤمنك أن أرد عليك و قد يشت من الحياة فلا تستقيها أبداً.»
قال: فاستحيى منه المنصور فأطلقه، و ما رأى أحد وجهه حولاً.
و حكى سلام الأبرش قال: كنت و أنا وصيف^(٢) و غلام آخر نخدم
المنصور، و كان من أحسن الناس خلقاً ما لم يخرج للناس و أشدهم احتمالاً

١. فى آ و مط: و أمصه. و الطبرى (٣٨٩:١٠) كالأصل.

٢. فى آ: كنت أنا و وصيف و غلام.

لما يكون من عبث الصبيان، فإذا لبس ثيابه تغيّر لونه و تزبد وجهه و احمرّت عيناه، فيخرج و يكون منه ما يكون، فإذا رجع، عاد لمثل ذلك فنستقبله في ممشاء، فربّما عاتبنا، و قال لي يوماً:

- «يا بني، إذا رأيتموني قد لبست ثيابي أو رجعت من مجلسي فلا يدنون أحد منكم مني لا أعزّه بشر^(١)»
و قال المنصور يوماً:

- «ما كان أحوجني أن يكون علي بابي أربعة نفر لا يكون أعفّ منهم»
قيل له:

- «و من هم يا أمير المؤمنين؟» [481]

قال: «هم أركان الملك، ولا يصلح الملك إلّا بهم، كما أن السرير لا يصلح إلّا بأربع قوائم إن نقصت قائمة واحدة لم تستقم، أمّا أحدهم فقاضي لا تأخذه في الله لومة لائم، والآخر صاحب شرطة يأخذ للضعيف من القوى، و الثالث، صاحب خراج يستقصي لي ولا يظلم الرعيّة، فإني غنيّ عن ظلمهم»
ثمّ عضّ على إصبعه السّبابة و قال:

- «آه، آه»

قيل له: «يا أمير المؤمنين، و من هو^(٢)؟»

قال: «صاحب بريد يكتب إليّ بخبر هولاء على الصّحة»
و قدّم إلى المنصور رجلان أحدهما شاميّ والآخر عراقيّ وقد ولّاهما خراج ناحيتهما، فقال للشاميّ بعد ما وصّاه و تقدّم إليه بما أراد:
- «ما أعرفني بما في نفسك، كأنّي بك و قد خرجت من عندي فقلتّ الزم

١. في الطبري (١٥: ٣٩٣): مخافة أن أعزّه بشيء.

٢. في مط: و من هو الرابع.

الصحة يلزمك العمل..»

و قال للعراقي بعد ما وصّاه:

«ما أعرفني بما في نفسك كأني بك و قد خرجت من عندي فقلت: من عال بعدها فلا انجبر^(١) اخرج عني و امض إلى عملك، و والله لئن تعرّضت لذلك لأبلغن من عقوبتك ما تستحقّه.»

قال: فوليا جميعاً و ناصحاً.

و ذكر إسحاق بن عيسى بن موسى أن المنصور ولى [482] رجلاً من العرب حضرموت،^(٢) فكتب إليه صاحب البريد:

إنه يُكثر الخروج في طلب الصيد و قد أعدّ بُزاة و كلاباً كثيرة.
فكتب إليه:

«ثكلتك أمك و عذمتك عشيرتك ما هذه العُدّة التي جمعتها، للنكاية في الوحش؟ إنما استكفيناك أمور المسلمين و لم نستكفك أمور الوحش، سلّم ما كنت تلى من عملنا إلى فلان، و الحق بأهلك ملوماً مدحوراً.»

و ذكر الهيثم بن عدى أن ابن عيّاش حدّثه أن ابن هبيرة أرسل إلى المنصور و هو محصور بواسط و المنصور بإزائه:

«إني خارج يوم كذا و كذا و داعيك إلى المبارزة، فقد بلغني تجبينك أياً.»

فكتب إليه:

«يا ابن هبيرة، إنك متعدّ طورك، جارٍ في عنان غيئك، يعدك الشيطان ما الله مكذّبه، و يقرب لك ما الله مباعدّه، فريداً تتمّ الكلمة، و يبلغ الكتاب أجله، و

١. في الطبري (١٠: ٣٩٩): اجتبر، و في حواشيه: الخبر، انجبر. في آ: انجبر

٢. كذا في الأصل و آ و الطبري (١٠: ٣٩٩): من العرب حضرموت.

قد ضربت لك مثلى و مثلك: بلغنى أن أسداً لقي خنزيراً، فقال له الخنزير: قاتلنى. فقال له الأسد: إنما أنت خنزير، ولست لى بكفو ولا نظير، ومتى فعلت الذى دعوتنى إليه فقتلتك، قيل: قتل الأسد خنزيراً، [483] فلم أعتقد^(١) بذلك فخراً ولا ذكراً، و إن نالنى منك شيء كان سبّة علىّ. فقال: إن أنت لم تفعل رجعت إلى السباع، فأعلمتها أنك نكلت عني، و جبنت عن قتالى. فقال الأسد: احتمالى عار كذبك أيسر من لطح شاربى بدمك.

و ذكر لأبى جعفر تدبير هشام بن عبد الملك فى حرب كانت له، فبعث إلى رجل يصحبه قديماً ينزل^(٢) رصافة هشام، يسأله عن تلك الحرب، فقدم عليه فقال:

- «أنت صاحب هشام؟»

قال: «نعم يا أمير المؤمنين.»

قال: «فاخبرنى كيف صنع فى حرب دبرها فى سنة كذا؟»

فقال:

- «إنه عمل فيها، رحمة الله عليه، كذا و كذا، ثم أتبع بأن فعل، رضى الله عنه،

كذا و كذا.»

فأحفظ ذلك المنصور فقال:

- «قم، غضب الله عليك، تطأ بساطى و تترحم على عدوى.»

فقام الشيخ و هو يقول:

- «إن لعدوك قلادة فى عنقى و منة فى رقبتي لا ينزعها عني إلا غاسلى.»

فأمر برده و قال:

١. كذا فى آ و الطبرى (١٠: ٤١٢).

٢. فى الطبرى (١٠: ٤١٢): ينزل الرصافة، رصافة هشام.

«أقعد، هيه، كيف قلت و ما صنع بك؟»

فقال:

«إنه كفاني الطلب، وصان وجهي عن السؤال، فلم أقف على باب عربي ولا عجمي منذ رأيت، أفلا يجب علي أن أذكره بخير و أتبعه [484] بشائتي؟»
قال: «بلى والله، لله أم نهضت عنك ليلة أدتك، أشهد أنك نهضت حرة و غراس كريم.»

ثم استمع منه، و أمر له ببر. فقال:

«يا أمير المؤمنين، ما آخذه لحاجة، و ما هو إلا تشرف بحبائك و تبجح بصلتك.»

و أخذ الصلة و خرج. فقال المنصور:

«لمثل هذا تحسن الصنعة، و يوضع المعروف، و يُجَاد بالمصون، و أين في عسكرنا مثله!»

و أبطأ المنصور عن الخروج إلى الناس و الركوب، فقال الناس: هو عليل و كثرا. قال: فدخل الربيع عليه، فقال:

«يا أمير المؤمنين، لأمر المؤمنين طول البقاء و الناس يقولون...»
قال: «ما يقولون؟»

قال:

«يقولون: عليل.»

قال: فأطرق قليلاً و قال:

«يا ربيع، مالنا و للعامة، إنما تحتاج العامة إلى ثلاث خلال، فإذا فعل بهم فما حاجتهم إذا أقيم لهم من ينظر في أحكامهم، و ينصف بعضهم من بعض، و يؤمن سبلهم حتى لا يخافوا ليلهم و نهارهم، و يسد ثغورهم و أطرافهم حتى لا يجيئهم عدوهم، و قد فعلنا ذلك بهم.»

ثم مكث أَيْاماً و قال:

- «يا ربيع، اضرب الطبل.»

فركب حتّى رآته [485] العامة.

و ظفر المنصور برجل من كبراء بنى أميّة فقال:

- «إني أسألك عن أشياء فاصدقني و لك الأمان.»

قال: «نعم.»

فقال له المنصور:

- «من أين أتى بنو أميّة حتّى انتشر أمرهم؟»

قال: «من تضييع الأخبار.»

و كان المنصور يقول: ليس بإنسان من أسدى إليه معروف فنسيه قبل الموت.

و كان يقول: العرب تقول: العرئ القادح خير من الزّى الفاضح.

و دخل على المنصور رجل من أهل العلم فازدراء و اقتحمته عينه فجعل لا

يسأله عن شيء إلّا وجده عنده. فقال له:

- «أنتى لك هذا العلم.»

قال: «لم أبخل بعلم علمته، ولم أستحى من علم أتعلّمه.»

قال: «فمن هناك.»

و كان المنصور كثيراً ما يقول: من فعل بغير تدبير، و قال فى غير تقدير، لم

يعدم من الناس هازناً أو لاجياً.

و كان المنصور يقول: الملوك تحتل كلّ شيء من أصحابها إلّا ثلاثاً: إغشاء

السّر، و التعرّض للحرمة، و القدح فى الملك.

و لمّا حُمل عبد الجبّار بن عبد الرّحمن الأزدى إلى المنصور بعد خروجه

عليه، قال له:

- «يا أمير المؤمنين، قتلة كريمة.» [486] قال:

ـ «تركناها وراءك يا بن الخناء».

و خطب يوماً بمدينة السلام سنة اثنتين و خمسين و مائة، فقال:

ـ «لا تظالموا، فإنها ظلمة يوم القيامة. و الله لو لا يد خاطئة، و ظلم

ظالم، لمشيت بين أظهركم و أسواقكم، ولو علمت مكان من هو

أحق مني بهذا الأمر، لأتيته حتى أدفعها إليه».

و قال يوماً: «من علم أنه إنما صنع إلى نفسه، لم يستبطئ الناس في شكرهم

ولم يستزدهم في مودتهم، فلا تلتمس من غيرك شكر ما أتيت به إلى نفسك و

وقيت به عرضك، و اعلم أن طالب الحاجة إليك لم يُكرم وجهه عن مسألتك،

فأكرم وجهك عن ردّه.

و خطب يوماً فقال:

ـ «الحمد لله أحمده و استعين به و أتوكل عليه، و أشهد أن لا إله

إلا الله، وحده لا شريك له...»

فاعترض معترض عن يمينه فقال:

ـ «أيها الإنسان، أذكرك من ذكرت به».

فقطع الخطبة و قال:

ـ «سمعاً، سمعاً لمن حفظ عن الله، و ذكر به، و أعوذ بالله أن أكون جباراً

عنيداً^(١) و أن تأخذني العزة بالائتم^(٢)، لقد ضللت إذا و ما [487] أنا من

المهتدين^(٣).

١. انظر، س ١٤ ابراهيم؛ ١٥.

٢. انظر، س ٢ البقرة؛ ٢٠٦.

٣. انظر، س ٦ الانعام؛ ٥٦.

«و أنت أيها القاتل، فو الله ما أردت بهذا صلاحاً، و لكنك حاولت أن يقال: قام، فقال، فعُوقِب، فصبر، و أهون بها. و يلك لو هممت فاهتبلها إذ غفرتُ. و إياك و إياكم^(١) أيها الناس و أختها، فإنَّ الحكمة علينا نزلت و من عندنا فصلت فردوا الأمر إلى أهله يوردوه موارد و يصدروه مصادره.»

ثم عاد في خطبته كأنما يقرأها من راحته:

«و.. أشهد أن محمداً عبده و رسوله...»

و خطب المنصور بالمدائن عند قتل أبي مسلم فقال:

«أيها الناس، لا تخرجوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية، ولا تسرّوا غش الأئمة، فإنه لم يُسرَّ أحد منكم قطّ منكرة إلاّ ظهرت في آثار يده أو فلتات لسانه، و أبداها الله لإمامه بإعزاز دينه و إعلاء حقّه. إنا لم نبخسكم حقوقكم ولم نبخس الدين حقّه عليكم، إنّه من نازعنا عروة هذا القميص أجزرناه خبيّة^(٢) هذا الغمد، و إنّ أبا مسلم بايعنا و بايع لنا على أنّه من نكث بنا فقد أباح دمه. ثمّ نكث بنا، فحكمنا عليه حكمه على غيره لنا^(٣) ولم نمنعنا رعاية الحقّ له من إقامة [488] الحقّ عليه.»

و كتب صاحب أرمينية^(٤) إلى المنصور، إنّ الجند شغبوا عليه و كسروا أقفال بيت المال، فأخذوا ما فيه.

فوقع في كتابه:

«إعتزل عملنا مذموماً، فلو عقلت لم يشغبوا، ولو قويت لم ينتهبوا.»

١. في الأصل: تكرر «إياكم» و ما أثبتناه بويده آ و الطبري (١٠: ٤٢٧).

٢. في الطبري (١٠: ٤٣٣): خبيّة.

٣. انظر الطبري (١٠: ٤٣٣).

٤. انظر الطبري (١٠: ٤٣٦).

خلافة المهدي

و في هذه السنة بويح للمهدي واسمه محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس.

و دخلت سنة تسع و خمسين و مائة

و فيها أمر المهدي بإطلاق من كان في سجن المنصور، إلا من كان قبلة تباعة في دم أو قتل، أو من كان معروفاً بالسعي في الأرض بالفساد و كان لأحد قبلة مظلمة أو حق، فأطلقوا.

و كان ممن أطلق من المطبق يعقوب بن داود مولى بني سليم، و كان معه في ذلك الحبس محبوباً الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام فلم يطلق.

و ارتفع يعقوب بن داود

و اختص بالمهدي حتى سمّاه أخاً في الله.

ذكر السبب في ذلك

لما أطلق يعقوب بن داود ولم يطلق الحسن بن إبراهيم ساء ظن الحسن و خاف على نفسه [489] فالتمس مخرجاً لنفسه و خلاصاً، فبعث إلى بعض ثقاته

فحفر له سرباً من موضع مُسامت للموضع الذي هو فيه محبوس.
و كان يعقوب بن داود بعد أن أطلق يطيف با بن عُلَّاثَة و هو قاضى المهديّ
بمدينة السلام ويلزمه حتّى أنس به، و عرف يعقوب ما عزم عليه الحسن بن
إبراهيم من الهرب، فأتى ابن عُلَّاثَة فأخبره أنّ عنده نصيحة للمهديّ، و سأله
إيصاله إلى أبى عبيد الله، فسأله عن تلك النصيحة، فأبى أن يخبره و حدّره
فوتها، فانطلق ابن عُلَّاثَة إلى أبى عبيد الله، فأخبره خبر يعقوب و ما جاءه به،
فأمر بإدخاله عليه.

فلما دخل سأله إيصاله إلى المهديّ ليورد عليه النصيحة التى له عنده، فأدخله
عليه، فلما دخل على المهديّ، شكر له بلاءه عنده فى إطلاقه إيّاه، ثمّ أخبره أنّ
له عنده نصيحة، فسأله عنها بمحضر من أبى عبيد الله و ابن عُلَّاثَة، فاستخلاه
منهما، فأعلمه المهديّ ثقته بهما، فأبى أن يبوح له بشيء حتّى يقوما، فأقامهما،
فأخلاه، فأخبره خبر الحسن بن إبراهيم و ما أجمع به، و أنّ ذلك كائن من ليلته
المستقبله. فوجّه المهديّ من وثق به ليأتيه بخبره فأتاه بتحقيق ما أخبره به
[490] يعقوب، فأمر بتحويله إلى نصير، فلم يزل فى حبسه إلى أن احتال أو
أحتيل له، فخرج هارباً وافتقد فشاع هربه، فطلب فلم يُظفر به، و تذكر المهديّ
دلالة يعقوب إيّاه كانت عليه، فرجا عنده من الدلالة عليه مثل الذى كان منه فى
أمره، فسأل أبا عبيد الله عنه، فأخبره أنّه حاضر. و قد كان لزم أبا عبيد الله فدعا
به المهديّ خالياً فذكر له ما كان من فعله فى أمر الحسن بن إبراهيم أولاً، و
نصحه له فيه، و أخبره بما حدث من أمره، فأخبره يعقوب أنّه لا علم له بمكانه،
و أنّه إن أعطاه أماناً^(١) يشقّ به، ضمن له أن يأتيه به، على أن يتمّ له على أمانه و
يصله و يُحسن إليه. فأعطاه المهديّ ذلك فى مجلسه و ضمنه له.

١. أماناً: فى آ: ضمناً. و الطبرى (١٠: ٤٦٣) كالأصل.

فقال له يعقوب:

«قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ ذِكْرِهِ، وَدَعِ طَلْبَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَوْحِشُهُ، وَدَعْنِي وَإِيَّاهُ حَتَّى أُحْتَاطَ لَهُ فَأَتِيكَ بِهِ.»

قال يعقوب:

«يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ بَسَطْتَ عَدْلَكَ لِرَعِيَّتِكَ وَأَنْصَفْتَهُمْ وَعَمَّمْتَهُمْ بِخَيْرِكَ وَفَضْلِكَ، فَعَظُمَ رَجَاؤُهُمْ، وَانْفَسَحَتْ آمَالُهُمْ، وَقَدْ بَقِيَتْ أَشْيَاءُ لَوْ ذَكَرْتَهَا لَمْ تَدَعْ [491] النَّظَرَ فِيهَا بِمِثْلِ مَا فَعَلْتَ فِي غَيْرِهَا، وَأَشْيَاءُ مَعَ ذَلِكَ وَخَلْفَ بَابِكَ يَعْمَلُ بِهَا لَا تَعْلَمُهَا، فَإِنْ جَعَلْتَ لِي السَّبِيلَ إِلَى الدَّخُولِ عَلَيْكَ، وَأَذَنْتَ لِي فِي رَفْعِهَا إِلَيْكَ، فَعَلْتُ.»

فَأَعْطَاهُ الْمَهْدِيُّ ذَلِكَ وَجَعَلَهُ إِلَيْهِ وَصِيْرَ سُلَيْمَانَ الْخَادِمِ الْأَسْوَدِ خَادِمِ الْمَنْصُورِ سَبِيْبِهِ [فِي] ^(١) إِعْلَامِ الْمَهْدِيِّ بِمَكَانِهِ كُلَّمَا أَرَادَ الدَّخُولَ، فَكَانَ يَعْقُوبُ يَدْخُلُ عَلَى الْمَهْدِيِّ لَيْلاً وَيَرْفَعُ إِلَيْهِ النَّصَائِحَ فِي الْأُمُورِ الْحَسَنَةِ الْجَمِيلَةِ مِنْ أَمْرِ الثَّغُورِ وَبِنَاءِ الْحَصُونِ وَتَقْوِيَةِ الْغَزَاةِ وَتَرْوِيحِ الْعِزَابِ وَفِكَائِ الْأَسَارَى وَالمَحْبُوسِينَ وَالقَضَاءِ عَلَى الْغَارِمِينَ وَالصَّدَقَةِ عَلَى الْمُتَعَفِّفِينَ. فَحَظَى بِذَلِكَ عِنْدَهُ وَرَبَّمَا رَجَا أَنْ يَنْتَالَ بِهِ مِنَ الظَّفَرِ بِالْحَسَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَاتَّخَذَهُ أَخاً فِي اللَّهِ وَأَخْرَجَ بِذَلِكَ تَوْقِيعاً ثَبَتَ فِي الدَّوَاوِينِ وَوَصَلَهُ بِمِائَةِ أَلْفٍ، وَكَانَتْ أَوَّلَ صَلَاةٍ وَصَلَهُ بِهَا، فَلَمْ تَزَلْ مَنْزِلَتُهُ تَنْمُو وَتَعْلُو صُعْدًا إِلَى أَنْ صَبَّرَ الْحَسَنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ فِي يَدِ الْمَهْدِيِّ.

تَحَرَّكَ الشَّيْعَةُ وَوَجَّهَ أَهْلَ خِرَاسَانَ

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ ^(٢) تَحَرَّكَ قَوْمٌ مِنَ الشَّيْعَةِ وَوَجَّهَ أَهْلَ خِرَاسَانَ، وَسَعَوْا فِي

١. فِي الْأَصْلِ: وَاعْلَام. وَلَا يَسْتَقِيمُ مَعَهُ الْمَعْنَى. وَ مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ مِنَ الطَّبَرِيِّ (١٠: ٤٦٤). فِي عَج (٢٧١): يَعْلَمُ الْمَهْدِيُّ.

٢. سَنَتُهُ ١٥٩.

خلع عيسى بن موسى و تصيير ولاية العهد [492] لموسى بن المهدي. فكتب المهدي إلى عيسى بن موسى و هو بالكوفة، في القدوم عليه. فأحس عيسى بما يراد منه، فامتنع حتى خشي من إنتقاضه و ألح المهدي عليه حتى كتب إليه: «إِنَّكَ إِنْ اِمْتَنَعْتَ مِنَ الْمَجِيءِ اسْتَحْلَلْتُ مِنْكَ لِمَعْصِيَتِكَ مَا يَسْتَحِلُّ مِنَ الْعَاصِي، وَإِنْ أَجَبْتَنِي وَ خَلَعْتَ نَفْسَكَ حَتَّى أَبَايَعَ لِمُوسَى وَ هَارُونَ عَوَّضْتُكَ مَا هُوَ أَجْدَى عَلَيْكَ وَ أَعْجَلَ نَفْعاً».

فأجابه فبايع لهما، و أمر له بعشرة آلاف ألف،^(١) و يقال بعشرين ألف ألف و قطائع كثيرة.

فامتنع وراوغ، فوجه إليه محمد بن فروخ و هو أبو هريرة القائد في ألف رجل من أصحابه ذوي البصائر في التشيع، و جعل مع كل رجل منهم طبلاً، و أمرهم أن يضربوا جميعاً بطبولهم عند قدومهم الكوفة، فدخلها ليلاً في وجه الصبح، فضرب أصحابه بطبولهم، فراع ذلك عيسى بن موسى روعاً شديداً. ثم دخل عليه أبو هريرة فأمره بالشخص، فاعتل بالشكوى، فلم يقبل ذلك منه و أشخصه من ساعته إلى مدينة السلام.

و دخلت سنة ستين و مائة

قدوم عيسى بن موسى

و فيها قدم عيسى بن موسى مع أبي هريرة لست خلون من المحرم، و أقام أياماً [493] يختلف إلى المهدي على رسمه لا يكلم ولا يرى جفوة ولا مكروهاً حتى أنس بعض الأتس. ثم حضر الدار يوماً قبل جلوس المهدي، فدخل مجلساً كان يكون للربيع في مقصورة صغيرة عليها باب، و قد اجتمع

روؤساء الشيعة في ذلك اليوم على خلعه والوثوب به، ففعلوا ذلك و ضربوا الباب بجرزهم و عُمدهم، فهشموا الباب و كادوا يكسرونه، و شتموه أقبح شتم، و أظهر المهدي إنكاراً لذلك فلم يزعمهم^(١) ذلك، بل زادوا إلى أن كاشفه ذوو الأسنان من قومه و أهل بيته بحضرة المهدي و أبوا إلا خلعه و شتموه في وجهه و كان أشدهم عليه محمد بن سليمان.

فلما رأى المهدي ذلك من رأيهم، أمر عيسى بموافقتهم، و دعاه إلى الخروج ممّا له من العهد في أعناق المسلمين و تحليلهم منه، فأبى، و ذكر أنّ عليه أيماناً محرّجة في ماله و أهله فأحضر له من الفقهاء و القضاة، منهم محمد بن عبد الله بن علاثة^(٢) و غيره من أفتاه بأن يبتاع أمير المؤمنين ما له في أعناق الناس بما له فيه رضاه ممّا يخرج منه من ما له لما يلزمه من الحنث في يمينه، و هو عشرة آلاف ألف درهم، و ضياع بالزباب الأعلى و كشكر، فقبل ذلك [494] عيسى و خلع نفسه على المنبر، و بوع لموسى بعد المهدي.

و كُتب عليه بذلك كتاب قرئ عليه بحضرة الأشراف و القضاة و العدول، فاعترف به، و بذل خطّه^(٣) فيه و شهد فيه أربعمئة و ثلاثون رجلاً من بنى هاشم و الصحابة من قريش و الموالى و الوزراء و الكتّاب و القضاة.

حجّ المهديّ و ما كان منه في مكة و المدينة

و في هذه السنة حجّ المهديّ بالناس و حجّ معه ابنه هارون و جماعة من أهل بيته. و كان ممّن شخص معه يعقوب بن داود على منزلته الرفيعة التي كانت

١. في الأصل: يزعمهم. و هو خطأ. في آ و مط: يزعمهم. في الطبري (١٠: ٤٧١) و عح

(٢٧١): يزعمهم.

٢. لا شدة عليه هنا في الأصل و في الطبري (١٠: ٤٧٢).

٣. انظر الطبري (١٠: ٤٧٤).

عنده، فأتاه حين وافى مكة بالحسن بن إبراهيم بن عبد الله الذي كان استأمن له، فأحسن المهدى صلته و جائزته و أقطعه مالا من الصوافى بالحجاز.

و فيها نزع المهدى كسوة الكعبة التي كانت عليها، و كساها كسوة جديدة، و ذلك أن حجة الكعبة رفعوا إليه أنهم يخافون أن تنهدم لكثرة ما عليها من الكسوة، فأمر بتخية ما عليها^(١) حتى بقيت مجردة ثم طلى البيت بالخلوق و كسى.

و حكى أنهم لما بلغوا إلى كسوة هشام وجدوها ديباجاً ثخيناً جداً، و وجدوا كسوة من كان قبله عامتها من متاع اليمن.

و قسم المهدى في هذه السنة مالا عظيماً في أهل مكة و المدينة. فذكر أنه قسم في تلك السفرة [495] ثلاثين ألف ألف درهم حملت معه و وصل إليه من مصر ثلاثمائة ألف دينار، و من اليمن مائتا ألف دينار، فوهب ذلك كله و فرق من الثياب مائة ألف و خمسين ألف ثوب، و وسع مسجد رسول الله، صلى الله عليه، و أمر بنزع المقصورة التي في المسجد فنزعته و أراد أن ينقض منبر رسول الله، صلى الله عليه، فيعيد به إلى ما كان عليه و يلقي منه ما كان معاوية زاد فيه، فشاور في ذلك مالك بن أنس، فقبل له:

«إن المسامير قد سلكت في الخشب الذي أحدثه معاوية في الخشب الأول و هو عتيق ولا نأمن إن خرجت المسامير التي فيه و زُعزعت أن ينكسر، فتركه المهدى على ذلك.

ثم دخلت سنة إحدى وستين و مائة

خروج المقنع بخراسان

و فيها خرج حكيم المقنع بخراسان، و كان يقول بتناسخ الأرواح، فاستغوى

١. «فأمر بتخية ما عليها» غير موجودة لا في الأصل ولا في آ، زدناها من مط. في الطبري: فأمر أن يكشف عنها.

بشراً كثيراً، و قوئ و سار إلى ما وراء النهر، فوجه المهدي لقتاله عُدّة من قوّاده فيهم معاذ بن مسلم، و هو يومئذ على خراسان، ثمّ أفرد المهدي لمحاربته سعيداً الحرشي، و ضمّ إليه هؤلاء القوّاد. و ابتدأ المقنع بجمع الطعام في قلعة [496] بكش^(١) عُدّة للحصار.

ظفر بشر بعبد الله بن مروان

و فيها ظفر بشر بن محمد بن الأشعث الخزاعي بعبد الله بن مروان بالشام فقدم به على المهدي فجلس المهدي مجلساً عاماً في الرصافة و قال:
- «من يعرف هذا؟»

فقام عبد العزيز بن مسلم العقيلي فصار معه قائماً ثمّ قال له:
- «أبا الحكم؟»

قال: «نعم».

قال: «كيف كنت بعدى؟»

ثمّ التفت إلى المهدي فقال:

- «نعم يا أمير المؤمنين، هذا عبد الله بن مروان».

فعجب الناس من جرأته ولم يعرض له المهدي بشيء. ثمّ جاء بعد ذلك بأيّام عمرو بن سهلة الأشعري فادّعى أنّ عبد الله بن مروان قتل أباه و كثرت الحيل على عبد الله بن مروان. فقدّم عمرو بن سهلة عبد الله بن مروان إلى عافية القاضي وادّعى عليه، فتوجه الحكم أن يقاد به، و أقام عليه البيّنة. فلمّا كاد الحكم يبرم، جاء عبد العزيز بن مسلم العقيلي إلى عافية القاضي يتخطى رقاب الناس حتّى صار إليه فقال:

١. في الطبري (١٠: ٤٨٤) بالشين المعجمة: بكش.

- «يزعم عمرو بن سهلة أن عبد الله بن مروان قتل أباه. كذب والله، ما قتل أباه غيري أنا، قتلته بأمر مروان، و عبد الله بن مروان من دمه بريء.»
 فزالت عن عبد الله بن مروان^(١) و لم يعرض المهديّ لعبد العزيز بن مسلم،
 لأنّه قتله بأمر مروان. [497]
 و فيها أمر المهديّ يعقوب بن داود بتوجيه الأمان من قبله إلى جميع
 آفاق، ففعل. و كان لا ينفذ للمهديّ كتاب إلى عامل فيجوز حتّى يكتب
 يعقوب إلى ثقته و أمينه بإنفاذ ذلك.

و اتّضعت منزلة أبي عبيد الله وزير المهديّ

ذكر السبب في ذلك

كان الربيع يخلف أبا عبيد الله عند المنصور بجميل أيام مقامه بالريّ مع
 المهديّ و كان الموالي يسعون أبا عبيد الله عند المهديّ، فكان أبو عبيد الله
 يخاف تغير رأى المهديّ له، فيكتب إلى الربيع دائماً ولا ينقطع رسله عنه، فلا
 يزال الربيع يذكره بجميل عند المنصور و يعلمه ثقته و كفايته و يتنجز له الكتب
 من المنصور إلى المهديّ بالوصاة به و ترك قبول قول الموالي فيه.
 قال الفضل بن الربيع: فلما حجّ أبي مع المنصور في السنة التي مات فيها،
 وقام أبي بما قام به [498] من أمر البيعة و تلافيه بنفسه تلك الأمور و تجديده
 البيعة للمهديّ على أهل بيت أمير المؤمنين والقوادر و الموالي و قدم، تلقّيته بعد
 المغرب، فلم أزل معه حتّى تجاوز منزله و ترك دار أمير المؤمنين و مضى إلى
 أبي عبيد الله فقلت له:

١. في مط: ... مروان الحكومة.

«تترك أمير المؤمنين و تأتي أبا عبيد الله؟»

فقال: «يا بني هو وزير الرجل، وليس ينبغي أن نعامله بما كنّا نعامله به ولا نحاسبه بما كان منّا في أمره و نصرتنا له.»
قال: فمضينا حتّى أتينا باب أبي عبيد الله. فما زال واقفاً حتّى صليت العتمة فخرج الحاجب فقال:

«ادخل.»

فثنى رجله وثنيت رجلي فقال:

«إنما استأذنت لك وحدك يا با الفضل.»

قال: «فاذهب و أخبره أنّ الفضل معي ثمّ اقبل عليّ.»

فقال: «و هذا أيضاً من ذاك.»

فخرج الحاجب فأذن لنا جميعاً، فدخلنا و إذا أبو عبيد الله في صدر مجلسه متكئ.

فقلت: يقوم إلى أبي و يتلقاه فلم يقم. فقلت: يستوي جالساً إذا دنا، فلم يفعل فقلت: يدعوله بمصلّي^(١) فلم يفعل.

قال: فقعد أبي بين يديه على البساط و هو متكئ، فجعل يسأله عن مسيره و سفره [499] و حاله، و جعل أبي يتوقع أن يسأله عمّا كان منه في أمر المهديّ و تجدّده بيعته، فأعرض عن ذلك، فذهب أبي يبتدئ بذكره فقال:

«قد بلغنا تباكم.»

قال: فذهب أبي لينهض، فقال له:

«لا أرى الدروب إلّا و قد غُلّقت فلو أقمّت.»

فقال أبي: «إنّ الدروب لا تُغلق دوني.»

١. في آ: بالمصلّي.

فقال: «بلى، قد أغلقت.»

قال: فظنّ أبى أنّه يريد أن يحتبسه ليسكن من مسيره، ثمّ يسأله، فقال: - «يا غلام، اذهب، فهتّى لأبى الفضل فى منزل محمّد بن أبى عبيد الله مبيتاً.»

فلما رأى أنّه يريد أن يخرج من الدار، قال:

- «فليس تغلق الدروب دونى.»

ثمّ قام، فلما خرجنا من الدار أقبل على فقال:

- «يا بُنى، أنت أحمق.»

قلت: «و ما حمقى؟»

قال: «تقول فى نفسك كان ينبغى ألاّ تجيء و كان ينبغى إذ جئت فحجبنا ألاّ تقيم حتّى صُلّيت العتمة، و أن ترجع فتصرف ولا تدخل، و كان ينبغى إذ دخلت فلم يقم لك، أن ترجع ولا تقيم عليه ولا تجلس بين يديه، ولم يكن الصواب إلاّ ما عملته كلّهُ ولكن و الله الذى لا إله إلاّ هو - واستغلق فى اليمين - لا خلقنّ جاهى ولا نفقنّ مالى حتّى أبلغ مكروه أبى عبيد الله.»

قال: ثمّ جعل [500] يضطرب بجهده فلا يجد مساعاً إلى مكروهه و يحتال الحيل، حتّى ذكر القشيريّ الذى كان أبو عبيد الله حجبه، و كان هذا الرجل فى مسامرى المهديّ بنيسابور و بالرىّ و فيمن يأنس به، فعارض أباً عبيد الله يوماً بين يدى المهديّ فى أمر، فتقدّم أبو عبيد الله بأن يحجب عن المهديّ، وأسقط اسمه، فأرسل إليه أبى فجاءه فقال:

- «إنّك قد علمت ماركبك به أبو عبيد الله، و قد بلغ منّى كلّ غاية من المكروه و قد أرغئت أمره بجهدى فما وجدت عليه طريقاً فعندك حيلة فى أمره؟»

فقال: «إنّما يؤتى أبو عبيد الله من أحد وجوه أذكرها لك. يقال: هو جاهل

بصناعته، فأبو عبيد الله أحذق الناس. أو يقال: هو ظنين فيما يتقلده، فأبو عبيد الله أعفّ الناس لو أنّ بنات المهديّ في حجره كان لهنّ موضعاً. أو يقال: هو يميل إلى أن يخالف السلطان فليس يؤتي أبو عبيد الله من ذلك إلا أنّه يميل إلى القدر^(١). أو يقال: هو متهم في الله. فأبو عبيد الله ذو عقدٍ وثيق ولكن هذا كلّ مجتمّع لك في ابنه.

قال: فتناوله الربيع، فقبّل بين عينيه، ثمّ دبّ [501] لابن أبي عبيد الله. فو الله مازال يحتال و يدس إلى المهديّ ويّتهمه ببعض حرم المهديّ، و يحقّق عليه الزندقة حتّى استحكم عند المهديّ الظنّة بمحمّد بن أبي عبيد الله، فأمر فأحضر و أخرج أبو عبيد الله فقال:

- «يا محمّد، اقرأ القرآن.»

فذهب ليقرأ، فاستعجم عليه، فقال:

- «يا معاوية، ألم تعلمني أنّ ابنك جامع للقرآن؟»

قال: «قد أخبرتك يا أمير المؤمنين، و لكنّه فارقني منذ سنين، و في هذا

المدة نسي القرآن.»

قال: «قم، فتقرّب إلى الله تعالى بدمه.»

قال: فذهب يقوم فوق، فقال العبّاس بن محمّد:

- «إن رأيت يا أمير المؤمنين أن تعفي الشيخ، فإنّه يضعف عن ذلك.»

قال: ففعل، و أمر به فأخرج و ضربت عنقه. قال: و اتهمه المهديّ في نفسه.

فقال له الربيع:

- «قتلت ابنه، و ليس ينبغي أن يكون معك ولا أن تثق به.»

قال: فأوحش المهديّ منه، و كان من أمره ما كان. و بلغ الربيع ما أراد و

اشتفى وزاد.

و دخلت سنة اثنتين و ستين و مائة [502]

و تنابت السنون إلى سنة ست و ستين و مائة لم يجر فيها ما يكتب و يستفاد به شيء.

غضب المهدي على يعقوب بن داود

و لما كانت سنة ست و ستين و مائة، غضب المهدي على يعقوب بن داود.

ذكر السبب في ذلك

كان يعقوب بن داود محبوساً في المطبق حتى من عليه المهدي. و سبب حبسه أن أباه داود بن طهمان و إخوته كانوا كتاباً لنصر بن سيار، و لما كانت أيام يحيى بن زيد، كان يدش إليه و إلى أصحابه ما يسمع من نصر و يحذرهم. فلما خرج أبو مسلم يطلب بدم يحيى بن زيد و يقتل قتلته و المعينين عليه، أتاه داود بن طهمان مطمئناً إليه لما كان يعلم ممّا جرى بينهما فأمنه أبو مسلم ولم يعرض له في نفسه، لكنه أخذ أمواله التي استفادها أيام نصر، و ترك له ضيعة كانت له قديمة.

فلما مات داود خرج ولده أهل أدب و علم بأيام الناس و سيرهم و أشعارهم، و نظروا فإذا ليس لهم عند بني العباس منزلة، فلم يطمعوا في خدمتهم لحال أبيهم من كتابة نصر. فأظهروا مقالة الزيدية و دنوا من [503] آل الحسن طمعاً في أن تكون لهم دولة فيعيشوا فيها.

فكان يعقوب منفرداً يجول البلاد، و كان مع إبراهيم بن عبد الله أحياناً في طلب البيعة لمحمد بن عبد الله. فلما ظهر إبراهيم بالبصرة كان معه، فلما قُتل محمد و إبراهيم تواروا، فأمر المنصور بطلبهم، فأخذ يعقوب و أخوه علي

فحبسهما في المطبق، فبقوا أيام حياة المنصور إلى أن من المهدي عليهما و أطلقهما.

ثم لم تزل منزلته ترتفع عند المهدي حتى استوزره و تجاوز مرتبة الوزارة، حتى فوض إليه أمر الخلافة، فأرسل إلى الزيدية، فأتى بهم من كل أوب و ولأهم من أمور الخلافة في الشرق و الغرب كل عمل جليل نفيس و الدنيا كلها في يده، فكثر حساده و سعى عليه الموالي حتى قيل للمهدي:

- «إن الشرق و الغرب في يد يعقوب و أصحابه، و قد كاتبهم و إنمّا يكفيه أن يكتب إليهم فيثوروا في يوم واحد على ميعاد فيأخذوا الدنيا كلها لمن شاء.» فكان ذلك ملأ قلب المهدي.

و كان يعقوب بن داود قد عرف من المهدي [504] خلقاً و استهتاراً بذكر النساء و الجماع. و كان يعقوب يصف له من نفسه شيئاً كثيراً، و كذلك كان المهدي، فيقول خدام المهدي:

- «هو على أن يصبح فيثور بيعقوب.»

فإذا أصبح غدا عليه يعقوب و قد بلغه الخبر، فإذا نظر إليه تبسم فيقول:

- «أقعد بحياتي فحدثني.»

فيقول:

- «خلوتُ بجارتتي فلانة، فكان فكان، و قالت و قلت.»

فيضع لذلك حديثاً، فيحدث المهدي بمثل ذلك و يفترقان على الرضا، فيبلغ ذلك من يسعى على يعقوب فيتعجب منه.

ذكر السبب في تمكّن السعاة

على يعقوب مع حظوته

خرج ليلة يعقوب من عند المهدي و قد ذهب من الليل أكثره، و عليه

طيلسان يتقنع، فصادف غلاماً آخذاً بعنان دابة معه أشهب و قد نام الغلام، فذهب يعقوب يسوى طيلسانه، فتقنع، فنفر البرذون و سقط يعقوب و دنا منه يعقوب فاستديره و ضربه ضربة على ساقه فكسرها^(١). و سمع [505] المهدي^(٢) الوجبة، فخرج حافياً فلما رأى ما به أظهر الجزع و التفزع، ثم أمر به فحمل في محفة إلى منزله، ثم غدا عليه المهدي مع الفجر، و بلغ ذلك الناس، فغدوا عليه فعادوه ثلاثة متتابعة مع أمير المؤمنين ثم قعد عن عيادته و أقبل يرسل إليه يسأله عن حاله، فلما فقد وجهه تمكن السعاة من المهدي فلم يأت عاشره حتى أظهر سخطه.

و أما السبب الذي يحدث به يعقوب نفسه بعد موت المهدي فهو ما حكاه ابنه علي بن يعقوب عن أبيه قال: بعث^(٣) المهدي إلى يوماً، فدخلت عليه، فإذا هو في مجلس مفروش بفرش مؤرّد متناه في السرو على بستان فيه شجر رؤوس الشجر مع صحن المجلس، و قد اكتسى ذلك الشجر بالأوراد و الأزهار من الخوخ و التفاح و كل ذلك مؤرّد يشبه فرش المجلس الذي كان فيه، فما رأيت شيئاً أحسن منه، و إذا عنده جارية ما رأيت أحسن منها ولا أسد قواماً ولا أحسن عتدالاً، عليها نحو تلك الثياب، فما رأيت أحسن من جملة ذلك المجلس فقال لي:

«يا يعقوب، [506] كيف ترى مجلسنا هذا؟»

فقلت: «على غاية الحسن، فمتع الله أمير المؤمنين به وهنأه إياه.»

قال: «هو لك، احمله بما فيه، و هذه الجارية ليتّم سرورك.»

قال: فدعوت له بما يحب.

١. انظر الطبري (٥١٥:١٠).

٢. تكرر «المهدي» في الأصل.

٣. تجد الرواية عند الطبري (٥١٠:١٠).

قال: ثم قال لي:

«يا يعقوب، ولي إليك حاجة.»

قال: فوثبت قائماً، ثم^(١) قلت:

«يا أمير المؤمنين، ما هذه إلا لموجدة، و أنا أستعيز بالله من سخط أمير المؤمنين.»

قال: «لا ولكن أحب أن تضمن لي قضاءها، فإني لم أسلكها من حيث تنوهم، و إنما قلت ذلك على الحقيقة، فأحب أن تضمن لي هذه الحاجة أن تقضيها لي.»

قلت: «الأمر لأمر المؤمنين، و على السمع والطاعة.»

قال: «والله؟»

قلت: «والله ثلاثاً.»

قال: «و حياة رأسي؟»

قلت: «و حياة رأسك.»

قال: «فضع يدك عليه و احنف به.»

قال: فوضعت يدي عليه و حلفت به لأعملن بما قال ولأقضي حاجته. فلما

استوثق مني في نفسه قال:

«هذا فلان بن فلان من ولد علي أحب أن تكفيني مؤونته و تريحتني منه و

تعيّل ذلك.»

فقلت: «أفعل.»

قال: «فخذه إليك.»

قال: فحوّلته إليّ و حوّل الجارية و جميع ما كان في البيت و المجلس من

١. زيادة في آ و الطبري (١٠: ٥١١).

فرش و آله و أمر لی بمائة ألف درهم. [507]

قال: فحملت ذلك جملة و مضيت به، فلشدة سرورى بالجارية صيرتها فى مجلس بينى و بينها ستر، و بعثت إلى العلوى فأدخلته إلى و سألته عن حاله، فأخبرنى بها و إذا ألب الناس و أحسنهم إيانة.

قال: و قال لى فى بعض ما يقول:

- «ويحك يا يعقوب، تلقى الله بدمى و أنا رجل من ولد فاطمة بنت محمد، صلى الله عليه؟»

قال: قلت: لا والله، فهل فىك أنت خير»

قال: «إن فعلت خيراً شكرت و لك عندى دعاء و استغفار.»

قال: قلت له:

- «فأنى أطلقك، فأى الطرق أحب إليك؟»

قال: «طريق كذا.»

قلت: «فمن ها هنا ممن تأنس^(١) به و تثق بموضعه.»

قال: «فلان و فلان.»

قلت: «فا بحث إليهما، و خذ هذا المال و امض معهما مصاحباً فى ستر الله، و موعدك و موعدهما للخروج من دارى إلى موضع كذا و كذا الذى اتفقنا عليه فى وقت كذا و كذا من الليل.»

فاذا الجارية قد حفظت على قولى، فبعثت به مع خادم لها إلى المهدى و قالت:

- «هذا جزاؤك من الذى أثرته على نفسك، صنع و فعل.»

حتى ساقط الحديث كله.

١. فى آ: ستانس به.

قال: و بعث المهدي من وقته [508] فشحن تلك الطرق و المواضع التي وصفها يعقوب و العلوي برجال، فلم يلبث أن جاؤوه بالعلوي بعينه و صاحبيه و المال على النسخة^(١) التي حكمتها الجارية.

قال: و أصبحت من غد ذلك اليوم، فإذا رسول المهدي يستحضرني. قال: و كنت خالي الذرع غير ملقٍ إلى أمر العلوي بالأُ حتى أدخل على المهدي و أجده على كرسي في يده مخرصة.

فقال: «يا^(٢) يعقوب ما حال الرجل؟»

قلت: «يا أمير المؤمنين، قد أراحك الله منه.»

قال: «مات؟»

قلت: «نعم.»

قال: «والله؟»

قلت: «والله؟»

قال: «فقم وضع يدك على رأسي.»

قال: فوضعت يدي على رأسه و حلفت له به.

قال: فقال:

«يا غلام، أخرج إلينا ما في هذا البيت.»

قال: ففتح بابه عن العلوي و صاحبيه و المال بعينه.

قال: فبقيت متحيراً و سقط في يدي، و امتنع مني الكلام، فما أدري ما أقول.

قال: فقال المهدي:

«لقد حل لي دمك لو آثرت إراقتك، لكن احبسوه في المطبق^(٣).»

١. في الطبري (٥١٢:١٠): على السجّة.

٢. يا: ناقصة في الأصل و آ، أضفنا عن الطبري (٥١٣:١٠).

٣. الضبط من الأصل.

فَاتَّخَذَ لِي فِيهِ بَثْرًا، فَذُلَّيْتُ فِيهَا فَكُنْتُ كَذَاكَ طَوْلَ مَدَّةٍ لَا أَعْرِفُ عِدْدَهَا، وَ
أُصِيبْتُ بِبَصْرَى وَطَالَ شَعْرَى وَاسْتَرْسَلْتُ [509] كَهَيْئَةِ شَعُورِ الْبَهَائِمِ. قَالَ: فَإِنِّي
لَكَذَلِكَ إِذْ دُعِيَ بِي، فَمَضَيْتُ^(١) وَخُجِلْتُ إِلَى حَيْثُ لَا أَعْلَمُ أَيْنَ هُوَ، فَلَمْ أَعِدْ أَنْ
قِيلَ لِي:

- «سَلِّمْ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ».

فَسَلَّمْتُ. قَالَ:

- «أَيُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا؟»

قُلْتُ: «الْمَهْدِيُّ».

قَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ الْمَهْدِيَّ»

قُلْتُ: «الْهَادِي».

قَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ الْهَادِيَّ».

قُلْتُ: «الرَّشِيدُ».

قَالَ: «نَعَمْ».

قُلْتُ: «مَا أَشْكُ فِي وَقُوفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى خَبْرِي وَ عَلْتِي وَ مَا تَنَاهَيْتُ

إِلَيْهِ حَالِي».

قَالَ: «أَجَلٌ، كُلُّ هَذَا قَدْ عَرَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَسَلِّ حَاجَتَكَ».

قَالَ: قُلْتُ: «الْمَقَامُ بِمَكَّةَ».

قَالَ: «تَفْعَلُ ذَاكَ، فَهَلْ غَيْرُ ذَاكَ؟»

قَالَ: قُلْتُ:

- «مَا بَقِيَ مِنِّي مُسْتَمْتَعٌ لَشَيْءٍ وَلَا بِلَاغٍ».

قَالَ: «فَرَأَشِدْ».

١. فِي الطَّبْرِيِّ (٥١٣: ١٠) فَمَضَى بِي.

قال: فخرجت، فكان وجهي إلى مكة.
قال ابنه ولم يزل بمكة ولم تطل أيامه بها حتى مات.

ثم دخلت سنة سبع وستين و مائة
ولم يجر فيها على ما بلغنا شيء يستفاد منه تجربة.

ثم دخلت سنة ثمان وستين و مائة و تلك سبيلها
ثم دخلت سنة تسع وستين و مائة [510] و فيها كانت وفاة المهدي
سبب وفاة المهدي

و كان سبب ذلك^(١) أنه كان عزم على تقديم ابنه هارون على ابنه موسى،
فبعث إليه و هو بجرجان يحارب وئذاذهرمزر و شروين صاحبي طبرستان. و
كان وجهه المهدي في جيش كثيف لم يُر مثله و هيئة لم يُر أحسن منها، فلما
استدعاه علم ما يريد منه، فأبى عليه، فبعث إليه رسولا من الموالي، فضربه
موسى، فخرج المهدي بسبب موسى فتوفي في طريقه.

و اختلف في سبب وفاته، فذكر عن واضح قهرمانه أنه قال:
خرج المهدي يتصيد بماسبذان بقرية يقال لها: الرّد، فطردت الكلاب صيدا و
أظنه قال ظبيا، فلم يزل يتبعها، فاقتحم الظبي باب خربة و اقتحمت الكلاب و
اقتحم الفرس خلف الكلاب فدق ظهره في باب الخربة فمات من ساعته.
و ذكر غيره: أن المهدي كان جالسا في علية قصر بما سبذان يشرف من
منظرة فيها على سفله، و كانت جاريته حسنة^(٢) قد عمدت إلى كمثرى كبير

١. انظر الطبري (١٠: ٥٢٣).

٢. في الأصل: حسنة. على أنه وصف، و ليس كذلك. و انما هو اسم الجارية كما يأتي
في الأسطر الآتية.

فجعلته في صينية وسمّيت واحدة منها و هي أحسنها [511] و أنضجها بأن
نزعت قمعها الذي في أسفلها و أدخلت فيه سمّاً، ثم ردت القمع فيه و وضعتها
على أعلى الصينية.

و كان المهديّ يعجبه كمّثري و أرسلت بذلك مع وصيفة لها إلى جارية
للمهديّ كان يتحفظها، تريد بذلك قتلها، فلما مرّت الوصيفة بالصينية التي
أرسلتها حسّنه رآها المهديّ من المنظرة فدعاها و مديده إلى الكمّثراة التي في
أعلى الصينية و هي المسمومة، فأكلها فلما وصلت إلى الجوف صرخ:
- «جوفى!»

وسمعت حسنة الصوت و أخبرت الخبر، فجاءت تلطم وجهها و تبكى و
تقول:

- «أردت أن أتفرّد بك، فقتلتك يا سيّدى.»

فمات من يومه.

و كانت خلافته عشر سنين و كسراً، و مات و هو ابن ثلاث و أربعين سنة
و لم يوجد له جنازة يحمل عليها، فحُمِل على باب و دُفن تحت جوزة.

ذكر بعض سيره

كان المهديّ إذا جلس للمظالم قال:

- «أدخلوا علىّ القضاة، فلو لم يكن [512] ردّى المظالم^(١) إلّا للحياء منهم

الكفى^(٢)».

و جلس المهديّ يوماً يعطى جوائز تقسم بحضرته في خاصّة من أهل بيته و

١. كذا في الأصل و آ: المظالم. في الطبرى (١٠: ٥٢٧): للمظالم.

٢. زيادة من الطبرى (نفس الصفحة) وليست لا في الأصل و لا في آ و لا في مط.
كمال تكن في أصل الطبرى أيضاً و أنّما زادها مصحّحوه نقلاً عن الفخرى (ص ٢١٢).

قَوَّاده، فكان تُقرأ عليه الأسماء فيأمر بزيادة عشرة آلاف و عشرين ألفاً و ما أشبه ذلك. فعرض عليه بعضُ القَوَّاد فقال:

«هذا يُحطُّ خمسمائة درهم.»

قال: «لم حططتني يا أمير المؤمنين؟»

قال: «لأنتي وجهتك إلي عدو لنا فانهزمت.»

قال: «كان يسرُّك أن أقتل ولا ينفعك؟»

قال: «لا.»

قال: «فو الله الذي أكرمك بالخلافة لو ثبتت لقتلت.»

فاستحي منه المهدي^(١) قال:

«زده خمسمائة آلاف^(٢) درهم.»

مسور و المهدي بين يدى القاضي

و تحدّث مسور بن مُساور قال: ظلمنى وكيل للمهديّ و غصبني ضيعة لي فأتيت سَلاماً صاحب المظالم فتظلمت، فأوصل لي رقعة إلى المهديّ و عنده عمّه العباس بن محمّد، و ابن علّانة القاضي و عافية القاضي. قال: فقال لي المهديّ:

«أدن^(٣)». فدنونيت.

فقال: «ما تقول؟»

قلت: «ظلمتني.»

قال: «فترضى بأحد هذين.»

١. لا واو في الأصل و هي من آ و مط و الطبرى (١٠: ٥٢٧).

٢. آلاف: زيادة في آ و الطبرى، وليت في الأصل.

٣. ادن: في آ و الطبرى (١٠: ٥٢٩): أدنّه (بهاء السكت).

قال: قلت: «نعم».

قال: «فادن مني».

فدنوت منه حتى التزقت بالفراش.

قال^(١): «تكلم».

قلت: «أصلح الله القاضي، إنه ظلمني في ضيعتي» فقال القاضي: [513]

ـ «ما تقول يا أمير المؤمنين؟»

قال: «ضيعتي و في يدي».

قال: قلت: «أصلح الله القاضي، سلّه، صارت الضيعة إليه قبل الخلاقة أو

بعدها؟»

قال: فسأله «ما تقول يا أمير المؤمنين؟»

قال: «صارت إليّ بعد الخلاقة».

قال^(٢): «فأطلقها له».

قال: «قد فعلت».

فقال العباس: «والله يا أمير المؤمنين، لهذا المجلس أحبّ إليّ من عشرين

ألف ألف درهم».

وصيّة عجيبة تُعرض على المهديّ

و قال أبو الخطاب: لما حضرت القاسم بن مجاشع التميمي من أهل مرو

الوفاة، أوصى إلى المهديّ، فكتب:

ـ «شهد الله أنّه لا إله إلا هو و الملائكة و أولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا

١. و القائل هو القاضي.

٢. و القائل القاضي.

هو العزيز الحكيم. إن الدين عند الله الإسلام...»^(١)
ثم كتب:

«والقاسم بن مجاشع يشهد بذلك، ويشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه، و أن علي بن أبي طالب، عليه السلام، وصيته و وارث الإمامة بعده.»
قال: فعرضت الوصية على المهدي، فلما بلغ هذا الموضع رمى بها ولم ينظر فيها.

قال^(٢): فلم يزل ذلك في قلب أبي عبيد الله. فلما حضرته الوفاة كتب في وصيته هذه الآية.^(٣)

و قال المهدي يوماً: ما توصل إلي أحد بوسيلة ولا تذرع بذريعة هي أقرب من تذكيره إتيائي [514] يداً سلفت مني إليه أتبعها أختها فأحسب ربها^(٤) لأن منع الأواخر يقطع شكر الأوائل.



مركز تحقیقات کلامی و فقهی اسلامی

١. س ٣ آل عمران: ١٨.

٢. والقاتل ابوالخطاب.

٣. انظر الطبري (١٠: ٥٣٢).

٤. و في مط: و بها.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

خلافة موسى الهادي

و في هذه السنة بُيع لموسى الهادي بما سبذان.^(١)
ذكر رأى سديد رآه خالد بن يحيى في تلك الحال
اجتمع القواد و وجوه الموالي إلى هرون يوم توفي المهديّ، فقالوا له:
- «إن علم الجند بوفاة المهديّ لم نأمن الشغب، والرأى أن تتحرك و تنادي
في الجند و بالقفّل، حتّى تواريه ببغداد.»
فقال هرون:
- «ادعوا إلى أبي^(٢) يحيى بن خالد.»
و كان المهديّ وليّ هارون المغرب كلّه من الأنبار إلى إفريقية، و أمر يحيى
بن خالد أن يتولّى ذلك، فكانت إليه أعماله و دواوينه إلى أن توفي. فصار يحيى
بن خالد إلى هارون فقال له:
- «يا أبّ، ما تقول فيما يقول عمر بن بزيع و نصير و المفضل؟»
قال: «و ما قالوا؟»
فأخبره. قال:

١. انظر الطبري (١٠: ٥٤٥).

٢. أبي: لا في مط. في آ: ادعوا إلى باب يحيى بن خالد.

« ما أرى ذلك. »

قال: « ولم؟ »

قال: « لأنّ هذا لا يخفى، ولا آمن إذا علم الجند أن يتعلّقوا بمحمّله و يقولوا لا نخليه حتّى تُعطى لثلاث سنين و يتحكّموا و يشتطّوا، ولكن أرى أن يُؤارى^(١)، رضى الله عنه، هاهنا و يُوجّه نصير إلى أمير المؤمنين الهادى ١٥١٥ بالخاتم و القضيب و التهنة و التعزية، فإنّ البريد إلى نصير، فلا يُنكر خروجه أحد إذ كان على بريد الناحية، و أن تأمر لمن معك من الجند بجوائز مائتين مائتين و تنادى فيهم بالقفول، فإنّهم إذا قبضوا الدارهم لم يكن لهم همّة سوى أهاليهم و أوطانهم ولا عُرْجة على شيء دون بغداد. »

قال: ففعل ذلك. وصاح الجند لمّا قبضوا الدراهم:

« بغداد، بغداد. »

ينادون إليها و يبعثون على الخروج من ماسبذان. فلَمّا و افوا بغداد و علموا خبر الخليفة، صاروا إلى باب الربيع فأحرقوه، و طالبوا بالأرزاق و ضجّوا.

قدوم هارون بغداد

و قدّم هارون بغداد. فبعثت الخيزران إلى الربيع و إلى يحيى بن خالد تشاورهما في ذلك، فأما الربيع، فدخل عليها، و أمّا يحيى فلم يفعل ذلك لعلمه بشدّة غيرة موسى.

قال: و جُمعت الأموال حتّى أُعطى الجند لستين فسكنوا. و بلغ الخبر الهادى، فكتب إلى الربيع كتاباً يتوعّده فيه، و كتب إلى يحيى يجرّيه الخير و يأمره أن يقوم من أمر هارون بمالم يزل يقوم به وأن يتولّى أموره و أعماله

١. الضبط من الأصل و الطبرى (١٠: ٥٤٥).

علي [516] ما لم يزل يتولاه.

قال: فبعث الربيع إلى يحيى بن خالد، و كان يودّه و يثق به و يعتمد على رأيه:

«يا با عليّ، ما ترى، فإنّه لا صبر لي على جرّ الحديد.» قال:

«أرى ألا تبرح موضعك و أن توجه الفضل ابنك ليستقبله و معه من الهدايا و الطّرف ما أمكنك، فإنّي لأرجو ألا يرجع إلّا و قد كُفيت ما تخاف إن شاء الله.»

ولما قدم هارون كان الجند قد شغبوا على الربيع، و أخرجوا من كان في حبسه. و كان العباس بن محمّد، و عبد الملك بن صالح، و مُحرز بن إبراهيم، حضروا و رأوا أن يُرضوا و يطيب بأنفسهم و تفرّق جماعتهم بإعطاءهم أرزاقهم، فبذل ذلك لهم، فلم يرضوا ولم يثقوا بما ضمن لهم من ذلك حتّى ضمنه مُحرز بن إبراهيم، فقتلوا بضمانه فتفرّقوا. فوفى لهم و أعطوا رزق ثمانية عشر شهراً.

و أخذ هارون البيعة لموسى الهادي وله بولاية العهد من بعده و ضبط أمر بغداد.

ثمّ قدم الهادي و كان في نفسه على الربيع ما ذكرناه و من إعطائه الجنود قبل قدومه. ولما وجه الربيع ابنه الفضل فتلقاه بما أعدّ له من الهدايا بهمذان، أدناه و قرّبه و قال:

«كيف [517] خلّفت مولاي؟»

فكتب بذلك إلى أبيه، فاستقبله الربيع، فعاتبه الهادي، فاعتذر إليه و أعلمه السبب الذي دعاه إلى ذلك، و ولّاه الوزارة مكان عبد الله بن زياد بن أبي ليلى، و ضمّ إليه ما كان عمر بن بزيع يتولاه من الزمام. و هلك الربيع في هذه السنة.

ثم دخلت سنة سبعين و مائة^(١)

و فيها كانت وفاة موسى الهادي و كانت وفاته من قبل جوارٍ لأمه الخيزران كانت أمرتهن بقتله.

ذكر السبب في ذلك

و ما حملها على قتل ابنها

لما صارت الخلافة إلى الهادي، كانت الخيزران تفتات عليه في أموره و تسلك به مسلك أيه من قبله في الإستبداد بالأمر و النهي فأرسل إليها: - «لا تخرجي من خفر الكفاية إلى بذاذة^(٢) التبذل، فإنه ليس من قدر النساء الإعتراض في أمر الملك، و عليك بصلاتك و سُبُحتك، و لك بعد هذا طاعة مثلك [518] فيما يجب لك.»

و كانت كثيراً ما تكلمه في أمر الحوائج، فكان يجيبها إلى كل ما تسأل، حتى مضى لذلك أربعة أشهر من خلافته، و انثال الناس عليها و طمعوا فيها، فكانت المواكب تغدو إلى بابها. فكلَّمته يوماً في أمر لم يجد إلى إجابتها فيه سبيلاً، فاعتلَّ بعلَّة.

فقال: «لا بد من إجابتي.»

قال: «لا أفعل.»

قالت: «فإنني قد تضمَّنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك.»

قال: فغضب موسى و قال:

- «و يلي على ابن الفاعلة، قد علمتُ أنه صاحبها، والله لا قضيتها لك.»

١. بداية المجلد الرابع حسب تجزئة مخطوطة مط كما جاء في ها مش مط.

٢. في مط: بلاده. و أكالأصل. بد فلان: ساءت حالته. رثت هيئته.

قالت: «إِذَا وَاللَّهِ لَا أَسْأَلُكَ حَاجَةً أَبَدًا».

قال: «إِذَا وَاللَّهِ لَا أَبَالِي».

و حمى و غضب فقامت مغضبة، فقال:

- «مَكَانِكَ تَسْتَوْعِبِي كَلَامِي وَاللَّهِ وَ إِلَّا فَإِنِّي نَفَى مِنْ قَرَابَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، لئن بلغني أَنَّهُ وَقَفَ بِبَابِكَ أَحَدٌ مِنْ قَوَادِي أَوْ أَحَدٌ مِنْ خَاصَّتِي وَ خَدَمِي لِأَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ وَلَا قَبْضَنَ مَالِهِ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيَرْمُ ذَلِكَ. مَا هَذِهِ الْعَوَاكِبُ الَّتِي تَعْدُو وَ تَرُوحُ إِلَى بَابِكَ فِي كُلِّ يَوْمٍ؟ أَمَا لَكَ مَغْزَلٌ يَشْغَلُكَ، أَوْ مَصْحَفٌ يَذْكُرُكَ، أَوْ بَيْتٌ يَصُونُكَ؟ إِيَّاكَ، ثُمَّ إِيَّاكَ، مَا فَتَحْتَ بِابِكَ لِمَلِيٍّ أَوْ ذَمِّيٍّ».

فانصرفت و هي [519] لَا تَعْقِلُ مَا تَطَأُ^(١)، فَلَمْ تَنْطِقْ عِنْدَهُ بِحَلُوةٍ وَلَا مَرَّةٍ بَعْدَهَا.

فَحَكَّتْ خَالِصَةً: أَنَّهُ لَمَّا صَارَتِ الْخِلَافَةُ إِلَى الْهَادِي، صَرَتْ إِلَيْهِ وَ قَلَّتْ لَهُ: - «إِنَّ أَمَّكَ تَسْتَكْسِيكَ».

فَأَمَرَهَا بِخِزَانَةِ مَمْلُوءَةٍ كَسُوءَ. قَالَتْ: وَ وَجَدَ لِلْخِيزَرَانِ فِي مَنْزِلِهَا مِنْ قَرَارِ الْوَشْيِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفَ قَرْقَرَةٍ. وَ حَكَى بَعْضُهُمْ: أَنَّهُ سَمِعَ خَالِصَةَ تَقُولُ لِلْعَبَّاسِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ: يَعْثُ مُوسَى إِلَى أُمِّهِ الْخِيزَرَانِ بِأَرْزَقَةٍ وَقَالَ:

- «اسْتَطَبَّيْتُهَا».

و ذَلِكَ بَعْدَ سَخَطِهِ عَلَيْهَا، وَ ذَكَرَ أَنَّهُ أَكَلَ مِنْهَا فَتَنَغَّصَ لَهَا.

قَالَتْ خَالِصَةُ: فَقُلْتُ لَهَا:

- «أَمْسِكِي حَتَّى تَنْظُرِي، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ فِيهَا شَيْءٌ تَكْرَهِيهِ».

فَجَاؤُوا بِكَلْبٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا فَتَسَاقَطَ لِحْمُهُ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا بَعْدَ ذَلِكَ:

١. فِي مَط: مَا تَطَأُ عَلَيْهِ.

«كيف رأيت الأرزّة؟»

قالت: «وجدتها طيّبة.»

فقال: «لم تأكلى، ولو أكلت كنت استرحت منك، متى أفلح خليفة له أم!»

ثم إن الهادى جمع قواده يوماً و ذلك أعياء أمر الأم فقال لهم:

«أيما خير: أنا أم أنتم؟»

قالوا: «بل أنت يا أمير المؤمنين.»

قال: «فأيما خير: أمى أم أمهاتكم؟»

قالوا: «بل أمك يا أمير المؤمنين.»

قال: «فأيكم يحب أن يتحدث الرجال بخبر أمه [520] فيقولوا فعلت أم

فلان، وصنعت أم فلان، وقالت أم فلان؟»

فقالوا: «ما أحد منا يحب ذلك.»

قال: «فما بال رجال يأتون أمى فيتحدثون إليها ثم ينقلون حديثها؟»

فلما سمعوا ذلك انقطعوا عنها البتة. فشق ذلك عليها، فاعتزلته وحلفت ألا

تكلمه، فما دخلت إليه حتى حضرته الوفاة.

موسى يهّم بخلع أخيه هارون

وهّم موسى^(١) بخلع أخيه هارون، ثم جدّ فيه. و كان يحيى بن خالد بن برمك يلى لهارون أعمال المغرب، فلما جدّ موسى الهادى فى البيعة لابنه جعفر بن موسى و تابعه القواد مثل يزيد بن مزيد، و عبد الله بن مالك، و على بن عيسى، و من أشبههم، و خلعوا هارون و دسّوا إلى الشيعة، فتكلّموا فى أمره و تنقّصوه، و قالوا: لا نرضى به، و ظهر ذلك، أمر^(٢) الهادى ألا يسار قدام الرشيد

١. آ: موسى الهادى.

٢. جواب فلما.

بحرية. فاجتنبه الناس و تركوه، فلم يكن يجترئ أحد أن يسلم عليه ولا يقربه. و كان يحيى بن خالد يقوم بأنزال^(١) الرشيد و ينزل منه منزلة الوالد ويسميه أبى. فكان يشير عليه بأن يدافع ولا يستجيب للخلع. فشعى بيحى إلى الهادى، وقيل له: إنه ليس عليك من هارون [521] خلاف، و إنما يفسده يحيى، فابعث إليه و تهدده بالقتل و ارمه بالكفر. فبعث الهادى إلى يحيى ليلاً، فيئس من نفسه، وودّع أهله و تحنّط و جدّد ثيابه ولم يشكّ أنّه يقتله. فلما أدخل عليه قال:

– «يا يحيى مالى و لك؟»

قال: «أنا عبدك يا أمير المؤمنين، فما يكون من العبد إلى مولاه إلا طاعته!»

قال: «لم تدخل بينى و بين أخى و تفسده على؟»

قال: «يا أمير المؤمنين، من أنا حتّى أدخل بينكما، إنما صيرنى المهديّ معه و أمرنى بالقيام بأمره، ثمّ أمرتنى بذلك، فانتهيت إلى أمرك.»

قال: «فما الذى صنع هارون؟»

قال: «ما صنع شيئاً ولا عنده شيء.» فسكن غضبه.

و قد كان هارون طاب نفساً بالخلع. فقال له يحيى:

– «لا تفعل.»

قال هارون: «أليس ترك لى الهنيئة و المريئة فهما يسعائنى و أعيش.^(٢)»

فقال يحيى: *مركز تحقيق تكامل علوم اسلامی*

– «و أين الهنيئة و المريئة من الخلافة، ولعلّك الا^(٣) يترك هذا فى يدك.»

و كان يحيى ينادم الهادى بعد ذلك، فكلّمه الهادى فى أمر الرشيد و خلعه، فقال:

١. الضبط من الطبرى (١٠: ٥٧٢).

٢. فى الطبرى (١٠: ٥٧٣): و أعيش مع ابنة عمى.

٣. فى الطبرى: ألا (بالضبط) آ كالأصل. فى مط: ألا (بالضبط).

- «يا أمير المؤمنين، إنك إن حملت الناس على نكث الأيمان هانت عليهم أيمانهم، وإن تركتهم على بيعة أخيك ثم بايعت [522] لجعفر من بعده كان ذلك أوكد لبيعتة.»

قال: «لقد صدقت و نصحت، ولي في هذا الأمر تدبير.»
و كان محمد بن يحيى بن خالد يقول: كان أبي يقول: ما كلمت أحداً من الخلفاء أعقل من موسى. و قال: كان حبسني موسى الهادي على ما أراده من خلع الرشيد، فرفعت إليه رقعة: أنّ عندي نصيحة. فدعاني، فقال لي:
- «هات ما عندك.»

فقلت: «أخلى.»

فأخلى، فقلت:

- «يا أمير المؤمنين، أرأيت إن كان الأمر الذي أسأل الله أن لا يبلغه و أن يقدمنا قبله، أظنّ أنّ الناس يسلمون لجعفر و هو لم يبلغ الحنث^(١) أو يرضون به لصلاتهم وحبّهم و غزوهم؟»

قال: «والله ما أظنّ ذلك.»

قلت:

- «فتأمن يا أمير المؤمنين أن يسمو إليها أكابر أهلك و جعلتهم مثل فلان و فلان، ثم يطمع فيها غيرهم فيخرج من ولد أبيك؟» فأطرق ثم قال:
- «تبهتني يا يحيى على أمر لم أكن أنتبه له.»

قال: فقلت:

- «لو أنّ هذا الأمر لم يُعقد لأخيك، أما كان ينبغي أن تعقده له؟ فكيف بأن تحلّه و قد عقده المهدى، ولكن تقرّ الأمر يا أمير المؤمنين [523] على حاله،

١. في الطبري (١٠: ٥٧٤): الحلم. الحنث: الإدراك.

فإذا بلغ جعفر وبلغ الله به أتيته^(١) بالرشيد، فخلع نفسه له، و كان أول من يبايعه
و يعطيه صفقة يده.»

فقبل الهادي قوله و أطلقه.

فلما كان بعد أيام، خرج موسى الهادي إلى الحديثة حديثة الموصل فمرض
بها، فانصرف بعد ما كتب إلى جميع عماله شرقاً و غرباً بالقدوم عليه، فلما ثقل
اجتمع القوم الذين كانوا بايعوا لجعفر ابنه فقالوا:
- «إن صار الأمر إلى يحيى قتلنا ولم يستبقنا.»

و تأمروا^(٢) على أن يذهب بعضهم إلى يحيى بأمر الهادي فيضرب عنقه. ثم
قال بعضهم:

- «فإن أمير المؤمنين ما بلغ حد اليأس منه، فلعله يفيق من مرضه، فما
عذرنا عنده؟»
فأمسكوا.

ثم بعث الخيزران إلى جواربها بالجلوس على وجهه و غمّه حتى يموت،
لأنها أشفقت أن يفيق فيخلع هارون، ففعلن ذلك. و بعثت إلى يحيى تُعلمه أن
الرجل لما به^(٣) فجده في أمره ولا تقصّر. فأمر يحيى بإحضار الكتاب، فحضر
و جُمعوا في منزل الفضل بن يحيى، فكتبوا ليلتهم كتباً من الرشيد إلى العمال
ب وفاة الهادي و أنه قد ولّاهم الرشيد ما كانوا يلون. ولما أصبحوا [524] أنفذوها
على البرد.

١. أتيته: الضبط في الأصل بصيغة المتكلم و في الطبري (٥٧٥:١٠): بصيغة الخطاب.

٢. في الأصل: توامروا.

٣. في الأصل و آ و مط: لما به. و المدّ من الطبري (٥٧٨:١٠).

رواية أخرى في سبب قتل موسى الهادي

و قد روى عن هرثمة^(١) بن أعين في موت الهادي ما رواه علي بن هشام المعروف بأبي قيراط عن محمد بن أحمد بن الفضل الجرجرائي المعروف بقلنسوة، و كان وزير المتوكل، قال: حدثني خالي الحسن بن رجاء بن أبي الضحّاك. قال: حدثني الحسن بن سهل قال: حدثني أبو خاتم هرثمة بن أعين بمرّو قال: كنت اختصصت بموسى الهادي، و كنت مع ذلك شديد الحذر منه لإقدامه على الدماء، فاستدعاني في نصف نهار يوم شديد الحرّ قبل أكلتي، فارتعت و بادرت إليه فأدخلت من دار إلى دار حتى قُرِبت من دار حُرْمِهِ. ثمّ نَحَى عَنَّا جميع من كان بحضرته و قال لي:

- «اخرج، فأغلق باب هذه الحجرة وعد إليّ».

فازددت جزعاً و فعلت وعدت، فقال:

- «قد تأذيت بهذا الكلب المُلحد يحيى بن خالد، ليس له شغل إلّا تضريب الرجال عليّ و اجتذابهم إلى صاحبه هارون. يريد أن يقتلني و يسوق الخلافة إليه، و أريد منك أن تمضي الليلة إلى هارون فتقبض عليه و تجهّتي برأسه، إمّا أن تحتاط في التدبير حتى لا يفوتك و تفعل ذلك به في دارك [525] أو تُخرجه^(٢) من داره برسالة منّي تستدعيه فيها إلى حضرتي، ثمّ تعدل به إلى حيث تقتله فيه و تجهّتي برأسه»
فورد عليّ أمر عظيم و قلت:

- «يا أذن أمير المؤمنين في الكلام؟»

قال: «قل».

١. لم نجد الرواية في الطبري.

٢. في آ: اختلاف في اللفظ كالاتي: إمّا أن تفعل ذاك في داره و تحتاط في التدبير حتى لا يفوتك، أو تخرجه...

قلت: «يا أمير المؤمنين، أخوك و ابن أمك و أهلك و له عهد بعدك، فكيف يكون صورتنا عند الله أولاً، ثم عند الناس؟»

قال: «عليك أن تسمع لى و تطيع، و إلا ضربت عنقك.»

فقلت: «السمع و الطاعة.»

قال: «و إذا^(١) فرغت من هذا أخرجت جميع الطالبين من الحبس ف ضربت

أعناقهم و غرقت من يبقى إن كثر عددهم.»

فقلت: «السمع و الطاعة.»

قال: «ثم ترحل إلى الكوفة بجميع من معك من الجيش و تضم إليهم من

ترى من الجند المقيمين بالباب فتخرج من تجد فيها من العباسيين و شيعتهم و

العمال المتصرفين معهم، ثم تنهب مافيها من الأموال، و تضربها بالنار حتى

تحترق هى و جميع من فيها و تُخرّبها حتى لا يبقى لها أثر.»

فقلت: «يا مولاي، هذا أمر عظيم، ففكر فيه.»

فقال: «لا بد من ذلك، فإن كل آفة ترد على ملكتنا إنما هى من هذه الجهة.»

ثم قال: [526]

- «لاتبرح من مكانك حتى إذا انتصف الليل بدأت بهارون.»

فقلت: «سمعاً و طاعة.»

و نهض من موضعه و دخل إلى دار النساء، و جلست مكانى و لم أشك أنه

قد قبض علىّ و أنه سيقتلى و يدبر هذا الأمر على يد غيرى لما ظهر له من

جزعى فى كل باب و الرد عليه و التخطئة لرأيه، ثم إجابتى إياه كارها، و كنت -

يعلم الله - قد عملت على أن أركب فرسى من حضرته و ألحق بطرف من

الأرض و أخرج من نعمتى و أكون بحيث لا يصل إلىّ، حتى يموت أحدنا. فلما

١. سقط من آ: من «إذا» إلى و الطاعة.

دخل دار النساء، عرض لى أنه قبض على لىقتلنى لثلا يفشو السر، فورد على غم شديد و ذهب على أمرى، فلما انتصف الليل جاءنى خادم و قال:

- «أجب أمير المؤمنين».

فقلت و أنا أتشهد، و مشيت مع الخادم إلى ممر سمعت فيه كلام النساء فقلت: عزم على قتلى بحجة فهو يدخلنى دور الحرم ثم يقول: من أذن لك فى الدخول على حرمى. فوقف، فقال الخادم:

- «ادخل».

فقلت: «لا أفعل».

فقال: «ويحك، ادخل».

فصحت و قلت:

- «لا والله، ما أدخل حتى أسمع كلام مولاي أمير المؤمنين بالإذن لى فى

الدخول» [527]

فإذا بإمرأة تصيح و تقول:

- «ويلك يا هرثمة، أنا الخيزران، و قد حدث أمر عظيم استدعيتك له، فادخل».

فورد على ما لم يكن فى حسابى، و تحيرت ثم دخلت، فإذا بستارة ممدودة، فقالت لى من وراءها:

- «إن موسى قد مات، و قد أراحك الله و المسلمين منه، فقم فانظر إليه».

فإذا هو مسجى، فمست مجسّه و قلبه و مناخره فإذا هو ميت.

ثم قالت الخيزران:

- «إنى كنت بحيث أسمع خطابه لك فى أمر ابنى هارون و غيره، فلما دخل

استعطفته، ثم سأله ألا يفعل ما هم به، فصاح على، فكشفت له رأسى و بكيت و

أقسمت عليه ألا يفعل، فانتهرنى و قال:

- «إن أمسكت، وإلا ضربت عنقك».

فخفته و قمت و صليت و ضرعت إلى الله في قبضه إليه، فما كان بأسرع ممّا شَرِقَ، فتداركناه بكوز ماء فازداد شَرَقَهُ حتّى تلف. فقم إلى يحيى بن خالد و عرّفه ما كان خاطبك به و الخبر كلّهُ، و عجل بهارون قبل أن ينتشر الخبر و جدّدا له البيعة.

قال: فقمتم، ففعلت ذلك. و ما أصبحنا حتّى فرغنا من البيعة و استقام أمره [528] و كفاني الله و الناس شرّ موسى.

و لمّا^(١) أتى الخيزران الخبر بوفاة موسى و جاءها به الرسول قالت:

- «و ما أصنع به؟» فقالت لها خالصة:

- «قومي أملي، سيّتى،^(٢) إلى ابنك، فليس هذا وقت تعتب.»^(٣) فقالت:

- «أعطوني ماء أتوضأ للصلاة.»

ثمّ قالت:

- «أما إنّنا نتحدّث أنّه يموت في هذه الليلة خليفة و يملك فيها خليفة و

يولد فيها خليفة، فمات موسى و ملك هارون و وُلد المأمون.»

فكانت ولايته أربعة عشر شهراً، و مات و هو ابن ستّ و عشرين سنة.^(٤)

ذكر بعض سيره

ما كان من أمر عبدالله بن مالك مع الهادي

ذكر عن عبدالله بن مالك، أنّه قال: كنت على شرطة المهديّ، و كان المهديّ

١. وزاد هنا في آ: و في الرواية الأولى لمّا ...

٢. في آ: قومي يا سيّتى. في مط: قومي امشي. في الطبري (١٠: ٥٧٨): قومي ايّتها الحرّة.

٣. في آ: تعنت. و الطبري كالأصل.

٤. انظر الطبري (١٠: ٥٨٠).

يبعث إليّ في ندماء الهادى و مغنيه في ضربهم و حبسهم صيانة له عنهم، فبعث إليّ الهادى يسألنى الرفق بهم و الترفيه لهم، فلا ألتفت إلى ذلك و أمضى لما يأمرنى به المهديّ. قال: فلمّا ولى الهادى الخلافة أيقنت بالتلف، فبعث إليّ يوماً، فدخلت إليه متكفناً متحنطاً و إذا هو على كرسى [529] و السيف و النطع بين يديه، فسلمت، فقال:

- «لا سلّم الله على الآخر،^(١) تذكر يوم بعثت إليك فى أمر الحرّاني و ما أمر به أمير المؤمنين رضى الله عنه، من ضربه و حبسه فلم تجبني، و فى فلان و فى فلان - فجعل يعدّد ندماءه - فلم تلتفت إلى قولى و أمرى؟»
قلت: «نعم يا أمير المؤمنين، أفتاذن فى استيفاء الحجة؟»
قال: «نعم».

قلت: «نشدتك الله يا أمير المؤمنين، أيسرك أنّك وليّنى ما وليّنى أبوك فأمرتني بأمر فبعث إليّ بعض بنيك بأمر مخالف به أمرك، فاتبعته أمره و عصيت أمرك؟»
قال: «لا».

قلت: «فكذلك أنا لك، و كذلك كنت لأبيك» فاستدنانى، فقبّلت يده، فأمر بإخلى، فصبّت علىّ. و قال:

- «قد وليّتك ما كنت تتولاه، فامض راشداً».

فخرجت من عنده، ففصرت إلى منزلى مفكراً فى أمرى و أمره و قلت: حدث يشرب و القوم الذين عصيته فى أمرهم ندماءؤه و وزراؤه و كتابه و كائى بهم حين يغلب عليه الشراب قد أزالوا رأيه فىّ و حملوه فى أمرى على ما كنت أتخوفه.

١. كذا. فى آو مسط و الطبرى أيضاً (١٠ : ٥٨٣).

قال: فإني لجالس [530] و بين يديّ بُنيّة لي في وقتي ذلك و الكانون بين يديّ و رُقاق^(١) أشطره^(٢) بكامخ^(٣) و أسخنه و أطعمه الصبيّة حتّى توهمت أنّ الدنيا قد اقتلعت و زُلزلت لوقع الحوافر و كثرة الضوضاء، فقلت: هاه، كان و الله ما ظننت، و وافاني من أمره ما تخوّفت. فإذا الباب قد فُتح، و إذا الخدم قد دخلوا، و إذا أمير المؤمنين الهادي على حمار في وسطهم، فلمّا رأيتهم وثبت من مجلسي مبادراً، فقبّلت يده و رجله و حافر حماره فقال لي:

- «يا عبد الله، إنّي فكّرت في أمرك، فقلت: يسبق إلى قلبك أنّي إذا شربت و حولي أعداؤك، أزالوا ما حسُن من رأيي فيك، فأقلقك و أوحشك، فصرّت إلى منزلك لأونسك و أعلمك أنّ السخيمة قد زالت عن قلبي لك، فهات فأطعمني ما كنت تأكل، و افعل فيه ما كنت تفعل، لتعلم أنّي قد تحرّمت بطعامك و أنست بمنزلك، فيزول خوفك و وحشتك.»

فأدّيت إليه ذلك الرقاق و الشكّرجة التي فيها الكامخ فأكل منها، ثمّ قال:

- «هاتوا الزّلة التي [531] أزللتها لعبد الله من مجلسي.»^(٤)

فأدخل إليّ أربعمئة بغل مُوقرة دراهم و قال:

- «هذه زلّتك، فاستمن بها على أمرك و احفظ لي هذه البغال عندك لعلّي أحتاج إليها لبعض أسفاري.»

ثمّ قال: «أظلك الله بخير.»

ثمّ انصرف راجعاً.

١. الرقاق: خبز رقيق، أو عجنه رقيقه.

٢. في الأصل و مط: أشطره. في آ و الطبري (١٠: ٥٨٤): أسطره. شطره: جعله نصفين. سطره: قطعه نصفين.

٣. الكامخ: إدام يؤتدم به.

٤. الزّلة (بفتح الزاء و ضمّها): الصنيعة. الوليمة. العرس.

فذكر موسى بن عبدالله بن مالك: أنَّ أباه أعطاه بستانه الذي كان وسط داره ثم بنى حوله معالف لتلك البغال و كان هو يتولَّى النظر إليها و القيام عليها أيام حياة الهادى كلها.

و أتى موسى برجل، فجعل يقرّره^(١) بذنوبه و يتهدّده، فقال الرجل:
- «يا أمير المؤمنين، اعتذارى ممّا تقرّعنى به ردّ عليك و إقرارى يُوجب علىّ ذنباً و لكنى أقول:

إذا كنت ترجو في العقوبة رحمةً فلا ترهّدن عند المعافاة في الأجر

فأمر بإطلاقه.

حقده على الربيع و سمّه

و قد كنّا حكيماً عن موسى الهادى ما حقده على الربيع من دخوله على أمّه. فلما تجاوز عنه وجد أعداء الربيع طريقاً إليه من طريق غير الهادى. و كان الربيع أهدى إلى المهدي جارية حسناء [532] فائقة الجمال، حسنة القدّ و الشعر ناهدة الشدى. فلما رآها المهدي قال:

- «هذه تصلح لموسى».

فوهبها له فشعف بها الهادى و استولدها، فهي أمّ أكابر أولاده. فقال حسّاد الربيع:

- «يا أمير المؤمنين، إنّ الربيع يتفوّه في خلوته بما هو أعظم ممّا أنكرته».
قال: «و ما هو؟»

١. في الطبرى (١٠: ٥٨٥): يقرّعه.

قالو: «إنه يقول: ما وضعتُ بيني و بين الأرض أطيّب من فلانة - يعني أمّ أولاد الهادي.»

فالتهب الهادي و تركه حتّى إذا كان يوم أنسه دعا الربيع إلى مجالسته و سقاه بيده كأساً مسموماً، فأحسّ الربيع بذلك و بما رُقّي إليه من كلامه، فلم يقدر على الإمتناع و خاف أن يمتنع فيضرب عنقه، فشرب الكأس، فتوصّب من ساعته و قام فأظهر الهادي شفقة عليه و عرض عليه المقام، فأبى و قال: - «ما أجده يا أمير المؤمنين أكبر من أن أقيم معه.» ثمّ بادر إلى منزله، فأوصى و مات من ليلته^(١).



مركز تحقیقات کاپیتولر علوم اسلامی

١. انظر الطبري (١٠: ٥٩٨).



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

خلافة هارون الرشيد

و في هذه السنة استُخلف هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الرشيد فَبُيُوع له ليلة^(١) الجمعة و هي الليلة التي توفي [533] فيها الهادي و كانت سنّه يوم ولى اثنتين و عشرين سنة، و أمّه أمّ ولد يمانية ثمّ جُرشيّة يقال لها خيزران، و ولد بالرّى سنة تسع و أربعين و مائة.

و كان هرثمة بن أعين هو الذي أخرج هارون الرشيد ليلاً فأقعه للخلافة. و يقال: إنّ هارون لمّا جلس للخلافة حلف ألاّ يُصلّي الظهر إلّا ببغداد و أنّه لا يصلّي بعيساباذ إلّا على المهدى، و أنّه لا يصلّي ببغداد إلّا و رأس أبي عصمة بين يديه. ثمّ لبس ثيابه و خرج، فصلّى على أبيه، و قدّم أبا عصمة فضربت عنقه و شدّ جُمّته^(٢) في رأس قناة و دخل بها بغداد و ذاك أنّه كان مضى هو و جعفر بن موسى الهادي راكبين، فبلغا إلى قنطرة من قناطر عيساباذ فالتفت أبو عصمة إلى هارون فقال له:

- «مكانك حتّى يجوز وليّ العهد.»

١. آ: يوم الجمعة، و الطبري (١٠: ٥٩٩) كالأصل.

٢. الجُمّة: مجتمع شعر الرأس.

فقال هارون:

- «السمع و الطاعة للأمير».

فوقف حتى جاز جعفر، فكان هذا سبب قتل أبي عصمة.

و يقال: إنه لما توفي موسى، هجم خزيمة بن خازم في تلك الليلة فأخذ جعفرًا من قرابته، و كان خزيمة [534] في خمسة آلاف من مواليه معهم السلاح.

فقال: «و الله لأضربن عنقك أو تخلعها».

و ذاك أن موسى قد كان أمر جماعة فبايعوه، فلمّا كان الصبح ركب الناس إلى باب جعفر، فأتى به خزيمة فأقامه على باب الدار في العلو و الأبواب مغلقة فأقبل جعفر ينادى:

- «يا معشر الناس، من كانت لى في عنقه بيعة فقد أحلّته منها و الخلافة لعلى هارون و لا حقّ لى فيها».

فكانت سبب مشى عبدالله بن مالك الخزاعي إلى مكة على اللبود، و حظى خزيمة بذلك عند الرشيد^(١).

هارون يقلّد خالدًا الوزارة

و قلّد هارون يحيى بن خالد الوزارة و قال له:

- «قد قلّدتك أمر الرعيّة و أخرجته من عنقي إليك، فاحكم في ذلك بما ترى من الصواب و استعمل من رأيت، و اعزل من رأيت و أمض الأمور على ما ترى».

و دفع إليه خاتمه، و كانت خيزران هي الناظرة في الأمور، و كان يحيى

١. انظر الطبري (١٠: ٦٠٣).

يعرض عليها و يُصور عن رأيها^(١).

ثم دخلت سنتا إحدى و اثنتين

و سبعين و مائة

و لم يجر فيهما ما يُستفاد منه تجربة [535].

و دخلت سنة ثلاث و سبعين و مائة

و فيها كانت وفاة محمد بن سليمان بالبصرة

فوجه الرشيد إلى كل ما خلفه رجلاً أمره باصطفائه، فأرسل إلى ما خلف من الصامت من قبل صاحب بيت ماله رجلاً، و إلى الكسوة بمثل ذلك، و إلى الفرش و الرقيق و الدواب و الخيل و الإبل و إلى الطيب و الجواهر و كل آلة برجل من قبل الذي يتولى كل صنف من الأصناف، فأخذوا جميع ما كان لمحمد مما يصلح للخلافة و لم يتركوا شيئاً إلا الخُرئي^(٢) الذي لا يصلح للخلفاء و أصابوا له في خزانة لباسه أصناف الثياب منذ كان صبيّاً في الكتاب إلى أن مات على مقادير السنين و كان من ذلك ما عليه آثار النقش^(٣) و أصابوا له ستين ألف ألف، فحملوها مع ما حمل، فلمّا صارت في السفن، أخبر الرشيد بمكان السفن التي جمعت ذلك، فأمر أن يدخل جميع ذلك خزائنه إلا المال، فإِنَّه أمر بصكاك فكتب للندماء و كتبت للمغنين صكاك صغار لم تدون [536] في الديوان ثم دفع إلى كل رجل صك بما رأى أن يهب له، فأرسلوا وكلاءهم

١. في آ: رأيها.

٢. الخُرئي: أردأ المتاع و سقطه.

٣. كذا في الأصل و الطبري (١٠: ٦٠٨): النُقش. و النُقش المداد الذي يكتب به. و في آ: النقش (بالشين الموحدة).

إلى السفن فأخذوا المال على ما أمر لهم به فى الصكاك أجمع لم يدخل بيت ماله منه درهم واحد و اصطفى ضياعه.

موت الخيزران

و فيها ماتت الخيزران فخرج الرشيد و عليه جبة سعيديّة و طيلسان خرق أزرق قد شدّ به وسطه و هو آخذ بقائمة السرير حافياً يمشى فى الطين حتّى أتى مقابر قریش، ففسل رجله و دعا بخُفّ و صلّى عليها و دخل قبرها، فلمّا خرج دعا الفضل بن الربيع و قال له:

- «و حقّ المهدى- و كان لا يحلف به إلّا إذا اجتهد- إني لأهمّ لك من الليل بشيء من التولية و غيرها، فتمنعنى هذه، رحمها الله، و أطيع أمرها.»
و ولّاه نفقات العامّة و الخاصّة و بادوريا و الكوفة و لم تزل حاله تنمى إلى سنة سبع و ثمانين.

و دخلت سنة أربع و سبعين (ومائة)

و لم يجر فيها على ما بلغنا شيء يليق بهذا الكتاب إثباته. [537]

و دخلت سنة خمس و سبعين و مائة

محمد الأمين يصبح ولياً للعهد

و فيها عقد الرشيد لابنه محمد ولاية العهد من بعده و أخذ له بذلك بيعة القوّاد و الجند و سمّاه الأمين، و له يومئذ خمس سنين. و كان جماعة من بنى العبّاس قد مدّوا أعناقهم للخلافة بعد الرشيد لأنّه لم يكن له وليّ عهد، فلمّا بايع له، أنكروا بيعته لصغر سنّه.

و لمّا صار الفضل بن يحيى إلى خراسان فرّق هناك أموالاً عظيمة و أعطى

الجند أعطيات متتابعة، ثم أظهر البيعة لمحمد بن الرشيد، فبايع له الناس وسمّاه الأمين، فلمّا تنهّى إلى الرشيد خبره و أنّ أهل المشرق بايعوا لمحمد، كتب إلى الآفاق فبّوع له فى جميع الأمصار.

ثم دخلت سنة ستّ و سبعين و مائة

ظهور يحيى بن عبدالله

و فيها ظهر يحيى بن عبدالله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب،^(١) فنزع إليه الناس من الأمصار، و اشتدّت شوكته وقوى أمره، فاغتم لذلك الرشيد فندب إليه الفضل بن يحيى فى خمسين ألف رجل و معه صنادد القوادر [538] و ولّاه كُور الرى، و الجبل، و جرجان، و طبرستان، و قومس، و ديباوند، و الرويان، و حُمِلت معه الأموال، فشخص الفضل و استخلف منصور بن زياد بباب أمير المؤمنين تجرى كتبه على يده و تنفذ الجوابات عنها إليه. و كانوا يشقون بمنصور و ابنه فى جميع أمورهم لقديم صحبته لهم و حرمة بهم. ثم مضى من معسكره و لم تزل كتب الرشيد تتابعُ إليه بالبرّ و اللطّف و الجوائز و الخلع، فكاتب يحيى و رفق به و استماله و ناشده و حذّره و أشار عليه و بسط أمله، و كاتب صاحب الديلم و جعل له ألف ألف درهم على أن يُسهّل خروج يحيى إلى ما قبله^(٢)، و حُمِلت إليه، فأجاب يحيى إلى الصلح و الخروج على يديه على أن يكتب له الرشيد أماناً بخطّه على نسخة يبعث بها إليه، فكتب الفضل بذلك إلى الرشيد، فسرّه و عظم موقعه، و كتب يحيى أماناً و أشهد عليه الفقهاء و القضاة و جلّة بنى هاشم و مشايخهم منهم: عبد الصمد بن

١. انظر الطبرى (١٠ : ٦١٢).

٢. الضبط من الأصل.

عليّ، و العباس بن محمّد، و موسى بن عيسى، و محمّد بن إبراهيم، و من أشبههم، و وجّه معه جوائز و كرامات [539] و هدايا. فوجّه الفضل بذلك إليه، فقدم يحيى بن عبدالله عليه و ورد به الفضل بغداد. فلقبه الرشيد بكلّ ما أحبّ، و أمر له بعمال كثير و أجرى له أرزاقاً سنّية، و أنزله منزلاً سرّياً، بعد أن أقام في منزل يحيى بن خالد أيتاماً، و كان يتولّى أمره بنفسه و لا يكل ذلك إلى غيره. و بلغ الرشيد الغاية في إكرام الفضل، و مدحه الشعراء فأكثروا. فمنها ما قاله مروان بن أبي حفصة:

ظَفِرَتْ فَلَا سَلْتُ يَدَ بَرْمَكِيَّةٍ	رَتَقَتْ بِهَا الْفَتْقَ الَّذِي بَيْنَ هَاشِمٍ
عَلَى حِينِ أَعْيَا الرَّاغِبِينَ التَّسَامَةَ	فَكَفُّوا وَ قَالُوا لَيْسَ بِالْمَتَلَامِ
فَأَصْبَحَتْ قَدْ فَازَتْ يَدَاكَ بِخُطَّةٍ	مِنْ الْمَجْدِ بَاقٍ ذِكْرُهَا فِي الْمَوَاسِمِ
وَ مَا زَالَ قِدَحُ الْمُلْكِ يَخْرُجُ فَائِزاً	لَكُمْ كُلُّمَا ضُمَّتْ قِدَاحُ الْمُسَاهِمِ

و تركت ذكر غيره من المدائح لأنها كثيرة و لا طائل فيها من جهة الاختيار. فحكى أحمد بن محمّد بن جعفر بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن حسن بن حسن، قال: لما قدّم بيحيى من الديلم أتيتته و هو في دار عليّ بن أبي طالب عليه السلام^(١) فقلت له:

- «يا عمّ، ما بعدك [540] مُخْبِرٌ، و لا بعدى مُخْبِرٌ، فأعلمني خبرك.»
فقال: - «يا ابن أخي، و الله إن كنت إلّا كما قال حُيَيُّ بن أخطب:

لِعَمْرِكَ مَا لَأَمِ ابْنُ أَخْطَبَ نَفْسَهُ وَ لَكِنَّهُ مِنْ يَخْذُلِ اللَّهُ يُخْذَلِ

١. في مط: رضى الله عنه. انظر الطبري (١٠: ٦١٥)

لَجَاهِدَ حَتَّى أَبْلُغَ النَّفْسَ عُذْرَهَا وَ قَلَقَلَّ يَبْنِي الْعَرْ كُئِلَ مُقَلَقَلٍ

ذكر عقوبة سريعة

بعقب إقدام على يمين كاذبة

و حكى^(١) بعض المشايخ من التوفليين قال: وشى قوم ببحي بن عبد الله، فحسه الرشيد، قال: فدخلنا على عيسى بن جعفر و قد وُضعت له و سائد بعضها فوق بعض و هو قائم متكئ عليها، و إذا هو يضحك من شيء في نفسه متعجباً منه فقلنا:

- «ما الذى يضحك الأمير، أدام الله سروره؟»

قال: «لقد دخلنى اليوم سرور ما دخلنى مثله قط.»

فقلنا: «تمم الله للأمير سروره.»

فقال:

- «و الله لأحدثكم^(٢) به إلا قائماً.»

و اتكأ على فرش كانت هناك قائماً، و هو قائم، فقال:

كنت اليوم عند أمير المؤمنين الرشيد، فدعا ببحي بن عبد الله فأخرج من السجن مكبلاً بالحديد و عنده بكار بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير - و كان بكار هذا شديد البغض لآل أبى طالب، و كان [541] يبلغ هارون الرشيد عنهم و يشى بهم، و كان الرشيد ولأه المدينة و أمره بالتضييق عليهم - فلما دعى ببحي قال له الرشيد:

- «هيه هيه - متضحكاً - و هذا أيضاً يزعم أنا سمعناه.»

١. انظر الطبرى (١٠ : ٦١٦).

٢. ضبط الكلمة من الطبرى (١٠ : ٦١٦). ما فى الأصل لاحدثكم. و ما فى آ مهمل تماماً.

فقال يحيى: «ما معنى يزعم، ها هو ذا لسانى.» و أخرج لسانه أخضر مثل السلق.

قال: فتربّد هارون، و اشتدّ غضبه، فقال يحيى:

- «يا أمير المؤمنين، إنّ لنا قرابة و رحماً و لسنا بترك و لا ديلم، يا أمير المؤمنين، إنّنا و أنتم أهل بيت واحد، فأذكرك الله و القرابة و الرحم برسول الله، صلى الله عليه، علامّ تعذّبنى و تحبسنى؟»

قال: فرق له هارون الرشيد، و أقبل بكّار الزبيرى على الرشيد، فقال:

- «يا أمير المؤمنين، لا يغرك كلامه، فإنّه شاقّ عاصٍ، و هذا منه مكر و خبث، إنّ هذا أفسد علينا مدينتنا و أظهر فيها العصيان.»

قال: فأقبل يحيى عليه، فو الله ما استأذن أمير المؤمنين فى الكلام حتّى قال:

- «أفسدوا عليكم مدينتكم؟ و من أنتم عافاكم الله؟»

قال الزبيرى: هذا كلامه قدامك، فكيف إذا غاب عنك؟ يقول: و من أنتم عافاكم الله، استخفافاً بنا.

قال: [542] فأقبل يحيى عليه، فقال:

- «نعم، و من أنتم عافاكم الله، المدينة كانت مهاجر عبد الله بن الزبير، أم مهاجر رسول الله صلى الله عليه، و من أنت حتّى تقول: أفسدوا علينا مدينتنا، و إنّما بآبائى و آباء هذا هاجر أبوك إلى المدينة.»

ثمّ قال:

- «يا أمير المؤمنين، إنّما الناس نحن و أنتم، فإن خرجنا عليكم قلنا أكلتم و أجمعتمونا، و لبستم و أعريتمونا، و ركبتهم و أرجلتمونا فوجدنا بذلك مقالاً فيكم، و وجدتم بخروجنا عليكم مقالاً فينا، فتكافأ فيه القول، و يعود أمير المؤمنين على أهله فيه بالفضل يا أمير المؤمنين، فلم يجترئ هذا و ضرباؤه

على أهل بيتك يسعى بهم عندك. إنه، والله، ما يسعى بنا إليك نصيحة منه لك و
إنه ليأتينا فيسعى بك عندنا عن غير نصيحة منه لنا يريد أن يباعد بيننا و
يشتفى من بعض ببعض^(١) والله يا أمير المؤمنين، لقد جاء إليّ هذا حيث قُتل
أخى محمد بن عبد الله، فقال: لعن الله قاتله - و أنشدني فيه مراثية قالها نَحْواً
من عشرين بيتاً و قال: إن تحرّكت في هذا الأمر فأنا أول من يبايعك و ما
يمنعك [543] أن تلحق بالبصرة فأيدينا مع يدك.»

قال: فتغيّر وجه الزبيرى و اسودّ. و أقبل عليه هارون فقال:

- «أىّ شيء يقول هذا؟»

قال: كاذب يا أمير المؤمنين، ما كان ممّا قال حرف.»

قال: فأقبل على يحيى بن عبد الله، فقال:

- «تروى القصيدة التى رثاه بها؟»

قال: نعم يا أمير المؤمنين، أصلحك الله.

فأنشدها إياه.

فقال الزبيرى:

- «و الله يا أمير المؤمنين، الذى لا إله إلا هو - حتّى أتى على اليمين

الغموس - ما كان ممّا قال شيء، و لقد تقول علىّ ما لم أقل.»

قال: «فأقبل الرشيد على يحيى بن عبد الله فقال:

- «قد حلف، فهل من بيّنة سمعوا هذه المراثية منه؟»

قال: «لا يا أمير المؤمنين، و لكنّى استحلّفته بما أريد.»

قال: فاستحلّفته. فقال:

- «قل أنا برئ من حول الله و قوّته مُوكّل إلى حولى و قوّتى إن كنت قلته.»

١. آ. لبعض. و الطبرى (١٠ : ٦١٧) كالأصل.

قال الزبيرى:

«يا أمير المؤمنين، أى شىء هذا من الحلف^(١)؟ احلف بالله الذى لا إله إلا هو، و تستحلفنى بشىء لأدرى ما هو.»

قال يحيى بن عبد الله:

«يا أمير المؤمنين، إن كان صادقاً فما عليه أن يحلف بما استحلفه به. فقال هارون:

«احلف له ويلك.»

قال: فقال: «أنا برىء من حول الله وقوته موكل إلى [544] حولى وقوتى.»

قال: فاضطرب منها وأرعد، فقال:

«يا أمير المؤمنين، ما أدرى أى شىء هذا اليمين التى^(٢) يستحلفنى بها، و قد حلفت بالله أعظم الأشياء.»

قال: فقال هارون:

«لتحلفن له أو لأصدقن قوله عليك و لأعاقبتك.»

قال: فقال: «أنا برىء من حول الله وقوته موكل إلى حولى وقوتى إن كنت قلته.»

قال: فخرج من عند هارون، فضربه الله بالفالج فمات من ساعته.»

قال: فقال عيسى بن جعفر:

«و ما يسرني أن يحيى^(٣) أما^(٤) تقصه حرفاً مما كان جرى بينهما و لا قصر فى شىء من مخاطبته إياه.»

١. فى آ: من الخلاف.

٢. فى الأصل: الذى، آ و الطبرى (١٠ : ٦١٨): التى.

٣. ما بين المعقوفتين أضفناه من الطبرى (١٠ : ٦١٨) و ما فى الأصل و مط و آ: «نقصه» من دون «ما».

و ذكر أبو يونس قال: سمعت عبدالله بن العباس بن عليّ الذي يُعرف بالخطيب قال^(١): كنت يوماً على باب الرشيد أنا و أبي، و حضر ذلك اليوم الجند و القوّاد ما لم أر مثلهم على باب خليفة قطّ لا قبله و لا بعده، فخرج الفضل بن الربيع إلى أبي، فقال له: «ادخل.»
و مكث ساعة، ثمّ خرج إلى فقال:

– «ادخل.»

فدخلت فإذا أنا بالرشيد معه امرأة يكلمها، فأومأ إلى أبي أنّه لا يريد اليوم أن يدخل أحداً و إنّما استأذنت لك لكثرة من رأيتُ حضر الباب، فإذا دخلت هذا [545] المدخل زادك ذلك نبلاً عند الناس. فما مكثنا إلّا قليلاً حتى جاء الفضل بن الربيع فقال:

– «إنّ عبدالله بن مصعب الزبيري يستأذن في الدخول.»

فقال: «إني لا أريد أن أدخل اليوم أحداً إلّا.»

فقال: «إنّه يقول: «إنّ عندي شيئاً أذكره.»

فقال: «قل له يقله لك.»

قال: «قد قلت له ذاك، فزعم أنّه لا يقوله إلّا لك.»

قال: «أدخله.»

و خرج ليُدخله، و عادت المرأة، و شغل بكلامها و أقبل عليّ أبي فقال:

– «إنّه ليس عنده شيء يذكره و إنّما أراد الفضل بهذا أن يُوهم من علي

الباب أن أمير المؤمنين لم يدخلنا لخاصية خُصصنا بها و إنّما أدخلنا لأمر

نُسال عنه كما دخل هذا الزبيري.»

و طلع الزبيري فقال:

١. انظر الطبري (١٥ : ٦٢٥).

- «يا أمير المؤمنين، ها هنا شيء أذكره.»

فقال: «قل.»

فقال له: «إنه سر.»

فقال: «ما من العباس سر.»

فنهضت. فقال:

- «و لا منك يا حبيبي.»

فجلست. فقال:

- «قل.»

قال: «إني و الله قد خفت على أمير المؤمنين زوجته و ابنته و جاريتته التي تلي فراشه و خادمه الذي يلي ثيابه و أخص خلق الله به من قواده و أبعدهم منه.» قال: فرأيت أنه قد تغير لونه و قال له:

- «من ماذا.»

قال: «جاءتني دعوة يحيى بن عبدالله [546] بن الحسن فعلمت أنه لم يبلغني مع العداوة بيننا و بينهم حتى لم يبق على بابك أحد إلا و قد أدخله في الخلاف عليك.»

فقال: «أتقول هذا في وجه؟»

قال: «نعم.»

قال الرشيد: «عليّ يحيى.»

فدخل فأعاد القول بحضرته. فقال يحيى:

- «و الله يا أمير المؤمنين، قد جاء بشيء لو قبل لمن هو دونك فيمن هو أكبر مني و هو قادر عليه لما أفلت منه أبداً، و لكن لي رحم و قرابة فلو أخرت هذا الأمر و لم تعجل لكفيت مؤونتي بغير يدك و لسانك، و عسى بك أن تقطع رحمك و إني أباهله بين يديك و تصبر قليلاً.»

فقال: «يا عبدالله، قم فصل إن رأيت ذاك.»
و قام يحيى فاستقبل القبلة و صلى ركعتين خفيفتين^(١)، و صلى عبدالله
ركعتين^١، ثم برك يحيى و قال:
- «ابرك.»

ثم شبك يمينه فى يمينه^(٢)، ثم قال:
- «اللهم إن كنت تعلم أنى دعوت عبدالله بن مصعب إلى الخلاف على هذا -
و وضع يده عليه و أشار إليه - فأسحتنى بعذاب من عندك و كلنى إلى حولى و
قوتى، و إلا فكله إلى حوله و قوته و أسحته بعذاب من عندك، آمين رب
العالمين.

فقال: «آمين رب العالمين.»
فقال يحيى بن عبدالله لعبدالله بن مصعب: [547]
- «قل كما قلت.»
فقال عبدالله:

- «اللهم إن كنت تعلم أن يحيى بن عبدالله لم يدعنى إلى الخلاف على هذا،
فكلنى إلى حولى و قوتى و أسحتنى بعذاب من عندك، و إلا فكله إلى حوله و
قوته و أسحته بعذاب من عندك، آمين رب العالمين.»
و تفرقا.

فأمر الرشيد بيحيى بن عبدالله فحبس فى ناحية من الدار. فلما خرج و
خرج عبدالله بن مصعب أقبل الرشيد على أبى فعدّد عليه مننه على يحيى و
أياديه عليه فكلّمه أبى بما لا يُدفع به عن عصفور خوفاً على نفسه، فأمرنا

١. ٢. ناقص فى الأصل و مط. زدناه من آ و الطبرى (١٥ : ٦٢٢).

٢. فى مط: ثمانية فى ثمانية.

بالإنصراف، فانصرفنا، فدخلت مع أبي أنزع عنه سواده، و كان ذلك من عادتي،
فبينما أنا أحلّ منطقتي إذ دخل عليه الغلام، فقال:

- «رسول عبد الله بن مصعب»^(١).

فقال: «أدخله».

فدخل. و قال:

- «يقول لك مولاي: أنشدك الله إلّا بلغت إلي».

فقال أبي: «قل له أجد مسّ تعب، و قد وجهت إليك بعبد الله، فما أردت أن
تلقيه إلي فألقه إليه».

فخرج الغلام. و قال لي^(٢):

- «إنما دعائي ليستعين بي على الإفك، فإن أعنته قطعت رحم رسول الله
صلّى الله عليه، و إن خالفته سعى بن، فاذهب إليه [548] فكلّ ما قال لك فليكن
جوابك له: أخبر أبي».

و خرجت في إثر الرسول. فلمّا صرت في بعض الطريق و أنا مغموم بما
أقدم عليه، قلت للرسول:

- «و يحك، ما أمره و ما أزعجه بالإرسال إلي أبي الفضل في مثل هذا
الوقت؟»

فقال: «إنه جاء من الدار فما هو إلّا أن نزل^(٣) عن الدابة، حتى صاح: بطني،
بطني».

قال:

١. وزاد في آ: على الباب.

٢. لى. زيادة من آ و الطبرى (١٠: ٦٢٣).

٣. في الأصل و مط فهو الذى نزل عن الدابة: كذا في آ: فما هو إلّا أن نزل عن الدابة
حتى. في الطبرى (١٠: ٦٢٣): فساعة نزل عن الدابة صاح.

فما حفلت بقول الغلام. فلما صرنا على باب الدار، و كان فى درب لا منفذ له، فتح البابين، و إذا النساء خرجن منشورات الشعور متحرّجات بالحبال يلطمن وجوههنّ و ينادين بالويل، و قد مات الرجل، فمجبت من ذلك، و عطفت راجعاً أركض ركضاً لم أركض قبله مثله، و الغلمان و الحشم ينتظروننى لتعلق قلب الشيخ بى. فلما رأونى دخلوا يتعادون، فاستقبلنى مرعوباً فى قميص و منديل ينادى:

- «ما وراءك يا بنى؟»

قلت: «إنه مات.»

قال: «الحمد لله الذى قتله و أراحك و إيانا منه.»

فما قطع كلامه حتّى ورد خادم للرشيد يأمر أبى بالركوب و إيتاى معه، فقال أبى و نحن نسير:

- «لو جاز أن يدعى ليحيى نبوة لادّعاها أهله له رحمه الله، [549] و عند الله نحتسبه و لا و الله ما نشكّ أنه قُتل.»

فمضينا حتّى دخلنا على الرشيد، فلما نظر إلينا قال:

- «يا عبّاس، أما عندك الخبر؟»

فقال أبى:

- «بلى يا أمير المؤمنين، فالحمد لله الذى صرعه بلسانه و وقاك يا أمير المؤمنين قطع أرحامك.»

فقال الرشيد:

- «الرجل و الله سليم على ما تحبّ^(١).»

و رُفع الستر فدخل يحيى و أنا و الله أتبيّن الإرتباع فى الشيخ، فلما نظر إليه

١. تحبّ: كذا فى الأصل و آ. فى الطبرى (١٠ : ٦٢٥): يحبّ.

الرشيد صاح به:

«يا أبا محمد، إن الله قد قتل عدوك الجبار.»

قال:

«الحمد لله الذي أبان لأمر المؤمنين كذب عدوه على و أعفاه من قطع رحمه، و الله يا أمير المؤمنين لو كان هذا الأمر ممّا أطلبه و أصلح له و أريده، و لم يكن الظفر به إلّا بالاستعانة به، ثمّ لم يبق في الدنيا غيري و غيرك و غيره ما تقوّيت به عليك أبداً، فكيف و أنا لا أطلب هذا الأمر و لا أريده و لا أصلح له.»

ثمّ قال:

«و هذا و الله من أحد آفاتك — و أشار إلى الفضل بن الربيع — و الله لو وهبت له عشرة آلاف درهم ثمّ طمع في زيادة تمرّة لباعك بها.»

فقال:

«أمّا العباسي^(١)، فلا تقل فيه إلّا خيراً.»

و أمر له في هذا اليوم بمائة ألف دينار [550] و كان حبسه بعض يوم.

هياج العصيّة في الشام بين النزاريّة و اليمانيّة

و في هذه السنة هاجت العصيّة بالشام بين النزاريّة و اليمانية، فقتل بينهما بشر كثير. فولّى الرشيد موسى بن يحيى بن خالد الشام، و ضمّ إليه من القوّاد و الأجناد و مشايخ الكتّاب جماعة. فلمّا ورد الشام أصلح بين أهلها و سكنت الفتنة، فردّ الرشيد الحكم فيهم إلى يحيى، فعفا عنهم و صفح عن جناياتهم، فمدحه الشعراء و أكثروا.

١. العباسي: كذا في الأصل و الطبري (١٠: ٦٢٤).

عزل موسى بن عيسى عن مصر

و فيها عزل الرشيد موسى بن عيسى عن مصر، و ولّى جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك مصر، فولّاها جعفر عمر بن مهران.

ذكر السبب في ولايته

و ما كان منه

كان قد بلغ الرشيد أنّ موسى بن عيسى بن موسى قد تجبّر بمصر و عزم على الخلع، فقال:

- «و الله لا أعزله إلا بأخس من على بابي، انظروا لى رجلاً».

فذكر عمر بن مهران، و كان إذ ذاك يكتب للخيزران و لم يكتب قطّ لغيرها، و كان رجلاً أحول مشنوء الوجه، و كان لباسه خسيساً أرقع^(١) ثيابه طيلسانه، و كانت قيمته ثلاثين درهماً و كان يشتر ثيابه و يقصّر كمامه و يركب بغلاً و عليه رسن [551] و لجام حديدى و يردف غلامه خلفه. فدعا به و ولّاه مصر حربها و خراجها و ضياعها. فقال:

- «يا أمير المؤمنين، أتولّاها على شريطة».

قال: «و ما هى؟»

قال: «يكون إذنى إلى إذا أصلحت البلاد انصرفت».

فجعل له ذلك، فمضى إلى مصر، و اتصلت ولاية عمر بموسى بن عيسى، فكان يتوقع قدومه. فدخل عمر بن مهران مصر على بغل و غلامه أبو دُرّة على بغل، فقصد دار موسى و الناس عنده. فدخل و جلس فى أخريات الناس، فلمّا تفرّق الناس قال موسى بن عيسى:

١. فى آ: أرفع، بدل «أرقع».

- «ألك حاجة يا شيخ؟»

قال: «نعم.»

و أخرج الكتب، فدفعتها إليه، قال: «يقدم أبو حفص أبقاه الله.»

قال: «فأنا أبو حفص.»

قال: «أنت عمر بن مهران؟»

قال: «نعم.»

فقال: «لعن الله فرعون حين قال: أليس لي ملك مصر؟^(١)»

ثم سلم إليه العمل و رحل، فتقدم عمر بن مهران إلى أبي درة غلامه فقال:

- «لا تقبل من الهدايا إلا ما يدخل في الجراب، لا تقبل دابة و لا جارية و

لا غلاماً.»

و جعل الناس يبعثون بضروب الهدايا و الألطاف فلا يقبل إلا المال و الثياب

و يأتي بها [552] عمر فيوقع عليها أسماء من بعث بها. ثم وضع الجباية و كان

بمصر قوم قد اعتادوا المظلم و كسر الخراج، فبدأ برجل منهم فلواه فقال:

- «و الله لا أديت^(٢) ما عليك من الخراج إلا في بيت المال بمدينة السلام إن

سلمت.»

قال: «فإني أؤدّي.»

و تحمّل عليه، فقال:

- «قد حلفت و لا أحت.»

فأشخصه مع ثلاثة من الجند، و كتب معهم إلى الرشيد. و كان العمال

يكاتبون إذ ذاك الخليفة:

١. س ٤٣ الزخرف: ٥١. وزاد في آ... و هذه الأنهار تجري من تحت.

٢. في الطبري (١٠ : ٦٢٧): لا تؤدّي.

- «أتى دعوت بفلان بن فلان، و طالبته بما عليه من الخراج فلوانى و استنظرنى فأنظرته، ثم دعوته، فدافع و لوانى، فعل ذلك مراراً، فأليت ألا يؤديه إلا فى بيت المال بمدينة السلام، و جُملة ما عليه من المال كذا و كذا و قد أنفذته مع فلان و فلان، فإن رأى أمير المؤمنين أن يكتب إلى بوصله فعل إن شاء الله.»

فلم يلوه أحد بشيء من الخراج، و استأدى النجم الأول و النجم الثانى، فلما كان النجم الثالث وقعت المطاولة و المطل. فأمر بإحضار الهدايا التى بُعث بها إليه، فنظر فى الأكياس و أحضر الجهبذ، فوزن ما فيها و أجراها^(١) عن أهلها، ثم دعا بالأسفاط فنادى على [553] ما فيها فباعها و أجرى أثمانها عن أهلها. ثم قال:

- «يا قوم، حفظت هداياكم إلى وقت حاجتكم إليها فأدوا إلينا مالنا.» فأدوا إليه حتى أغلق مال مصر، فانصرف و لا يعلم أنه أغلق^(٢) مال مصر غيره. و انصرف فخرج على بغل و أبو ذرة على بغل و كان إذنه إليه.

و دخلت سنة سبع و سبعين و مائة
و لم يجر فيها على ما بلغنا شيء يكتب فى هذا الكتاب.

و دخلت سنة ثمان و سبعين و مائة

الفضل بن يحيى يولى خراسان أيضاً

و فيها ولى الفضل بن يحيى بن خالد خراسان مضافاً إلى ما كان إليه من ولاية الجبل و جرجان و طبرستان. فشخص إليها، فأحسن بها السيرة و بنى

١. أجراها: كذا فى الأصل و آ و مط. فى الطبرى (١٠: ٦٢٨): اجزأها (بالزاء المعجمة).

٢. فى الأصل: أغلق. (با هـ مال العين) مع أنه: «أغلق» (بالإعجام) فى الموطن السابق.

المساجد و الرباطات و غزا ماوراء النهر، فخرج إليه خاراخرّة ملك اسرو شنة و كان ممتنعاً.

و اتخذ الفضل بن يحيى جنداً من عجم خراسان سمّاهم العباسيّة، و جعل ولاءهم له، و بلغت عدّتهم خمسمائة ألف رجل، و قدم بغداد منهم عشرون ألف رجل فسمّوا ببغداد الكرنيّة، و خلف الباقي بخراسان على [554] على أسمائهم و دفأترهم.

و فرّق الفضل من الأموال ما هو بالسرف أليق منه بالجوّد. و قد ذكرنا من ذلك طرفاً. فتمّما جرى له من هذا النمط أنّ إبراهيم بن جبريل كان خرج مع الفضل مكرهاً، فأحفظ الفضل ذلك عليه. قال إبراهيم: فدعاني يوماً بعد ما أغفلني حيناً، فلمّا صرت بين يديه سلّمت، فما ردّ عليّ، فقلت في نفسي: شرّ و الله، و كان مضطجعاً فاستوى جالساً ثمّ قال:

«ليفرخ^(١) روعك يا إبراهيم فإنّ قدرتي عليك تمنعني منك.»

قال: ثمّ عقد لي على سجستان فلمّا حملت خراجها و هبه لي وزادني خمسمائة ألف درهم.

و كان معه عمّه إبراهيم فوجّهه إلى كابل فافتتحها و غنم غنائم كبيرة و وصل إليه في ذلك الوجه سبعة آلاف ألف^(٢) درهم، و كان عنده من مال الخراج أربعة آلاف درهم^(٣). فلمّا قدم بغداد و بنى داره و استزار الفضل ليريه نعمته عليه و أعدّ له الهدايا و الطرف و آنية الذهب و الفضة، و أمر بوضع الأربعة آلاف ألف في ناحية من الدار. فلمّا قام الفضل بن يحيى، قدّم إليه الهدايا و الطرف فأبى أن يقبل منها شيئاً و قال:

١. في الطبري (١٩ : ٦٣٤) ليفرج. في آ: ليفرخ عن روعك، بزيادة «عن».

٢. في الأصل: سبعة ألف ألف.

٣. و كان «درهم»: سقط من الأصل، فزدناها من آ و الطبري (١٠ : ٦٣٤).

- «لم آتك [555] لأسلبك».

قال: «إنها نعمتك أيها الأمير».

قال: «و لك عندنا مزيد».

فلم يأخذ من جميع ذلك إلا سوطاً سجزياً. و قال:

- «هذا من آلة الفرسان».

فقال له: «هذا المال من مال الخراج».

قال: «هو لك».

فأعاد عليه، فقال: «أما لك بيت يسعد؟»

و انصرف.

و لما قدم الفضل بن يحيى من خراسان خرج الرشيد إلى بستان أم جعفر يستقبله و تلقاه بنوهاشم و الناس على مراتهم، فجعل يصل الرجل بألف ألف و بخمسمائة آلاف درهم. و أعطى الشعراء فأكثر. فحكى مروان بن أبي حفصة و كان قد زاره: أنه وصل إليه في مدة مقامه عليه سبعمائة ألف درهم.

و دخلت سنة تسع و سبعين و مائة

قتل ابن طريق

و فيها رجع الوليد بن طريف الشاري إلى الجزيرة و اشتدت شوكته، و كثر تبعه، فوجه الرشيد إليه يزيد بن مزيد الشيباني فراوغه يزيد إلى أن ظن أنه كرهه، ثم التمس غرته حتى وجدها فقتله و جماعة كانوا معه و تفرق الباقيون.

و قالت الفارعة أخت الوليد بن طريف: [556]

أيا شَجَرَ الخائِبِورِ ما لَكَ مُورِقاً كأنكَ لم تَحْزَنْ^(١) عَلَى ابنِ طَريفِ

١. كَذَا فِي الْأَصْلِ وَ آ وَ مَط: لَمْ تَحْزَنْ. فِي الطَّبْرِي (١٠ : ٦٣٨): لَمْ تَجْزَعْ.

فَتَى لَا يُحِبُّ الزَّادَ إِلَّا مِنَ التَّقَى وَ لَا الْمَالَ إِلَّا مِنْ قَنًا وَ سُيُوفِ

و اعتمر الرشيد في هذه السنة في شهر رمضان شكراً لله عزّ و جلّ على ما أبلاه في الوليد بن طريف. ثمّ انصرف إلى المدينة فأقام بها إلى وقت الحجّ، ثمّ حجّ بالناس فمشى من مكّة إلى منى، ثمّ إلى عرفات، وشهد المشاهد كلّها، و المشاعر ماشياً.

ثمّ دخلت سنة ثمانين و مائة
هياج العصيّة بين أهل الشام

و فيها هاجت العصيّة بالشام بين أهلها، و تفاقم أمرها فقلق الرشيد و اغتمّ لذلك، و قال لجعفر بن يحيى:
- «إمّا أن تخرج أنت، أو أخرج أنا.»
فقال له جعفر: «بل أقيك بنفسى.»

فشخص في جلّة القوّاد و الكُراع و السلاح و عقد له على الشام. فلما أتاهم أصلح بينهم و قتل زواقيهم و المتلصّصة منهم، و لم يدع به رمحاً و لا فرساً، فعادوا إلى الأمن و الطمأنينة، و أطفأ النائرة، و عاد إلى جعفر، و استخلف على الشام عيسى بن العكّي فزاد الرشيد [557] في إكرامه و مدحه الشعراء.
و يقال: إنّهُ لَمّا عاد و مثل بين يدي الرشيد، قبّل يديه و رجليه ثمّ مثل بين يديه فقال:

- «الحمد لله الذي أنس وحشتي بأمر المؤمنين، و أجاب دعوتي، و رحم تضرّعي و نساء في أجلى، حتى أراني وجه سيّدى، و أكرمنى بقربه و أمتنّ عليّ بتقبيلي يده، و ردّنى إلى خدمته، فو الله إن كنت لأذكر غيبتى عنه و مخرجى و

المقادير^(١) التي أزعجتني فأعلم أنها كانت بمعاصي لحقتني وخطايا قد أحاطت بي، و لو طال مقامى عنك يا أمير المؤمنين لخفت أن يذهب عقلى إشفاقاً على قربك، و أسفاً على فراقك، و أن يعجل بى عن إذكك الإشتياق إلى رؤيتك. فالحمد لله الذى عصمنى فى حال الغيبة، و أمتعنى بالعافية، و مسكنى بالطاعة و حال بينى و بين استعمال المعصية، و لم أشخص إلا عن رأيك و لم أقدم إلا عن إذكك و لم يخترمنى أجلى دونك، و الله يا أمير المؤمنين، فلا أعظم من اليمين بالله، لقد عاينت ما لو تعرض لى الدنيا كلها، لاخترت قربك و لما رأيته عوضاً من المقام معك.»

ثم أثنى عليه [558] ثناء طويلاً.

ثم ولى الرشيد جعفرأ خراسان و سجستان، فاستعمل جعفر عليها محمد بن الحسن بن قحطبة.

و دخلت سنة إحدى و سنة اثنتين

و ثمانين و مائة

و لم يجر فيها على ما بلغنا ما يليق ذكره بهذا الكتاب.

و دخلت سنة ثلاث و ثمانين و مائة

مركز تحقيق كالمير خروخ خاقان الخزر

و فيها كان خروج ملك الخزر من باب الأبواب و إيقاعهم بالمسلمين هنالك و أهل الذمة و سبيهم أكثر من مائة ألف فانتهكوا أمراً عظيماً لم يُسمع فى الأرض بمثله^(٢).

١. كذا فى آ و الطبرى (١٠: ٦٤٢)؛ و مخرجى و المقادير. ما فى الأصل غير واضح.

٢. و فى آ: سبب مثله، بزيادة «سبب».

ذكر السبب في ذلك

وكان سبب ذلك أنَّ الفضل بن يحيى خطب بنت خاقان الخزر، فحُمِلت إليه، فماتت بيرذعة. وكان على أرمينية يومئذٍ سعيد بن سلم بن قتيبة فرجع من كان معها من الطراخنة إلى أبيها فأخبروه أنَّ ابنته قتلت غيلة، فحنق لذلك و عمل ما عمل.

فولَّى الرشيد أرمينية يزيد بن مزيد مع آذريجان، و ضمَّ إليه قوَّاد الجند و وجهه، و أنزل خزيمة بن خازم نصيبين رداءً لأهل أرمينية. و قيل أيضاً: أنَّ سبب دخول الخزر أرمينية في زمن هارون كان أنَّ سعيد بن سلم ضرب عنق [559] المنجم السُّلَميَّ بفاس، فدخل ابنه بلاد الخزر فاستجاشهم، فدخلوا أرمينية من الثلثة، فانهزم سعيد، و نكحوا المسلمات و أقاموا سبعين يوماً، فلمَّا صار يزيد بن مزيد إلى أرمينية، خرج الخزر و شدَّت الثلثة.

استقدام الرشيد عليَّ بن عيسى من خراسان

و فيها استقدم الرشيد عليَّ بن عيسى بن همام من خراسان و كان سبب ذلك أنَّه أبلغ عنه أمور عظام. و قيل: أنَّه أجمع على الخلاف، فاستخلف عليَّ بن عيسى ابنه يحيى و وافى حضرة الرشيد بأموال عظيمة، فردَّه الرشيد إلى خراسان من قبل ابنه المأمون لحرب أبي الخصيب، فرجع.^(١)

و دخلت سنة أربع و ثمانين و مائة

و لم يجر فيها ما يُكتب.

١. في آ: ما يستفاد منه تجربة. انظر الطبري (١١ : ٦٤٩).

و كذلك سنة خمس و ثمانين و مائة
و دخلت سنة ست و ثمانين و مائة
حوادث عدة

و فيها خرج علي بن عيسى بن ماهان من مرو لحرب أبي الخصيب إلى
نسا،^(١) فقتله بها و سبي نساءه و ذراريه، و استقامت خراسان.
و حج هارون الرشيد و أخرج معه ابنه محمداً الأمين، و عبد الله المأمون،
ولّى عهده.

فبدأ بالمدينة [560] و أعطى أهلها ثلاثة أعطية، كانوا يسقدمون^(٢) إليه
فيعطهم عطاءً، ثم إلى محمّد فيعطهم عطاءً ثانياً، ثم إلى المأمون فيعطهم عطاءً
ثالثاً.

ثم صار إلى مكة، فأعطى أهلها عطاءً. فبلغ ذلك ألف ألف دينار و خمسين
ألف دينار.

و كان الرشيد عقد لابنه محمّد بن زبيدة و سمّاه الأمين و ضمّ إليه الشام و
العراق في سنة خمس و سبعين، ثم بايع لعبد الله المأمون بالرقّة في سنة ثلاث
و ثمانين و مائة، و ولّاه من حدّ همذان إلى آخر المشرق.

و كان القاسم بن الرشيد في حجر عبد الملك بن صالح، فلمّا بايع الرشيد
لمحمّد و عبد الله، كتب إليه عبد الملك بن صالح يسأله في أبيات شعر أن يجعل
القاسم ثالثاً في ولاية العهد، فبايع له و سمّاه المؤتمن، و ولّاه الجزيرة و الثغور
و العواصم.

و لمّا قسم الأرض بين أولاده الثلاثة قال بعض الناس: قد أحكم أمر الملك،

١. في الطبري (١١ : ٦٥١) نسا. دون تشديد.

٢. في الأصل بتشديد الدال. و لا تشديد عليها في الطبري (١١ : ٦٥١).

و قال بعضهم: بل ألقى بأسهم بينهم و سيختلفون، فقال بعضهم:

رَأَى الْمَلِكُ الرَّشِيدُ أَضْلُ رَأْيٍ ^(١)	بقسمته الخلافة و البلادا [561]
أَرَادَ بِهِ لِيَقْطَعَ عَنْ بَنِيهِ	خِلَافَهُمْ وَ يَتَذَلُّوا الْوِدَادَا
فَقَدْ غَرَسَ الْعَدَاوَةَ غَيْرَ آلٍ	وَ أَوْرَثَ شَمْلَ الْفِتْهَمِ بِدَادَا
فَوَيْلٌ لِلرُّعْيَا عَنِ قَلِيلٍ	لَقَدْ أَهْدَى لَهَا الْكَرْبَ الشَّدَادَا
سَتَجْرِي مِنْ دِمَائِهِمْ بُحُورٌ	زَوَاخِرُ لَا يَزُونَ لَهَا نَفَادَا

و لما قضى هارون الرشيد مناسكه، تقدّم إلى الفقهاء و القضاة و أهل العلم أن يجهدوا آراءهم في كتابين، أحدهما على محمّد الأمين يشترط عليه الوفاء لعبد الله المأمون بما إليه من الأعمال و ما صيّر له من الضياع و الجواهر و الأموال، و الآخر نسخة البيعة التي أخذها على الخاصّة و العامّة و الشروط على محمّد و عبد الله من الأحكام و السياسات، و أشهد أهل بيته و وزراءه و قوّاده و مواليه و كتّابه و من كان في الكعبة معه، و كان جميع ذلك في البيت الحرام. ثم رأى أن يعلّق الكتاب في الكعبة، فلمّا رُفِعَ لِيُعْلَقَ، سقط، فقال الناس:

« هذا أمر سريع الانتقاض لا يتم »

و نسخة [562] هذين الكتابين فيهما طول و هي موجودة في كتب التواريخ و غيرها فلم أشتغل بنسخهما، و كتب كتباً بذلك إلى سائر العمال في الأمصار.^(٢)

١. في الطبري (١١: ٦٥٣) رَأَى الْمَلِكُ الْمَهْدَبُ شَرَّ رَأْيٍ.

٢. انظر الطبري (١١: ٦٥٥ - ...)

و دخلت سنة سبع و ثمانين و مائة
و فيها قتل الرشيد جعفر بن يحيى، و أوقع بالبرامكة
ذكر السبب فى ذلك

كانت أسباب تغيره لهم كثيرة.

فمن ذلك أن الرشيد سلم يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن إلى جعفر،
فحبسه عنده ثم دعا به ليلة، فسأله عن شىء من أمره. فأجابه إلى أن قال:
- «أتق الله فى أمرى و لا تتعرض أن يكون خصمك غداً محمداً، صلى الله
عليه، فوالله ما أحدثت حدثاً، و لا آويت مُحدثاً.»

فرق له و قال:

- «إذهب حيث شئت من بلاد الله.»

فقال:

- «كيف أذهب و لا آمن أن أؤخذ فأرُدَّ إليك أو إلى غيرك؟»

فوجه معه من يؤديه إلى مأمنه، و بلغ الخبر الرشيد من عيون كانت له عليه،
فدعاه و دعا بالغداء، فأكلا و جعل يُلقمه و يعادته [563] إلى أن كان آخر ما
دار بينهما أن قال:

- «ما فعل يحيى بن عبد الله؟»

قال:

- «بحاله يا أمير المؤمنين فى الحبس و الضيق و الأكبال الثقيلة.»

قال: «بحياتى؟»

فأحجم جعفر، و كان من أرق الناس ذهنأ و أصحهم فكراً. فهجس فى نفسه
أنه قد علم بما جرى فى أمره. فقال:

- «لا و حياتك يا سيدي، و لكن أطلتته لما علمت أنه لاهياة به و لا

مكروه عنده.»

قال: «نعمًا فعلت ماعدوت ما كان في نفسي.»
 فلما خرج أتبعه بصره حتى كاد يتواري عن عينه و قال:
 - «قتلني الله إن لم أقتلك.»



و من أسباب ذلك أنَّ الرشيد قلب^(١) جارية ارتضى عقلها و أدبها، و كانت
 حسنة الغناء، جزلة الشعر، مليحة الكتابة، بارعة الجمال، فلما رأى كمالها استام
 صاحبها فيها و استام بها مائة ألف دينار و قال:

- «يا أمير المؤمنين، علىّ يمين بعثتها ألا أنقصها^(٢) من ذلك شيئاً.»

فتقدّم بإطلاق ذلك لمولاها.

فقال جعفر لأبيه و أخيه:

- «إنّ هذا إن أقدم على مثل هذه الأشياء أفنى بيوت الأموال. و قد رأيت أن
 أتقدّم بحمل قيمة هذه الدنانير دراهم فتوضع في طريقه مبدّدة فإنّه الآن لا يعلم
 ما قيمة ما أطلق، و إذا رآها حلّت في عينه و لعلّه أن ينصرف عن هذا الرأى.»

[564]

ففعل ذلك و أمر بالمال و وضع في ممّر له، فلما نظر إليه الرشيد قال:

- «من أين هذا الحمل؟»

قال له الخازن:

- «إنّه ليس بحمل، و لكنّه أخرج من الخزانة و هو ثمن الجارية و قد أحلّ

١. قلبه: أصاب قلبه.

٢. في مط: انتقصها.

مكانه بيت المال.»

فأمر بعض خدمه أن يرفعه عنده و أودعه بيتاً و سمّاه بيت مال العروس، و بحث عن الأموال، فوجد البرامكة قد استهلكوها فتغيّر لهم حتّى أوقع بهم.



و كان أيضاً من أسباب ذلك ما تحدّث به إبراهيم بن المهديّ قال: أتيت جعفر بن يحيى^(١) يوماً فقال:

- «أما تعجب من منصور بن زياد؟»

قلت: «فى ماذا؟»

قال: «سألته: هل ترى فى دارى عيباً؟ قال: نعم، ليس فيها لبنة و لا صنوبرة.»

قال إبراهيم: فقلت:

- «الذى يعيبها عندى أنّك أنفقت عليها عشرين ألف ألف، و هى شىء لا آمنه عليك غداً عند أمير المؤمنين.»

قال: «هو يعلم أنّه قد وصلنى بأضعاف ذلك سوى ما عرضنى له.»

قلت:

- «إنّ العدو إنّما يأتية فى هذا من جهة أن يقول: يا أمير المؤمنين، إذا أنفق على دار عشرين ألف ألف فأين نفقاته. و أين صلاته، و أين النوائب التى تنوبه، و ما ظنك يا أمير المؤمنين بما وراء ذلك و هذه [565] جملة^(٢) سريعة إلى

١. فى آ: يحيى بن برمك.

٢. كذا فى الأصل: جملة: و فى آ و مط: حملة (بالحاء المهملة).

القلب و التوقف على الحاصل منها صعبٌ.»

فقال جعفر: «إن سمع مني.»

قلت: «إنَّ لأُمير المؤمنين نعماً على قوم قد كفروها بالستر لها أو بإظهار القليل من كثيرها و أنا رجل نظرت إلى نعمته عندى فوضعتها فى رأس جبل ثم قلت للناس: تعالوا فانظروا.»

قلت: «نعم إنَّ ناظرِكَ قُلْتُ.»



و كان من أسباب ذلك أيضاً أنَّ الرشيد كان لا يصبر على الجدِّ و يحبُّ الأس. و كان قد أنس بجعفر و كان لا يصبر عن أخته العباسه بنت المهدي، و كان يُحضرهما إذا جلس للشرب، و ذلك بعد أن أعلم جعفرأ قلة صبره عنه و عنها، و قال لجعفر:

- «أزوجهما ليحلَّ لك النظر إليها إذا أحضرتهما مجلسي.»

و تقدَّم إليه^(١) ألا يمستها و لا يكون منه شيء ممَّا يكون من الرجل إلى زوجته، فزوجهما منه على ذلك، فكان يُحضرهما مجلسه إذا جلس للشرب، ثم يقوم عن مجلسه و يخلِّيها فيثملان من الشراب و هما شائبان، فيقوم إليها جعفر فيجامعها، حتَّى حملت منه و ولدت ولداً ذكراً، فخافت على نفسها من الرشيد إن علم بذلك، فوجهت بالولد مع حواضن [566] من مماليكها إلى مكَّة فلم يزل الأمر مستتراً عن هارون إلى أن وقع بين عباسه و بين بعض جوارها شرٌّ، فأنهت أمرها و أمر الصبيَّ [إلى الرشيد]^(٢) و أخبرته بمكانه و مع من هو من

١. فى الأصل و آ، إليها، و هو سهو. و ما أثبتناه يؤيده الطبرى أيضاً (١١ : ٦٧٧).

٢. أضفناه من الطبرى (١١ : ٦٧٧).

جواربها و ما معه من الحلوى الذى زينته به أمه. فأمسك هارون حتى حج هذه الحجة التى ذكرناها فأرسل إلى الموضع الذى كانت الجارية أخبرته به، و استدعاه و من معه من الحواضن، فلما أحضروا سأل اللواتى مع الصبي، فأخبرنه بمثل القصة التى أخبرته به الرافعة على عباسه فأراد قتل الصبي، ثم تحوَّب^(١) من ذلك.

و كان جعفر يتخذ للرشيد طعاماً كلما حج بعسفان، فلما كان فى هذه السنة اتخذ الطعام على الرسم، و استزار الرشيد، فاعتل عليه و لم يحضر طعامه. و لم يزل معه حتى جرى عليه ماجرى، و سنذكر ذلك فيما بعد إن شاء الله.



و قد كان الرشيد قبل إقدامه بالقتل على جعفر بن يحيى و حبسه ليحيى و أولاده تنكر لهم حتى عرف ذلك أكثر من يليه، و عرفه البرامكة أيضاً. فمن ذلك ما ذكر بختيشوع بن جبريل [567] عن أبيه أنه قال: إئتى لقاعد يوماً فى مجلس الرشيد إذ طلع يحيى بن خالد، و كان فيما مضى يدخل بلا إذن، فلما دخل فصار بالقرب من الرشيد و سلم، ردّ عليه ردّاً ضعيفاً. فعلم يحيى أن أمرهم قد تغير، ثم أقبل على الرشيد، فقال:

- «يا جبريل، أيدخل عليك و أنت فى منزلك أحد بلا أذنك؟»

فقلت: «لا و الله، و لا يطمع فى ذلك.»

قال: «فما بالناء، يدخل إلينا بلا إذن.»

فقام يحيى فقال:

١. تحوَّب منه: توجَّع و تحزَّن.

- « يا أمير المؤمنين، قدمني الله قبلك، والله ما ابتدأت ذلك الساعة و ما هو إلا شيء كان خصني به أمير المؤمنين و رفع به ذكرى حتى إنني كنت لأدخل و هو في فراشه مجرداً حيناً و حيناً في بعض إزاره، و ما علمت أن أمير المؤمنين كره ما كان يحب، و إذ قد علمت فإني أكون في الطبقة الثانية من أهل الإذن، أو الثالثة، إن أمرني سيدي بذلك.»

فاستحيى، و كان من أرق الخلفاء وجهاً و عيناه في الأرض ما يرفع طرفه إليه، ثم قال:

- «ما أردت ما تكره، و لكن الناس يقولون.»

قال جبريل: فظننت أنه لم يسنح له جواب يرتضيه. فأجاب بهذا القول، ثم أمسك عنه و خرج [568] يحيى.



و من ذلك أن الرشيد رأى يحيى بن خالد يوماً و قد دخل الدار، فقام الغلمان له، فقال الرشيد لمسرور الخادم:

- «مر^(١) الغلمان ألا يقوموا ليحيى إذا دخل الدار.»

فلما دخل بعد ذلك، لم يقم له أحد، فارتدّ لونه فكان الغلمان و الحجاب بعد إذا رأوه أعرضوا عنه. و كان ربما استسقى الشربة من الماء أو غيره، فلا يسقونه، و بالحرى إن سقوه أن يكون ذاك بعد أن يدعو بها مراراً.



١. في مط: من، بدل «مر».

و من ذلك^(١) ما تحدّث به إبراهيم بن المهديّ و كان مختصّاً به لأنّ جعفرأ هو الذي قدّمه و قرّبه من الرشيد، و كان صاحبه و وليّ نعمته.

قال إبراهيم: قال لي جعفر يوماً:

- «إني قد استريت بأمر هذا الرجل - يعني الرشيد - و قد ظننت أنّ ذلك شيء سبق إلى نفسي منه، فأردت أن أعتبر ذلك بغيري، فكنت أنت، فارمق ذلك في يومك هذا و اعلمني ما ترى منه.»

قال: ففعلت ذلك في يومي، فلمّا نهض الرشيد من مجلسه كنت أوّل أصحابه نهض عنه حتّى صرت إلى شجر في طريقى، فدخلتها و من معي، فأمرتهم بإطفاء الشمع، و أقبل الندماء يمرّون بي واحداً [569] واحداً فأراهم و لا يروننى، حتّى إذا لم يبق منهم أحد إذا أنا بجعفر قد طلع، فلمّا حاذى الشجر قال:

- «أخرج يا حبيبي.»

فخرجت، فقال:

- «ما عندك؟»

فقلت: «حتّى تعلمنى كيف علمت أنّى هاهنا.»

قال: «عرفت عنايتك بي و بما أعنى به، و أنّك لم تكن لتصرف أو تُعلمنى ما رأيته منه، و علمت أنّك تكره أن تُرى واقفاً في هذا الوقت و ليس في طريقك موضع أستر منه فقضيتُ بأنك فيه.»

قلت: «نعم.»

قال^(٢): «فهات ما عندك.»

١. انظر الطبرى (١١ : ٦٧٣).

٢. قال: سقط من الأصل و هو من آ و مط و الطبرى (١١ : ٦٧٤).

قلت: «رأيت الرجل يهزل إذا جددت، و يجدد إذا هزلت.»
قال: «كذا هو، فانصرف يا حبيبي.»
فانصرفت.

ذكر الخبر عن مقتله

لما انصرف الرشيد من مكة فوافي الحيرة في المحرم سنة سبع و ثمانين،
أقام في قصر عون العبادي أياماً، ثم شخص في السفن حتى نزل العمر^(١) الذي
بناحية الأنبار، فلما كانت ليلة السبت لإنسلاخ المحرم أرسل مسروراً الخادم
في جماعة من خواصه و قال:

- «أذهب فأتني بجعفر و انظر ألا يحسن حتى تقيده [570] أولاً ثم تأتيني
برأسه.»

قال مسرور: فأتيته و عنده أبو زكار الأعمى المغني و هو في لهوه و يغنيه
أبو زكار:

فلا تبعذ فكل فتى سيأتي عليه الموت يطرق أو يُغادي^(٢)

قال: فقلت له: «يا با الفضل، الذي جئت له من ذلك قد و الله طرقتك فأجب أمير
المؤمنين.»

قال: فرفع يديه، ثم وقع على رجلي فقبلهما و قال:

١. في آ: الغمر (بالغين المعجمة).

٢. انظر الطبري (١١: ٦٧٨).

- «حتّى أدخل فأوصى».

قلت:

- «أمّا الدخول فلا سبيل إليه، و لكن أوص بما شئت».

فتقدّم فى وصيته بما أراد، و أعتق مماليكه. ثمّ أتتني رُسل أمير المؤمنين يستحثّني به. قال: فمضيت به إليه فأعلمته فقال لى و هو فى فراشه:

- «أتتني برأسه».

قال: فمضيت به إليه. فلمّا عرف أنّه مقتول، قال:

- «الله الله يا با هاشم، و الله ما أمرك بما أمرك به إلّا و هو سكران فدافع بالأمر حتّى أصبح، فإنّه سيندم و يؤاخذك بى».

فقلت: «لا أجسر على ذلك».

قال: «فوامرّه فى ثانية».

فعدت لأوامره، فلمّا سمع حسى قال:

- «يا ماصّ بظّر أمّه، اتتني برأس جعفر».

فعدت إلى جعفر، فقال:

- «عاوده ثالثة».

فعدت [571] فحذفنى بعمود ثمّ قال:

- «نُفِيتُ من المهديّ، لئن لم تأتني برأسه لأرسلنّ إليك من يأتيني برأسك أولاً».

قال: فخرجت، فأتيته برأسه.

الإحاطة بيحيى بن خالد و سائر البرامكة

و أمر الرشيد فى تلك الليلة بتوجيه من أحاط بيحيى بن خالد و جميع ولده و مواليه و من كان منه بسبيل، فلم يفلت منهم أحد، و أخذ ما وجد لهم من مال

و ضياع و متاع و غير ذلك، و منع أهل العسكر أن يخرج منهم خارج إلى مدينة السلام أو إلى غيرها. و وجه من ليلته قوماً إلى الرقة في قبض أموالهم. و كتب إلى جميع البلدان و إلى العمال بها في قبض أموالهم و أخذ و كلاتهم.

فتحدث السندی بن شاهك قال: إني لجالس يوماً فإذا أنا بخادم قد قدم على البريد و دفع إليّ كتاباً صغيراً ففضضته فإذا كتاب الرشيد بخطه فيه:

- «بسم الله الرحمن الرحيم، يا سندی، إذا نظرت في كتابي فإن كنت قاعداً فقم، و إن كنت قائماً فلا تقعد حتى تصير إليّ.»

قال السندی: فدعوت بدواي و مضيت و كان الرشيد بالعمرة، فحدثني العباس بن الفضل بن الربيع قال: جلس الرشيد في الزو بالفرات [572] ينتظرك حتى ارتفعت غبرة، فقال لي:

- «يا عباسي، ينبغي أن يكون هذا السندی و أصحابه.»

فقلت: «ما أشبهه أن يكون يا أمير المؤمنين.»

قال: «فطلعت.»

فقال السندی: فنزلت و وقفت، فأرسل إليّ الرشيد:

- «ادن.»

فصرت إليه، و وقفت ساعة بين يديه، فقال لمن كان عنده من الخدم:

- «قوموا.»

فقاموا، فلم يبق إلا العباس بن الفضل و أنا. فمكث ساعة ثم قال للعباس:

- «أخرج و مرفع التختاج^(١) المطروحة على الزو.»

ف فعل ذلك. فقال لي:

- «ادن مني.»

١. ما في الأصل مهمل في الأخير. انظر الطبري (١١ : ٦٨٢).

فدنوت منه، فقال:

«تدرى فيم أرسلت إليك؟»

قلت: «لا والله يا أمير المؤمنين.»

قال: «فى أمر لو علم به زر قميصى رميت به فى الفرات، يا سندى، من أوثق

قوادى عندى؟»

قلت: «هرثمة^(١).»

قال: «صدقت، فمن أوثق خدمى عندى؟»

قلت: «مسرور الخادم الكبير.»

قال: «صدقت، امضى من ساعتك هذه، وجدّ فى سيرك حتى توافى مدينة

السلام، فاجمع ثقات أصحابك و أرباعك، و مرهم أن يكونوا على أهبة، فإذا

انقطعت الرجل^(٢) فصر إلى دور البرامكة فوكل بكل باب من أبوابهم صاحب

ربع و مره أن يمنع من يدخل [١٥٧٣] و يخرج إلا باب محمد بن خالد حتى

يأتيك رأيى.»

قال: و لم يكن قد حرّك البرامكة فى ذلك الوقت.

قال السندى: فجئت أركض حتى أتيت مدينة السلام، فجمعت أصحابى و

فعلت ما أمرنى به، فلم ألبث أن قدم على هرثمة بن أعين و معه جعفر بن يحيى

على بغل أكاف^(٣) مضروب العنق، و إذا كتاب أمير المؤمنين يأمرنى أن أشطره

بائنين و أن أصلبه على ثلاثة^(٤) جسور. ففعلت ذلك و لم يزل مصلوباً حتى أراد

الرشيد الخروج إلى خراسان، فمضيت فنظرت إليه، فلما مرّ به الرشيد التفت إلى

١. فى مط: هرثمة بن أعين.

٢. فى الطبرى (١١: ٦٨٢): الرجل. ما فى الأصل و آ مهمل. و فى حواشيه: الرجل.

٣. فى الطبرى (١١: ٦٨٣) أكاف، بالتخفيف.

٤. «بائنين» على ثلاثة جسور» كذا فى الأصل و آ و مط و الطبرى (١١: ٦٨٣).

فقال:

«ينبغي أن تحرق هذا - يعنى جعفرأ»
فلما مضى الرشيد أحرقه.

فمن غريب ما سُمع من أمره

إن بعض الكتاب قال: كنت أنظر فى ديوان النفقات و ما يخرج من الخزائن،
فانتهيت يوماً إلى ورقة، فيها:

«و فى هذا اليوم أخرج إلى الأمير أبى الفضل جعفر بن يحيى أدام الله كرامته
ما أمر أمير المؤمنين بإخراجه إليه من الورق كذا، و من العين كذا، و من الفرش
كذا، و من الكسوة و الطيب كذا، حتى بلغ ما مقداره ثلاثون ألف ألف درهم.»

[574]

ثم تصفحت الأوراق، فانتهيت إلى ورقة فيها:

«و فى هذا اليوم أخرج فى ثمن البوارى و النفط الذى أحرق به جعفر بن
يحيى أربعة دراهم و نصف و ربع.»

و قال سلام: لما دخلت على يحيى فى ذلك الوقت و قد هُتكت الستور و
جُمع المتاع قال لى:

«يا با سلمة، هكذا تقوم القيامة.»

قال سلام: فحدثت بذلك الرشيد بعد ما انصرفت إليه، فأطرق و بقى مفكراً.
و وجدت فى بعض الكتب^(١): أن البرامكة قصدت عبد الله بن مالك الخزاعى
بالعداوة، و كان الرشيد حسن رأى فيه، و كانوا يغرونه^(٢) به حتى قالوا:

١. لم نجد هذه الرواية عند الطبرى.

٢. فى مط: يعزونه.

- «لا بد من نكته».

فقال: «ما كنت لأنكبه و لكنى أبعده عنكم».

فقالوا: «يُتفى؟»

قال: «لا، و لكنى أوليه ولاية دون قدره عندى و أخرجه إليها».

فرضوا بذلك، و كتبوا له على حرّان و الزها فقط، و أمروه عن الخليفة بالخروج، قال عبد الله: فودّعهم واحداً واحداً حتّى إذا صرت إلى جعفر لأودّعه قال:

- «ما على الأرض عربى أنبل منك يا با العباس، يغضب عليك الخليفة فيؤليك».

قلت: «فما ذنبى حتّى غضب، و أىّ شيء جزاء ذنبى الذى ترضى أن يعمل بى؟»

فاستشاط [575] من قولى ثم قال:

- «ينبغى أن يضرب و سटक و تُصلب نصفاً فى جانب و نصفاً فى جانب آخر».

فنهضت من عنده مغضباً، و أقبلت أتردد فى أمرى، إلّا أنى لم أجد بداً من الخروج، فقطعت طريقى بالهمّ و الغمّ لأنى كنت لا آمنهم مع غيبتى على بالسعاية بى. فبينما أنا عشيّة على باب الدار التى كنت نزلتها، جالساً على كرسى، إذ أقبل إلىّ مولى لى، فقال لى سرّاً:

- «قد قُتل جعفر بن يحيى البرمكى».

فتوهمت أنه قد دسّه إلىّ جعفر ليجد علىّ حجة بكلام ينكبنى بها، فبطحته و ضربته ثلاثمائة مفرعة، و حبسته بليلة طويلة على سطح دارى. فلمّا كان فى السحر، إذا صوت حلق الحديد، فارتعت و نزلت عن السطح و قلت فى نفسى: إن هجم علىّ صاحب البريد فهى نكبة عظيمة و إن ترجّل و استأذن ففرح. فلمّا

بصر بى صاحب البريد، ترجّل قطابت نفسى، و دفع إلى كتاباً من الرشيد يُخبرنى فيه بقتله البرامكة و قبضه عليهم، و يأمرنى بالشخوص إليه. فشخصت، فلما وصلت عاملنى من الإنعام و الإكرام ما زاد على أمنيّتى. و خرجت، فأتيت الجسر، فوجدت جعفرًا قد ضُرب وسطه، نصفه من جانب [576] و النصف الآخر من جانب آخر^(١)، فأكثرت حمد الله و عجبت من الصنع اللطيف و رجوع الكيد عليه.



قال أيوب بن هارون بن سليمان: كنت أميل إلى يحيى و أنزل معه، فكنت معه تلك العشيّة، فلما كان فى السحر و افانا خبر مقتل جعفر و زوال أمرهم، قال: فكتبت إلى يحيى أعزيّه، فكتب إلى: - «أنا بقضاء الله راضٍ، و بالخيار منه عالم، و لا يؤاخذ الله العباد إلا بذنوبهم و ما ربك بظلام للعبيد.» و أكثرت الشعراء فى مرأيتهم و أطالت.

و فى هذه السنة غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح و حبسه
ذكر السبب فى ذلك

كان لعبد الملك بن صالح ابن يقال له عبد الرحمن من رجال البأس^(٢) له لسان على فأفأة فيه و كان كاتبه قُمامة يصادقه فجرت بينهما و بين أبيه

١. قس هذه العبارة بالعبارة السابقة.

٢. مهمل الثانى فى الأصل و آ. فى مط: البأس. فى الطبرى (١١ : ٦٨٨): الناس. و رجّحنا ما فى مط.

وحشة، فواطأ الكاتب قُمامة، فسعيا به إلى الرشيد و قالاً له:

- «إنَّه يطلب الخلافة و يطمع فيها.»

فذكر أنَّه دخل على الرشيد فقال له:

- «أكفراً للنعمة و جحوداً لجليل [577] المنَّة و التكرمة؟»

فقال: «يا أمير المؤمنين، لقد يؤثُّ إذاً بالندم، و تعرّضت لاستحلال النقم، و ما ذاك إلّا بغى حاسد نافسني فيك مودة القرابة و تقديم الولاية، إنَّك يا أمير المؤمنين خليفة رسول الله صلَّى الله عليه، في أمته، و أمينه على عترته^(١) لك عليها فرض الطاعة و أداء النصيحة، و لها عليك العدل في حكمها و التثبت في حادّتها و الغفران لذنوبها.»

فقال له الرشيد:

- «أتضع لى من لسانك و ترفع لى من جناحك؟ هذا كاتبك قُمامة يخبر عنك بخلِّك و فساد نيتك، فاسمع كلامه.»

فقال عبد الملك:

- «أعطاك ما ليس في عقده، و لعلّه لا يقدر أن يعضّهنى و لا يبهتنى بما لا يعرفه منى» فأحضر قُمامة، فقال له الرشيد:

- «تكلم غير هائب و لا خائف.»

قال: «نعم يا أمير المؤمنين، إنَّه عازم على الغدر بك و الخلاف عليك.»

فقال عبد الملك:

- «أهو كذلك يا قُمامة؟»

قال قُمامة: «نعم، لقد أردت ختل^(٢) أمير المؤمنين.»

١. فى آ: عشيرته.

٢. فى آ: خيل.

فقال عبد الملك:

- «كيف لا يكذب عليّ من خلفي و هو يبهتنى فى وجهي؟»

فقال له الرشيد:

- «و هذا ابنك عبد الرحمن يخبرنى بعتوك [578] و فساد نيّتك ولو أردت

أن أحتجّ عليك بحجّة لم أجد أعدل من هذين لك فيم تدفعهما عنك؟»

فقال عبد الملك:

- «هو مأمور أو عاقّ مجبور. فإن كان مأمورًا فمعذور، و إن كان عاقًا

ففاجر كفور. أخبر الله بعداوته و حذر منه بقوله: إنّ من أزواجكم و أولادكم

عدوّاً لكم فاحذروهم.^(١)»

قال: فنهض الرشيد و هو يقول:

- «أمّا أمرك فقد وضح، و لكننى لا أعجل حتّى أعلم الذى يُرضى الله فيك،

فإنّه الحكم بينى و بينك.»

فقال عبد الملك:

- «رضيت بالله حكماً و بأمير المؤمنين حاكماً، فإننى أعلم أنّه يؤثر كتاب الله

على هواه و أمر الله على رضاه.»

فلما كان بعد ذلك جلس مجلساً آخر، فسلمّ لهما دخل فلم يردد عليه، فقال

عبد الملك:

- «ليس هذا يوماً أحتجّ فيه، و لا أجاذب منازعاً و خصماً.»

قال: «و لم؟»

قال: «لأنّ أوّله جرى على غير السُنّة، فأنا أخاف آخره.»

قال: «و ما ذاك؟»

قال: «لم تردّ عليّ السلام، أنصف نصفه العوام»^(١).

قال: «السلام عليكم اقتداء بالسنة وإشاراً للعدل واستعمالاً للتحية».

ثم التفت نحو سليمان بن أبي جعفر فقال وهو يخاطب بكلامه عبد الملك:

[579]

أريد حياءً ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد^(٢)

ثم قال: «أما والله لكأني أنظر إلى شؤبويها وقد همع، و عارضها وقد لسع، وكأني بالوعيد قد أوري ناراً تستطع، فأقلع عن براجم بلا معاصم، و رؤوس بلا غلاصم، فمهلاً مهلاً في سهل لكم الوعر، و صفا لكم الكدر، و ألقى إليكم الأمور أثناء أزمئها، و نذار لكم نذار قبل حلول داهية خبوط باليد، لسبوط بالرجل».

فقال عبد الملك:

- «إتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولّك، و في رعيته التي استرعاك، و لا تجعل الكفر مكان الشكر، و لا العقاب موضع الثواب، فقد نخلت لك النصيحة، و محضت لك الطاعة، و سدّدت أواخي ملكك بأثقل من رُكني يَلملم، و تركت عدوك مشغولاً بنفسه. فالله الله في ذي رحمك أن تقطعه بعد أن بللته بظنّ أفصح الكتاب لي بَغْضَه^(٣) أو ببغى باغ ينهس^(٤) اللحم، و يألغ الدم فقد و الله سهلت لك

١. انظر الطبري (١١ : ٦٩٥).

٢. يُنسب هذا البيت إلى الإمام عليّ عليه السلام و هو موجود في الديوان المنسوب إليه الذي نشرته أخيراً، باختلاف. في «حباء» فالمثبت في الديوان «حياته» كما هو في نقل الزمخشري في أساس البلاغة في «عذر» و الطبري (١١ : ٦٩٥).

٣. في الاصل بَغْضَه في الطبري (١١ : ٦٩١)؛ بعضها. في حواشيه: بغضه. بعضه. بعضه.

الوعور، و ذللت لك الأمور، و جمعت على طاعتك القلوب فى الصدور. فكم من ليل تمام فيك كابدته^(٥)، و مقام ضيق لك قمته، كنت فيه كما [580] قال أخو بنى جعفر بن كلاب:

وَمَقَامُ ضَيْقٍ فَرَّجْتُهُ بِلِسَانِي وَ بَيَانِي وَ جَدَلُ
لَوْ يَقُومُ الْفِيلُ أَوْ فَيَّالُهُ زَلٌّ عَنِ مِثْلِ مَقَامِي وَ زَحَلُ^(٦)

ما ذكره زيد بن على بن الحسين العلوى

فى الرشيد و حبسه ابن صالح

و ذكر زيد بن على بن الحسين العلوى قال: لما حبس الرشيد عبد الملك بن صالح، دخل عليه عبد الله بن مالك و هو يومئذ على شرطه قال:

— «أ فى أذن أنا فأتكلم؟»

قال: «تكلم».

قال: «لا و الله العظيم الرحمن الرحيم يا أمير المؤمنين، ما علمت عبد الملك إلا ناصحاً فعلام حبسته؟»

قال: «ويحك، أوحشنى حتى لم آمنه أن يضرب بين ابني هذين - يعنى الأمين و المأمون، فإن كنت ترى أن نطلقه من الحبس، أطلقناه».

قال: «أمّا إذا حبسته يا أمير المؤمنين فإنى لست أرى فى قرب المدّة أن تطلقه. و لكن تحبسه محبساً كريماً يشبه محبس مثلك».

→ يعضه: يكذب. ينعم. يبهت.

٤. كذا فى آ و الطبرى (١١: ٦٩١). فى مط: ينهش. و المعنى واحد.

٥. فى مط: كامدته.

٦. فى مط: رحل (بالراء المهملة).

قال: «فإني أفعل».

قال: فدعا الرشيد الفضل بن الربيع، فقال:

«إمض إلى عبد الملك بن صالح إلى محبسه و قل له: انظر ما تحتاج إليه في محبسك. فأمر به أن يقام لك».

فذكر ما يحتاج إليه فأقيم له.

كلام بين الرشيد و ابن صالح

و قال [581] الرشيد يوماً لعبد الملك بن صالح في بعض ما كلمه:

– «ما أنت لصالح».

قال: «فلمن أنا؟»

قال: «لمروان الجعدى».

قال: «ما أبالي أيّ الفحلين غلب على».

و لم يزل محبوساً حتى توفي الرشيد فأطلقه محمد و عقد له على الشام. فكان مقيماً بالرقه و جعل لمحمد عهد الله و ميثاقه لئن قُتل و هو حي لا يُعطى المأمون طاعة أبداً. فمات قبل محمد، فُدفن في دارٍ من دور الإمارة. فلما صار الأمر إلى المأمون أرسل إلى ابن له:

– «حوّل أباك من داري».

فنبش و حوّل.

استعلام الرشيد يحيى بن خالد في عبد الملك بن صالح

و كان الرشيد بعث في بعض أيامه إلى يحيى بن خالد:

– «أن عبد الملك بن صالح أراد الخروج على و منازعتي في الملك، وقد صَحَّ عندي ذلك، فأعلمني ما عندك فيه، فإنك إن صدقتني أعدتك إلى حالك».

فقال:

- «و الله يا أمير المؤمنين، ما أطلعت من عبد الملك على شيء من هذا، و لو أطلعت عليه لكنت صاحبه دونك لأنّ ملك كان ملكي، و سلطانك كان سلطاني و الخير و الشرّ كان فيه عليّ، فكيف يجوز لعبد الملك أن يطمع في ذلك منّي، و هل كنت إذا فعلت ذلك به يفعل بي أكثر من فعلك بي أعيدك [582] بالله أن تظنّ بي هذا الظنّ. و لكنّه كان رجلاً محتملاً يسرّني أن يكون في أهلك مثله فولّيته لما أحمدت من مذهبه، و ملت إليه لأدبه و احتماله.»

قال: فلمّا أتاه الرسول بهذا، أعاده إليه، فقال:

- «إن أنت لم تُقرّ عليه قتلت الفضل ابنك.»

فقال له: «أنت مسلّط علينا فافعل ما أردت على أنّه إن كان من هذا الأمر

شيء فالذنب فيه لي، فما يدخل الفضل في هذا.»

فقال الرسول للفضل:

- «قم، فإنّه لا بدّ لي من إنفاذ أمر أمير المؤمنين فيك.»

فلم يشكّ أنّه قاتله، فودّع أباه و قال:

- «ألست راضياً؟»

قال: «بلى، فرضى الله عنك.»

ففرّق بينهما ثلاثة أيّام فلمّا لم يجد عنده في ذلك شيئاً، جمعهما كما كانا.

و كان يأتيهم منه أغلظ رسائل لما كان أعداؤهم يُقرّفونهم به.

أسئلة و أجوبة بين الرشيد و عبد الملك بن صالح

و كان عبد الملك حاضر الجواب، جيّد الرويّة، و هو الذي قال للرشيد و قد

مرّ به بمنّيج^(١) مستقر عبد الملك. فسأله:

١. منّيج: بلد قديم كبير واسع، بينه و بين الفرات ثلاثة فراسخ و إلى حلب عشرة فراسخ (مراصد الإطلاّع).

- «أهذا منزلك؟»

قال: «هو لك يا أمير المؤمنين ولي بك.»

قال: «كيف هو؟»

قال: «دون بناء أهلي، و فوق منازل منيع.»

قال: «كيف ليلها.»

قال: «سحر كله.»

انتقاض الصلح بين المسلمين و الروم

و فى هذه السنة انتقض الصلح بين المسلمين و بين الروم [583] لأنَّ ملك الروم الذى كان صالح المسلمين على الجزية و حمل مال للصلح قُتل و ملك الروم تقفور.

و كان تقفور هذا من أولاد جفنة من غسان، فلمّا ملك و استوسقت له الأمور، كتب إلى الرشيد:

- «من تقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب،^(١) أمّا بعد، فإنّ الملك الذى كان قبلى كان يحمل إليك من أمواله ما كنت حقيقاً بحمل أمثاله إليه، فإذا قرأت كتابى فاردد ما حصل قبلك من أمواله و افتد نفسك بما تقع به المصادرة لك و إلا فالسيف بيننا و بينك.»

مركز بحوث و مكتبة جامعة القاهرة

فلمّا قرأ الرشيد الكتاب، استفزّه الغضب حتّى لم يمكن أحداً^(٢) أن ينظر إليه دون أن يخاطبه، و تفرّق جلساؤه خوفاً من زيادة قول يكون منهم، و استعجم

١. العرب: فى الأصل: المغرب، و هو خطأ و ما أثبتناه من آ و الطبرى (١١ : ٦٩٥).

٢. فى الأصل: أحد. فى آ و الطبرى (١١ : ٦٩٥): احداً.

الرأى على الوزير أن يشير عليه أو يتركه برأيه.
فدعا هارون يدواة وكتب على ظهر الكتاب:

- «بسم الله الرحمن الرحيم، من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور
كلب الروم، قد قرأت كتابك يا بن الكافرة، و الجواب ما تراه دون
ما تسمعه و السلام.»

ثم شخص من يومه و سار حتى أناخ بباب هِرَقْلَةَ، ففتح و غنم و اصطفى و
أفاد [584] و اصطلم و خرّب و أحرق. فطلب نقفور المواعدة على خراج يؤديه
كل سنة فأجابه إلى ذلك. فلما رجع من غزوته و صار بالرقّة نقض نقفور العهد
و خان الميثاق، و كان البرد شديداً، فيئس نقفور من رجعه إليه، و جاء الخبر
بارتداده عما أخذ عليه، فما تهيتاً لأحد إخباره بذلك إشفاقاً عليه و على أنفسهم
من الكثرة فى مثل تلك الأيام، فاحتيل له بشاعر فقال:

نَقَضَ الَّذِي أُعْطِيَتْهُ نَقْفُورُ وَ عَلَيْهِ دَائِرَةُ الْبَوَارِ تَدُورُ

فى أبيات كثيرة. فلما فرغ من إنشاده، قال:
- «أو قد فعل نقفور؟»

و علم أن الوزراء قد احتالوا له فى ذلك. فكثّر راجعاً فى أشدّ محنة و أعظم
كلفة حتى أناخ بفنائه فلم يبرح حتى رضى و بلغ ما أراد.

قتل عثمان بن نمهيك

و فى هذه السنة قتل إبراهيم بن عثمان بن نهيك.

ذكر السبب في ذلك

كان إبراهيم بن عثمان كثيراً ما يذكر جعفر بن يحيى و البرامكة، فيبكي جزعاً عليهم و حباً لهم^(١) إلى أن خرج من حدّ البكاء و دخل في باب طالبي الثأر و الإحن^(٢)، فكان إذا خلا [585] بجواريه و شرب و قوى عليه النبيذ قال:

- «يا غلام سيفي ذو المنية».

فبجيشه غلامه بالسيف، ثم يقول:

- «وا جفعراه، وا سيّدها، و الله لأقتلن قاتلك و لأثأرن برمك».

فلما كثر هذا من فعله جاء ابنه عثمان إلى الفضل بن الربيع، فأخبره بقوله. فدخل الفضل، فأخبر الرشيد فقال:

- «هاته»^(٣).

فدخل، فقال:

- «ما الذي قال الفضل عنك؟»

فأخبره بقول أبيه و فعله.

فقال له الرشيد:

- «فهل سمع هذا أحد معك؟»

قال: «نعم، خادمه نوال».

فدعا خادمه سراً، فسأله، فقال:

- «قد قال غير هذه».

فقال الرشيد:

- «ما يحلّ لي أن أقتل ولياً من أوليائي بقول غلام و خصي لعلهما تواطئا

١. و في مط: الأجر.

٢. انظر الطبري (١١: ٦٩٩).

٣. في الطبري: (١١: ٦٩٩): «أدخله» بدل «هاته».

على ذلك بمنافسة الإين على المرتبة، و معاداة الخادم و مله لول الصحبة.»
فترك ذاك أَيْاماً، ثمَّ أراد أن يمتحن إبراهيم بن عثمان بمحنة تزيل الشكَّ عن قلبه، و الخاطر عن وهمه. فدعا الفضل بن الربيع فقال:

- «إني أريد محنة إبراهيم بن عثمان فيما رفع ابنه عليه، فإذا رُفع الطعام فادعُ بالشراب و قل له: أحبُّ أمير المؤمنين أن ينادمك إذ كنت منه بالمحلِّ [586] الذي أنت به، فإذا شرب، فانصرف و خلّني و إِيّاه.»

ففعل ذلك الفضل بن الربيع، و قعد إبراهيم للشرب، ثمَّ وثب حين وثب الفضل للقيام، فقال له الرشيد:

.. «مكانك يا إبراهيم.»

فقعده، فلمّا طابت نفسه، أوماً الرشيد إلى الغلمان، ففتحوا عنه، ثمَّ قال:

- «يا إبراهيم، كيف أنت و موضع السر منك؟»

قال: «يا سيّدي، إنّما أنا أدون عبيدك و أطوع خدمك.»

قال: «إنّ في نفسي أمراً من الأمور أريد أن أودنك، و قد ضاق صدري به و أسهرت^(١) له ليلي.»

قال: «يا سيّدي، إذا لا يرجع عنّي إليك أبداً، أخفيه عن جيبى و نفسي.»

قال: «ويحك، إني قد ندمت على قتل جعفر بن يحيى ندامة ما أحسن أن أصفها، فوددت أنّي خرجت من ملكي و أنّه كان بقى لى،^(٢) فما وجدت طعم النوم منذ فارقتّه و لا لذة العيش منذ قتلته.»

قال: فلمّا سمعها إبراهيم أسبل دموعه و أذرى عبرته و لم يملك نفسه و قال:

- «رحم الله أبا الفضل و تجاوز عنه، و الله يا سيّدي، لقد أخطأت في قتله و

١. الضبط من الطبرى (١١ : ٧٠٠).

٢. انظر الطبرى (١١ : ٧٠٠).

أوطئت العشوة في أمره و لن يوجد في الدنيا مثله، و قد كان منقطع القرين زيناً في الناس أجمعين.»

فقال الرشيد:

- «قم عليك لعنة الله يا بن الفاجرة. [587]

فقام ما يعقل ما يطاق، فأنصرف إلى أمه و قال:

- «يا أم، ذهبت و الله نفسي.»

قالت: «كلّا إن شاء الله، و ما ذاك يا بني؟»

قال: «إنّ الرشيد امتحنني محنة. و الله لو كانت لي ألف نفس لم أنج بواحدة

منها.»

فما كان بين هذا و بين أن أدخل عليه فُضْرِب بالسيف إلّا ليالٍ و قتله.^(١)

ثمّ دخلت سنة ثمان و ثمانين و مائة

و لم يجر فيها ما يُكتب.

و دخلت سنة تسع و ثمانين و مائة.

شخصوص الرشيد إلى الرى و سببه

و في هذه السنة شخص الرشيد إلى الرى، و كان سبب ذلك أنّ الرشيد كان استشار يحيى في تولية على بن عيسى بن ماهان، فأشار عليه ألا يفعل، فإنّه غشوم، فخالفه الرشيد و ولّاه إياها. فلمّا شخص على بن عيسى إليها، ظلم الناس و عسف عليهم و جمع مالاً جليلاً، و وجّه إلى هارون منها هدايا لم يُر

١. و العبارة في الطبرى (١١ : ٧٠١) هكذا: فما كان بين هذا و بين أن دخل عليه ابنه فضربه بسيفه حتى مات إلّا ليالٍ قلائل.

مثلها قطّ من الخيل و الرقيق و الثياب و المسك و الأموال. فقعد هارون بالشماسيّة على دكان مرتفع حين وصل إليه ما بعث به عليّ إليه، و أحضرت تلك الهدايا فعُرضت عليه فعظمت في عينه و جلّ قدرها عنده و إلى جانبه يحيى بن خالد، فقال له:

- «يا با عليّ، [588] هذا الذي كنت تشير علينا ألا نوليّه هذا الثغر، فقد خالفناك فيه، فكان في خلافاك البركة - و هو كالمأزح معه و كان إذ ذاك على مرتبته الجليّة و موضعه اللطيف - فقد ترى الآن ما صحّ من رأينا فيه و قال^(١) من رأيك.»

فقال يحيى:

- «يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداءك أنا و إن كنت أحبّ أن أصيب في رأيي و أوفق في مشورتي، فأنا أحبّ مع ذلك أن يكون رأي أمير المؤمنين أعلى، و فراسته أنقب، و علمه أكثر من علمي، و معرفته فوق معرفتي، و ما أحسن هذا و أكثره إن لم يكن وراءه ما يكره أمير المؤمنين، و ما أسأل الله أن يعيده من سوء عاقبته و تباع مكروهه.»

قال: «و ما ذاك؟»

قال: «ذاك أنّي أحسب هذه الهدايا ما اجتمعت له حتّى ظلم فيها الأشراف و أخذ أكثرها ظلماً و تعدّياً، و لو أمرني أمير المؤمنين لأتيته بأعضائها الساعة من بعض تجار الكرخ.»

قال: «و كيف ذاك؟»

قال: «قد ساومنا عوناً على السفط الذي جاءنا به من الجوهر، فأعطيناه به سبعة آلاف ألف فأبى أن يبيعه. فابعث إليه الساعة بحاجبي، فأمر أن يرده إلينا

١. قال رأيته: أخطأ و ضعف.

لنعيد فيه نظرنا فإذا جاء به جحدناه و ربحنا سبعة آلاف [589] ألف، ثم نفعل هذا بتاجرين من كبار التجار، و على أن هذا أسلم عاقبة و أستر أمراً من فعل عليّ بن عيسى في هذه الهدايا بأصحابها، فأجمع لأمر المؤمنين في ثلاث ساعات أكثر من قيمة هذه الهدايا بأهون سعي و أيسر أمر و أجمل جباية كما جمع عليّ في ثلاث سنين.

فوقرت في نفس الرشيد، و أمسك عن ذكر عليّ بن عيسى، فلمّا عاث عليّ بن عيسى بخراسان و وتر أشرافها فأخذ أموالهم و استخفّ برجالهم، خفّت رجال من كبرائها إلى الرشيد، و كتبت جماعة من كورها إلى أصحابها و قراباتها ببغداد، تشكو سوء سيرته و خبث طعمته و رداءة مذهبه و تسأل أمير المؤمنين أن يبدلها به من أحبّ من كفاته و أنصاره و أبناء دولته و قوّاده.

فدعا يحيى بن خالد، و شاوره في أمر عليّ بن عيسى و في صرفه و قال: - «أشر عليّ برجل ترضاه لذلك الثغر يصلح ما أفسد الفاسق، و يرتق ما

فتق.»

فأشار عليه بيزيد بن مزيد، فلم يقبل مشورته.

ثم دخلت سنة تسعين و مائة

ظهر رافع بن الليث بسمرقند مخالفاً هارون

و في هذه السنة ظهر رافع بن الليث بن نصر بن سيّار بسمرقند مخالفاً

هارون [590] و خالفاً له، و نزع يده من طاعته.

ذكر السبب في ذلك

كان يحيى بن الأشعث بن يحيى الطائي تزوّج بخراسان بنتاً لعمّه، و كانت

ذات يسار^(١)، فأقام بمدينة السلام و تركها بسمرقند و بلغها أنه قد اتخذ أمهات أولاد، و طال عليها أمره، فالتمست شيئاً للتخلص منه، فعى عليها و بلغ رافعاً خبرها، فطمع فيها و فى مالها، فدس إليها من قال لها: إنه لا سبيل لها إلى التخلص من صاحبها إلا أن تشرك بالله و تحضر لذلك قوماً عدولاً و تكشف شعرها بين أيديهم، ثم تتوب فتحل للأزواج، ففعلت ذلك و تزوجها رافع، و بلغ الخبر يحيى بن الأشعث فرفع ذلك إلى الرشيد، فكتب إلى علي بن عيسى يأمره أن يفرق بينهما و أن يعاقب رافعاً بجلد الحد و يقيده، ثم يطوف به مدينة سمرقند مقيداً على حمار حتى يكون عظة لغيره.

فدراً سليمان بن حميد الأزدي عنه الحد و حمله على حمار مقيداً حتى طلقها، ثم حبسه فى حبس سمرقند، فهرب من [591] الحبس ليلاً من عند حميد بن المسيح و هو يومئذ على شرطة سمرقند، فلحق بعلي بن عيسى يبلغ فطلب الأمان فلم يجبه علي إليه و هم بضرب عنقه. فكلمه فيه ابنه عيسى بن علي، و جدّد طلاق المرأة، و أذن له فى الإنصراف إلى سمرقند، فانصرف إليها. و وثب بسليمان بن حميد عامل علي بن عيسى فقتله. فوجه إليه علي بن عيسى ابنه، فمال الناس إلى سباع بن مسعدة، فوثب علي رافع فقيدته، و اجتمع الناس عليه فقيدوه و رأسوا رافعاً و بايعوه، و طابقه من كان بوراء النهر، و وافاه عيسى بن علي بن عيسى، فلقبه رافع، فهزمه ثم قتله، فأخذ علي بن عيسى فى فرض الرجال و التأهب للحرب.

فتح الرشيد هرقله بأرض الروم

و فى هذه السنة فتح الرشيد هرقله بأرض الروم و كان دخلها فى مائة ألف

١. يسار. كذا فى الأصل. ما فى الطبرى (١١ : ٧٠٧): لسان. و فى حواشيه: يسار.

و خمسة و ثلاثين ألف مرتزق سوى الأتباع و سوى المطوعة و من لا ديوان له. و وجه داود بن عيسى بن موسى سائحاً في أرض الروم في سبعين ألفاً. و أخرب هارون الرشيد هرقله و سبى أهلها بعد مقام ثلاثين يوماً عليها، و ولّى حميد بن معيوف سواحل بحر الشام [592] إلى مصر فبلغ حميد قبرس، فهدم و حرّق و سبى من أهلها ستّة عشر ألفاً فأقدمهم الرافقة فتولّى بيعهم أبو البختري^(١) القاضي، فبلغ أسقف قبرس ألفي دينار، و بعث نقفور إلى الرشيد بالخراج و الجزية عن رأسه و ولّى عهده و بطارقه و أهل بلده خمسين ألف دينار، منها عن رأسه أربعة دنائير، و عن رأس ابنه دينارين، و عن الباقيين على حسب مراتبهم.

كتاب نقفور لهارون في جارية من سبى هرقله
و كتب نقفور مع بطريق من بطارقه في جارية من سبى هرقله كتاباً نسخته:

«لعبد الله هارون أمير المؤمنين من نقفور ملك الروم، سلام عليك، أمّا بعد، أيّها الملك، إنّ لى إليك حاجة لا تضرك في دينك و لا دنياك، هيّنة يسيرة أن تهب لابنى جارية من بنات أهل هرقله قد كنت خطبتها على ابنى، فإن رأيت أن تسعفنى بحاجتى فعلت، و السلام عليك و رحمة الله و بركاته.»

و استهداه طيباً و سرادقاً من سرادقاته.
فأمر الرشيد بطلب الجارية فأحضرت و زُيّنت و أُجلست على فراش في

١. كذا في الأصل و آ و الطبرى (١١: ٧٠٩): أبوالبختري، و في مط: البختري.

مضربه الذي كان نازلاً فيه، و سُلِّمت الجارية و المضرب بما فيه من الآنية و المتاع إلى رسول نقفور و بعث إليه أيضاً بما سأل من [593] العطر، و بعث إليه من التمور و الزبيب و الأخبصة و الترياق. فسَلَّم ذلك إليه رسول الرشيد فأعطاه نقفور وقر دراهم إسلامية و حملة على بزidon كُميت، فكان مبلغ المال خمسين ألف درهم، و مائة ثوب ديباج، و مائتي ثوب بزيون، و اثني عشر بازياً، و أربعة أكلب من كلاب الصيد، و ثلاثة براذين.

و كان نقفور اشترط ألا يخرب ذا الكلاع، و لا صملة، و لا حصن سنان، و اشترط الرشيد عليه ألا يعمر هرقله، و على أن يحمل نقفور ثلاثمائة ألف دينار.^(١)



تَمَّت المجلدة الثالثة و الحمد لله رب العالمين و صلواته على محمد النبي و آله الطاهرين أجمعين.

و يتلوه في المجلدة الرابعة: «ثم دخلت سنة إحدى و تسعين و مائة.»



فرغ من انتساخ هذه المجلدة محمد بن علي بن محمد أبو طاهر البلخي في جمادى الآخرة سنة خمس و خمسمائة.



فرغ من انتساخه الحسن بن منصور في جمادى الآخرة سنة سبع و ثلاثين^(١).

فرغ من انتساخه ابنه محمد بن الحسن بن منصور ثامن عشر من جميدى (كذا) الآخرة سنة إحدى و خمسين و خمسمائة.



مركز تحقيقات كالمپويز علوم اسلامی

١. ثلاثين: لم تتأكد من صحة قراءة الكلمة، فإنها غير واضحة في الأصل.

MISKAWAYH
(932-1030)

TAJĀRIB AL-UMAM

(Experiences of Nations)

EDITED, ANNOTATED & INTRODUCED
by
A.Emāmi, Ph.D.

VOL. 3



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

Soroush Press
Tehran 2001

MISKAWAYH

(932-1030)

TAJĀRIB AL-UMAM

(Experiences of Nations)

EDITED, ANNOTATED & INTRODUCED

by

A. Emāmi, Ph.D.

vol.3

Soroush Press
Tehran 2001



شماره: ۲۵۰۰۰ ریال
کالینکور: ۴۰۰۰۰ ریال

شابک: ۹۶۴-۴۳۵-۵۵۱-۲
شابک: ۹۶۴-۴۳۵-۳۳۱-۵ (دوره ۷ جلدی) (7 Vol. SET)
ISBN 964-435-551-2
ISBN 964-435-331-5

سوروش
انتشارات